BOBST LIBRARY
3 1142 01249 9722

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

شفاء الغرام

بأخبار البلد الحرام

تأليف

الإمام العلامة الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي

أحد قضاة مكة غفر الله له - ٧٧٥-٨٣٢ هـ

حقق أصوله وعلق حواشيه

لجنة من كبار العلماء والأدباء

الجزء الأول

طبع هذا الكتاب القيم في عهد

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز أيد الله ملكه

ملتزم النشر والتوزيع

مكتبة النهضة الحديثة

لأصحابها عبد الحفيظ وعبد الشكور عبد الفتاح فدا

بمكة المكرمة

طبع بدار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

١٩٥٦

Fāsī, Taqī al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad

/Shifā' al-gharām bi-akhbār al-Balad al-Ḥarām/

شفاء الغرام

بأخبار البلد الحرام

تأليف

الإمام العلامة الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي

أحد قضاة مكة غفر الله له - ٧٧٥-٨٣٢ هـ

حقق أصوله وعلق حواشيه

لجنة من كبار العلماء والأدباء

الجزء الأول

طبع هذا الكتاب القيم في عهد

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز أيد الله ملكه

ملتزم النشر والتوزيع

مكتبة النهضة الحديثة

لأصحابها عبد الحفيظ وعبد الشكور عبد الفتاح فدا

بمكة المكرمة

طبع بدار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

١٩٥٦

DS
248
.M4
F29
1952
v.1
c.1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم . مالك
يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا
الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

0124999722

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود المعظم

الإهـــداء

إلى حضرة صاحب الجلالة : ملك المملكة العربية السعودية ، وحامى حمى الحرمين الشريفين

« الملك سعود الأول حفظه الله »

يا صاحب الجلالة :

ما زال عهدكم الزاهر مصدر يمن وبركة وخير وإسعاد للعرب عامة ، وللمسلمين أجمعين ؛ وما برحتم تولون النهضة العربية ، والبعث العربى ، جانبا كبيرا من رعايتكم ، وحظا موفورا من عنايتكم الشريفة النبيلة .

وها نحن أولاء نشهد ، ويشهد معنا العالم كله ، حرص جلالتكم على إحياء التراث العربى الإسلامى ، ونشره وإذاعته بين الناس ، ليكون الغذاء العقلى والفكرى ، للشباب المسلم ، فى نهضتنا الحاضرة ، ولينطق بمفاخر أجدادك العرب ، وينم عما بلغوه من تقدم سياسى ورقى علمى ونهضة ثقافية شاملة ، ولنستفيد من هذا التراث العظيم فى بناء حاضر الأمة العربية المرموق ، ومستقبلها المنشود الزاهر بإذن الله .

وهذا هو سفر نفيس ، ومصدر تاريخى جليل ، وكتاب من أمهات كتب التاريخ ، وهو «شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام» ، للإمام المؤرخ العلامة القاضى الشيخ تقى الدين الفاسى المكى رحمه الله ، ننشره فى عهدك الميمون ، وبرعايتكم الكريمة ، ويعاوننا فى نشره حضرة صاحب المعالى الشيخ محمد سرور الصبان أحد وزرائكم العبقريين ، وطائفة من أعلام العلماء والمحققين فى البلاد العربية ، وسيظهر فى جزءين ضخمين ، فى طباعة جيدة متقنة ، تناسب أهمية الكتاب وموضوعه ، وتدل على النهضة العلمية للمملكة العربية السعودية فى عهدكم العظيم .

وإن مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ليشرفها أن تتوج هذا الكتاب الجليل، باسم جلالتكم العظيم، وأن تهديه إلى عاهل الجزيرة العربية السعودية، وحامى حمى الأماكن المقدسة. وهى إذ ترفع هذا العمل إلى جلالتكم، ترفع معه صادق إخلاصها وولائها ووفائها لسدتكم الكريمة.

حفظكم الله، وأبقاكم ذخرا للإسلام والمسلمين.

مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة

مكة المكرمة فى { العاشر من ذى القعدة سنة ١٣٧٥هـ
التاسع عشر من شهر يونيو سنة ١٩٥٦ م

جلالة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد المعظم

معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني

الشيخ محمد سرور الصباح

مقدّمة

— ١ —

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين . هذا كتاب «شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام »، يظهر مطبوعا لأول مرة، فى ثوب قشيب ، وحلة أنيقة ، وتعليقات مفيدة ، وتصحيحات وشروح نافعة، للفيف من الأساتذة ، هم الذين قاموا بالإشراف على طبع هذا الكتاب ، والتعليق عليه ، ومراجعة أصوله ، وتصحيح أخطاء نسخه الخطية التى وقعت بتحريف النساخ ، وبذلوا مجهوداً كبيراً فى إعداد هذا الكتاب للنشر .

ولولا همة رجل عربى عظيم ، هو حضرة صاحب المعالى الشيخ محمد سرور الصبان ، ما رأى هذا الكتاب النور ، ولا ظهر مطبوعا هذه الطبعة ، ونحمد الله الذى وفق لإخراجه، ولظهوره فى أيدى المتطلعين إلى قراءته .

— ٢ —

وقد اعتمدنا فى نشر هذا الكتاب على النسخة الخطية الفريدة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٧٤٨٤ عمومية و ٥٠٤ تاريخ ، والتى رمزنا إليها بالحرف «ك» ، وقد أخذنا صورة فتوغرافية كاملة لها، وذلك بفضل معاونة الأساتذة الأجلاء : أحمد رامى، ومحمد أبى الفضل إبراهيم ، وفؤاد السيد ، وما بذلوه لنا من مساعدات قيمة فى تصوير هذه النسخة، التى تقع فى ٣٩٤ ورقة من القطع المتوسط ، وقد قام بنسخها محمد بن مصطفى الديار بكرى ، وليس عليها من تاريخ نسخها سوى هذه الجملة المثبتة فى آخر الكتاب ، وهى «تمت بعون الله الكريم وفضله و إحسانه يوم الربوع المبارك فى آخر شهر ربيع الأول على يد أفقر عباد الله محمد بن مصطفى الديار بكرى عفا الله عنهم الخ » ومكتوب على الورقة الأولى من الكتاب : «الحمد لله وحده ؛ من مواهب الله تعالى على عبده محمد بن محمد السقاف عفا الله عنهم آمين ١٢٣٨هـ» .

وقد أشرف قسم التصوير بدار الكتب على تصوير هذه النسخة عام ١٩٥٥ .

كما اعتمدنا على النسخة المكية المخطوطة ، المنقولة عن نسخة دار الكتب المصرية ، وقد قام بنسخها السيد الشيخ عبد الستار الدهلوى ، فى جزءين كبيرين : الأول فى ٦٣٨ صفحة من القطع المتوسط ، و بآخره : « تم الجزء الأول من هذا التاريخ بختام هذا الباب ، الباب الخامس والعشرين . ويليه فى الجزء الثانى : الباب السادس والعشرون ، بتجزئة كاتبه ، والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وصحبه وسلم .

والجزء الثانى ، مصدر بفهرس له وحده ، وكتب فى الصفحة الأولى منه : « الجزء الثانى من شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام » تأليف الإمام العلامة الحافظ أبى الطيب تقى الدين محمد بن شهاب الدين أبى العباس محمد بن على الفاسى الحسنى المكى المالكى تغمده الله برحمته ونفعنا بعلومه آمين ، وكتب بعد ذلك أربعة سطور هى: « مع الذيل لكاتبه » فى ولاة مكة من بعد المؤلف رحمه الله إلى تاريخ النسخ بالاختصار، مع ترجمة مؤلف الأصل فى آخره ، ويقع هذا الجزء فى ٣٣٥ صفحة عدا الذيل الذى يبدأ من صفحة ٣٣٦ إلى ٣٧٨، وقد كتب فى آخر الجزء الثانى: « ووجدت فى آخر النسخة المنقول منها مانصه: «تمت بعون الله الكريم وفضله وإحسانه يوم الربوع المبارك فى آخر شهر ربيع الأول، وذلك بخط علامة دهره وفريد عصره محمد بن مصطفى الديار بكرى عفا الله عنهم »، وفى أول صفحة من الذيل مايلى : وقع الفراغ من نسخ هذه النسخة الشريفة مع التذييل لكاتبه أحقر العبيد وأفقر الورى ، أحد ساكنى أم القرى، أبى الفيض وأبى الاسعاد عبد الستار الصديقى الحنفى ابن المرحوم الشيخ عبد الوهاب المكى البكرى بمصر ، فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من شهور العام الخامس والثلاثين والثلاثمائة والألف، من النسخة الموجودة بالكتبخانة المصرية بمصر المحروسة ، ويبدأ الذيل بترجمة للمؤلف مما تيسر لناسخه وقت النسخ ، ويلى الترجمة ، ذكر أخبار مكة بعد الفاسى إلى انتهاء النسخ ، وهو عام ألف وثلاثمائة وخمسة وثلاثين هجرية ، ومن ذلك نعلم أن هذه النسخة الثانية منسوخة من النسخة المصرية الأولى ، ونشير إلى تلك النسخة الثانية بحرف « ك » ، وقد يسر لنا الحصول عليها السيد الشيخ عبد الوهاب الدهلوى ، حفظه الله ، وأثابه خير الثواب ؛ وهاتان النسختان رديئتا الخط ، إلى حد بعيد ، وفيهما كثير من النقص والتحريف والخطأ .

لذلك لم يكن هناك بد من الاعتماد على الكثير من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، نستعين بها على تصحيح نصوص هذا الكتاب وضبطه ، فوق مئات المؤلفات من كتب التاريخ واللغة والأدب والشريعة .

وقد عاوننا فى بعض التعليقات على رجال الحديث الشيخ سليمان الصنيع مدير « مكتبة الحرم المكى » .

وأعارنا الشيخ محمد نصيف من أعيان « جدة » مخطوطته القيمة « إفادة الأنام ، بأخبار البلد الحرام » للشيخ الغازى ، مساعدة لنا على تنقيح الكتاب، ومراجعة نصوصه ، وتصحيح روايته .

وقد بذلنا مجهودا ضخما: فى مقابلة النسختين الخطيتين « من كتاب شفاء الغرام » ، بعضهما على البعض الآخر؛ وفى مراجعة نصوصه على مئات الكتب المطبوعة والمخطوطة .

واعتمدنا كذلك فى تصحيح نصوص الكتاب على كتاب « منتخب شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام »، طبع أوربا عام ١٨٨٠ م .

وقد حلينا الكتاب بأربع خرائط ، قام برسمها السيد جلال الجدويلى بجريدة الأهرام ، مستعينا بخرائط مصلحة المساحة السبعة عشر ، عن الحجاز والمملكة العربية السعودية : وبعض الأطالس الأفرنجية ، والخرائط الحديثة التى رسمتها شركة أرامكو . ولا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر لمن قام برسم وطبع خرائط مصلحة المساحة التى تعتبر من المراجع القيمة عن البلاد السعودية .

وقد نشرنا فى آخر كل جزء من الكتاب فهارس مستوفاة للموضوعات ، وذيلنا الكتاب بفهارس كاملة للأعلام والمواضع .

وهذا الاستعداد القوى ، والعمل المتواصل ، من أجل نشر الكتاب نشرا علميا ، حديثا متقنا هو الذى أخر صدور الكتاب بعض التأخير ، ولاسيما أن النسختين الخطيتين للكتاب خطهما ردىء ، ويشتملان على تصحيف كثير ، وعلى نقص عديد أيضا ، وعلى أبيات شعرية محرفة ، مما استدعى الوقوف عندها طويلا ، وخاصة مع عدم فائدة الكثير من هذه الشواهد الشعرية ، التى هى إلى اللغة العامية أقرب .

— ٣ —

وكتاب الفاسى هذا « شفاء الغرام » كتاب جليل الفائدة ، دون فيه أخبار مكة بتفصيل كثير ، وإحاطة شاملة ، واستيعاب دقيق ، ويعد من المصادر الأصيلة بعد كتاب الأزرقى [1] والفاكهى [2] .

وقد رتبه الفاسىُّ على أربعين بابا ألم فيها بجميع ما يتصل بتاريخ مكة من قريب أو بعيد منذ الجاهلية حتى عصره ، وذكر تاريخ المسجد الحرام وبنائه وعمارته فى مختلف العصور ، متحدثاً عن الملامح الجغرافية والتاريخية ، والسياسية والاجتماعية للجزيرة العربية فى شتى العصور ، مع تنويهه بفضائل الكعبة والأعمال المتعلقة بها ، والمواضع المباركة فى مكة وحرمها ، مع استقصاء لتاريخ مكة فى الجاهلية ، ومع التحدث عن المآثر التى أقيمت بمكة وحرمها ، كالمدارس والربط وغير ذلك ، مضيفا إلى ذلك كله ما وصل إلى علمه من أخبار ولاة مكة فى الإسلام على سبيل الإجمال ، محررا ذرع الكعبة والمسجد الحرام ، جامعا لأشتات من الفوائد والأحداث التاريخية التى لم يدونها الأزرقى والفاكهى (المتوفى

---

(١) هو أبو الوليد الأزرقى صاحب كتاب «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» ، وقد توفى نحو عام ٢٥٠ هـ ، وكتابه عمدة المؤرخين فى جميع العصور ، وقد اختصره كثير من المؤرخين .

(٢) كتاب الفاكهى « تاريخ مكة » من الكتب الأصيلة ، التى اعتمد عليها الفاسى ونقل عنها ، وتوجد نسخة منه فى بعض خزائن أوربا ، وقد طبعت فى أوربا منتخبات منه ، واسم الفاكهى هو أبو عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهى ، توفى نحو ٢٨٠ هـ .

عام ٢٨٠ هـ) فى كتابيهما ، ويقول الفاسى : إن ماذكراه هو الأصل الذى بنى عليه كتابه ، وإن فى كتاب ، الفاكهى محمد بن اسحق بن العباس المكى أمورا كثيرة مفيدة ليست مما يتضمنها كتاب الأزرقى ، وقد عاش الأزرقى والفاكهى فى المائة الثالثة من الهجرة ، وتأخر الفاكهى عن الأزرقى قليلا ، ولم يؤلف أحد بعدهما فى تاريخ مكة وولاتها وفضلائها إلا القليل ، إلى أن جاء الفاسى فألف كتابه هذا الذى يعد مرجعا خطيرا فى تاريخ البلد الحرام، وخاصة منذ القرن الرابع إلى التاسع الهجرى .

وقد رتب الفاسى كتابه ترتيباً شيقا ، وتحدث فيه عن مكة وحرمها ، والآثار المروية فيها، ووصف الكعبة وعمارتها ، ومصلى الرسول فى الكعبة ، وثواب دخول الكعبة المعظمة وفضائلها ، والآيات المتعلقة بها ، وأخبار الحجر الأسود والملتزم والأماكن الشريفة بمكة ومقام إبراهيم وحجر إسماعيل ، وتكلم عن توسعة المسجد الحرام وعمارته ووصف عمده وعقوده وشرفاته وقناديله وأبوابه ومنابره ، وتحدث كذلك فى الكتاب عن أخبار زمزم والأماكن التى لها تعلق بالمناسك ، وما بنى بمكة من المدارس والربط والسقايات والآبار والعيون ، وتحدث عن أخبار مكة فى الجاهلية، وعلى عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وذكر أسماء أولاد إسماعيل ، وولاية ذرية معد بن عدنان على مكة وولاية جرهم وخزاعة وقريش ، مستقصيا أخبار قريش بمكة فى الجاهلية ، متوسعا فى أخبار بنى قصى ومآثرهم فى الجاهلية ، وأجواد قريش وحكامهم فى الجاهلية ، ثم يذكر فتح مكة وولاتها فى الإسلام وأخبارها بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتحدث فى الباب الأربعين عن الأصنام التى كانت حول مكة، وأخبار أسواق مكة فى الجاهلية والإسلام ، وبذلك ينتهى هذا الكتاب القيم .

وترجع أهمية هذا الكتاب التاريخية إلى استقصائه واستيعابه وجمعه لشتى الأخبار التى تتعلق بمكة مما لم يجمعه مدون بعد الأزرقى والفاكهى .

وقد تأثر بالفاسىّ المؤرخون الذين أتوا بعده وألفوا فى أخبار مكة والبيت الحرام، مثل: المؤرخ جمال الدين محمد ابن ظهيرة القرشى فى كتابه « الجامع اللطيف ، فى فضل مكة وأهلها ، وبناء البيت الشريف» ، الذى وصل فيه إلى أخبار مكة ، حتى العام الذى انتهى فيه من تأليف كتابه ، وهو عام ٩٥٠ هـ [1] ، ومثل العلامة قطب الدين الحنفى المتوفى عام ٩٨٨ هـ فى كتابه « تاريخ القطبى » المسمى « كتاب الإعلام، بأعلام بيت الله الحرام » الذى دوّن فيه أخبار مكة حتى العام الذى انتهى فيه من تأليف كتابه هذا ، وهو عام ٩٨٤ هـ [2] .

---

(١) راجع صفحة ٣٢٥ من هذا المصدر الطبعة الثانية بمصر ١٩٣٨ .

(٢) راجع صفحة ٢٦١ هذا المصدر . نشر المكتبة العلمية بباب السلام بمكة .

ويزيد من أهمية كتاب الفاسى ما احتوى عليه الكتاب من نصوص منقولة عن كتب خطية مفقودة حتى اليوم .

ونحن فى غنى عن أن ننوه بهذا المجهود الذى بذلناه فى إخراج الكتاب ، والتعليق عليه ، والعمل على ضبط أعلامه ، وتحقيق نصوصه ، وشرح شواهده ، وسوى ذلك مما قمنا به من خدمة علمية لهذا الكتاب .

والله المسئول أن يلهمنا الرشد ، وأن يهد بنا سواء السبيل ، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا ، وإليه أنبنا ، وإليه المصير .

اللجنة

حياة الإمام تقى الدين الفاسى المكى

ترجم الفاسى لنفسه فى كتابه « ذيل كتاب التقييد ، بمعرفة رواة السنن والأسانيد، لابن نقطة[1] » ، فقال فى نسبه إنه هو :

محمد بن أحمد بن على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن عوف بن أحمد بن على بن عبد الرحمن بن عبد الله بن على بن حمزة بن ميمون بن إبراهيم بن على بن عبد الله بن إدريس بن الحسن بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، الحسنى الفاسى المكى .

وذكر نسبه السيد عبد الستار الدهلوى الصديقى الحنفى البكرى المكى فقال : هو الإمام الحافظ العلامة أبو الطيب تقى الدين محمد بن شهاب الدين أبى العباس أحمد بن على الحسنى الفاسى المكى المالكى المؤرخ الشهير .

كان الفاسى يلقب بتقى الدين ، ويكنى أبا الطيب ، وكان قاضى المالكية بالحرم الشريف ، وقد ولد فى ليلة الجمعة لعشرين من ربيع الأول عام ٧٧٥ هـ بمكة المكرمة ، ونشأ بها ، وتتلمذ على علمائها وأهل الفضل فيها ؛ وعنى بالحديث ، فقرأ وسمع كثيراً من الكتب ، وروى كثيرا من الأحاديث ، وقد أجازه كثير من العلماء الأعلام، وقرأ عليهم ، وأخذ عنهم ، ومن هؤلاء :

١ ـ الإمام العلامة قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشى المخزومى المكى[2] .

٢ ـ جده لأمه قاضى القضاة كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد النويرى الشافعى ، خطيب مكة وقاضيها ، عالم الحجاز فى عصره ، والمؤرخ المشهور .

٣ ـ ابن جده المذكور لأمه ، وهو خال المؤلف ، قاضى الحرمين محب الدين النويرى .

٤ ـ الإمام أبو المعالى عبد الله بن عمر الصوفى .

٥ ـ العلامة اللغوى قاضى اليمن مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى الفيروزابادى (٧٢٩ـ٨١٧هـ) صاحب « القاموس المحيط[3] » .

---

(١) وترجم لنفسه كذلك فى كتابه « العقد الثمين » ترجمة طويلة مفيدة . وفى ذيل كتاب « شفاء الغرام » النسخة الخطية ترجمة طويلة له .

(٢) هو أحد أجداد ابن ظهيرة المؤرخ صاحب كتاب « الجامع اللطيف ، فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف » الذى ألفه عام ٩٥٠ هـ .

(٣) راجع ترجمته فى ص ٣٨ ج ٣ وما بعدها من « كتاب أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض » وهو للمقرى صاحب كتاب « نفح الطيب » .

٦ ـ العلامة المؤلف المفتى الشيخ كمال الدين محمد الدميرى المصرى الشافعى ، ثم المالكى ، المتوفى عام ٨٠٨ هـ .

٧ ـ العلامة إبراهيم بن محمد الدمشقى الصوفى المعروف بالبرهان .

٨ ـ الإمام المؤرخ المشهور الشيخ ابن خلدون المتوفى عام ٨٠٨ هـ ، صاحب المقدمة والكتاب التاريخى المشهور .

٩ ـ الإمام الشهاب أحمد العلائى ، وروى عن كثيرين آخرين من العلماء الأجلاء ، والفاسى مؤلف هذا الكتاب يروى غالبا عن الإمامين : أبى أحمد البرهان إبراهيم بن محمد اللخمى ، وأبى الفرج الجلال عبد الرحمن ابن أحمد العربى . . وكذلك أخذ عن كثير من شيوخ عصره وأئمة زمانه ، وكان معاصرا لشيخ الإسلام الحافظ الشهاب أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المصرى المشهور ، صاحب « فتح البارى » المتوفى عام ٨٥٢ هـ

ويذكر الفاسى فى كتابه « شفاء الغرام » [1] أنه كان قاضى قضاة المالكية بمكة ، وأنه باشر تدريس الفقه المالكى فى مدرسة السلطان الملك المنصور بمكة عام ٨١٤ هـ فى بدء إنشائها ، وكان يقوم بالتدريس فيها فيما بين الظهر والعصر من يومى الأربعاء والخميس من كل أسبوع .

وقد ألف الفاسى مؤلف هذا الكتاب كتبا جليلة مشهورة فى مقدمتها :

١ ـ كتابنا هذا « شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام » .

٢ ـ تاريخه الكبير المسمى » بالعقد الثمين ، فى تاريخ البلد الأمين » وهو فى أربعة أجزاء ضخام ، ومنه عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية ، وقد ترجم فيه لولاة مكة وأعيانها وعلمائها وأدبائها ، منذ ظهور الإسلام إلى عصره ، وقد رتبه على حروف المعجم و بدأه بالمحمدين والأحمدين ، وصدره بذكر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفى أوله مقدمة لطيفة تحتوى على مقاصد الكتاب .

٣ ـ «تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام » وهو اختصار لكتابه «شفاء الغرام» ، ويسمى أيضاً : « تحصيل المرام ، من تاريخ البلد الحرام » .

٤ ـ « هادى ذوى الأفهام إلى تاريخ البلد الحرام » وهو مختصر من الكتاب السابق « تحفة الكرام » .

٥ ـ « الزهور المقتطفة ، فى تاريخ مكة المشرفة « وهو مختصر من كتابه السابق « هادى ذوى الأفهام » .

٦ ـ « عجالة القرى ، للراغب فى تاريخ أم القرى » .

---

(١) صفحة ٣٢٩ جـ ١ من هذا الكتاب .

٧ ـ « الجواهر السنية ، فى السيرة النبوية »

إلى غير ذلك من المؤلفات النفيسة التى كان «شفاء الغرام» أول كتاب يطبع منها .

وقد توفى المؤلف فى ليلة الأربعاء للثالث والعشرين من شهر شوال المكرم عام ٨٣٢ هـ بمكة المشرفة ، بعد أن اعتمر فى السابع والعشرين من رمضان من العام المذكور ، وترك وراءه آثارا خالدة ، وقلما عنى أحد من العلماء بتدوين تاريخ البلد الحرام فى كتب مفيدة ، كما عنى الفاسى عالم الحجاز وفقيهه ومؤرخه العظيم .

وما أجدر كل مسلم وعربى بأن يلتفت إلى آثار الفاسى المخطوطة ، ويسهم فى نشرها ، ويعمل على إخراجها ، ليعم بمؤلفاته النفع ، ولنقف على دقائق التاريخ العربى فى فترة من أغمض فترات التاريخ الإسلامى

رحمه الله ، ونفع بعمله وبمؤلفاته ، وجزاه عن العرب وعن المسلمين خير الجزاء ؟

Voir p. 1

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم

الأستاذ محمد مبروك نافع
رئيس قسم التاريخ الإسلامى
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

لا أحسبنى أبالغ كثيراً إذا قلت : إن العقود الأخيرة من هذا القرن العشرين قد شاهدت يقظة فكرية ، ووعيا سياسيا فى مختلف أقطار العالم العربى ، إذ أدرك هذا العالم أنه غفا سنين طويلة ، فبدأ يستيقظ ويتحرك ، ليعوض مافاته إبان إغفاءته ، ويحمل العالم على احترام كفايته ومقدرته التى جعلت منه الرائد الأول فى إنارة العالم إبان العصور الوسطى المظلمة .

فأما من الناحية السياسية فالأمر لا يحتاج ـ وبخاصة فى الآونة الأخيرة ـ إلى تبيان ، إذ كل دلائل الأمور تدل على مدى الاحترام الذى يناله العالم العربى اليوم بين قوى العالم الأخرى المتصارعة ، بعد أن كانت لا تلقى بالاً إليه .

وأما من الناحية الثقافية فأحسب أن مجموعة ماتخرجه المطابع فى بلاد العالم العربى من مؤلفات ومترجمات وصحف وكتب مخطوطة ، تنشر للمرة الأولى أو يعاد نشرها فى مختلف النواحى العلمية والأدبية ، لأكبر دليل على ما يتمتع به هذا العالم العربى الآن من وعى وثقافة ورغبة فى الرقى وطموح إلى السيادة .

ولا تختلف البلاد العربية من ناحية ما تخرجه مطابعها بعضها عن البعض فى هذا المجال باختلاف ظروفها وإمكانياتها ، ولكنها جميعا يربط مابينها هذا الاتجاه الثقافى الحميد الذى يعيد إلى الذاكرة تلك الجهود الجبارة التى بذلها أسلافنا العرب وظهرت آثارها فيما ألفوه من كتب فيما بين القرنين التاسع والثانى عشر للميلاد باللسان العربى ، فى مختلف العلوم والفنون ، أو ترجموه عن اللغات الفارسية والهندية واليونانية ، فشرحوه وصوبوا أخطاءه .

أقول هـذا و بين يدىّ كتاب « شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام » لمؤلفه القاضى تقى الدين أحمد بن على الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ هـ ، وهو أوسع كتاب فى تاريخ مكة المكرمة بعد كتابى الأزرقى (المتوفى سنة ٢٥٠ هـ) والفاكهى (المتوفى نحو سنة ٢٨٠ هـ)

والرأى الشائع بين جمهور المثقفين الآن أنا نعيش فى عصر السرعة ، وأن المؤلفات المطولة و بخاصة تلك التى تعالج موضوعا واحدا ليس لها مكان فى عالم التأليف فى الوقت الحاضر ، لأن زحمة الحياة وضيق الوقت لا يتسع لما يقولون عنه إنه إسراف فى تضييع الوقت . ولكن هذا الرأى مردود ، وهو إن دل على شىء فإنما يدل على اتجاه خطر قد يؤذى الثقافة العالمية إيذاء شديداً ، لأنه يدل على انصراف عن الأساس الرئيسى للرقى العقلى الذى هو الأساس الصحيح فى كل حضارة .

على أن كتاب « شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام » له نظائره فيما يؤلف من كتب فى الغرب عن مدائن ليست لها عراقة مكة المكرمة ، التى تعتبر المركز الروحى للعالم الإسلامى الذى يناهز عدد سكانه الآن سدس سكان العالم ، برغم أن الدين الإسلامى هو أحدث الأديان جميعا من الناحية التاريخية .

والكتاب ليس كتابا لتاريخ مكة السياسى فحسب ، بل هو بفصوله الأربعين يعتبر دائرة معارف شاملة لهذا البلد الحرام وما يتصل به من النواحى العمرانية والدينية والثقافية والاجتماعية ، وفيه من هـذه النواحى مالا يوجد فى كتاب آخر من كتب التاريخ المعروفة .

و يستطيع المؤلف المحدث فى الوقت الحاضر أن يخرج من بين سطوره ، ومما ورد استطرادا فى بعض فصوله جملة كتب تحمل عناوين مختلفة وتكون كتباً متخصصة ، كل واحد منها يعالج ناحية من نواحى العلم أو الفن أو الاجتماع أو غير ذلك لا لمكة فحسب ، بل لبلاد المسلمين أجمعين .

ولقد نجح بعض المستشرقين فى استخراج كنوز علمية من أمثال هذا الكتاب ، ووضعوا لها عناوين حديثة ندهش نحن عند قراءتها ، ونستغرب أن يكون العرب منذ نيف وعشرة قرون أو أكثر قد عرفوا هذه الأشياء التى يبدو أنها من صنع العصر الأوربى الحديث .

فالاشتراكية مثلا التى تعتبر من مبتكرات العصور الحديثة كانت معروفة لدى المكيين منذ القرن الخامس الميلادى . فهذا هاشم بن عبد مناف أطعم أهل مكة جميعاً فى سنة أصابهم فيها قحط ، إذ جلب لهم من الشام قافلة محملة بالدقيق ونحر الإبل وأطعمهم من جوع . وفى عهده ازدهرت الحياة فى مكة ازدهاراً كبيرا وأصبحت تعج بالتجار من الشمال والجنوب حتى لقد سماها بعض المستشرقين بندقية (ڤينيسا) بلاد العرب . وذكر مستشرق آخر أن مكة أصبحت مركزا للصيرفة يمكن أن يدفع فيه التجار أثمان السلع التى ترسل إلى بلاد بعيدة ، كما كانت عملية

الشحن والتفريغ لهذه التجارة الدولية تتم هناك ؛ كذلك كان يتم التأمين على المتاجر ، وهى تجتاز الطرق المحفوفة بالمخاطر ، ولم يأت هذا المستشرق ـ واسمه أوليرى ـ بهذا الكلام من عنده إنما استنبطه من الكتب العربية القديمة ، التى نمر عليها مرا دون أن نقف لنتأمل ، ونعلم أنه كان ثمة تأمين على المتاجر ، يظن الناس أنه من مستحدثات العصور الحديثة . ونستطيع أن نستنبط من هذه المراجع أيضا أنه كان للدول الكبرى آنئذ ـ كفارس و بيزنطة ـ ممثلون تجاريون فى قلب مكة ذاتها وأن زعماء مكة ـ التى وصفها بعض المستشرقين بأنها كانت جمهورية تجارية بلوتوقراطية (أى حكومة الأغنياء) ـ كانت تعقد محالفات ومعاهدات تجارية تسمح لمندوبى التجار بالتجوال فى أقطارها للترويج لمتاجرهم فى أمن وطمأنينة ، وأن مكة بوصفها مركزا هاماً للتجارة ، كانت شوارعها وأسواقها تعج بناس من قوميات مختلفة ، يتكلمون بلغات مختلفة ، فكانت على حد التعبير الحديث مدينة دولية ، وأنها كانت غاصة بالمصارف التى كانت تقرض الناس بالربا الذى كان و باء المجتمع المكى . ومن أجل ذلك حطمه الإسلام . وكان من كبار أصحاب المصارف العباس بن عبد المطلب الذى قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : « كل ربا فى الجاهلية موضوع ، وأول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب » .

إن هذه القضايا التى صغناها بأسلوب العصر الحديث ، والتى تبدو فى نظر المثقف المحدث وكأنها مسائل رائعة لا تكاد تصدق إنما هى والمئات من نظائرها مخبوءة بين ثنايا السطور بلغة القرون الأولى الإسلامية فى تلك المؤلفات التى دونت بلغة تلك العصور غير المألوفة لدينا الآن ، والتى نمر عليها أثناء قراءتها دون أن نقف ونتأمل ونستنبط ونوازن بينهما و بين ما هو معروف لدى العالم المتحضر الآن .

ولو أن أمثال الأزرقى أو الفاكهى أو الفاسى كانوا يعيشون فى هذا القرن العشرين ، ويؤلفون بأسلوبه ومنهجه العلمى ومعهم تلك الذخيرة الرائعة والمنجم الثمين الذى لا ينضب من المعلومات فى النواحى المختلفة لظهرت كتبهم فى غير ما نألفه من ترتيبها ، ولرأيناها تزخر بفصول تحمل عناوين كتلك التى نراها فى الكتب الحديثة مثل (ا) الحالة الاقتصادية لبلاد العرب (ب) السياسة المكية : الأحزاب ، العلاقة بين قريش والقبائل الأخرى ، السياسة الخارجية لمكة (ج) الحالة الاجتماعية والأخلاقية : الفردية والجماعية ، المثل العليا الأخلاقية (د) الحالة الدينية والعقلية : انحطاط الدين الوثنى ، تدهور الوثنية ، التهيؤ لقبول عقيدة الوحدانية إلى آخره ، إلى آخره .

إن ما يمكن أن يكتب تحت هذه العناوين فى كتاب محدث تجده وأكثر منه مفصلا فى تلك الآثار القديمة ولكن مبعثرا تحت عناوين قد لا تمت إليه بصلة نتيجة الاستطراد وأسلوب التأليف منذ نحو نيف وعشرة قرون .

إن أخطر مايخشى على العلم هو تلك الملخصات والكتب المختصرة التى ترسم الحدود ولاتجرى الحياة فى جسوم

الأشخاص والأحداث . وقد يقرأ قارىء ملخصا لسيرة الرسول عليه السلام فيحيط بتاريخ حياته ، ولـكنه إن قرأ تاريخا مفصلا أحس كأنه يعيش فى جوّ الرسول عليه السلام يتنفّسه كأنما هو قائم معه من صحابته يدرك لِمَ فعل الرسول كيت وكيت ولم لم يفعل كذا وكذا .

إن المختصرات التى تـكتب الآن بحجة أنّا فى عصر السرعة إنمـا هى سمة من سمات الإفلاس الروحى ، و إيغال فى المادية ، وتقرب من الانهيار الحضارى ، كما تدل على ذلك تواريخ الأمم البائدة .

حيا الله أولئك الذين يعملون على نشر تراثنا القديم الذى يعتبر أكبر حافز على الاستمرار فى نهضتنا العربية الجديدة ، وحياهم و بياهم لو أنهم ـ لصالح النشء من أبناء العروبة المحدثين ـ صاغوه بأسلوب ونهج العصر الحديث ، وأحسب إنهم لفاعلون إن لم يكن اليوم فبعد قليل .

وفقنا الله ـ جلت قدرته ـ إلى ما فيه صالح هذا الشعب العربى المجيد ، وأمدنا بروح من عنده ، إنه سميع مجيب .

محمد مبروك نافع

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى [1] الله على سيدنا محمد ، وعلى [2] آله وصحبه وسلم ، وبه نستعين [3] ، رب يسر وأعن يا كريم .

(بجاه عروس القيامة والدين القويم) [4] الحمد لله الذى جعل مكة المشرفة أعظم البلاد شأنا . وصيرها محلا مباركا ، 57
وأجزل للمتقربين فيها العطية ، وكم لها فى الفضل مزية ؛ لأن فيها البيت الحرام ، الذى هو للناس مثابة وقوام ، المغفور لمن حجه أو طاف به من البريّة ، ما اقترفه من الخطية .

أحمده على منحنا [5] جوار بيته المطهّر ، وأسأله استمرار ذلك إلى حين أقبر .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له [6] ، الذى جعل مكة وما حولها حرماً ، وأغنى بماء زمزم عن الطعام ، وشفا به سقماً .

وأشهد أن [7] سيدنا محمداً أفضلُ مَن الحجرَ الأسودَ قبَّل ، وفى الطواف بالكعبة رمل ، وصلى خلف المقام الذى للخليل فيه أثر ، ووقف بعرفات والمشعر ، صلى الله عليه وسلم ما رُميت الجمار ، وما تضرع داع فى الملتزم والمستجار [8] ، وما سعى بين الصفا والمروة محرم ، ورضى الله عن آله وأصحابه الذين توقيرُهم واجب على كل مسلم .

---

(١) فى النسخة « م » : صلى بدون واو

(٢) فى النسخة « م » وآله بدون على

(٣) هذه العبارة زائدة فى النسخة « ك » ولا توجد فى النسخة « م »

(٤) جملة بجاه عروس القيامة الخ زائدة فى النسخة« ك» ولا توجد فى النسخة « م » ومعنى قول المؤلف « بجاه عروس القيامة والدين » أنه يطلب العفو بشفاعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وهذا التفسير على رأى الشيخ ابن تيمية

(٥) فى النسخة « م » : « على ما منحنا من جوار »

(٦) جملة وحده لا شريك له من زيادة النسخة « ك »

(٧) فى النسخة « م » وأشهد أن نبيه سيدنا محمدا

(٨) المراد بالملتزم والمستجار : البيت جميعه

أما بعد : فإنه لما وفقنى الله للاشتغال بالعلم الشريف تشوقت نفسى كثيراً إلى [١] ما كان بعد الإمام أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن أبى شمر الغسانى الأزرقى المكى مؤلف [٢] « أخبار مكة » رحمه الله ، وفى [٣] أخبار عمارة الكعبة المعظمة وخبر حِليتها ومعاليقها ، وما أهدى لها فى معنى الحلية ، وكسوتها ، وخبر الحجر الأسود ، وخبر عمارة المسجد الحرام ، وما فيه من عمارة موضع مقام سيدنا [٤] إبراهيم عليه السلام ، وحِجر النبى اسماعيل عليه السلام ، وموضع زمزم ، وسقاية العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، ومنابر المسجد الحرام ، والمطاف ومقامات الأئمة ، وابتداء وقت ترتيبهم للصلاة فيها ، وعمارة أماكن مباركة بمكة المشرفة ، وهى مساجد قيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فيها ، ومولد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومولد سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وغير ذلك من المواضع المعروفة بمكة [٥] بالمواليد ، والدور المباركة بمكة : كدار سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ودار خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله عنها ، ودار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ، وهى الدار المعروفة بدار الخيزران ؛ وعمارة مساجدَ مباركة بظاهر مكة ، وهى مسجد البيعة ، بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأنصار بقرب عَقبة مِنى ، ومسجد الخَيف بمنى ، وغير ذلك من المساجد بمنى ، ومسجد أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى أحرمت منه لما اعتمرت بعد حجها بالتنعيم ، وعمارة أنصاب [٦] حدود الحرم ، ومشاعر الحج والعمرة ، وهى الصفا والمروة والمشعر الحرام ، وغير ذلك ، وما كان بعد أبى الوليد الأزرقى من الأوقاف على طلبة [٧] العلم والفقهاء وغير ذلك من الربُطِ والمدارس وغيرها وتاريخ وقفها [٨] وما كان بعد الأزرقى من الأمطار [٩] والسيول بمكة . فعرفت طرفاً جيّداً من ذلك كله بعضه من كتب التاريخ ، وبعضه من

58

---

(١) فى النسخة « م » إلى معرفة ما كان

(٢) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق مؤلف كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، وقد توفى نحو عام ٢٥٠ هـ ، وقد ذكر صاحب كشف الظنون أنه توفى عام ٢٢٣ هـ ، وذكر ابن عزم التونسى صاحب كتاب دستور الأعلام (وهو مخطوط بمكتبة الحرم المكى) أنه توفى عام ٢١٢ هـ ، وقد اختصر كتاب الأزرقى كثير من المؤرخين خلال عصور التاريخ ، وكتاب الأزرقى عمدة المؤرخين فى أخبار مكة .

(٣) فى المنسخة « م » : « فى أخبار » بدون واو وهو الأوضح فى فهم المعنى

(٤) لفظ « سيدنا » زائد فى النسخة « ك » ولا يوجد فى النسخة « م »

(٥) لفظ بمكة من زيادة النسخة « ك »

(٦) الأنصاب جمع « نصب » بضم النون والصاد وهو العلامة .

(٧) فى النسخة « م » على أهل العلم

(٨) فى النسخة « م » « وتاريخ وقف ذلك »

(٩) فى النسخة « م » الأمصار بدل الأمطار وهو خطأ إذ لا يستقيم المعنى به .

رخام وأحجار وأخشاب مكتوب فيها ذلك ثابتة فى الأماكن المشار إليها . و بعضه علمته من أخبار الثقات . و بعضه شاهدته ، وعَلِق ذلك كله بذهنى وقيدته فى أوراق مفردة من غير ترتيب خيفة ذهاب ذلك بالنسيان لما روى[١] عن أبى حمزة أنس بن مالك الأنصارى خادم رسول الله ﷺ أنه كان يقول : يا بَنى قيدوا العلم بالكتابة[٢] ، ثم بدا لى أن أجمع ذلك مرتباً وأضم إليه من تاريخ أبى الوليد الأزرقى ما يلائمه من الأمور التى أشرنا إليها لما فى ذلك من كمال الفائدة . ففعلت ذلك وأضفت إلى ذلك أحاديث وآثاراً فى فضائل الكعبة ، والأعمال المتعلقة بها ، وفى فضل الحجر الأسود والركن اليمانى ، والحجر بسكون الجيم . والمقام ، والمسجد الحرام ، ومكة ، والحرم ، وزمزم وغير ذلك من المواضع المباركة بمكة وحرمها مما ذكره أبو الوليد الأزرقى وأضفت إلى ذلك أموراً كثيرة مفيدة لم يذكرها الأزرقى ، بعضها مما عُنى بجمعه الأزرقى و بعضها لم يعن به ، فمن الأول أحاديث نبويه وآثار عن الصحابة والسلف وأخبار جاهلية لها تعلق بمكة وأهلها وملوكها وغير ذلك ، ومن الثانى مسائل فقهية وحديثية ، وما علمته من المآثر بمكة وحرمها كالمدارس والربُط[٣] وغير ذلك ، وما علمته من أخبار[٤] ولاة مكة فى الإسلام على سبيل الإجمال ، وأخبار إسلامية تتعلق بمكة وأهلها وولاتها ، والحجاج ـ و كثير من هذه الأخبار ـ ذكره الأزرقى ، وذكر بعض المآثر و بعض المسائل الفقهية ، وهذا القسم مما يكثر الاغتباط به لأن غالبه لم يحوه كتاب[٥] و إليه يتشوق[٦] ذوو الألباب ، وأضفت إلى ذلك أيضاً ما حررناه فى ذرع الكعبة[٧] والمسجد الحرام وأماكن فيه

(١) فى النسخة « م » « روينا »

(٢) فى النسخة « م » بالكتاب

(٣) الربط جمع رباط ، وهى بنايات بناها المحسنون لسكنى الفقراء ممن أخنى عليهم الدهر سواء أكانوا من أهل مكة أو من غيرهم . وبعض هذه الربط خاص بالنساء ، وبعضها خاص بالرجال . وفى مكة كثير من هذه الربط حتى لا يكاد حى من أحياء مكة يخلو من أحدها . والرباط فى الأصل حصن يجتمع فيه المجاهدون فى سبيل الله وذلك مما اختص به المسلمون دون غيرهم .

(٤) كلمة أخبار من زيادة النسخة « ك »

(٥) بعد كتاب الأزرقى ظهر هذا الكتاب ؛ ثم ألف ابن ظهيرة القرشى كتابه « الجامع اللطيف ، فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف » عام ٩٥٠ هـ كما ألف القطبى الحنفى المتوفى سنة ٩٨٨ هـ كتابه « تاريخ القطبى » المسمى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، وآخر تاريخ فى كتاب القطبى هو سنة ٩٨٤ هـ « ص ٢٦٠ تاريخ القطبى » وبعد ذلك ألفت كتب كثيرة فى العصر الحديث عن مكة والبيت الحرام منها كتاب « تاريخ عمارة البيت الحرام » لحسين عبد الله سلامة ، كما ألف هذا المؤلف أيضا كتابه « تاريخ الكعبة المعظمة » وألف كذلك أحمد السباعى كتابه « تاريخ مكة » الذى نشر سنة ١٣٧٢ هـ وهذه الكتب مراجع قيمة فى تاريخ البلد الحرام ، وكل هؤلاء المؤلفين من أبناء مكة المكرمة .

(٦) فى النسخة « م » يتشوف .

(٧) ذرع الكعبة والمسجد الحرام ، معناه قياس مساحتها .

والأماكن المباركة بمكة . وحدود الحرم من جهاته المعروفة الآن بما فيها من العلامات المبينة لكون الذراع الذى حررناه به هو ذراع الحديد المستعمل فى القماش بديار مصر والحجاز ، والذراع الذى حرر به الأزرقى هو ذراع اليد فيستفاد مما ذكرته ذرع ذلك بالوجهين ، وبعض ما حررناه ليس فى كتاب الأزرقى تحريراً له ، فلا يعرف تحريره إلا مما ذكرناه فجاء بحمد الله تأليفاً لأشتات الفوائد جامعاً ، وفى معناه إن شاء الله مفيداً نافعاً . ويستغنى به عن كتاب الأزرقى والفاكهى ولا يغنيان عنه وللإمام الأزرقى والفاكهى [1] فضل السبق والتحرير والتحصيل ، فإن ما ذكراه هو الأصل الذى انبنى عليه هذا الكتاب وفى كتاب الفاكهى وهو محمد بن إسحاق بن العباس المكى أمور كثيرة مفيدة جداً ليست من معنى تأليف الأزرقى ولا من المعنى الذى ألّفناه ، وكانا فى المائة الثالثة والفاكهى تأخّر عن الازرقى قليلاً فى غالب الظن ، ومن عصرهما إلى تاريخه خمسمائة سنة [2] ونحو أربعين سنة وأزْيد ، ولم يصنف بعدهما فى المعنى الذى صنفا فيه أحد ، وقد حدثت بعدهما فى هذه المدة من المعنى الذى ذكرناه عنهما أمور مستكثرة ، فلذلك صارت الإحاطة بجميعها متعذرة ، وقد بذلنا الجهد فى تحصيل ذلك فظفرنا منه بطرف ، وفى النفس على ما لم يظفر به أسف . 60

وانى لأعجب من إهمال فضلاء مكة بعد الأزرقى للتأليف على منوال تاريخه ، ومن تركهم تأليفاً لتاريخ مكة يحتوى على معرفة أعيانها من أهلها وغيرهم من ولاتها وأئمتها وقضاتها وخطبائها وعلمائها ورواتها كما صنع فضلاء غيرها من البلاد ، لبلادهم كتاريخ بغداد للخطيب البغدادى [3] ومن بعده تاريخ دمشق لابن عساكر [4] وتاريخ مصر للقطب الحلبى وغير ذلك من تواريخ البلاد .

وقد وفقنى الله تعالى لجمع شىء من هذا المعنى حدانى إلى جمعه أنى تشوقت كثيراً لمعرفة ذلك وتتبعت ما ألفه

---

(١) لا يعرف تاريخ ميلاد الفاكهى ، وقد توفى نحو سنة ٢٨٠ هـ أى بعد الأزرقى بثلاثين سنة ، وتوجد نسخة منه فى إحدى خزائن أوربا ، ويظن أن فى نجد نسخة أخرى منه ، ولم يسبق الفاكهى أحد فى التأليف عن أخبار مكة إلا الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ والمدائنى (١٣٥ - ٢٢٥ هـ) والزبير بن بكار (١٧٢ - ٢٥٦ هـ) وعمرو بن شبة (١٧٢ - ٢٦٢ هـ) والأزرقى المتوفى نحو سنة ٢٥٠ هـ .

(٢) ولد الفاسى عام ٧٧٥ هـ ، وتوفى سنة ٨٣٢ هـ وقد ألف كتابه « شفاء الغرام » عام ٨١٦ هـ .

(٣) توفى الخطيب البغدادى عام ٤٠٦ هـ وكتابه مصدر كبير فى تاريخ بغداد .

(٤) ابن عساكر هو على بن أبى محمد الحسن بن هبة‌الله بن عبد الله بن الحسينى الحافظ ثقة الدين أبو القاسم الدمشقى الشافعى المعروف بابن عساكر ، ولد فى محرم سنة ٤٩٩ هـ ، وتوفى فى رجب سنة ٥٧١ هـ . وله تصانيف كثيرة فى الحديث . ومن أهم كتبه : التاريخ الكبير لدمشق وهو مشهور ويقع فى عدة مجلدات ، و« كتاب هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادى المجلد الأول . ط اسطنبول ١٩٥١ » .

الناس من التواريخ والطبقات والمعاجم والمشْيخات [١] وغير ذلك من تعليق العلماء فظفرت فى ذلك ببعض المطلوب ثم رتبته على ما أدركته من الأمور المناسبة له على ترتيب حروف المعجم خلا المحمدين والأحمدين ، فإنهم مقدّمون على غيرهم ، لكون ذلك من أسماء نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو صلى الله عليه وسلم مذكور فى أول التراجم مع شىء من سيرته الشريفة على وجه الاختصار للتبرك بذلك .

وجعلت فى أول هذا الكتاب مقدمة لطيفة تحتوى على مقاصد هذا التأليف لخصتها منه لكون التأليف الذى هذه المقدمة أوله جامعاً لشىء من أخبار مكة وما فيها ، وشىءٍ من أخبار أهلها ومن أشرنا إليهم معهم ؛ وسميت هذا 161 التأليف « العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين » ثم إنى استطلته بعد تسويدى لأكثره وترتيب ما بقى منه بذهنى ، فاختصرته فى مقدار نصف الحجم وسميت هذا المختصر « عُجالة [٢] القِرى للراغب فى تاريخ أم القرى » .

وأنا أسأل الله ان ييسرلى تبييضهما وتحريرهما وأن ينفع بذلك وينفعنى به ويثيبنى عليه الثواب الجزيل .

وهذا التأليف المحتوى على التراجم لا يخلو من تقصير سببه ما ذكرته من كونى لم أر مؤلفاً فى معناه ورأيت ما يدل على أن بعض الناس ألف تاريخاً لمكة وهو الشريف زيد بن هاشم بن على بن المرتضى العلَوى الحسَنى هكذا نسبه الشيخ أبو العباس أحمد بن على الميُورْقِى [٣] وترجمه بوزير مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى رسالة كتبها زيد المذكور للشيخ أبى العباس المذكور رأيتها فى كتاب « الجواهر الثمينة على مذهب عالم المدينة » لابن شاش المالكى بخط المَيورقى ووقفه بوجّ الطائف ، وفيها مكتوب بعد البسملة : زيد بن هاشم بن على ثم قال : وبعد فقد خدم بها العبد الضعيف فى الثلاثاء منتصف شعبان وبخط المَيورقى فوق شعبان سنة ست وسبعين وستمائة ، وذكر أشياء ثم قال : وقد خطر للضعيف مع المتاعب التى يعانيها من كل وجه إثبات تاريخ لمكة المشرّفة وقد أثبت منه إلى الآن نحو خمس كراريس . انتهى . ولم أقف على هذا التاريخ وما عرفت على أى نمط هو ،هل هو تراجم فقط أو هو حوادث فيها ذكر شىء من أخبار مكة والكعبة المعظمة مما يدخل فى هذا التاريخ ؟ [٤] وسميت هذا التأليف « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » .

---

(١) المعاجم : الكتب المصنفة على حروف المعجم ، المشيخات فى معنى المعاجم إلا أن المعاجم يرتب المشايخ فيها على حروف المعجم بعينها ، بخلاف المشيخات . قاله الحافظ ابن حجر ، وتستعمل المشيخة علماً على الكراريس التى يجمع الإنسان فيها شيوخه وهو اصطلاح قديم .

(٢) العجالة بالكسر والضم ، ومنه قولهم : التمر عجالة الراكب .

(٣) ميورقه : بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء يلتقى فيه ساكنان وقاف : جزيرة فى شرق الأندلس (معجم البلدان) وهو الشيخ أبو العباس أحمد بن على الميورقى المالكى المتوفى سنة ٦٧٨ هـ فى آخر ذى الحجة ، ودفن فى مقبرة ابن عباس تجاه ركن المسجد العباسى من خارجه ، وله رسالة فى الطائف سماها « بهجة المهج ، فى بعض فضائل الطائف ووج » وهى مخطوطة .

(٤) فى النسخة « م » التأليف بدل التاريخ .

وترتيبه على أربعين باباً :

الباب الأول : فى ذكر مكة المشرفة وحكم بيع دورها وإجارتها .

الباب الثانى : فى أسماء مكة المشرفة .

62 الباب الثالث : فى ذكر حرم مكة وسبب تحريمه وعلامته . وحدوده وما يتعلق بذلك من ضبط ألفاظه فى حدوده ومعانى بعض أسمائها .

الباب الرابع : فى ذكر شىء من الأحاديث والآثار الدالة على حرمة مكة وحرمها وشىء من الأحكام المختصة بذلك وشىء مما ورد من تعظيم الناس لمكة وحرمها ، وفى تعظيم الذنب فى ذلك ، وفى فضل الحرم .

الباب الخامس : فى ذكر الأحاديث الدالة على أن مكة أفضل من غيرها من البلاد ، وأن الصلاة فيها أفضل من غيرها وغير ذلك من فضلها .

الباب السادس : فى المجاورة بمكة والموت فيها وشىء من فضل أهلها وفضل جدة ساحل مكة وشىء من خبرها وشىء من فضل الطائف وشىء من خبره .

الباب السابع : فى أخبار عمارة الكعبة المعظمة .

الباب الثامن : فى صفة الكعبة وذرعها [1] وشىء من حليتها ومعاليقها وكسوتها وطيبها وخدامها وأسمائهم وهدم الحبشى لها ووقت فتحها فى الجاهلية والإسلام و بيان جهة المصلين إلى الكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها .

الباب التاسع : فى بيان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة و بيان قدر صلاته هذه ووقتها ومن رواها من الصحابة ، ومن نفاها منهم رضى الله عنهم ، وترجيح رواية من أثبتها على رواية من نفاها ، وما قيل من الجمع بين ذلك ، وعدد دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد هجرته إلى المدينة وأول وقت دخلها بعد هجرته .

الباب العاشر : فى ثواب دخول الكعبة المعظمة وفيما جاء من الأخبار الموهمة لعدم استحباب دخولها ، وفيما يطلب فيها من الأمور التى صنعها صلى الله عليه وسلم فيها وحكم الصلاة فيها ، وفى آداب دخولها .

الباب الحادى عشر : فى فضائل الكعبة وفضائل الحجر الأسود والركن اليمانى .

الباب الثانى عشر : فى فضائل الأعمال المتعلقة بالكعبة كالطواف بها والنظر إليها والحج والعمرة وغير ذلك .

---

(١) فى النسخة « م » بعد ذلك وشاذروانها .

63

الباب الثالث عشر : فى الآيات المتعلقة بالكعبة المعظمة .

الباب الرابع عشر : فى شىء من أخبار الحجر الأسود .

الباب الخامس عشر : فى الملتزم والمستجار والحطيم وما جاء فى استجابة الدعاء فى ذلك وغيره من الأماكن الشريفة بمكة وحرمها .

الباب السادس عشر : فى شىء من أخبار مقام إبراهيم الخليل عليه السلام .

الباب السابع عشر : فى شىء من خبر حِجر إسماعيل عليه السلام ، وفيه بيان المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم حول الكعبة .

الباب الثامن عشر : فى شىء من أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته وذرعه .

الباب التاسع عشر : فى عدد أساطينه (١) وصفتها وعدد عقوده (٢) وشرفاته (٣) وقناديله وأبوابه وأسمائها ومنايره (٤) وفيما صنع فيه لمصلحة أو لنفع الناس به وفيما فيه الآن من المقامات وكيفية صلاة الأئمة بها وحكمها .

الباب العشرون : فى أخبار زمزم وسقاية العباس رضى الله عنه .

الباب الحادى والعشرون : فى ذكر الأماكن المباركة بمكة وحرمها .

الباب الثانى والعشرون : فى الأماكن التى لها تعلق بالمناسك .

الباب الثالث والعشرون : فيما بمكة من المدارس والرُبط (٥) والسقايات (٦) والبرك المسبّلة (٧) والآبار والعيون والمطاهر (٨) وغير ذلك من المآثر وما فى حرمها من ذلك .

الباب الرابع والعشرون : فى ذكر شىء من خبر بنى المحصَّن بن جندل ملوك مكة ونسبهم وذكرِ شىء من أخبار العماليق ملوك مكة ونسبهم وذكر ولاية طَسَمٍ للبيت الحرام .

---

(١) الأساطين جمع اسطوانة ، وهى العمود المستدير .

(٢) العقود جمع عقد ، وهو القطعة من البناء مقوسة السقف .

(٣) الشرفات جمع شرفة ، وهى القطعة الخارجة من البناء .

(٤) المنابر جمع منارة والصحيح مناور وهى المئذنة .

(٥) سيأتى الحديث عنها بتوسع فى الباب الخاص بها .

(٦) جمع سقاية ، وهى الأماكن التى يسقى فيها الماء

(٧) المجعولة وقفا يردها كل من يشاء .

(٨) جمع مطهرة ، وهى المكان المعد لقضاء الحاجات والوضوء والاستحمام وغيرها من أنواع الطهارة .

الباب الخامس والعشرون : فى ذكر شىء من خبر جرهم ولاة مكة ونسبهم وذكر من ملك مكة ، من جرهم ومدة ملكهم لها وما وقع فى نسبهم من الخلاف وفوائد متعلقة بذلك وذكر من أخرج جرهماً من مكة ، وكيفية خروجهم منها وغير ذلك من خبرهم .

الباب السادس والعشرون : فى ذكر شىء من خبر إسماعيل النبى عليه السلام وذكر ذبح إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام . 54

الباب السابع والعشرون : فى ذكر شىء من خبر « هاجر » أم إسماعيل عليه السلام . وذكر أسماء أولاد إسماعيل وفوائد تتعلق بهم ، وذكر شىء من خبر بنى اسماعيل وذكر ولاية ثابت بن إسماعيل للبيت الحرام .

الباب الثامن والعشرون : فى ذكر ولاية إياد بن نزار بن معد بن عدنان للكعبة وشىء من خبره ، وذكر ولاية بنى إياد بن نزار للكعبة ، وشىء من خبرهم وخبر مضر ، ومن ولِىَ الكعبة من مضر قبل قريش .

الباب التاسع والعشرون : فى ذكر من ولى الإجازة بالناس من عرفة ومزدلفة ومنى من العرب فى ولاية جرهم وفى ولاية خزاعة وقريش على مكة .

الباب الثلاثون : فى ذكر من ولى إنساء [1] الشهور من العرب بمكة وذكر صفة الإنساء وذكر الحمس [2] والحلّة . والقَلَمَّس [3] .

الباب الحادى والثلاثون : فى ذكر شىء من خبر خزاعة ولاة مكة فى الجاهلية ونسبهم ومدة ولايتهم لمكة ، وأول ملوكهم بها وغير ذلك من خبرهم ، وشىء من خبر كلمة بن عامر ماء السماء الذى تنسب إليه خزاعة على ما قيل وشىء من خبر [4] بنيه وغير ذلك .

الباب الثانى والثلاثون : فى ذكر شىء من أخبار قريش بمكة فى الجاهلية وشىء من فضلهم وما وصفوا به وبيان نسبهم وسبب تسميتهم بقريش ، وابتداء ولايتهم للكعبة وأمر مكة .

---

(١) إنساء الشهور تأخير الأشهر الحرم إلى مابعدها استجلالا للقتال فيها .

(٢) الحمس : قبائل من بنى عامر وغيرهم تحالفت وتكتلت وكانت لها شوكة وهيبة فى العرب .

(٣) كان فى الأصل الطامس ، والصواب ما أثبتناه ، كما ذكره المؤلف فى الباب الثلاثين . والقلمس هو أول من نسأ الشهور على العرب واسمه حذيفة بن عبد بن فقيم بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، قال شاعرهم :

* وفينا ناسىء الشهر القلمس *

والقلمس : هو السيد العظيم المعطاء .

(٤) كلمة خبر من زيادة النسخة « م » ، ولايستقيم المعنى بدونها .

الباب الثالث والثلاثون : فى ذكر شىء من خبر بنى قصىّ بن كلاب بن مرّة وتوليتهم لما كان بيده من الحجابة والسقاية والرفادة ، والندوة ، واللواء والقيادة وتفسير ذلك .

الباب الرابع والثلاثون : فى ذكر شىء من خبر الفِجار والاحابيش .

الباب الخامس والثلاثون : فى حلف الفضول وخبر ابن جدعان الذى كان هذا الحلف فى داره وذكر أجواد قريش وحكامهم فى الجاهلية ، وتملك عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى عليهم ،وشىء من خبره .

الباب السادس والثلاثون : فى ذكر فتح مكة المشرفة وفوائد تتعلق بخبر فتحها .

الباب السابع والثلاثون : فى ذكر ولاة مكة المشرفة فى الإسلام .

الباب الثامن والثلاثون : فى ذكر حوادث تتعلق بمكة فى الإسلام .

الباب التاسع والثلاثون : فى ذكر شىء من أمطار مكة وسيولها فى الجاهلية والإسلام وذكر شىء من أخبار الصواعق بمكة وذكر شىءٍ من أخبار الغلاء والرخص والوباء .

الباب الأربعون : فى ذكر الأصنام التى كانت بمكة وحولها ، وشىء من خبرها وذكر شىء من خبر أسواق مكة فى الجاهلية والإسلام وذكر شىء مما قيل من الشعر فى التشوق إلى مكة المشرفة وذكر معالمها المنيفة .

وأنا أسأل من كل واقف على هذا المختصر وأصله [1] المسامحة عما فيهما من التقصير و إصلاح ما فيهما من الغلط بعد التحرير فسبب الغلط فى ذلك [2] النسيان وقد جبل عليه كل إنسان ، وسبب التقصير ما ذكرته من أنى لم أر مؤلفا فى المعنى الذى قصدت جمعه مما كان بعد الأزرقى والفاكهى فأستغنى به .

وأسأل الله أن يمنحنى على ما قصدت الثواب الجزيل بمحمد [3] سيد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين .

وقد رأيت أن أذكر إسنادى فى تاريخ الأزرقى لكثرة المنقول منه فى هذا الكتاب ، و إذا كان متصلاً [4] إليه بالإسناد فهو مما يستجاد وأخبرنى به أبو المعالى عبد الله بن عمر الصوفى بقراءتى عليه فى القاهرة عن أبى زكريا يحيى بن يوسف القرشى إجازةً إن لم يكن سماعاً : أن أبا الحسن على بن هبة الله الخطيب وعبد الوهاب بن ظافر الأزدى أنبآه عن أبى طاهر أحمد بن محمد الحافظ، قال : أخبرنا به المبارك بن عبد الجبار المعروف بابن الطيُورى ، قال : أخبرنا به أبو طالب محمد بن على بن الفتح العِشارى ، قال : أخبرنا به أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى موسى الهاشمى ، قال : أخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى قال : أخبرنا به أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى فذكره . 66

---

(١) يقصد بكلمة « وأصله » كتابه « العقد الثمين » فإنه ، اشتمل على تراجم وحوادث تاريخية .

(٢) فى النسخة « م » فى الغالب بدل « فى ذلك » .

(٣) أى بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم . ، كما أفتى الإمام ابن تيمية .

(٤) فى النسخة « م » « وذلك» بعد كلمة « متصلا» .

الباب الأول

فى ذكر مكة المشرفة وحكم بيع دورها وإجارتها

مكة المشرفة بلدة مستطيلة كبيرة تسع من الخلائق مالا يحصيهم [1] إلا الله عز وجل فى بطن واد مقدس ، والجبال محدقة بها كالسور لها ولها مع ذلك ثلاثة أسوار : سور فى أعلاها ويعرف بسور باب المعلاة [2] ، وفيه بابان أحدهما لا باب له ويكون فى الغالب مسدوداً ، وسوران فى أسفلها أحدهما يعرف بسور باب الشبيكة [3] وفيه باب كبير وخَوخة [4] صغيرة لا باب لها ، والسور الآخر يعرف بسور باب الماجن [5] ، ويعرف أيضاً بسور باب اليمن لأنه على طريق البر إلى اليمن .

وكان أحسن هذه الأسوار على ما رأينا سور باب الشبيكة لكماله بالبناء فيما بين الجبلين اللذين بينهما السور المذكور ، ولا كذلك سور باب المعلاة وسور باب الماجن ، والخلل فى سور باب الماجن أكثر ولقصر جدر هذين السورين فى مواضع ، ولا كذلك سور باب الشبيكة وقد عمر سور باب المعلاة وسور باب الماجن حتى كمل بناؤهما من الجبل إلى الجبل إلا أن فى سور باب المعلاة موضعاً متخللاً [6] من البناء مما يلى البركة المعروفة ببركة الصارم [7] وارتفع جدر السورين عما كانا عليه ، ويذكر أنهما يرفعان أكثر ويعمل لهما شرفات ، ويكمل الخلل الذى فى سور باب

---

(١) يريد أن الوافدين إلى الحج تسعهم مكة فى موسم الحج على كثرتهم.

(٢) المعلاة : مرتفع بأعلى مكة على سفح جبل الحجون وبه مقبرة مكة المشهورة بقبور المعلاة ، وينطقها المكيون بالتخفيف فيقولون : المعلى .

(٣) الشبيكة ـ هى الآن حى من أحياء مكة : واقعة بأسفل مكة ومنحرفة إلى الجهة الغربية منها

(٤) الخوخة : هى الفتحة أو الباب الصغير .

(٥) الماجن ، أو الماجل ـ بأسفل مكة وبه الآن بركة يقال لها : بركة ماجل ، وبها مزرعة وهى إحدى المتنزهات التى يخرج إليها أهل مكة كل مساء فى زمن الصيف وهى من ناحية الجنوب ويحرفها المكيون فيقولون بركة ماجد . ويقال إن هذا المكان كان سوقاً من أسواق العرب فى الجاهلية وقد انتشر العمران الآن حتى تعداها . وقد وجدت بعض الآثار التى تدل على أن هذا الموضع كان معموراً قديماً .

(٦) هكذا بالأصل وصوابه متخلخلا ، أو مختلا

(٧) لاتوجد بركة جهة المعلاة بهذا الاسم الآن وإنما توجد بركة باسم بركة الشامى فلعلها هى ، ولعل تحريفا وقع من الناسخ . ويقول السباعى فى كتابه « تاريخ مكة » كانت بركتا المعلاة تقعان خلف السور مباشرة فلعل هذه إحداهما .

المعلاة وهذه العمارة فى النصف الثانى من سنة ست عشرة وثمانمائة من جهة الشريف بدر الدين حسن [1] بن عجلان
67 الحسنى نائب السلطنة ببلاد الحجاز أدام الله له الرفعة والإعزاز ، وسبب ذلك أن ابن أخيه السيد رميثة بن محمد بن عجلان هجم على مكة ودخلها فى طائفة من أصحابه فى ضحوة يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ومال إليه جماعة من المولدين كانوا بمكة وخرجوا جميعا منها ، ولم يحدثوا بها كبير حدث لتخوفهم من وصول السيد حسن بن عجلان إليهم فيستأصلهم لكثرة من معه وقلتهم ، وكانت مدة مكثهم بمكة ساعة فلكية أو أزيد ولما توجه رميثة لمكة لم يكن لعمه علم به ، ولما علم بذلك أتى مكة مسرعاً ودخلها من درب المعلاة ، ورأى أوائل عسكره أصحاب رميثة خارجين من مكة فتبعهم السيد حسن فى عسكره قليلا ثم أعرض عنهم رحمة لهم ، وكان بين الفريقين بعد ذلك منازلات وأمور كثيرة ، ثم ان بعض عسكر السيد حسن هدم عدة مواضع من سور باب المعلاة من جانبيه ، منها موضع كبير يلى الجبل الشامى عند البرج الذى هناك سعته نحو عشرة أذرع حتى اتّصل الهدم بالأرض ، ومنها موضع نحوه من الجانب الآخر متصل ببركة الصارم وذلك فى يوم الثلاثاء خامس وعشرين شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة ، ثم أعيد بناء جميع ماتهدم من هذا السور كما كان ، فى بقية شوال .

وفى أول ذى القعدة من السنة المذكورة وفى يوم هدم ذلك أحرق باب المعلاة بالنار حتى سقط إلى الأرض ، وكان عُمل (بكلكته) من بلاد الهند فى سنة ست وثمانين وسبعمائة وأهدى للسيد أحمد بن عجلان وركّبه على باب المعلاة عنان بن مغامس بن رميثة فى سنة تسع وثمانين لما ولى إمرة مكة بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان ، وسبب إحراقه وهدم ذلك أن عسكر السيد رميثة بن محمد بن عجلان منعوا عسكر عمه السيد حسن من دخول مكة لما ولى
68 إمرة مكة عوّض رميثة فى ثامن عشر من رمضان هذه السنة وبأمره كان بناء ما هدم ، وبأمره عوّض عن الباب المحترق بباب جيد وركب فى محله فى يوم الجمعة ثانى عشر القعدة من السنة المذكورة ، وهذا الباب كان لبعض دور السيد حسن بمكة ، وكان ينقص عن مقدار باب المعلاة فزيد فيه ما كمّله وأحكمت الزيادة فيه ، وكان لمكة سور من

---

(١) كان الحسن بن عجلان نشيطاً فى تعمير مكة . وقد جدد بيمارستان المستنصر العباسى وأعده لإيواء الفقراء والمرضى والمجانين وذلك فى التاريخ الذى ذكره الفاسى . وقد انتهت إلى الحسن بن عجلان إمارة مكة من قبل الشراكسة فى مصر بعد أخويه على ومحمد فى ٢٤ من ربيع الآخر سنة ٧٩٨ هـ . وقد تنازل الشريف حسن عن إمارة مكة وكتب إلى صاحب مصر يطلب الموافقة على تنازله عنها لولديه بركات وإبراهيم فوافاه المرسوم سنة ٨٢٤ هـ بتأييد بركات دون إبراهيم . وقد دامت ولاية الشريف حسن وولده بركات إلى أوائل سنة ٨٢٧ هـ حيث انتقلت فى هذا التاريخ إلى مناوئيهما من بنى عمومتهما من أولاد رميثة ، ولكن الشريف حسن وابنه بركات استطاعا العودة إلى الإمارة بتأييد الملك برسباى . وقد مات الشريف حسن فى ١٦ جمادى الآخرة سنة ٨٢٩ هـ .

أعلاها دون سورها اليوم قريباً من المسجد المعروف بمسجد الراية [١] . وموضع باب هذا السور على ما ذكر لى غير واحد فيما بين الدارين المتقابلتين المنسوبتين لمسعود بن أحمد المعروف بالأزرق المكى التى بإحداهما الآن ذِيَب مشروعة لاسقف عليها فى محاذاة ركنى الدارين مما يلى الردم ، وإذا كان محل باب السور فى محاذاة هذين الركنين فالظاهر والله أعلم أن محل بقية السور يحاذى بابه من جانبى الباب ، وأنه من الجبل الذى إلى جهة القرارة [٢] ويقال له لعلع إلى الجبل المقابل له الذى إلى جهة السوق أى سوق الليل [٣] لأن التحصن بهذا السور لايتم إلا بأن يكون هكذا ، وفى الجبلين المشار إليهما آثار بناء تدل على اتصال السور بهما ، وبعض هذا السور الآن على ما بلغنى من بعض البيوت المحاذية له لأن بعض الناس أرانى فى بعض الدور المنسوبة (للراكبيين [٤]) جداراً عريضاً ذكر أنه من السور الذى كان هناك ونقل ذلك عن بعض أقاربه ، ويقال الآن لموضع باب السور المشار إليه الدرب الدارس ، ويقال لهذا السور فيما مضى السور الجديد ، لأنى وجدت بخط مُسنِد مكة ومُوَثِّقها عبد الرحمن بن أبى حرمى الكاتب العطار ما يقتضى ذلك ، ومن موضع باب السور المشار إليه بالأرض عند ركنى الدارين المشار إليهما مما يلى الردم إلى الجدار القبلى من المسجد المعروف بمسجد الراية مائة ذراع وثلاثة وعشرون ذراعا وربع ذراع بالذراع الحديد يكون بذراع اليد الآتى تحريره مائة وأربعين ذراعاً وستة أسباع ذراع . ومن موضع باب السور الذى أشرنا اليه إلى جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب بنى شيبة تسعمائة ذراع (بتقديم التاء) وعشرون ذراعا ونصف ذراع بالحديد . ويكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع واثنين وخمسين ذراعا ، وما عرفت متى نشأت هذه الأسوار لمكة ولا من أنشأها ولا من عَمَّرها ، غير أنه بلغنى أن الشريف أبا عزيز قتادة [٥] بن إدريس الحسنى

---

(١) مسجد الراية : مازال معروفا إلى الآن بهذا الاسم وهو المسجد الواقع بالجودرية على يمين الصاعد من المدعا إلى المعلا ، وقد جدد عام ١٣٦١هـ ، وعند حفر أساسه عثر على حجرين مكتوبين يدلان على أن هذا المسجد هو مسجد الراية أحدهما تاريخه ٨٩٨ هـ والثانى سنة ألف هـ .

(٢) حى من أحياء مكة .

(٣) سوق الليل حى من أحياء مكة الآن وهو واقع فى شرق مكة منحرفا إلى جهة الجنوب عند سفح جبل أبى قبيس . وهذا السوق واقع فى حى بنى هاشم أوشعب الهواشم ، ويقال سبب تسمية سوق الليل بهذا الاسم هو أن المشركين حينما حاصروا النبى صلى الله عليه وسلم مع عشيرته فى شعبهم كانو ايبتاعون مايلزمهم ليلا من ذلك المكان فسمى سوق الليل .

(٤) هكذا وجدت بالأصل .

(٥) الشريف قتادة هذا هو أول من ولى مكة من الأشراف الحسنيين بعد الهواشم ، وكانت ولايته سنة سبع وقيل ثمان وقيل تسع وتسعين وخمسمائة وقد وقع بينه وبين الخليفة فى بغداد (وهو الخليفة الناصر لدين الله) نزاع ومناوشات . وقدحنق الملك عيسى بن العادل الأيوبى صاحب حلب على قتادة ونصر أمير المدينة عليه وأعانه بجيش كثيف فهزم قتادة هزيمة نكراء سنة ٦١٢ هـ . ويذكر ابن الأثير فى تاريخه أن ولاية قتادة قد اتسعت من حدود اليمن إلى مدينة الرسول وكثر عسكره حتى خافته العرب ، وقد ظل على أمره حتى اختلف مع ابنه حسن فقتله حسن ونادى بنفسه أميراً على البلاد وذلك فى سنة ٦١٧ هـ .

أحد أجداد السيد حسن المذكور عمرها والله أعلم بصحة ذلك ، وأظن أن فى دولته عُمِّر السور الذى كان بأعلى مكة ، وفى دولته سهلت العقبة التى بنى عليها سور باب الشبيكة وأصلحت وذلك من جهة المظفر صاحب إربل فى سنة سبع وستمائة ولعله الذى بنى السور الجديد الذى كان بأعلى مكة ، والله أعلم .

ورأيت فى بعض التواريخ ما يقتضى أنه كان لمكة سور فى زمن المقتدر بالله[١] العباسى، وماعرفت هل هو هذا السور من أعلى مكة وأسفلها أو من إحدى الجهتين ؟ والله أعلم .

وطول مكة، من باب المعلاة إلى باب الماجن على خط الردم والمسعى والسوق المعروف بسوق العلافة[٢] ومسيل وادى إبراهيم، أربعة آلاف ذراع وأربعمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا (بتقديم السين) وذلك بذراع اليد الآتى ذكره فى حدود الحرم وهو ينقص عن ذراع الحديد ثُمن ذراع الحديد .

وطول مكة من باب المعلاة إلى باب الشبيكة على خط الردم والمسعى ومسيل وادى إبراهيم إلا أنه ينحرف عنه إلى باب الشبيكة فى الزقاق الذى يخرج منه إلى[٣] البيت المعروف ببيت ابن عرفة بالشبيكة أربعة آلاف ذراع وستمائة ذراع واثنان وتسعون ذراعاً (بتقديم التاء[٤]) وذلك بذراع اليد المشار إليه ، ومن باب المعلاة إلى باب الشبيكة أيضا على خط الردم يعدل منه من سوق البن[٥] والحشيش إلى السويقة ثم إلى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعاً (بتقديم السين) ، وذلك بذراع اليد المشار إليه، وما عرفت ان أحداً قبلى اعتبر ذلك ، وذكرناه فى أصل هذا الكتاب ويقع فى بعض نسخ ابن الحاجب لتشهيره[٦] وقول من قال انه : ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع وهو أصح ما قيل فى الميل على ماذكره ابن عبد البر فيما نقله عنه صاحب التوضيح الشيخ خليل المالكى وقول من قال انه : أربعة آلاف وهو الذى يعتمده أهل الحساب وعليه أكثر الناس على ماقال القاضى أبو الوليد الباجى فيما نقله عنه صاحب التوضيح أيضا ، وقول من قال : انه ستة آلاف ذراع . وهو قول الأصمعى ومتابعيه من الشافعية وغيرهم ، وذكر الفاكهى ما يقتضى أن الناس فيما مضى كانوا لا يتجاوزون فى السكنى البئر التى عند المسجد الذى عند الردم ، بأعلى مكة لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله : « ذكر

---

(١) ولى المقتدر الخلافة العباسية عام ٢٩٥ هـ وظل فى الخلافة إلى عام ٣١٧ هـ .
(٢) العلافة هى محل مبيع العلف واسمه الآن السوق الصغير .
(٣) فى النسخة ـ ك : على ، بدل : إلى .
(٤) أى تسعون لاسبعون .
(٥) سوق البن لعله خان السدارى المعروف الآن بهذا الاسم .
(٦) أى عده مشهورا .

المواضع التى تستحب فيها الصلا بمكة وآثار النبى صلى الله عليه وسلم فيها وتفسير ذلك » . . ، ومنها مسجد بأعلى مكة عند الردم عند بئر جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ويقال لها : البئر العليا ، يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، ثم قال سمعت بعض أهل مكة من الفقهاء يقولون : كان الناس لا يجاوزون فى السكنى فى قديم الدهر هذا البئر ، انما كان الناس فيما دونها إلى المسجد وما فوق ذلك خال من الناس ، وقال عمر بن أبى ربيعة أو غيره يذكر هذا البئر : (١)

نزلت بمكة فى قبائل نوفل ونزلت خلف البئر أبعدَ منزل
حذرا عليها من مقالة كاشح ذَرِب اللسان يقول ما لم يفعل

71 وسمعت أبا يحى بن أبى ميسرة يقول : كان آخر البيوت عند الردم نحوا من هذا الموضع واحتج فى ذلك بقول عطاء : إذا جاوز الردم « يعنى الحاج » صنع ماشاء اه .

والمسجد المشار اليه هو المسجد المعروف بمسجد الراية ، والبئر المشار اليها لعلها البئر التى عند هذا المسجد (٢) وهى معروفة عند الناس ويستقون منها ، ويحتمل أن تكون البئر التى كانت بقرب بئر ابن المرة بقرب هذا المسجد من أعلاه وهى الآن خافية لأنها طُمَّت من نحو اثنى عشر عاما ، وهى منه أبعد من البئر الموجودة الآن والأول أقرب والله أعلم .

وللناس اليوم منازل كثيرة مسكونة فوق هذا المسجد والبئر المشار اليها من جانبى الوادى وهى من الجانب الذى يكون على يمين الصاعد من مكة المشرفة (٣) .

ومن الجبال المحدقة بمكة أخشباها وهما أبو قُبيس والجبل الأحمر على ما ذكر الازرقى ، لأنه قال : أخشبا مكة أبو قبيس ، وهو الجبل المشرف على الصفا إلى السويداء إلى الخندمة ، ثم قال بعد ذكر شىء من خبر أبى قبيس والأخشب الآخر الجبل الذى يقال له الأحمر ، وكان يسمى فى الجاهلية « الأعرف » ، وهو الجبل المشرف وجهه على قعيقعان وعلى دور عبد الله بن الزبير اه .

وذكر ابن الأثير والمحب الطبرى فى أخشبى مكة مثل ما ذكره الأزرقى ، وذكر القاضى عياض فى المشارق وياقوت فى مختصره لمعجم البلدان ما يقتضى خلاف ذلك فى الأحمر ، أما القاضى فلأنه قال : الأخشبان جبلان يضافان مرة إلى مكة ومرة إلى المدينة ، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، ويقال بل الجبل الأحمر المشرف هنالك

---

(١) كذا فى الأصل والبئر مؤنث سماعى .
(٢) فى النسخة ـ ك : التى بقرب هذا المسجد .
(٣) أى من طريق المدعا .

ويسميان الجبجبان [١] وقال ابن وهب : الاخشبان الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد اه وقوله : ومرة إلى المدينة ، لعله ومرة إلى منى بدليل ما حكاه عن ابن وهب والله أعلم .

وأما ياقوت فقال : باب : الأخشب موضعان ، الأخشب الشرقى والأخشب الغربى وهما الأخشبان فالشرقى هو أبو قبيس والغربى قعيقعان ، وقيل بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك وقد بسطا فى المعجم اه .

وأبو قبيس بقاف مضمومة وباء موحدة مفتوحة وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة ، واختلف فى سبب تسميته بذلك فقيل : سمى برجل من إياد على ماقيل يقال له أبو قبيس كان أول من بنى فيه ، فلما صعد فيه البناء سمى جبل أبى قبيس ، ذكر هذا القول الامام الأزرقى بمعنى ماذكرناه ، قال : ويقال اقتبس منه الركن فسمى أباقبيس ، والأول أشهرهما عند أهل مكة ، ولم يذكر الأزرقى فى سبب تسميته أبا قبيس غير هذين القولين ، وقيل ان أبا قبيس الذى سمى به هذا الجبل المشار اليه من مذحج ، ذكر ذلك النووى نقلا عن ابن الجوزى ، لأنه قال فى التهذيب : حكى ابن الجوزى فى سبب تسميته بذلك قولين الصحيح منهما أن أول من نهض يبنى فيه رجل من مَذحِج يقال له أبو قبيس فلما صعد بالبناء فيه سمى أباقبيس والثانى ضعيف أو غلط فتركناه .

والقول الذى ترك النووى ذكره هو القول الذى أشار اليه الأزرقى بقوله : ويقال اقتبس منه الركن فسمى أبا قبيس ، لأن المحب الطبرى قال فى القرى فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله : ما جاء فى فضل مكة وحرمها وأنها خير أرض الله فى الباب الأربعين : واختلف فى سبب تسمية أبى قبيس بذلك فقيل : انه أول من نهض يبنى فيه رجل من مذحج يقال له أبو قبيس فسمى به وقيل : لأنه اقتبس منه الركن فسمى بذلك ، والأول أصح ، ذكره فى « مثير العزم » انتهى ، ومثير العزم هو مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن تأليف الحافظ أبى الفرج ابن الجوزى على ما هو مشهور فى نسبة هذا الكتاب إلى ابن الجوزى ، ويتأيد ذلك بأن المحب الطبرى قال فى القرى بعد أن أخرج حديثا فى الباب الأول منه : خرجه ابن الجوزى مسندا فى كتاب « مثير العزم الساكن » اه .

وإذا كان ماذكره المحب الطبرى فى تسمية أبى قبيس مذكوراً فى « مثير العزم الساكن » صح ماذكرناه فى بيان القول الذى ترك النووى ذكره والله أعلم .

وذكر الفاكهى القولين فى الرجل الذى بنى فى أبى قبيس أولاً هل هو من إياد أو من مذحج ؟ وسماه قبيسا ، وهذا يخالف ماذكره الأزرقى من أنه أبو قبيس ، ولعله سقط لفظ أبى فى كتاب الفاكهى والله أعلم ، فيتحصل فى نسبه قولان وفى اسمه قولان ، وقيل فى سبب تسمية هذا الجبل بأبى قبيس غير ماذكر لأن أبا القاسم السهيلى قال فى روضته [٢] وثور جبل من جبال مكة وثبير أيضا جبل من جبالها ذكروا أن ثبيراً كان رجلا من هذيل

---

(١) بجيم مفتوحة فباء موحدة ساكنة ثم جيم فباء .

(٢) ج ١ ص ١٧٥ ط مطبعة الجمالية بمصر .

مات فى ذلك الجبل فعرف به الجبل كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالح رجل من جرهم كان قدوشى بين عمرو ابن مضاض و بين ابنة عمه مية فنذرت أن لا تكلمه وكان شديد الكلف بها فحلف ليقتلن قبيساً ، فهرب منه إلى الجبل المعروف به وانقطع خبره فإما مات و إما تردى منه فسمى الجبل أبا قبيس. وذكر السهيلى : أن ابن هشام ذكره فى خبر طويل فى غير السيرة لابن إسحق ، وقيل فى سبب تسميته أن النار التى بأيدى الناس اقتبست منه وذلك أن سرحتين نزلتا من السماء فوقعتا نارا فاقتبس منهما آدم النارالتى بأيدى الناس، ذكر ذلك محمد ابن ابراهيم الوراق فى كتاب مباهج الفِكَر ومناهج العبَر، وهذا معنى ماذكره ، وذكر الوراق : أنه يقال له أبو قابوس وشيخ الجبال ولم أقف على هذا الكتاب الذى ذكر الوراق فيه ما حكيناه عنه فى أبى قبيس و إنما وجدته بخط بعض أصحابنا نقلا عنه .

وأبو قبيس : اسم لموضعين أحدهما هذا الجبل والآخر حصن بحلب قبالة شيزر ذكره ياقوت فى مختصره لمعجم البلدان ، وسنذكر من الأخبار المتعلقة بأبى قبيس غير ما ذكرناه هنا عند ذكره فى الباب الحادى والعشرين من هذا الكتاب .

والأحمر الذى قيل فيه إنه أحد أخشبى مكة بحاء وراء مهملتين بينهما ميم ، ومنه على ما قيل بنى الخليل ابراهيم عليه السلام الكعبة على ما رويناه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، ورويناذلك عن أبى قلابة فى تاريخ الأزرقى .

والأحمر اسم لثلاثة مواضع على ما ذكر ياقوت فى معجم البلدان لأنه قال : باب : الأحمر ثلاثة مواضع الأول الأحمر جبل مشرف على قعيقعان كان يسمى فى الجاهلية الأعرف ، الثانى الأحمر حصن بسواحل الشام كان يعرف بتلبب ، الثالث الأحمر ناحية بالأندلس من ناحية سرقسطه يقال له البرج الأحمر ! ! .

وقعيقعان الذى قيل إنه أحد أخشبى مكة قال ياقوت فى تعريفه لما ذكر المواضع التى سميت قعيقعان : بضم القاف وفتح العين انتهى .

وذكر النووى ما يوافق ذلك لأنه قال بعد أن ذكر محله من الروضة هو بضم القاف الأولى وفتح العين و بعدها ياء مثناة من تحت ساكنة وكسر القاف الثانية : وهو جبل مكة المعروف ومقابل لأبى قبيس انتهى . وقوله : قول ياقوت فى تعريف قعيقعان هذا : إنه مقابل أبى قبيس يفهم انه أخشب مكة الآخر والله أعلم .

والأخشب فى اللغة : كل جبل خشن غليظ ذكر ذلك ابن الأثير وهو فى صحاح الجوهرى بمعنى ذلك ، وسمى قعيقعان لقعقعة سلاح مُضاض بن عمرو الجرهمى وقومه فيه لما خرجوا لقتال قَطُورا على ما سنذكر فى خبرهم فى الباب الخامس والعشرين ، وقيل لقعقعة سلاح تُبَّع لما قدم مكة لتعظيم حرمة البيت بعد أن كان له فيه رأى غير ذلك .

وقعيقعان اسم لخمسة مواضع ، ذكر ياقوت فى مختصره لمعجم البلدان منها ثلاثا : هذا ، ومنها موضع على اثنى عشر ميلا من مكة على طريق الجرف إلى اليمن ونقل ذلك عن عرام وعندها قرية بها ماء وزروع ونخيل ، ومنها جبل بالاهواز ، منه نُحتت أساطين جامع البصرة انتهى ماذكره ياقوت بالمعنى ، والموضعان اللذان لم يذكرهما ياقوت هما موضع مشهور يليه واد مشهور قرب الطائف وحصن باليمن بين ذمار وإرياب [١] افادنيه من يعتمد عليه من الأصحاب ، وفيه الجبال بمكة والخارجة عنها لا يعرف منها بما ذكره الأزرقى من أسمائها إلا القليل ، ولذلك أعرضنا عنها .

وبمكة أبنية كثيرة ولم يذكر منها إلا الأماكن المباركة والمآثر ، وانما أعرضنا عن ذكر ماسوى ذلك من الأبنية لأنها انما تعرف بمن هى فى أيديهم ، وتعريفها بهم لايجزىء إلا فى الوقت الحاضر لأجل نقلها من أيديهم بالبيع وغيره وتشتهر بمن صارت إليهم [٢] وتنسى معرفتها بمن كانت به معروفة من قبل فى الغالب كما جرى للأزرقى فى تعريفه رباع مكة فإنها لايعرف الآن منها بما ذكره الأزرقى إلا النادر كما سيأتى بيانه . ووقع فيما ذكرناه من أمر مكة ذكر المعلاة فنذكر حدّها وحد ما يعرف من مكة بالمسفلة [٣] .

وقد ذكره الأزرقى فى تاريخه لأنه قال « المعلاة وما يليها من ذلك » :

حد المعلاة من شق مكة الأيمن ما جاوز دار الأرقم بن أبى الأرقم ، والزقاق الذى على الصفا يصعد منه إلى جبل أبى قبيس مصعدا فى الوادى ، فذلك كله من المعلاة ووجه الكعبة والمقام وزمزم وأعلى المسجد .

وحد المعلاة من الشق الأيسر من زقاق البقر الذى عند الطاحونة ودار عبد الصمد بن على اللبان مقابل دار يزيد بن منصور الحميرى خال المهدى يقال لها : دار العروس مصعدا إلى قعيقعان ، ودار جعفر بن محمد ، ودار العجلة وماجاز سيل قعيقعان إلى السويقة وقعيقعان مصعدا فذلك كله من المعلاة .

وحد المسفلة من الشق الأيمن من الصفا إلى أجيادين فما أسفل منه فذلك كله من المسفلة .

وحد المسفلة من الشق الأيسر من زقاق البقر منحدراً إلى دار عمرو بن العاص ودار بن عبد الرزاق الجمحى ودار زبيدة ، فذلك كله من المسفلة ، فهذه حدود المعلاة والمسفلة انتهى .

وهذه الدور التى ذكرها الأزرقى لايعرف منها الآن غير دار الأرقم ودار العجلة ، وأما دار عمرو المشار إليها فلعلها

---

(١) ذمار وإرياب قريتان باليمن .

(٢) فى النسخة (ك) إليه .

(٣) « « (ك) بالمسفل ولكن المعروف المتداول للآن المسفله . وكان الأوائل يقسمون مكة إلى قسمين فقط : أعلى وهو المعلاة ، وأسفل وهو المسفلة .

من الموضع المعروف بخرابة قريش ، لأنها بقرب باب المسجد الحرام الذى يقال له باب عمرو بن العاص على ما ذكر الأزرقى ، وهو الباب المعروف بباب السدة [١] وتولى بيع ذلك من عصرنا أناس كثيرون من ذرية عمرو بن العاص رضى الله عنه غالبهم يسكن الموضع المعروف بالوهْط من بلاد الطائف ، ومنهم صارت للشهاب بركوت [٢] المكين وعمر فيها عمارة حسنة جدا لا يوجد مثلها بمكة وأدار عليها حائطا مرتفعا من جميع جوانبها وكان ابتداء عمارته لذلك فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة .

ولعل زقاق البقر المذكور فى حد المعلاة والمسفلة هو الزقاق الذى يصعد منه إلى الموضع المعروف بمعبد الجنيد [٣] والله أعلم .

وأظن أن دار العجلة ينقص مقدارها عما كان فى زمن ابن الزبير لكونها ذكرت فى حد المسفلة والمعلاة ولا يكون كذلك إلا أن يكون منها الموضع المعروف بدار أبى سعيد والله أعلم .

وإذا خفى غالب الدور التى ذكرها الأزرقى فى حد المسفلة والمعلاة فكيف بما ذكره من تعريف رباع مكة كلها بمن تنسب إليه ، وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن تعريف رباع مكة بمن هى فى أيديهم لايجدى إلا فى الوقت الحاضر ، والله أعلم .

وحوز أهل المسفلة فى عصرنا من جهة الصفا يمتد إلى الميل الذى بمنارة المسجد الحرام المعروفة بمنارة باب على وكان يمتد حوزهم إلى المطهرة الناصرية بالمسعى على ما قيل ، وحوزهم من جهة دار العجلة إلى الدار المعروفة بدار أبى سعيد وهى ملاصقة لدار العجلة .

وذكر الفاكهى ما يقتضى تفضيل المعلاة على المسفلة لأنه قال : « ذكر فضل المعلاة على المسفلة » الخ ، حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا حمزة بن عتبة اللهبى قال : سمعت أن النبى صلى الله عليه وسلم لما حد المشاعر بالمعلاة

---

(١) سمى بالسدة لأنه سُد ثم فتح وهو منفذ واحد وسيأتى ذكر المؤلف له فى أسماء أبواب الحرم .

(٢) بركوت هذا ترجمه الحافظ السخاوى فى الضوء اللامع فقال ما ملخصه :

بركوت شهاب الدين عتيق سعيد المكينى عتيق مكين الدين اليمنى كان حبشيا كثير الأفضال محبا فى أهل العلم وأهل الخير كثير البر لهم والتلطف بهم ، لقى حظا عظيما من الدنيا وتنقلت به الأحوال ، وبنى بعدن أماكن عديدة ثم تحوّل إلى مكة فسكنها وبنى بها دارا عظيمة ، وصاهر إلى بيت المحلى التاجر فنكح ابنته آمنة واستولدها ، وكان كثير التزويج والأولاد بحيث مات فى حياته أكثر من خمسين ولدا ، ومآمات حتى تضعضع حاله وذلك فى ذى القعدة سنة ثلاثين وثمانمائة بعد أن ولد له نحو الستين ، ودفن بالقطيع ، ومن مآثره بطريق أنس : سبيل وحوض ماء رحمه الله .

(٣) ولعل الدار المسماة الآن بدار الشيخ تاج هى معبد الجنيد وهو فى (الدحديرة) التى ينزل منها من جبل هندى. الذى هو جبل قعيقعان . إلى باب العمرة .

عرفة والجمار والصفا والمروة والسعى والركن والمقام والحِجر برز إلى أسفل مكة فنظر يمينا وشمالا فقال : « ليس لله تبارك وتعالى فيماهنا حاجة » يعنى من المشاعر ، انتهى [١] .

وهذا خبر غريب ، ولذلك أوردناه ، والله أعلم بصحته .

وأول دار بنيت بمكة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة دار الندوة بناها قصى بن كلاب لما ملك مكة ليحكم فيها ويجتمع فيها هو وقومه للمشورة واقتدت به قريش من بعده فى الاجتماع للمشورة بها تبركا برأيه ، ودخلت كلها فى المسجد الحرام دفعات وذكر الزبير بن بكار عن أبى سفيان بن أبى وداعة السهمى أن سعيد بن عمرو بن هصيص السهمى أول من بنى بمكة بيتا وأنشد لأبى سفيان شعراً يدل عليه وهو قوله :

فأول من بوّا بمكة بيته وسوّر فيها ساكنا بأثاف [٢]

ولم يذكر أنه جعل بابها إلى مسجد الكعبة والله أعلم .

وينبغى لمن بنى بمكة بيتاً أن لا يرفع بناءه على الكعبة ، فإن بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يأمر بهدمه ، وهذا فى تاريخ الأزرقى لأن فيه ما جاء فى أسماء الكعبة ولم سُمّيت الكعبة ،وأن لا يبنى بناء يشرف عليها ،ثم قال : حدثنى جدى عن ابن عيينة عن ابن نبيه الحجبى عن شيبة بن عثمان أنه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه ، ثم قال : قال جدى : لما أنْ بنى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهم داره التى بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر قوّامه أن لا يرفعوها فيشرفوا بها على الكعبة ، وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة فتكون دونها إعظاما للكعبة أن يشرف عليها ، قال جدى [٣] : فلم يبق بمكة دار لسلطان ولا لغيره حول المسجد الحرام تشرف على الكعبة إلا هدمت أو خربت إلا هذه الدار فإنها على حالها إلى اليوم .

وبمكة عين جارية من أعلاها إلى أسفلها ويختلف جريانها إذا كثر فيها الماء وصل إلى البركة المعروفة ببركة الماجن وإذا قل بلغ سوق الليل ، وهذه العين معروفة عند الناس بعين « بازان » [٤] بباء موحدة وزاى معجمة بينهما ألف .

---

(١) الراجح ضعف هذا الحديث لأن بالمسفلة دور كثير من أصحاب الرسول وأشهر هذه الدور دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

(٢) ذكر القطبى فى تاريخه هذا البيت وصدره : * وأول من بوا بمكة بيته * راجع ص ٢٣ من تاريخ القطبى فى ذلك . وفى الجامع اللطيف لابن ظهيرة ص ٢٦ أن حميد ابن زهير أول من بنى بيتا مربعاً بمكة .

(٣) هذا من كلام الأزرقى ص ٢٣ القطبى . وسبقت الإشارة إلى أن الأزرقى قد توفى عام ٢٥٠ هـ وألف كتابه سنة ٢٤٤ هـ .

(٤) لا تزال هذه العين باسم (بازان سوق الليل) موجودة إلى الآن ، ومعروفة بالسبع آبار .

وبمكة [١] آبار كثيرة غالبها مسبلة [٢]، وسقايات و برك ، وسيأتى ذكر ذلك كله بأوضح من هذا .

وبها حمّامان ، أحدهما لأبى العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المُرِّى بأجياد وقفه على رباطه بالمروة ، والآخر لا أعرف من ينسب إليه ، ولعله الحمام الذى بناه الجواد وزير صاحب الموصل وكان بمكة على ما ذكره الفاكهى ستة عشر حماماً و بين الفاكهى مواضعها من البلد وليس منها الآن شىء معروف .

وذكر أن بأجياد منها ثلاثة ، وأن بشعب ابن عامر اثنين ، وشعب ابن عامر هو الشعب المعروف [٣] بشعب عامر بأعلى مكة .

وذكر الفاكهى بعد عدِّه لهذه الحمامات حماماً آخر قال : يقال إنه بالصفا فتصير به الحمامات التى كانت بمكة إن صح أمره سبعة عشر حماماً والله أعلم .

ولمكة مخاليف [٤] كثيرة معروفة إلى الآن ، منها وادى الطائف ويشتمل على قرى كثيرة ، وسيأتى شىء من خبره ، ووادى لِيَّه ويشتمل على قرى كثيرة ، ووادى مرّ ، ويقال له مرّ الظهران والهدة [٥] هدة لبنى جابر ، ووادى نخلة ، وهذه الثلاثة الأودية تشتمل على قرى كثيرة فيها نخل وأشجار وعيون جارية ، وفيها مواضع كثيرة متخربة تدل على أنها كانت معمورة بالعيون وغير ذلك ، وما عرفت أول من أنشأ هذه العيون ، وأقدم قرى وادى مرّ ذكراً سرْوَعة [٦] لأنها مذكورة فى كتاب الفاكهى فى ذكر فضل جده ، ورأيت لأرض حسان ذكراً فى مكتوب مبيع فيها [٧] فى عشر السبعين بتقديم السين وخمسمائة و إلا ففى عشر الثمانين الشك منى .

---

(١) فى نسخة (ك) آثار بدلا من آبار .

(٢) فى النسخة (ك) مسبل .

(٣) فى نسخة (ك) المعروف عند الناس إلى الآن .

(٤) المخاليف جمع مخلاف وهو مجموعة من القرى والبلاد .

(٥) قال ياقوت فى معجم البلدان : الهدة بتخفيف الدال من الهدى أو الهده بزيادة هاء بأعلى مر الظهران . كمدرة أهل مكة . والمدر طين أبيض يحمل منها إلى مكة الخ ، قال : والهدة بالفتح ثم التشديد وهو الخسفة فى الأرض ، والهدُّ الهدم وهو موضع بين مكة والطائف . والنسبة اليه هدوى وهو موضع القرود وقد خفف بعضهم داله وقال أيضا : والهدى بالفتح موضع فى نواحى الطائف وقال أيضا : والهدأة : موضع بين عسفان ومكة قلت والمراد هنا الأول وهو المعروف فى زماننا هذا بهدى الشام وقد بنى فيه الملك عبد العزيز آل سعود مسجداً فى سنة ١٣٦٥ هـ .

(٦) قال ياقوت : سروعة بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الواو وعين مهملة وقال : قال الأصمعى : سروعة جبل بعينه بتهامة لبنى الديل بن بكر وخبرنى من أثق به من أهل الحجاز أن سروعة . بسكون الراء قرية بمر الظهران فيها نخل وعين جارية اهـ .

(٧) فى النسخة (ك) منها بدل فيها .

وذكر السهيلى خلافا فى تسميته بمر قال : وسمى مراً لأن فى عرق من الوادى من غير لون الأرض شبه الميم الممدوده بعدها راء خلقت كذلك ، قال ويذكر عن كثير : سميت من المرار لها [١] ولاأدرى ماصحة ذلك اه .

ونقل الحازمى عن الكندى أن مراً اسم للقرية ، والظهران اسم للوادى اه .

ومن مر إلى مكة فيما قال البكرى : ستة عشر ميلا . وقيل : ثمانية عشر ، وقيل : أحد وعشرون حكاه ابن وضّاح والله أعلم .

وبعض وادى نخلة يعرف بنخلة الشامية وبعضه يعرف بنخلة اليمانية فمن الشامية البردان ، والتنضب [٢] وبشراك وخَيف بنى عمير وما يلى ذلك ، ومن اليمانية سولة [٣] والزيمة [٤] ويقال لنخلة : بستان ابن عامر ، ذكر ذلك ابن سيّد الناس فى سيرته لما ذكر سرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه إلى نخلة ، ويقال لنخلة : بستان بنى عامر ، كذا فى كتب الحنفية ولعله تصحيف والله أعلم .

ووادى نخلة من مكة على ليلة وقد ذكر ابن خرداذبه فى كتابه المسالك والممالك فى مخاليف مكة بما لم يذكر غيره فيذكر ذلك لما فيه من الفائدة ، لأنه قال ومخاليف مكة نجد والطائف ونجران قال الشاعر :

وكعبة نجران حتم عليك حتى يناجى بأبوابها

وقرن المنازل الذى يقول فيه الشاعر :

ألم تسأل الربع أن ينطقا بقرن المنازل إن أخلقا

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) البردان ، والتنضب : قريتان أو عينان عليهما زروع ونخيل بأعلى نخله الشمالية قال الشاعر :

ظلت بروض البرَدان تغتسلْ تشرب منها نهلات وتعلّ

(٣) سولة : هى القرية المعروفة بهذا الاسم إلى الآن تقع فى طريق الطائف ، وبها عين وبعض البساتين ويتخذها المكيون مصطافا إلى الآن يقول الشاعر :

مرتعى من بلاد نخلة بالصيف باكناف «سولة» و «الزيمة»

(٤) الزيمة : قرية قريبة من سولة وبها عين وبساتين وجميع المصطافين بالطائف يمرون بها فى حالتى الذهاب والإياب . وبها أشجار الموز والليمون وكثير من الفواكه والخضار وهى أخصب من سولة فى ذلك . وأكبر منها وأعمر لوقوعها فى الطريق . ولانحراف سولة عن الطريق .

و بالغيل [١] وعكاظ [٢] ولية [٣] وتربة [٤] و بيشة [٥] وتبالة [٦] والهجيرة [٧] ولنية [٨] وجرش [٩] والسراة [١٠] ومخاليفها بتهامة ملكان [١١] وعشم [١٢] ويسر [١٣] وعك [١٤] انتهى .

و بعض ما ذكره ابن خرداذبه من هذه المخاليف لا يعرف ولا يبعد ان يكون تصحيفاً وقد ذكر جماعة من الفقهاء الشافعية أن الطائف ووجّاً وما ينضاف إليهما منسوبة إلى مكة معدودة من أعمالها نقل ذلك النووى فى الرّوضة ،

---

(١) الغيل : موضع فى صدر يلملم . ويلملم واد فى جنوب مكة على ليلتين منها وهو ميقات أهل اليمن وبه مسجد معاذ بن جبل رضى الله عنه .

(٢) عكاظ : هو ما يسمى الآن بالسيل على أكثر الأقوال فى طريق الطائف وبه عين وقليل من النخل وبه مقاهٍ ومساكن .

(٣) لية : وادى لية مشهور من جهة الشرق بالطائف . وبه عيون وبساتين . ورمان لية من أحسن الرمان فى العالم كله .

(٤) تربة : قرية تسمى بها الوادى . أو الوادى اسمه تربة فسميت به القرية . وهو واد كبير وبه نخيل ومزارع فيها فواكه وخضار وهو من الأودية الكبيرة فى الحجاز اذ يبتدئ من سراة الحجاز وينحدر إلى نجد .

(٥) بيشة : أيضاواد من أودية الحجاز المشهورة ، وعقيل وجميع بنى خفاجة يجتمعون ببيشة ويصب سيله من الحجاز فى نجد . وبهذا الوادى غير خفاجة قبائل كثيرة . وتكثر به النخيل وأشجار أخرى تؤلف غابات كبيرة موحشة . ويقول الاستاذ عمر رفيع فى كتابه (فى ربوع عسير) ولسكان بيشة عناية تامة بزراعة النخيل ، وبراعة فائقة فى تربيته وانمائه . وتمر بيشة وتربة مشهور بالجودة عند أهل مكة . ومن قرى وادى بيشة (الروشن) ويبلغ طول وادى بيشة من منبعه إلى مصبه (٣٥٠) كيلو مترا فى العمران وربما امتد أكثر من مائة كيلو متر فى الرمال فتكون جملة طوله (٤٥٠) كيلو مترا .

(٦) تبالة : موضع فى جنوب بيشة على مسيرة ليلة منها .

(٧) الهجيرة : موضع بتلك النواحى .

(٨) لنية : لعلها رنية وهو اسم واد عظيم به ديار غامد وهى قبيلة من أكبر القبائل الحجازية وبوادى رنية مائة ألف نخله نقل ذلك الأستاذ عمر رفيع صاحب كتاب فى ربوع عسير عن صاحب الرحلة اليمانية راجع كتاب (فى ربوع عسير) للاستاذ رفيع ولم نعثر على اسم لينة فى المظان التى لدينا لذلك رجحنا تصحيفها من الناسخ .

(٩) جرش : واقعة فى المنطقة المسماة بعسير اليوم .

(١٠) السراة : يطلق على جبال الحجاز الفاصلة بين تهامة ونجد وبها سمى الحجاز حجازاً .

(١١) ملكان : بالتثنية وفتح اللام جبل بالطائف . وبكسر اللام واد لهذيل وكلاهما بالحجاز .

(١٢) عشم : قرية متايمنة من قرى تهامة .

(١٣) يسر بضم الياء والسين : نقب تحت الأرض به ماء وموقعه بالدهناء وهى الجبال الفاصلة بين منازل قبيلة بالأسمر وقبيلة بنى شهر (راجع فى ربوع عسير ص ١٠٨ للاستاذ عمر رفيع) .

(١٤) عك : اسم قبيلة وربما كانت من قبائل عسير .

ونص كلامه فى كتاب عقد الجزية والهدنة ، قال الامام: يعنى إمام الحرمين أبا المعالى الجوينى قال الأصحاب : الطائف ووجٌّ وهو وادى الطائف وماينضاف إليهما منسوبة إلى مكة معدودة من أعمالها وخيبر [١] من مخاليف المدينة انتهى.

ونجران ليست من الحجاز وإن كانت من مخاليف مكة فيما قيل ، وممن ذكر أنها ليست من الحجاز الجوهرى فى صحاحه لأنه قال : نجران بلد باليمن انتهى .

وفى التهذيب للشيخ أبى إسحق الشيرازى : وأما [٢] نجران فيما قال النووى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة وكانت منزلا للنصارى اه .

وذكر النووى ما يقتضى أن فيما ذكره ابن خرداذبه من أن نجران من مخاليف مكة نظراً لأنه قال : وأما قول الإمام الحافظ أبى بكر الحازمى فى كتابه المؤتلف والمختلف فى الأماكن : إن نجران من مخاليف مكة من صوب اليمن فيه تساهل .

والتساهل الذى فى كلام الحازمى يلزم مثله فى كلام ابن خرداذبه على مقتضى قول النووى ، وقد يقال لا تساهل فى كلام الحازمى لانه لا يلزم من قولهم إن نجران من مخاليف مكة من صوب اليمن أن يكون نجران من الحجاز ، لجواز أن تكون مخاليف مكة فى الحجاز واليمن وأن سبب عدِّ نجران وما دونها إلى مكة فى مخاليف مكة كون ولاية وآلى مكة فيما مضى كانت تمتد إلى ذلك ، وهذا لامانع منه ، لأن المأمون العباسى ولّى داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسىّ مكة والمدينة وأضاف إليهما بلاد عكّ ، ولعل ذلك اتفق لغيره من ولاة مكة العباسيين ، وبتأييد ماذكرناه بما ذكره ابن خرداذبه فى مخاليف مكة والله أعلم وكان النووى [٣] يوهم أن بعد نجران من مكة لكونها باليمن يخرجها عن أن تكون من أعمال مكة وليس كذلك لأن مجرد القرب من مكة لا يقتضى أن يعد فى أعمال مكة ماهو أقرب إليها من نجران كخُلَيص مثلا لأن خُليصا [٤] لم تعدّ فى أعمال مكة وهى منها على يومين ، وذكروا أن منتهى عمل مكة من جهتها جنابذ بن صيفى بين عسفان ومرّ الظهران كما سيأتى فى كلام الفاكهى ، وليست جنابذ بن صيفى معروفة الآن .

---

(١) لعله يريد بخيبر الشمالية فهى لاشك من أعمال المدينة المنورة ، أما خيبر الجنوبية فهى من أعمال مكة وخيبر هذه قرية صغيرة تقع فى وادى خيبر . بعد تربة للسائر متيامنا إلى عسير .

(٢) فى النسخة (م) زيادة لابد منها وهى « فليست من الحجاز » .

(٣) فى النسخة (ك) رحمه الله .

(٤) قرية فى طريق المدينة المنورة بعد عسفان وهى مشهورة بهذا الاسم إلى الآن . وقال صاحب معجم البلدان : حصن بين مكة والمدينة .

وإذا كان مجرد القرب من مكة ليس موجبا لعدّ ما قرب منها من أعمالها فالظاهر أن المراعى فى عدما ذكره العلماء فى أعمال مكة وإن كان بعيداً عنها كثيراً كون ولاية وآلى مكة فيما مضى شملت ذلك فيقبل من الفاكهى وابن خرداذبه وغيرهم ماذكروه فى أعمال مكة وإن كان بعيداً جدا عنها لكونه فى أطراف الحجاز وبلاد اليمن كنجران وعكّ وغير ذلك والله أعلم .

وذكر الفاكهى شيئاً مفيدا فى مخاليف مكة ، ونص ماذكره ، ذكر حدود مخاليف مكة ومنتهاها وتفسير ذلك وأعمال مكة ومخاليفها كثيرة ولها أسماء نقصر عن ذكرها لاختصار الكتاب ، ولكنا نذكر منتهى حدودها التى تنتهى إليه ، فآخر أعمالها مما يلى طريق المدينة موضع يقال له جنابذ بن صيفى فيما بين عسفان ومرّ وذلك على يوم وبعض يوم ، وآخر أعمالها مما يلى طريق الجادّةِ فى طريق العراق الغمر [١] وهو قريب [٢] من ذات عرق وذلك على يوم وبعض يوم ، وآخر أعمالها مما يلى طريق اليمن فى طريق تهامة اليوم موضع يقال له ضنكان [٣] وذلك على عشرة أيام من مكة وقد كان آخر أعمالها فيما مضى بلاد عكّ داخلا فى اليمن إلى قريب من عدن وآخر أعمالها مما يلى اليمن فى طريق النخل [٤] وطريق صنعاء موضع يقال له نجران وهو آخر مخاليفها وأبعد من مكة نجران على عشرين يوماً من مكة وهى أرض طيبة عذبة ، انتهى باختصار والله أعلم . 72

وأما قول الفاكهى : إن نجران على عشرين يوماً من مكة فهو مخالف لما سبق من قول النووى : إن نجران من مكة على سبع مراحل انتهى .

والسبع المراحل لا تكون عشرين يوماً والله أعلم . [٥]

وكلام الفاكهى يوهم أن نجران من مكة أبعد مما بين بلاد عكّ ومكة ولم يُرد ذلك الفاكهى لأن قوله وقد كان آخر أعمالها فيما مضى بلاد عكّ داخلاً إلى اليمن إلى قريب من عدن يقتضى أن بلاد عكّ قريبة من عدن ؛ ونجران ليست بهذه الصفة .

وأما قول الفاكهى إن نجران أبعد مخاليف مكة فمراده به بعد بلاد عكّ لأنها كانت أبعد أعمال مكة ثم صار أبعدها نجران وأدرك ذلك الفاكهى فقال : إن نجران أبعد مخاليف مكة [٦] وبذلك يعلم أن لا تناقض فى كلام

---

(١) فى النسخة (ك) الغمر .

(٢) هذا من زيادة النسخة (ك) .

(٣) ضنكان : وادى فى جنوب تهامة على سفوح جبال السراة وينتهى بالبحر الأحمر ويصب فيه .

(٤) فى النسخة (ك) النحل .

(٥) المسافة بين مكة ونجران عن طريق ابها « ١١٧١ » كيلو متراً ؛ أما عن طريق « خميس مشيط » فهى (١٢٩٨) كيلو مترا . « كتاب مسافات الطرق فى المملكة العربية السعودية » .

(٦) فى النسخة (ك) والله أعلم .

73 الفاكهى ، وليس كل ما ذكره الفاكهى وابن خرداذبه فى مخاليف مكة معدود اليوم من أعمال مكة لأن كثيراً من ذلك ليس لأمير مكة الآن فيه كلام ، وأبعد مكان عن مكة [١] لأميرها الآن فيه كلام الحسبة بحاء وسين مهملتين وباء موحدة وهى بلدة فى صوب اليمن على طريق تهامة و بينها و بين قنونا [٢] يومان ، و بين حلى [٣] يومان وكلامه فيها باعتبار أن له على مزارعها كل سنة مائة غرارة مكية وله مثل ذلك على بلدة يقال لها دوقه على يوم من الحسبة وله مائتا غرارة على الوادَيْن وله مثل ذلك على الليث [٤] ويبعث أمير مكة إلى كل من هذه الأماكن من يقبض ذلك من أهلها ، وأبعد مكان بعد هذه الاماكن عن مكة لأميرها فيه كلام الآن ، وادى الطايف ووادى ليه ، ولأمير مكة فيها من الكلمة والعادة على أهلها اكثر مماله على الأماكن السابق ذكرها ، ووادى الطائف ووادى ليه داخلان فى ولاية قاضى مكة وله بهما نوّاب ، وأبعد مكان عن مكة فى صوب المدينة لأمير مكة الآن فيه كلام وادى الهدّة هدّة بنى جابر وهو على مرحلة من مرّ الظهران .

وولاة مكة الآن يأخذون ما يغرق فى البحر فيما بين جدّة ورابغ [٥] ويرون أن ذلك يدخل فى عملهم ، وجدة من أعمال مكة فى تاريخه وفيما قبله وهى على مرحلتين من مكة وسيأتى ذكر شىء من خبرها .

ومما يناسب ذكره فى هذا الكتاب بيان الحجاز لتكرر ذكره فيه وهو مكة والمدينة واليمامة [٦] ومخاليفها .

وبهذا فسر الامام الشافعى فى الأم الحجاز فيما نقله عنه البند نيجى ، وفى دخول اليمن فى الحجاز قولان [٧] ، وقيل إن تبوك وفلسطين من الحجاز ، وقيل إن حدود الحجاز مابين جبال [٨] طىء إلى طريق العراق ، وسمى حجازاً لانه حجز بين تهامة ونجد قاله ابن الكلبى والأصمعى وغيرهما . .

---

(١) هذه الزيادة من النسخة (ك) .

(٢) قنونا هى بلدة القنفذة « جغرافية شبه جزيرة العرب لعمر رضا كحاله صفحة ٢٨ » وهى ميناء من موانىء الحجاز الجنوبية .

(٣) بحاء مهملة مفتوحة ولام ساكنة كما جاء فى صفة جزيرة العرب للهمذانى صفحة ١٢٠ طبعة أوربا ١٨٨٣م ويؤيد ذلك ما جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى أنها بوزن (ظبى) .

(٤) الليث أيضا ميناء من موانىء الحجاز الجنوبية . وينطقها أهل الحجاز الليت بالكسر المشدد فى أوله وابدال الثاء تاءا .

(٥) فى النسخة (ك) ورابع .

(٦) أعالى نجد . وكان اسمها قديما جواً وسميت اليمامة باسم اليمامة بنت سهم بن طسم . وفتحت فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فتحها خالد بن الوليد رضى الله عنه . وبها قتل مسيلمة الكذاب .

(٧) فى النسخة (ك) : وجهان .

(٨) فى النسخة (ك) : جبلى طى .

واليمامة المشار اليها من اليمن على مرحلتين من الطائف وعلى أربع من مكة قاله النووى فى تهذيب الأسماء واللغات ، فعلى هذا لاتكون البلاد المعروفة ببجيلة من الحجاز لانها عن الطائف أبعد مما بين الطائف واليمامة .

و بلاد بجيلة واليمامة فى جهة واحدة وهى جهة نجد اليمن ولكن بلاد بجيلة أكثر دخولا فى اليمن من اليمامة فلا يستقيم عد بلاد بجيلة فى الحجاز والله أعلم [١] .

وأهل مكة إلى الآن لا يطلقون الحجاز إلا على الطائف وما قرب منه كُلِيَّة ولا يطلقون ذلك على بلاد بجيلة ، واصل ذلك لكونها داخلة فى اليمن والله أعلم .

والمخاليف المذكورة فى حد الحجاز هى مخاليف مكة والمدينة واليمامة .

والمخاليف قرى مجتمعة والمخاليف بفتح الميم والخاء جمع مخلاف بكسر الميم ، ومكة من تهامة قاله النووى .

ذكر حكم بيع دور مكة وإجارتها

اختلف العلماء رحمهم الله فى ذلك فحكى الشيخ أبو جعفر الابهرى عن الإمام مالك: [٢] أنه كره بيعها وكراها فان بيعت أو أكريت لم يفسخ ، وقال اللخمى : اختلف قول مالك فى كراء دور مكة و بيعها فمنع من ذلك مرة ، نقل ذلك عن الابهرى واللخمى ابن رشد فى مقدماته ، وذكرانه لم يختلف قول مالك وأصحابه فى ان مكة افتتحت عنوة ، وإنهم اختلفوا هل منّ بها على أهلها فلم تقسم لما عظم الله من حرمتها أو اقرت للمسلمين ، قال وعلى هذا جاء الاختلاف فى كراء بيوتها اهـ .

وجواز البيع والكراء فى دور مكة ينبنى على القول بالمن بها على أهلها ، ومنع ذلك ينبنى على القول بأنها فرقت للمسلمين ، وفى هذا القول نظر لأن غير واحد من علماء الصحابة وخلفائهم رضى الله عنهم عملوا بخلافه فى أوقات مختلفة . وذلك ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى دوراً بمكة ووسع بها المسجد الحرام ، وكذلك أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وامير المؤمنين عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه ، واشترى امير المؤمنين معاوية رضى الله عنه دار الندوة ودار أم المؤمنين [٣] خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بمكة وغير ذلك من دورها وكل ذلك منقول من تاريخ الازرقى و بعضه فى غيره [٤] ، واشترى لعمر رضى الله عنه عامله على مكة داراً

---

(١) أهل الحجاز اليوم يطلقون اسم الحجاز على كل المرتفعات الواعرة . من الطائف فمافوق شمالا أوجنوبا أوشرقا . ويبدو أن اليمامة التى يقصدها المؤلف فى كلامه كانت قرية واندرست أما بجيلة فهى من صميم الحجاز .

(٢) فى النسخة (ع) رحمه الله .

(٣) هى الدار المعروفة بزقاق الحجر أو بزقاق الصاغة وهى الآن مهدومة ، وذلك معروف عند أهل مكة .

(٤) فى النسخة (ك) : من غيره .

للسجن بها على مارويناه فى صحيح البخارى لأنه قال : باب الربط والحبس فى الحرم ، واشترى نافع بن عبد الحارث داراً للسجن بمكة من صفوان بن أمية على أن عمر إن رضى ، وروى الأصيلى وأبو ذر على ان عمر رضى ، وروى القابسى على إن رضى عمر فالبيع بيعه وان لم يرض [١] فلصفوان أربعمائة درهم [٢] وعند أبى ذر فى روايته أربعمائة دينار ، وروى فى بعض النسخ المسجد بدل الحرم ، وفى بعض النسخ دار السجن بالإضافة وفتح السين ، وروى أيضا بالبيع ، فالبيع بيعه انتهى .

نقلت هذه الروايات من خط [٣] مشايخنا ، وروينا ذلك متصلاً فى تاريخ الأزرقى ، وأفاد فيه غير ما فى البخارى ، لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه : حدثنى جدى قال : ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن عبد الرحمن ابن فروخ ، أن نافع بن عبد الحارث ابتاع من صفوان بن أمية دار السجن ، وهى دار أم وايل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه بأربعة آلاف درهم ، فإن رضى عمر فالبيع له وإن لم يرض عمر فلصفوان أربعمائة انتهى .

ونافع بن عبد الحارث هذا هو الخزاعى عامل عمر بن الخطاب [٤] على مكة كان من كبار الصحابة وفضلائهم على ماذكر ابن عبد البر ، ولا يمترى فى أنه لم يقدر ما فعل إلا برضى أمير المؤمنين عمر بذلك وإذنه فيه ، ومن المعلوم ضرورة أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه كان فى العلم والورع بالمحل الأعلى ، ولا ريب فى أنه ومن ذكرنا من علماء الصحابة رضى الله عنهم أعلم ممن بعدهم بما يصلح فى أرض مكة ، وأنه لو كان عندهم علم عن النبى صلى الله عليه وسلم بأنها أقرت للمسلمين لما أقدموا على ما فعلوا ، ويبعد جدا أن يصح ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ويخفى عليهم وعلى غيرهم من علماء الصحابة رضى الله عنهم ، فإنه لم يحفظ عن غيرهم أنه أنكر على أحد منهم ما فعل ، ولو كان عندهم علم بخلاف ما فعل المشار إليهم لما سكتوا عن الإنكار عليهم ، وأما حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه [٥] من أكل من أجر بيوت مكة فإنما يأكل ناراً ، فقد اختلف فى رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ووقفه على عبد الله ، والصحيح أنه موقوف عليه على ما ذكر ذلك الدارقطنى ، وعلى وقفه فلا حجة فيه على تحريم كرائها ، وبتقدير رفعه فليس ذلك لعدم الملك وإنما هو بحسب [٦] المكتسب ، كما نهى

---

(١) فى النسخة (ك) : يرض بزياده لفظ عمر .
(٢) فى النسخة (ك) أربعة آلاف ، ولا شك أن الرواية التى ستذكر بعد ذلك لا تتفق مع هذا الرأى .
(٣) فى النسخة (ك) بعض .
(٤) فى النسخة (ك) ـ رضى الله عنهما ـ وهو خطأ لأن الخطاب ليس صحابيا .
(٥) فى النسخة (ك) رضى الله عنهما وهو الصواب لأنهما صحابيان .
(٦) فى النسخة (ك) بحيث ، ولا شك أنه تحريف والمعنى لا يستقيم به .

صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام وإنما كان الكراء فيها خبيثا ، لما فيه من ترك مواساة المحتاجين من الحجاج بالسكنى ، وقد قال السهيلى بوجوب السكنى بمكة للحجاج كما سيأتى بيانه ، وأما حديث علقمة بن فضلة الكنانى ويقال الكندى : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وما تدعى رباع مكة إلا السوائب ، هكذا عند ابن ماجه ، ولفظه عند الأزرقى كانت الدور والمساكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ما تكرى ولا تباع ، ولا تدعى إلا السوائب ومن احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن انتهى . فإنه لا دلالة فيه على نهى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر[1] رضى الله عنهما عن بيع دور مكة وكرائها ، وإنما فيه دلالة على عدم وقوع ذلك فى زمن المشار إليهم ، ولا يلزم من عدم وقوع ذلك فى زمنهم منعه ، إذ الإنسان يترك ما يجوز له فعله دهرا طويلا ، على أن دلالة حديث علقمة على عدم وقوع بيع دور مكة وكرائها فى زمن المشار إليهم ، معارضة بما وقع من شراء عمر وعثمان رضى الله عنهما لدور مكة ، ووقع ذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن الفاكهى قال فى كتابه أخبار مكة : حدثنا حسين بن الحسن قال : كتبت إلى عبد الرحمن بن مهدى أسأله عن كراء دور مكة وشرائها ، قال : فكتب إلى إنك كتبت إلى : تسألنى عن أشرية دور مكة وكرائها ، فأما الشراء فقد اشترى الناس وباعوها على عهد النبى صلى الله عليه وسلم انتهى .

وحسين بن حسن هو المروزى صاحب ابن المبارك قال فيه أبو حاتم صدوق . وقد روى عنه الترمذى والنسائى ، وإذا تعارض ذلك مع حديث علقمة فهو مقدم على حديث علقمة ، لأن حديث علقمة حاصله الشهادة[2] على نفى ذلك ، وفى مثل هذا يقدم المثبت ويتعين حمل حديث علقمة على أن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم كان الغالب من فعل الناس بمكة تركهم بيع دورهم بمكة وكرائها لعدم الحاجة إلى ذلك ، وتوسعة على الوافدين والمحتاجين ، ولما كان وقوع خلاف ذلك نادراً لم يستحضره علقمة فى حال تحديثه بحال دور مكة ، ونفاه فى حديثه والله أعلم .

وعلقمة لا صحبة له وإن كان ابن عبد البر قد ذكره فى الصحابة فى كتابه المسمى بالاستيعاب[3] ، وذكره ابن حبان فى أتباع التابعين ، وذكر ابن منده أنه تابعى . والله أعلم .

---

(١) فى النسخة (ك) وعثمان — رضى الله عنهم .

(٢) فى النسخة (ك) شهادة .

(٣) رجعنا إلى كتاب أسد الغابة لابن الأثير جـ ٤ ص ١٣ وما بعدها ، ط جمعية المعارف المصرية فى لفظ علقمة فلم يتعرض له وهذا مما يؤيد قول المؤلف فى أنه ليس بصحابى ، والمعروف أن ابن الأثير قد توفى قبل مؤلف هذا الكتاب ، وكذلك لم يذكره ابن حجر فى كتابه الإصابة وإن كان ابن حجر قد توفى بعد مؤلف هذا الكتاب .

وفى شراء عمر ومن ذكر معه دلالة واضحة على أن مكة مملوكة لأهلها ، إما لمنِّ النبى صلى الله عليه وسلم بها على أهلها ، كما هو أحد القولين عند القائلين بأنها فتحت عنوة ، أو لأنها فتحت صلحاً ، والوجه الأول أصوب ؛ لأن فتحها صلحا يخالف ظاهر الأحاديث الواردة فى صفة فتح مكة ويخالف قول جمهور العلماء رحمهم الله فى أنها فتحت عنوة والله أعلم بالصواب .

وذكر السهيلى ما يقتضى ترجيح ما قيل من أن النبى صلى الله عليه وسلم منَّ بمكة على أهلها مع كونه دخلها عنوة ، وسيأتى ذلك قريبا .

وقد نقل الإمامان : ابن الحاج وابن عطية المفسران المالكيان عن الإمام مالك [1] ما يقتضى انها مملوكة لأهلها وذكرا بعض الحجة على ذلك ، فأما ابن الحاج فإنه قال : وأباحت طائفة من أهل العلم بيع رباع مكة وكراء منازلها ، منهم طاووس وعمرو بن دينار ، وهو قول مالك والشافعى ، ثم قال : والدليل على صحة قول مالك ومن قال بقوله فذكر دلائل على ذلك ، ثم قال : وقوله عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : هل ترك لنا عقيل منزلا مما يدل أنه ملك لأربابه ، وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابتاع دار السجن بأربعة آلاف درهم ، وأن دور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها إلى اليوم بأيدى أعقابهم ، منهم أبو بكر الصديق والزبير بن العوام وحكيم بن حزام وعمرو بن العاص وغيرهم رضى الله عنهم ، وقد بيع بعضها وتصدق ببعضها ولم يكونوا ليفعلوا ذلك إلا فى أملاكهم ، وهم أعلم بالله ورسوله ممن بعدهم انتهى .

وأما ابن عطية فإنه قال فى تفسير قوله تعالى : «إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ» . أجمع الناس على الاستواء فى المسجد الحرام ، واختلفوا فى مكة فذهب عمر وابن عباس ومجاهد وسفيان الثورى وجماعة معهم إلى أن الأمر كذلك فى دور مكة ، وأن القادم له النزول حيث وجه وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أبى ، وكان كذلك الأمر فى الصدر الأول ، ثم قال : وقال جمهور من الأئمة منهم مالك : ليست الدور كالمسجد ، ولأهلها الامتناع بها والاستبداد ، وهذا هو العمل اليوم ، ثم قال بعد أن ذكر الخلاف فى فتحها : هل هو عنوة أو صلح ، فمن رآها صلحا فإن الاستواء فى المنازل عنده بعيد ، ومن رآها عنوة أمكنه أن يقول الاستواء فيهما قرره الأئمة الذين لم يقطعوها أحدا ، وإنما سكنى من أسكن من قبل نفسه ، قال : وظاهر قوله عليه الصلاة والسلام : وهل ترك لنا عقيل من منزل ؟ يقتضى أن الاستواء بها وإن كانت متملكة ممنوعة على النازلين ، ثم قال ومن الحجة له بملك أهلها أن عمر رضى الله عنه اشترى من صفوان بن أمية

---

(١) فى النسخة (ك) رحمه الله .

دار السجن بأربعة آلاف درهم ، ويصح مع ذلك أن يكون الاستواء فى وقت الموسم للضرورة والحاجة ، فيخرج الأمر حينئذ عن الاعتبار بالعنوة أو بالصلح انتهى .

وذكر السهيلى وهو من أئمة المالكية المعتبرين ما يقتضى أن مكة مملوكة لأهلها ، ونذكر كلامه لما فيه من الفائدة ، ونصه (فصل . ونذكر ههنا طرفا من أحكام أرض مكة وقد اختلف ، هل افتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة أو صلحا ؟ لنبنى على ذلك الحكم هل أرضها ملك أم لا ؟ وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاج ، فإن ذلك لا يحل لهم [1] ، وقال مالك رحمه الله : إن كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة لاينهاهم أحد ، وروى أن دور مكة كانت تدعى السوائب وهذا كله منتزع من أصلين : أحدهما قول الله تبارك وتعالى : « وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ » . وقال ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم : الحرم كله مسجد . والأصل الثانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلها عنوة غير أنه مَنَّ على أهلها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يقاس عليها غيرها من البلاد كما ظن بعض الفقهاء ، فإنها مخالفة لغيرها من وجهين أحدهما ماخص الله به رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه قال « قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ » . والثانى ماخص به الله مكة فإنه جاء أن لا تحل غنائمها ولا يلتقط لقطتها وهى حرم الله وأمنه ، فكيف يكون أرضها أرض خراج ، فليس لأحد افتتح بلدا أن يسلك به سبيل مكة ، فأرضها إذاً ودورها لأهلها ، ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموا وأن لا يأخذوا منهم كراء فى مساكنها ، فهذا حكمها ، فلا عليك بعد هذا فتحت عنوة أو صلحاً . وإن كانت ظواهر الحديث أنها فتحت عنوة انتهى [2] .

وإيجاب السكنى بمكة للحجيج وترك أخذ الأجرة منهم على ماذكره السهيلى لاينا فى كون مكة مملوكة لأهلها لأن الإنسان يجب عليه بذل ماله لحاجة غيره إليه فى مسائل كثيرة ، منها بذل الخيط لخياطة جرح ، وبذل فضل الطعام والماء لمن اضطر إلى ذلك لسقى زرع أو غيره ، وبذل العمد والخشب لحفظ جدار الغير إذا خشى سقوطه ، ويجب الضمان فى ذلك على من منع منهم ، وفى أخذهم الثمن عن ذلك خلاف ، وإيجاب ذلك حق للمواساة فينزل عليه ماقيل فى دور مكة والله أعلم . على أن كلام السهيلى [3] لايفهم أن ماذكره من الحكم فى دور مكة يكون فى

---

(١) تولى عمر بن العزيز الخلافة سنة تسع وتسعين من الهجرة النبوية وكان عامله على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد ابن أسيد ، وقد توفى عمر سنة ١٠١ هـ وظل عبد العزيز بن عبد الله على مكة حتى وفاة عمر ، (الطبرى جـ ٨ ص ١٣١-١٤١) .

(٢) الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام لأبى القاسم السهيلى جـ ٢ ص ٢٧٢ ط مطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .

(٣) فى النسخة (ك) رحمه الله .

حق غير الحاج ، وقد وافق السهيلى على الاستدلال باشتراء عمر وعثمان رضى الله عنهما الدور بمكة لتوسعة المسجد ، على أن دور مكة مملوكة لأهلها لأنه قال وفى اشتراء عمر وعثمان الدور التى زاداها دليل على أن رباع مكة مملوكة لأهلها يتصرفون فيها بالبيع والشراء والكراء إن شاءوا ، فى ذلك اختلاف انتهى .

وحكى ابن رشد فى كراء دور مكة أربع روايات ، وهى إجازة ذلك ، وهو الظاهر من مذهب ابن القاسم فى المدونة ، ومنع ذلك ، وهو ظاهر قول مالك فى سماع ابن القاسم منه فى كتاب الحج ، والكراهة مطلقا ، والكراهة فى أيام الموسم خاصة حكاه الداوودى عن مالك انتهى بالمعنى من كتاب المقدمات لابن رشد ، ونقل عنه ابن جماعة فى منسكه مايقتضى أنه حكاه فى كتاب البيان الخلاف فى بيع دور مكة وإجارتها لأنه قال : وذكر ابن رشد فى البيان والتحصيل عن مالك ثلاث روايات منع بيع دور مكة وكرائها والإباحة وكراهة كرائها فى أيام الموسم خاصة انتهى .

وليس فى كلام ابن رشد فى البيان مايشعر بذكر خلاف فى البيع كما فهم ابن جماعة ، وليس فى كلام ابن رشد أيضا مايشعر ببيان القول الأرجح فى الكراء ، ونقل القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه عن القاضى أبى على سند بن عنان المالكى الأزدى [1] صاحب الطراز مايقتضى ترجيحا فى ذلك لأنه قال عقب مانقله ابن رشد ونقل سند فى الطراز أن مذهب مالك المنع وفيه إن قصد بالكراء الآلات والأخشاب جازو إن قصد البقعة فلا خير فيه انتهى .

وكلام ابن الحاج فى منسكه يشعر بترجيح القول بجواز بيع دور مكة وإجارتها على المذهب لاقتصاره على ذلك فى النقل عن الإمام مالك ولاستدلاله على صحة مانسبوه لمالك ، وكذلك ابن عطية لاقتصاره فى النقل عن مالك على أن لأهل دور مكة الامتناع بها والاستبداد ولا يبعد ترجيح جواز ذلك على القول بأن مكة فتحت عنوة كما ذكرناه من فعل خيار السلف له وفعل الخيار من الخلف له فى كل عصر ، وحيث جاز بيع دور مكة فيجوز فيها الكراء والهبة والوقف والشفعة والقسمة وغير ذلك من الأحكام التى تجوز فى الأملاك ، فإن قيل يعارض ذلك بالنسبة إلى الشفعة قول مالك رحمه الله فى المدونة : ولاشفعة فى أرض العنوة ولايجوز بيعها انتهى . لأن هذا يقتضى أن يكون هو الحكم فى مكة لأنها عنده فتحت عنوة ، فالجواب أن مكة وإن كانت فتحت عنوة فقد مَنَّ النبى صلى الله عليه وسلم بها على أهلها كما هو الراجح فى ذلك ففارقت بذلك غيرها من البلاد التى افتتحت عنوة والله أعلم .

---

(١) فى النسخة (ك) الأزدى المالكى . بدل (المالكى الأزدى) .

ويفارق مكة أيضا غيرها من البلاد فى كراء دورها فإنه مع القول بجوازه لايخلو من كراهته خصوصا فى أيام الموسم لأجل التوسعة بذلك على الحجيج ، وورد عن كثير من السلف كراهة كراء بيوت مكة ، وعن بعضهم التخفيف فى ذلك فى حق المضطر اليه والله أعلم (١) .

واختلف مذهب الإمام أبى حنيفة فى أرض مكة فروى عنه كراهة بيعها ،فقيل لايجوز البيع وذكر قاضيخان أنه ظاهر الرواية ، وقيل يجوز مع الكراهة وأجاز ذلك صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن وعليه الفتوى على ماقال الصدر الشهيد الحنفى ، وبه جَزم حافظ الدين النسفى فى كتابه الكنز .

واختلف مذهب أبى حنيفة أيضا فى إجارة أرضها فروى عنه وعن محمد الحسن عدم جواز ذلك . وروى عنهما جواز ذلك مع الكراهة .

واختلف فى ذلك أيضا مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، فروى عنه جواز ذلك ومنعه . وذكر الموفق ابن قدامة الحنبلى أن رواية الجواز أظهر فى الحجة .

وذكر ابن المنجا من الحنابلة أن رواية المنع هى المذهب ، ولم يختلف مذهب الشافعى فى جواز بيع دور مكة وإجارتها لأنها عنده فتحت صلحا ، وقال بعضهم عنه : فتحت بأمان والأمان فى معنى الصلح .

وقال صاحب الحاوى الكبير القاضى أبو الحسن المعروف بالماوردى الشافعى : عندى أن أسفلها دخلها خالد ابن الوليد عنوة وأعلاها فتح صلحا انتهى .

قال النووى : والصحيح الأول انتهى وفى صحته نظر لأن الفتح صلحا إنما يكون بالتزام أهل البلد المفتتحة ترك القتال ولم يلتزم ذلك أهل مكة عند فتحها ، بل أعدوا جميعا لقتال المسلمين عند فتحها ، ولم يقبلوا تأمين النبى صلى الله عليه وسلم لهم ، والدليل على ذلك مارويناه فى صحيح مسلم من حديث عبدالله بن رباح الأنصارى عن أبى هريرة رضى الله عنه فذكر حديثا فى فتح مكة قال فيه : ووبشت قريش أوباشاً لها وأتباعاً فقالوا : نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شىء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذى سئلنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ، ثم قال : حتى توافونى بالصفا قال : فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل احداً إلا قتله وما أحد منهم يُوَجه إلينا شيئا ، قال فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لاقريش بعد اليوم ، ثم قال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن انتهى باختصار ، وفى هذا دلالة صريحة على ماذكرناه من عدم

---

(١) ذكر أبو يوسف فى كتابه الخراج — ص ٨٢ طبعة المطبعة السلفية الأحكام الشرعية المتعلقة بالأرض التى فتحت عنوة أو صلحا . وتعرض لذلك الماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية ص ١٣١ وما بعدها، طبعة مطبعة السعادة .

التزام قريش ترك قتال المسلمين يوم فتح مكة ، وفى ذلك أيضا دلالة على أن ذلك وقع منهم يوم دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة ، وما كان ذلك منهم بعد تأمين النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمر الظهران لأنا روينا فى مغازى موسى بن عقبة أن أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام قالا للنبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلما بمر الظهران: يا رسول الله ادع الناس إلى الأمان أرأيت إن اعتركت قريش وكفت أيديها آمنون هم يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: من كف يده وأغلق داره فهو آمن. قالوا فابعثنا نؤذن فيهم بذلك ،قال انطلقوا فمن دخل دارك ياأبا سفيان ودارك يا حكيم وكف يده فهو آمن. قال ودار أبى سفيان بأعلا مكة ودار حكيم بأسفل مكة .

وروينا فى سيرة ابن اسحق تهذيب ابن هشام وروايته عن البكائى عنه أن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم بعد إسلام أبى سفيان بمر الظهران : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال « نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » انتهى .

وروينا فى هذين الكتابين ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم استثنى فى تأمينه رجالا ونساء من أهل مكة أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة لجرائم لهم اقتضت ذلك [1] .

ومن الأحاديث الدالة على عدم التزام قريش بمكة ترك قتال المسلمين يوم فتحها وعلى عدم قبولهم تأمين النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغهم تأمينه لهم ما ذكره الفاكهى لأنه قال حدثنا محمد بن إدريس بن عمر من كتابه قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة فذكر حديثا طويلا فى قصة الفتح وفيه قال : فقال أبو سفيان واصباح قريش، فقال العباس يا رسول الله لو أذنت لى فأتيت أهل مكة فدعوتهم وأمَّنتهم وجعلت لأبى سفيان شيئا يذكر به ؟ قال فانطلق العباس رضى الله عنه حتى ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء فانطلق فقال صلى الله عليه وسلم ردوا علىّ عمى فان عم الرجل صنو أبيه قال فانطلق العباس حتى قدم على أهل مكة فقال : يا أهل مكة أسلموا تسلموا قد استبطنتم بأشهب بازل، قال وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الزبير من قبل أعلا مكة وبعث خالد بن الوليد من قبل أسفل مكة ، فقال لهم العباس هذا الزبير من قبل أعلا مكة وخالد بن الوليد من قبل أسفل مكة وخالد وما خالد وخزاعة المجزعة الأنوف، قال ثم قال من ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن، قال ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراموا بشىء من النبل ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر عليهم فأمَّن الناس إلا خزاعة عن بنى بكر قال

---

(١) سيذكر بعد ذلك بعض الأسماء التى أمر الرسول بقتلها .

وذكر أربعة : مقيس بن صُبَابة ، وعبد الله بن أبى سرح ، وابن خطل، وسارة مولاة بنى هاشم ، قال حماد وسارة[1] لا أدرى فى حديث أيوب أو فى حديث غيره قال فقاتلتهم خزاعة إلى نصف النهار فأنزل الله عز وجل: ألا تقاتلون قوماً . الآية والتى بعدها[2]، ثم قال بعد قوله : ويشف صدور قوم مؤمنين ، قال خزاعة ويذهب غيظ قلوبهم ، قال خزاعة ويتوب الله على من يشاء ، قال خزاعة انتهى .

وفى هذا الخبر مخالفة لما ذكره ابن عقبة وابن اسحاق من أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال من لم يقاتل يوم فتح مكة إلا من استثناهم وسيأتى ما يدل للخبر الذى ذكره الفاكهى والله أعلم .

ومن الأخبار الدالة على جمع قريش بمكة لقتال المسلمين يوم فتح مكة ما ذكره موسى بن عقبة فى مغازيه لأنه قال فى خبر الفتح و بأسفل مكة بنو بكر و بنو الحارث بن عبد مناة وهذيل ومن كان معهم من الأحابيش استنصرت قريش بهم فأمروهم أن يكونوا بأسفل مكة ثم قال واندفع خالد بن الوليد حتى دخل مكة من أسفلها فلقيته بنو بكر ابن وائل فقاتلوا فهزموا وقتل من بنى بكر قريبا من عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهزموا .

وذكر ابن إسحق فى سيرته تهذيب ابن هشام ما يقتضى ترك التزام قريش لقتال المسلمين يوم فتح مكة لأنه قال فى خبر فتحها ، وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا ثم قال ابن إسحاق بعد ذكره خبر الحماس بن قيس : فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بنى محارب بن فهر ، وحبيش بن خالد بن ربيعة بن أحزم أحد حليف بنى منقد وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا ، ثم قال ابن اسحاق: وحدثنى عبدالله بن أبى نجيح وعبدالله بن أبى بكر قالا، وأصيب من جهينة سلمة بن الميلا من خيل خالد ، وأصيب ناس من المشركين قريبا من اثنى عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا انتهى .

فإن قيل ما ذكره ابن إسحاق من جمع سهيل وصفوان وعكرمة أناساً لقتال المسلمين بمكة يوم فتحها لا يقتضى نسبة ذلك لغيرهم من قريش ويكون ذلك مبينا لما وقع مجملاً فى حديث أبى هريرة من جمع قريش أو باشاً لقتال

---

(١) ذكر ابن هشام فى كتابه السيرة النبوية هؤلاء الأربعة ضمن النفر الذين سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وأمن من عداهم ، وقد زاد ابن هشام على هؤلاء الأربعة ، الحويرث بن نقيذ بن وهب ، وجاريتين لعبد الله بن خطل كانتا تغنيان بهجاء الرسول ، (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٣ ط م الجمالية بمصر)

(٢) الآيات من سورة التوبة وهن « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم » .

المسلمين يومئذ كما سبق ذكره ، فالجواب أنه يبعد جداً أن يكون سهيل وصفوان وعكرمة انفردوا بذلك عن قومهم مع كراهة قومهم لذلك ، ولعل سبب نسبة ذلك إليهم دون من لم يذكر من قومهم كونهم الداعين لذلك ولو سلم كراهة غيرهم لذلك فلا يكفى ممن ذكره [١] ذلك سكوته بل لابد من إنكاره بالقول والفعل بان ينحاز عمن فعل ذلك ويعلم به الإمام، ولم يرو خبر تقوم به حجة تدل على أن أحداً من أهل مكة أنكر على سهيل وصفوان وعكرمة فعلهم هذا ولا على التزام من كان بمكة من المشركين ترك قتال المسلمين عند فتح مكة ، ولو وقع ذلك لحفظ كما حفظ ما كان يشبه ذلك مما جرى فى عام الحديبية والله أعلم .

وإذا لم يقم دليل على التزام أهل مكة ترك قتال المسلمين يوم فتحها وقام الدليل على فعلهم بخلاف ذلك من جمعهم لقتال المسلمين تعين أن يكون فتح مكة عنوة كما هو ظاهر الأحاديث الصحيحة ، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة السابق : ترون أتباع قريش وأوباشهم. ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى ثم قال حتى توافونى بالصفا ، قال فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل أحداً إلا قتله وما أحد منهم يوجه إلينا شيئا ، قال فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش، لاقريش بعد اليوم، ثم قال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، وقال مسلم فى بعض طرق هذا الحديث حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا بهز حدثنا سليمان بن المغيرة بهذا الإسناد وزاد فى الحديث ثم قال بيديه باحداهما على الأخرى احصدوهم حصداً ، ومن ذلك ما رواه مسلم بسنده إلى عبد الله ابن رباح أنه قال يا أبا هريرة لو حدثتنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى وجعل الزبير على المجنبة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادى فقال : يا أبا هريرة ادع لى بالأنصار فدعوتهم ثم جاءوا يهرولون ، فقال يا معشر الأنصار هل ترون أوباش قريش قالوا نعم قال فانظروا [٢] إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال موعدكم الصفا قال فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه قال وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم قال أبو سفيان يارسول الله من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن وذكر بقية الخبر ، ومن ذلك ما ذكره أبو داود فى سننه على ما رويناه عنه قال حدثنا مسلم بن إبراهيم قال حدثنا سلام بن مسكين قال حدثنا ثابت البنانى عن عبد الله بن رباح الأنصارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال إن النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة سرح الزبير بن العوام وأبا عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد على الخيل وقال يا أبا هريرة اهتف بالأنصار قال اسلكوا هذا الطريق فلا يشرفن لكم أحد إلا أنمتموه فنادى منادٍ: لا قريش بعد اليوم،

---

(١) فى النسخة (ك) (كره) . بدل (ذكره) . وهى التى يستقيم المعنى بها وحينئذ تكون الذال قد زيدت خطأ

(٢) فى الأصل (ك) انظروا . بدل فانظروا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبى سفيان [١] فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ، وعمد صناديد قريش فدخلوا الكعبة فغص بهم وطاف النبى صلى الله عليه وسلم وصلى خلف المقام ثم أخذ بجنبى الباب فخرجوا فبايعوا النبى صلى الله عليه وسلم على الإسلام ويشير إلى بيان موضع الدلالة على أن فتح مكة عنوة من حديث أبى هريرة هذا فمن ذلك قوله فيه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بيديه بإحداهما على الأخرى احصدوهم حصداً كذا فى رواية مسلم عن عبد الله بن هاشم عن بهز عن سليمان بن المغيرة عن ثابت البنانى عن عبد الله بن رباح عن أبى هريرة ومن ذلك قوله فيه قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم : انظروا إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً وأخفى بيديه ووضع يمينه على شماله ، كذا فى رواية مسلم عن الدارمى [٢] عن يحيى بن حسان عن حماد بن سلمة عن ثابت بسنده .

ووجه الدلالة من قول النبى صلى الله عليه وسلم هذا وإشارته بيده أن ذلك متضمن الحث على قتال المشركين بمكة عند إرادته فتحها .

ومن ذلك قوله فيه فما أشرف لهم يومئذ أحد إلا أناموه لأن معنى ذلك ما ظهر لهم أحد إلا قتلوه فوقع إلى الأرض أو يكون المعنى أسكتوه بالقتل كالنائم، يقال نامت الريح إذا سكتت، وضربه حتى سكت أى مات، ونامت الشاة وغيرها ماتت قال الفراء النائمة الميتة وقيل فى معنى أناموه معنى يخالف ما ذكرناه سنذكره فيما بعد مع بيان ما فيه من النظر ، ومن ذلك قول أبى سفيان بن حرب يارسول الله أبيحت خضراء قريش ، لاقريش بعد اليوم ، وفى رواية أبيدت ومعناها كمعنى أبيحت والمعنى فى ذلك أى استؤصلت قريش بالقتل وأفنيت وخضراؤهم بمعنى جماعتهم ، ويعبر عن الجماعة المجتمعة بالسواد والخضرة ومنه السواد الأعظم ، والإبادة على الوجه المشار إليه دليل على أن فتح مكة عنوة لأن فتح مكة [٣] صلحاً ينافى ذلك والله أعلم .

ومن ذلك سؤال أبى سفيان من النبى صلى الله عليه وسلم الأمان لمن دخل دار أبى سفيان ولمن ألقى السلاح [٤] ولمن أغلق بابه وإجابة النبى صلى الله عليه وسلم له إلى ما سأله .

ووجه الدلالة من هذا على أن فتح مكة عنوة أنه لو كان فتحها صلحاً لم يسأل أبو سفيان أماناً مخصوصا مع الاستغناء عنه بالأمان العام الذى هو مقتضى الصلح ، كيف وفى الحديث ما يدل على أن الموجب لسؤال أبى سفيان

---

(١) كذا هنا وفى سنن أبى داود من رواية ابن داسه واللؤلؤى . من دخل دارا . بالتنكير

(٢) الدارمى، هو عبد الله بن عبد الرحمن .

(٣) فى النسخة (ك) فتحها . بدل فتح مكة .

(٤) فى النسخة (ك) سلاحه . بدل السلاح .

الأمان المخصوص هو مارأى من إبادة المسلمين لجماعة قريش بالقتل يوم فتح مكة ولا يفعل المسلمون ذلك بالمشركين إلا حيث لم يكن لهم ذمة أو كانت لهم فنقضوها ، وهذا أظهر لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمّن أهل مكة نحو التأمين الذى سأله فيه أبو سفيان حين سأله فى ذلك العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بمر الظهران تكرمة لأبى سفيان وقد سبق ذكرنا لذلك ، وكان سؤال أبى سفيان للنبى صلى الله عليه وسلم فى الأمان وذكره له حال قريش والنبى صلى الله عليه وسلم على الصفا بعد فتح الله عليه مكة ، لأن فى حديث أبى هريرة قال وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيدت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم قال أبو سفيان يا رسول الله من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ؟ وذكر بقية الخبر وقوله فى الحديث الذى فيه هذا الكلام قبل ذكره فما أشرف لهم يومئذ أحد إلا أناموه ، يرد على من قال أن قوله صلى الله عليه وسلم انظروا إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً أن ذلك كان قبل الفتح بيوم ، ثم حصل الصلح فى غده لما تقدم من أن معنى قوله فما أشرف يومئذ أحد إلا أناموه أى قتلوه ولم يكن ذلك إلا فى يوم فتح مكة .

وقد أشار الامام المازرى إلى الرد بذلك على قائل المقالة المشار إليها، وأيضا فلا يلزم من قوله إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً أن يكون ذلك وقع قبل الفتح بيوم لإمكان أن يكون ذلك وقع فى آخر الليلة التى وقع الفتح فى صبيحتها ، وأيضاً فما ادعاه قائل هذه المقالة من حصول صلح فى يوم فتح مكة قبل حصول القتال فى هذا اليوم لا يقوم عليه دليل والله أعلم .

ونشير إلى ضبط بعض ألفاظ فى حديث أبى هريرة وهى المجنبة والبياذقة، فأما المجنبة فبميم مضمومة وجيم مفتوحة ونون مكسورة ، وأما البياذقة فبباء موحدة ثم ياء مثناة تحتية وألف وذال معجمة وقاف، ووقع فى بعض الطرق الساقة بدل البياذقة ، وقال بعض الرواة الشارفة بشين معجمة وألف وراء مهملة وفاء وفسره بالذين يشرفون على مكة ، قال القاضى عياض وليس هذا بشىء لأنهم أخذوا فى بطن الوادى . والساقة بسين مهملة بعدها ألف وقاف وهم الذين يكونون آخر العسكر على ما قاله القاضى والبياذقة هم الحسر كما فى رواية مسلم عن شيبان عن سليمان بن المغيرة لأن المعنى فيهما واحد لأنهم الرجال الذين لا دروع لهم ، والبياذقة فارسى معرب على ما قيل ، وهم أصحاب ركاب الملك ومن يتصرف فى أموره سموا بذلك لخفتهم وسرعة حركتهم على ما قيل ، والحسر بحاء مهملة مضمومة وسين مشددة مهملة .

ومن الدلائل على أن فتح مكة عنوة ما رويناه عن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال: من هذه ؟ قلت أم هانىء بنت أبى طالب قال :مرحبا بأم هانىء ، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمانى ركعات ملتحفا فى ثوب فلما

انصرف قلت يا رسول الله زعم ابن أمى على بن أبى طالب أنه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، قالت أم هانىء وذلك ضحى ، أخرج هذا الحديث بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه [١] وهو مما اتفق على صحته ووجه الدلالة منه على أن مكة فتحت عنوة وأنه لو كان فتحها صلحا لم يخف ذلك على على بن أبى طالب رضى الله عنه لمكانه من النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما أقدم على قتل من دخل فى الأمان الذى هو مقتضى الصلح فإن ذلك يغنى عن جيرة أم هانئ، ولما سألت أم هانىء النبى صلى الله عليه وسلم إنفاذ جيرتها .

وقد أشار الإمام المازرى إلى نحو ما ذكرناه من الاستدلال بهذا الحديث على أن فتح مكة عنوة ، والرجل الذى أجارته أم هانىء كما فى هذا الحديث قيل إنه ابنها جعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم المخزومى لأن الحافظ أباالقاسم السهيلى لما ذكر أم هانىء بنت أبى طالب قال ولها ابن من هبيرة آخر اسمه يوسف وثالث وهو الأكبر اسمه جعدة ، وقيل [٢] إياه عنت فى حديث مالك زعم ابن أمى على أنه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة انتهى .

ونقل ذلك الحافظ أبو الحجاج المزى فى تهذيبه عن الحافظ بن عبد البر لأنه قال فى ترجمة جعدة ابن هبيرة هذا وقال ابن عبد البر أيضا يقال إنه الذى أجارته أم هانىء يوم الفتح فلان بن هبيرة انتهى .

ولم أر كلام ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب بعد تتبعى لذلك فى ترجمة جعدة بن هبيرة وفى ترجمة امه أم هانىء فى تراجمها الثلاث ولعله ذكر ذلك فى غير الاستيعاب والله أعلم [٣] .

وجاء حديث عنها أنها أجارت رجلين من بنى مخزوم يوم الفتح فتفلت على ليقتلهما ، وهذان الرجلان هما

---

(١) ذكر ذلك الحديث ابن هشام فى كتابه السيرة النبوية جـ ٢ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٢) فى الاصل ، وقيل : ان اباه عنت فأثبتنا الصواب عن ابى القاسم السهيلى فى الروض الأنف ج ٢ ص ٢٧٤ .

(٣) أقول الامر كما قال المؤلف فقد تتبعت ما تتبعه فلم أجد ذلك فى الاستيعاب ، أما نسبة ذلك إلى ابن عبد البر فهو صحيح فقد نقل الزرقانى فى شرح المواهب فقال وقيل ان الثانى أى لذى اجارته ام هانئ ـ جعدة بن هبيرة ـ وفيه أنه كان صغير السن فلا يكون مقاتلا عام الفتح حتى يحتاج إلى الامان ولا يهتم على بقتله وجوز ابن عبد البر أن جعدة بن لهبيرة من غير ام هانئ مع نقله عن اهل النسب انهم لم يذكروا له ولدا من غيرها اه . قلت وحيث لم نجد ما نسب إلى ابن عبد البر فى الاستيعاب فمن اين يكون هذا النقل ياترى ؟ اقول لعله من كتابه : الدرر فى اختصار المغازى والسير . على ان ذلك متعقب بقول ام هانئ نفسها فى الحديث الذى رواه احمد ومسلم وابن اسحاق عنها انها قالت : لما كان يوم الفتح فرَّ إلىَّ رجلان من احمائى من بنى مخزوم الحديث بطوله اه .

الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة المخزوميان ، قاله الخطيب البغدادى وقيل هما الحارث بن هشام وزهير ابن أبى أمية بن المغيرة ذكره ابن أبى اسحق فيما حكاه ابن بشكوال والله أعلم .

ومما يدل لذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فى خطبته بها لما ذكر حرمة مكة وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم تحل لى إلا ساعة من نهار وذكر بقية الحديث وهو مخرج فى الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، قال الخطابى إنما أحل له فى تلك الساعة إراقة الدماء لا دم صيد وغيره مما حرم به بالحرم من قطع شجر وتنفير صيد ، قال المحب الطبرى : ويحتمل العموم فان انتشار العسكر لا يخلو من تنفير صيدودوس خلا وقطعه وغير ذلك والعمد والخطأ فيه سواء ، وقد استدل بهذا من قال إن فتح مكة عنوة انتهى .

ومما يدل على أن مكة فتحت عنوة قوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته بمكة يوم فتحها: يامعشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ قالو اخيرا أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال: اذهبوا فانتم الطلقاء، وهذه الخطبة فى السيرة لابن إسحق تهذيب ابن هشام [1] ، وتظهر الدلالة من ذلك على أن فتح مكة عنوة ببيان معنى قوله عليه الصلاة والسلام أنتم الطلقاء ومعنى ذلك المطلوقون من الاسترقاق أشار إلى ذلك ابن الأثير فى نهاية الغريب له لأن فيها قال فى حديث حنين حين خرج إليها ومعه الطلقاء الذين خلا عنهم يوم الفتح فتح مكة اطلقهم ولم يسترقهم ، وأحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الأسير إذا أطلق سبيله ، الطلقاء [2] من قريش والعتقاء من ثقيف كأنه ميز قريشا بهذا الاسم حيث هو أحسن من العتقاء انتهى .

وإذا كان هذا معنى الطلقاء فخطاب النبى صلى الله عليه وسلم لقريش بهذا الخطاب يقتضى أنهم كانوا حين خوطبوا بذلك فى الأسر المقتضى للاسترقاق لولا أن النبى صلى الله عليه وسلم تفضل عليهم بالإطلاق ولولا ذلك لم يكن لاستعلامه صلى الله عليه وسلم قريشا عن ما يتوقعونه منه محل كما لا محل لخطاب قريش بذلك بعد تأمينهم ، وهذا من أظهر الدلائل على فتح مكة عنوة ويبعد الانفصال عنه بجواب شاف إلا أن يقال إن ذلك مرسل والمرسل لا يحتج به ، ولو سلم ذلك فالدلالة على فتح مكة عنوة ناهضة من غيره من الدلائل التى ذكرناها والله أعلم . .

---

(١) ذكرت هذه الخطبة فى جميع المراجع التاريخية الكبرى وإنما اختص السيرة لابن إسحق تهذيب ابن هشام لأنها من أهم المراجع الموثوق بها فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) الطلقاء هم المطلوقون من ذل الأسر وما يتبعه من نتائج والمعروف أن العرب المشركين إذ أسروا لايسترقون وإنما يطالبون بالإسلام أو السيف لقوله تعالى « تقاتلونهم أويسلمون » ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين « لوكان يجرى على عربى رق لكان اليوم وإنما الإسلام أو السيف » . وهذا هو السر فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: أنتم الطلقاء ولم يقل أنتم العتقاء .

وقد ذكر الأزرقى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم بمكة يوم فتحها بلفظ يقرب من لفظها السابق فى المعنى وزيادة فيها ، ونص ما ذكره الأزرقى فيما رويناه عنه بالسند المتقدم : حدثنى جدى أحمد بن محمد وإبراهيم بن محمد الشافعى قالا أخبرنا مسلم بن خالد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين عن عطاء بن أبى رباح والحسن بن أبى الحسن وطاوس أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة البيت فصلى فيه ركعتين ثم خرج وقد لبط[1] الناس حول الكعبة فأخذ بعضادتى الباب فقال صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ماذا تقولون وماذا تظنون ؟ قالوا : نقول خيرا ونظن خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فاسمح[2] قال فإنى أقول كما قال أخى يوسف « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » انتهى باختصار .

ومما يدل على أن فتح مكة عنوة ما رويناه فى مسند الإمام أحمد بن حنبل لأنه قال حدثنا يحيى عن حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما فتحت مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر فأذن لهم حتى صلى العصر ثم قال كفوا السلاح الحديث بطوله[3] .

وذكره الفاكهى لأنه قال حدثنا حسين بن حسن أن ابن أبى عدى حدثنا حسين المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قال كفوا السلاح إلا خزاعة عن بنى بكر فأذن لهم حتى صلى[4] العصر ثم أمرهم أن يكفوا السلاح حتى إذا كان من الغد لقى رجل من خزاعة رجلا من بنى بكر بالمزدلفة فقتله فلما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم قام فينا خطيبا وظهره إلى الكعبة فقال إن أعتى الناس على الله من عَدَا فى الحرم ومن قتل غير قاتله ومن قتل بذحول[5] الجاهلية انتهى باختصار ، ويحيى شيخ الإمام أحمد ابن حنبل هو يحيى بن سعيد القطان الإمام المشهور أحد الأعلام وحسين شيخه العلم وثقه غير واحد وأخرج له الجماعة وعمر بن شعيب وإن لم يخرج له من الجماعة البخارى ومسلم فقد وثقه يحى بن معين وإسحق بن راهويه

---

(١) لبط بمعنى اجتمع وبمعنى سعى والأول أرجح

(٢) فى النسخة (ك) فاسجح .

(٣) كانت خزاعة حليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قد دخلت فى هذا الحلف عقب صلح الحديبية الذى كان من شروطه أنه من أحب أن يدخل فى حلف محمد من غير قريش دخل فيه . ومن أحب أن يدخل فى حلف قريش دخل فيه ، ولكن قريشاً لم ترع حرمة لهذا العهد وغدرت بخزاعة المحالفة للرسول إذ ناصرت بكراً عليها فأقسم الرسول لينتقمن من قريش وكان فتح مكة .

(٤) أى النبى صلى الله عليه وسلم (٥) كان فى الأصل بدخول، وصوابه بذحول والذحل : الوتر وطلب المكافأة لجناية جنيت عليه والذحل العداوة أيضا .

وصالح حرره وغيرهم من الأمة وقد احتج به غير واحد من الأئمة لأنى وجدت بخط الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام: قال البخارى رأيت أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى وإسحق بن راهويه يحتجون بحديث عمرو بن شعيب قال البخارى من الناس بعدهم ، وقال الشيخ محيى الدين النووى الصحيح المختار الاحتجاج به ، وقال الدارقطنى وغيره قد ثبت سماع شعيب عن جده عبد الله بن عمرو ، انتهى ما وجدته بخط الحافظ الذهبى .

وإذا تقرر ذلك فيكون الحديث المشار إليه صحيح الإسناد ، ووجه دلالته على أن فتح مكة عنوة أنه يقتضى إباحة القتال فيها يوم فتحها غالب هذا اليوم وذلك ينافى أن يكون صلحا أو بأمان والله أعلم .

ومما يدل على أن فتح مكة عنوة ولو لم يقع فيه قتال أن دخول النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه إليها من المسلمين كان على وجه القهر لأهلها لأنهم عدوا دخوله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عنوة على ما ذكره ابن إسحق فى السيرة لأنه ذكر أن قريشا قالوا لبديل بن ورقاء الخزاعى ومن معه من خزاعة حين أبلغوهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً للبيت ، بذلك عنا العرب ، وذكر ابن إسحق أيضا أن عروة بن مسعود الثقفى قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما بعثته إليه قريش بالحديبية إنها قريش خرجت معها العود المطافيل قد لبسوا جلود النمور ويعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا انتهى .

وإذا كان دخول النبى صلى الله عليه وسلم عند أهل مكة مع كونه لم يقصد فيه قتالا وإنما قصد أداء نسك العمرة التى أحرم بها وعورض فى هذا فكيف بدخوله صلى الله عليه وسلم إلى مكة وقت فتحها الله عليه والقصد بدخوله يومئذ إظهار الإسلام بها وإنقاذها من المشركين ومعه من المسلمين فى دخول مكة يوم الفتح أضعاف من كان معه من المسلمين يوم الحديبية لأن عدد أصحاب الحديبية ألف وأربعمائة على ما فى مسلم وغيره ، وقيل ألف وخمسمائة وعشرون ، وقيل ألف وستمائة وقيل ألف وثلاثمائة وعدد المسلمين يوم الفتح عشرة آلاف وقيل اثنا عشر ألفاً والله أعلم.

وقد حاول النووى رحمه الله الجواب عما فى حديث أبى هريرة وحديث أم هانىء من الألفاظ الذى [1] تدل على أن فتح مكة عنوة وفيما حاوله من الجواب نظر يشير إليه بعد ذكر كلامه لأنه قال فى الجواب عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم بحصد المشركين وقتل خالد لهم « وأما قوله صلى الله عليه وسلم احصدوهم ، وقتل خالد من قتل فهو محمول على من أظهر من كفار مكة قتالاً » انتهى .

وتأويل النووى لقوله صلى الله عليه وسلم احصدوهم إما أن يقتضى أن المأمور بحصدهم لإظهار القتال معروفون

---

(١) كذا بالأصل وهو خطأ نحوى والصواب « التى » .

بأسمائهم أو غير معروفين بأسمائهم ، والأول لا يقوم عليه دليل والثانى مسلم ، وهو يقتضى أن المأمور بحصدهم غير محصورين ، فيكون الأمر بالحصد عاماً فى جميع المشار إليهم ، وهو دليل على الفتح عنوة ، لأن الصلح لو وقع منع من ذلك ولا يعارض كون الأمر بحصد المشار إليهم عاما فى جميعهم الأمر الوارد بعدم مبادأة المشار إليهم بالقتال كما هو مقتضى الخبر الذى رويناه فى مغازى موسى بن عقبة وسيرة ابن إسحق ولفظ ابن إسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى امرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة [1] انتهى . لأن المنع فى مبادأة المشار إليهم بالقتال لا يقتضى تخصيص أحد منهم بترك قتاله وإنما عدم مبادأتهم بالقتال رفقا بهم أجمعين رجاء إسلامهم فيكثر بهم عدد المسلمين ويحتمل أن يكون الأمر بعدم مبادأتهم بالقتال كان قبل أن يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم عن قريش أنهم لم يقبلوا تأمينه وجمعوا الأوباش لقتاله كما هو مقتضى حديث أبى هريرة السابق فى فتح مكة ، لأن فيه ووبشت قريش أوباشاً وأتباعاً فقالوا نقدم هؤلاء فان كان لهم شىء كنا معهم فإن أصيبوا أعطينا الذى سئلنا انتهى ، وأنه لما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك عن قريش أمر بحصدهم كما فى حديث أبى هريرة ويتأيد ذلك بأن القتال المأذون فيه فى حديث أبى هريرة أبلغ من القتال المأذون فى الخبر الذى ذكر ابن إسحق ، لقوله فى حديث أبى هريرة احصدوهم حصداً ، وذلك يقتضى الإبلاغ فى القتل وإذا حمل الخبران على ما ذكرناه لم يبق بينهما تعارض والله أعلم .

وقال النووى فى الجواب عن تأمين النبى صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار أبى سفيان ومن ألقى سلاحه وتأمين أم هانىء : وأما أمان من دخل دار أبى سفيان ومن ألقى سلاحه وأمان أم هانىء فكله محمول على زيادة الاحتياط لهم بالأمان ، انتهى .

وهذا الكلام يشعر بأن النبى صلى الله عليه وسلم أمَّن أهل مكة أمانا عاماً ، وخص منهم بالتأمين من دخل دار أبى سفيان ومن ألقى سلاحه ومن أجارته أم هانىء . فان زيادة الاحتياط لهؤلاء بالأمان لا يكون إلا بأن يكون تأمين النبى صلى الله عليه وسلم أمن أهل مكة أمانا عاما وإنما أمن من دخل دار أبى سفيان ودار حكيم ومن دخل المسجد ومن أغلق بابه ومن ألقى سلاحه على ما يتحصل من مجموع الأخبار التى سبق ذكرها ، واستثنى من ذلك جماعة من الرجال والنساء بجرائم اقتضت ذلك .

وقال النووى فى الجواب عن هَمِّ على بن أبى طالب بقتل الرجلين اللذين أجارتهما أم هانىء: وأما همُّ على بن

---

(١) ذكرت تلك الأسماء فى ص ٣٤

أبى طالب بقتل الرجلين اللذين أجارتهما أم هانىء فلعله تأول فيهما شيئا أو جرى منهما قتال أو نحو ذلك انتهى .

وهذا الكلام يقتضى أن عليا أراد قتل الرجلين لتأوله فيهما ما يوجب ذلك أو لأنه جرى منهما قتال ، وغاية ما يتأول على فيهما أنهما مستحقان القتل لفعلهما ما يوجب ذلك من قبل والأصل خلاف ذلك ، ولو سلم فمستحق القتل لا يقتل بغير مؤامرة الإمام والأصل أيضا أنه لم يجر منهما قتال فى يوم فتح مكة ، و إذا دار الأمر بين التأويل لسيدنا على بشىء على خلاف الأصل ، و بين التأويل له بما يوافق الواقع ، فالتأويل له بالموافق أولى وهو كون الفتح عنوة ولا لوم فى القتل فيهما والله أعلم .

وقال النووى فى الجواب عن قوله فى حديث فتح مكة فما أشرف لهم يومئذ أحد إلا أناموه ، ومن قال فتحت صلحا يعنى مكة يقول أناموه أى ألقوه على الأرض من غير قتل إلا من قاتل والله أعلم انتهى ، وفى هذا التأويل نظر من أوجه منها أن القصد بالإلقاء إلى الأرض من غير قتل هو الإرهاب وهو يحصل بدون ذلك مثل الإشارة بالسيف وشبهه فيجتزى بذلك إذا كان الفتح صلحا ، ومنها أن الإلقاء إلى الأرض يبعد وقوعه من غير زيادة عليه فى حق كل من عارض المسلمين يوم فتح مكة بقتال ، وإنما يتأتى ذلك من الراكب للراكب ومن الماشى للراكب ومن الماشى للماشى ، وأما من الراكب للماشى فيبعد تأتيه فى حق كل من عارض إلا أن ينزل الراكب عن فرسه ، وفى وقوع من كل راكب لكل ماش عارض بقتال بُعْدٌ والله أعلم .

ومنها أن ما ذكره أبو سفيان من إشارة [1] قريش واستباحتها يقتضى أن المفعول فيهم يومئذ أعظم من إلقائهم إلى الأرض من غير قتال لأن ذلك لا يعبر عنه بما ذكره أبو سفيان والله أعلم .

وقد ذكر النووى رحمه الله حجة الشافعى على أن مكة فتحت صلحا ، قال : واحتج الشافعى بالأحاديث المشهورة أنه صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخوله مكة انتهى وهذا الصلح المشار إليه لا يخلو من أمرين أحدهما أن يكون المراد به تأمين النبى صلى الله عليه وسلم أهل مكة على الصفة التى سبق ذكرها ، والآخر أن يكون عقد منهم [2] عقد هدنة كما وقع فى عام الحديبية ، فان كان الأول فإطلاق الصلح إنما يكون إذا انضم إليه التزام أهل مكة لموجب التأمين وهو الكف عن قتال المسلمين يوم فتح مكة ولا يقوم دليل على التزام أهل مكة لذلك ويقوم الدليل على خلافه ، لأن فى حديث أبى هريرة السابق فى خبر فتح مكة . ان قريشا جمعوا أوباشا وقالوا نقدم هؤلاء فان كان لهم شىء كنا معهم و إن أصيبوا أعطينا الذى سئلنا انتهى .

والذى سئلوا هو الكف عن القتال فدل ذلك على أنهم لم يلتزموه ولم يرد خبر يشعر بأن أحدا من قريش

---

(١) فى النسخة (ك) إثارة . بدل إشارة . وهى الأصح وبها يستقيم المعنى .

(٢) فى النسخة (ك) عنهم .

أنكر على سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل جمعهم لقتال المسلمين يومئذ ، ولا أن أحداً من قريش تبرأ مِمَّن جمع لذلك وذلك مشعر برضا الجميع بذلك والله أعلم .

وان كان المراد الثانى فهو غير معروف فضلا عن أن يكون فيه أحاديث مشهورة ، ويبعد جداً أن يكون فى ذلك حديث مشهور ويخفى ذلك حتى لا يعرف له محل فى كتب العلماء ، وأيضا فعقد الهدنة إنما يكون بسؤال من اضطر اليها والاضطرار إليها فى الفتح للمشركين لوفور قوة المسلمين يومئذ ولم يسأل المشركون ذلك مشافهة ولا مراسلة ، لأنه لم يحضر عند النبى صلى الله عليه وسلم بمر الظهران مِمَّن كان على الشرك غير أبى سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وكان معهما بديل بن ورقاء الخزاعى ولم يكن حضورهم إليه لأداء رسالة عن قريش وإنما قريش بعثتهم ليتجسسوا لهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره ابن اسحق ، فإنها غيبت عليهم لأن النبى صلى الله عليه وسلم سأل الله عز وجل عند توجهه من المدينة أن تُعمَّى الأخبار عن قريش حتى يبغتها فى دارها ، فاستجاب الله دعوته ولم يشعر بهم أحد من أهل مكة إلا وهم بمر الظهران وكانوا فى وجل من النبى صلى الله عليه وسلم لنقضهم عهد الحديبية ، لأن بعضا قاتل ليلا مع كنانة خزاعة حلفاء النبى صلى الله عليه وسلم ورفد بعضهم كنانة بالسلاح [1] .

وذكر موسى بن عقبة ما يقتضى أن بعض المسلمين أخذوا أبا سفيان ومن معه قهراً وأحضروهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا وأن أبا سفيان وحكيماً سألا النبى صلى الله عليه وسلم الأمان لمن كفر من قريش عن قتاله فأجابهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك والذى حملهم على ذلك الرغبة فيما يصلح لقومهما ، ولم يكن لمن خرج مخرجهما أن يعقد على من وراءه عقد هدنة إلا بعد إعلام من وراءه بما رأى وأن يثق منهم فى ذلك بالرضا ، وقد أنكر بعض العلماء أن يكون أهل مكة عقدوا مع النبى صلى الله عليه وسلم صلحا عند فتحها ، لأنه ذكر أن حال أهل مكة جرى فى أرضها وفى أنفسهم وفى أموالهم مجرى حال أهل الصلح لا أنهم عقدوا معه صلحاً ، إذ لم يأت أثر فى شىء من هذا لمصالحتهم إياه وبالله التوفيق انتهى بلفظه إلا قليلا فبالمعنى ، وهذا فى شرح مسلم للإمام المازرى أو للقاضى عياض على الشك منى لبعد العهد بذلك والله أعلم .

وقد ذكر النووى حجة الشافعى على جواز بيع دور مكة وإجارتها فقال قوله صلى الله عليه وسلم : من دخل

---

(١) كانت هناك ثارات قديمة قبل الإسلام بين بنى رزن وهم من أشراف كنانة وبين قبيلة خزاعة ، ولما كان صلح الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة انضمت خزاعة إلى حلف الرسول وانضم بنو بكر إلى حلف قريش ، وقد ذكر السهيلى أن بنى رزن الكنانيين هم من بنى بكر الذين رفدتهم قريش بالسلاح وناصرتهم على خزاعة « الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٦٣ »

دار أبى سفيان فهو آمن . استدل به الشافعى وموافقوه على أن دور مكة مملوكة يصح بيعها وإجارتها لأن أصل الإضافة إلى الآدميين يقتضى الملك وما سوى ذلك مجاز ، انتهى .

وفى هذا الاستدلال نظر لأنه ليس فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام : من دخل دار أبى سفيان ، إشعار بإضافة غيرها من دور مكة لأهلها من مسلمة الفتح حتى تكون دورهم مملوكة لهم كملك أبى سفيان ، وإذا كان كذلك لم ينهض من قوله عليه الصلاة والسلام من دخل دار أبى سفيان دلالة على ملك غير أبى سفيان من مسلمة الفتح لدورهم بمكة ، لكون ذلك لا يدل لملك غيره ، وهذا يخالف رأى من استدل به على أن دور مكة مملوكة لأهلها ويبعد أن يقاس على دار أبى سفيان غيرها من دور مكة التى كانت لغيره من مسلمة الفتح ، لأن ملك أبى سفيان لداره لا ينبغى أن يختلف فيه لكونه أسلم قبل أن يدخل النبى صلى الله عليه إلى مكة بمر الظهران وبإسلامه أحرز نفسه وماله ، ومثله فى ذلك حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعى ، لأنهما أسلما معه بمر الظهران على خلاف فى بديل ، فانه قيل أسلم قبل الفتح، وغيره من مسلمة الفتح فى ملكهم لدورهم بمكة خلاف بين أهل العلم شبيه الخلاف فى فتح مكة هل هو عنوة أو صلح، وفى كونه صلحا نظر سبق بيانه ، وأقرب ما يستدل به على ملك دور مكة كون النبى صلى الله عليه وسلم مَنَّ بها على أهلها فلم يقسمها والله أعلم .

ورأيت فى شرح مسلم المشار إليه ذكر السبب الذى لأجله قيل إن مكة فتحت صلحا لأن فيه : وإنما شبه على القوم لأجل أنه صلى الله عليه وسلم لم يستبح أموالها ولا قسمها بين الغانمين ، فلما رأى الشافعى هذا وخروجه عن الأصل اعتقد أنه صلح وهذا لا تعلق له فيه ، لأن الغنيمة لا يملكها الغانمون بنفس القتال على قول كثير من أصحابنا ، وللامام أن يخرجها عن الغانمين ويمن على الأسرى بأنفسهم وحريمهم وأموالهم ، وكأنه صلى الله عليه وسلم رأى من المصلحة بعد الفتح والاستيلاء عليهم أن يبقيهم لحرمة العشيرة وحرمة البلد وما رجى من إسلامهم وتكثير عدد المسلمين بهم فلا يرد ما قدمناه من الأدلة الواضحة بمثل هذا المحتمل ، ومن شرح مسلم المشار إليه وقال بعض أصحاب الشافعى بقوله إن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة صلحا أى فعل فيها فعله فى من صالحه فملكه نفسه وماله وأرضه لأنه لم يدخلها إلا بعد أن أمن أهلها كلهم ، وهذا من قول أصحابه اعتذار من قوله الذى انفرد به وميل إلى قول الجماعه من افتتاحها عنوة وإنما من عليهم وعفا عنهم وملكهم أموالهم انتهى .

وقد رأيت ما يدل على أن الإمام الشافعى تفرد بقوله : إن مكة فتحت صلحا لأنى رأيت فى نسخة من المهذب للشيخ أبى إسحق الشيرازى بخط سليمان بن خليل حاشية أولها : ومذهب الشافعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة صلحا بأمان قومه لهم قبل دخوله ، وروى ذلك عن أبى بن عبد الرحمن بن مجاهد [1] وذكر بقية

---

(١) فى النسخة (ك) ومجاهد . بدل ابن مجاهد .

الحاشية وفوقها مكتوب بخط ابن خليل أيضا صورته من الشامل انتهى وأظن أن الشامل للشيخ أبى نصر الصباغ [1] الشافعى ، وقد بيض ابن خليل بين أبى و بين ابن عبد الرحمن وما عرفت من المشار إليه بذلك هل هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أو غيره ؟ والله أعلم .

وقد طال الكلام فيما يتعلق بتحقيق فتح مكة ولكن يحصل بذلك من الفوائد مالا يوجد مجتمعا فى غير هذا المحل ، وظهر بذلك رجحان كونها فتحت عنوة والله أعلم .

(١) فى النسخة (ك) ابن الصباغ .

الباب الثانى

فى أسماء مكة المشرفة

لمكة المشرفة أسماء كثيرة وقد عنى الناس بجمعها ولم أر لأحد فى ذلك مثل مارأيت لشيخنا العلامة اللغوى قاضى اليمن مجد الدين الشيرازى ولكنه أغرب فيما ذكره ، وفاته مع ذلك أسماء أخرى ، أنبأنى شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى أحسن الله إليه قال فى كتابه تحبير الموشين فى التعبير بالسين والشين فى باب النون الناسّة والناشة من أسماء مكة شرفها الله وعظمها فيما ذكره كراع [1] النمل فى المنتخب من تأليفه وهو من جهابذة اللغويين ، ثم قال بعد شرح معنى هذين الاسمين : ومن أسماء مكة شرفها الله تعالى وعظمها: العروض والسيل مثال خيل ونيل ومخرج صدق والبنية وهذه عن ياقوت والمعاد وأم رحم بالراء المهملة وأم راحم وأم زحم وهذه بالزاى وأم صبح وأم القرى والبلد والبلدة والبلد الأمين والبلد الحرام والرتاج والناسة والناشة وحرم الله تعالى و بلد الله تعالى وفادان وهذه عن ياقوت الحموى والباسّة والناسة [2] والبساسة وطيبة والقادس والمقدسة وقرية النمل ونقرة الغراب وقرية الحمس ، وصلاح كقطام منونة والحاطمة و كوثى وسبوحة والسلام والعذراء ونادرة والوادى والحرم والنجز والقرية و بكة ومكة والعَرْش والعُرْش والعُرُش والعريش والعروش والحرمة بالضم و بالكسر، وهذه النسبة عن ابن عديس ذكره فى كتابه الباهر .قال شيخنا القاضى مجد الدين وقد ذكرت فى شرح صحيح الإمام البخارى رحمه الله ما يتعلق باشتقاق كل اسم منها مقرونة بشواهد وفوائد فلينظر إن شاء الله تعالى . قال قرية النمل ونقرة الغراب علامتان لموضع زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها وعدها بعضهم اسمين لزمزم مجازاً فان كان شيخنا القاضى مجد الدين لحظ كونهما اسمين لزمزم وسمى بهما مكة من باب تسمية الكل باسم البعض وهو مجاز شائع فيصح على هذا أن يذكر فى أسماء مكة الصفا والمروة والحزورة وغير ذلك من المواضع المشهورة بمكة وقوله وقرية الحمس ان كان لحظ فى تسمية مكة بذلك أن الحمس كانوا سكان مكة قبل [3] فيصح على هذا أن يذكر فى أسماء مكة قرية العالقة وقرية جرهم لكونهما [4]

---

(١) فى النسخة (ك) كواع .

(٢) فى النسخة (ع) النساسة

(٣) فى النسخة (ك) لا توجد كلمة (قبل) .

(٤) فى النسخة (ك) « لكونهم » بدل « لكونهما » وكلاهما صحيح .

كانوا سكان مكة قبل الحمس اللهم إلا أن يقال [1] إن تسمية مكة بقرية النمل ونقرة الغراب وقرية الحمس منقولٌ عن أهل اللغة فلا يقاس عليه غيره والله أعلم .

ومن أسماء مكة التى لم يذكرها شيخنا القاضى مجد الدين : بره ، ومنها بساق ومنها البيت العتيق ، ومنها الرأس ، ومنها القادسية ، ومنها المسجد الحرام ، ومنها المعطشة ، ومنها المكتان ، ومنها النابية ، ومنها أم روح ، ومنها أم الرحمن ، ومنها أم كونى ، وسنذكر من ذكر هذه الأسماء من العلماء .

ذكر معانى بعض أسماء مكة وعزو بعضها لأهل العلم

اختلف فى مكة بالميم و بكة بالباء هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين ؟ والأول قول الضحاك فيما حكاه المحب الطبرى وقول مجاهد فيما حكاه عنه الماوردى ، واحتج ابن قتيبة لتصحيحه بأن الباء تبدل من الميم كضرب لازم ولازب ، واختلف القائلون بالثانى فقيل بكة بالباء موضع البيت ومكة بالميم القرية وهذا يروى عن ابراهيم النخعى ، وقيل بكة بالباء موضع البيت ومكة بالميم الحرم كله وهذا يروى عن يحيى بن أبى أنيسة ، وقيل بكة بالباء ما بين الجبلين ومكة بالميم الحرم كله ، وقيل بكة بالباء الكعبة والمسجد الحرام ومكة بالميم ذوطوى وهذا يروى عن زيد بن أسلم ، وقيل بكة بالباء البيت وما حواليه مكة بالميم وهذا يروى عن مجاهد ، وهذه الأقوال رويناها فى تاريخ الأزرقى ولم يبين فيه قائل القول الثالث من هذه الأقوال والله أعلم بالصواب [2] .

واختلف فى معنى تسميتها مكة بالميم فقيل لأنها تمك الجبارين أى تذهب نخوتهم وقيل لأنها تمك الفاجر عنها أى تخرجه ، وقيل كأنها تجهد أهلها من قولهم تمككت العظم إذا أخرجت مخه ، وقيل لأنها تجذب الناس إليها من قولهم امتكّ الفصيل ما فى ضرع أمه إذا لم يبق فيه شيئا ، وقيل لقلة مائها ، واختلف فى معنى تسميتها بكة بالباء فقيل لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها أى تدقها والبك الدق ، وقيل لازدحام الناس بها قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، وقيل لأنها تضع من نخوة المتكبرين قاله الترمذى وهذان الاسمان لمكة مأخوذان من القرآن العظيم وأخذ لها منه عدة أسماء منها أم القرى قاله الضحاك فى تفسير قوله تعالى لتنذر أم القرى ، واختلف فى سبب تسميتها بذلك فقيل لأن الأرض دحيت من تحتها قاله ابن العباس ، وقيل لأنها أعظم القرى شأنا ، وقيل لأن فيها بيت الله ، ولما جرت العادة بأن الملك و بلده مقدمان على جميع الأماكن سمى أماً لأن الأم متقدمة ، وقيل لأنها

---

(١) فى النسخة (ك) « يكون » بدل « يقال إن » .

(٢) يظهر من سياق الآية الكريمة فى قوله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » رجحان الرأى الأول وهو أن بكة اسم من أسماء مكة ، وأن الباء أبدلت من الميم ، وقد جرى على ذلك المفسرون .

قبلة تؤمها جميع الأمة ، ومنها القرية قاله مجاهد فى تفسير قوله تعالى « وضَرَبَ اللهُ مثلاً قرْيةً كانت آمنةً مطمئنةً يأْتيها رِزقُها رَغداً منْ كلِّ مكانٍ » والقرية اسم لما تجمع جماعة كثيرة من الناس من قولهم قريت الماء فى الحوض إذا جمعته فيه ويقال للحوض مقراة ، ومنها البلد قال الله تعالى « لا أُقسمُ بهذا البلدِ » قال ابن عباس هى مكة ، وقال بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال هى مكة ذكر ذلك عنه الفاكهى ونقل عن ابن [(١)] أنه قال . فى تفسير هذه الآية إنها مكة انتهى . والبلد فى اللغة الصدر [(٢)] أى صدر القرى ، ومنها البلد الأمين قال الله تعالى « وهذا البلدِ الأمين » قال الفاكهى فيما رواه بسنده إلى ابن عباس فى قوله تعالى « وهذا البلدِ الأمين » قال يعنى مكة وروى ذلك بسنده عن زيد بن أسلم .

ومنها البلدة قال الله تعالى « إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعبدَ رَبَّ هذهِ البلدةِ » قال الواحدى فى الوسيط هى مكة وقاله ابن برجان فى تفسيره ، وقال ياقوت فى معجم البلدان « باب » البلدة ثلاثة مواضع ، الأول فى قوله تعالى « بَلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفورٌ » أراد بها مكة انتهى .

وذكر الفاكهى ما يخالف ذلك لأنه قال حدثنا أبو يحيى بن [(٣)] ميسرة قال حدثنا خالد بن يحيى [(٤)] قال حدثنا سفيان قال إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة قال هى منى قال أبو يحيى وكذلك العرب تسميها البلدة إلى اليوم انتهى والله أعلم .

ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى « إنَّ الذى فَرَضَ عليكَ القرآن لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ » كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس لأنه قال حدثنا محمد بن مقاتل قال أخبرنا يعلى قال حدثنا سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما لرادك إلى معاد قال إلى مكة انتهى فهذه ثمانية أسماء لمكة مأخوذة من القرآن العظيم ، ولم يذكر المحب الطبرى من أسمائها المأخوذة من القرآن إلا خمسة لأنه قال سمى الله تعالى مكة بخمسة أسماء ، بكة ومكة والبلد والقرية وأم القرى انتهى .

وأما تسمية مكة الباسَّة بالباء الموحدة والسين المهملة فقاله مجاهد لأنها تبس من ألحد فيها أى تهلكه أى تحطه ، من قوله تعالى « وبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا » ذكره ابن جماعة .

---

(١) بياض بالأصل ، وقد ذكر ابن جرير فى تفسيره أن ممن فسر هذه الآية بأنها مكة مجاهد وعطاء وقتادة وأبو زيد اه .

(٢) فى النسخة (ك) والبلد فى اللغة صدر القرى بدل ، والبلد فى اللغة الصدر أى صدر القرى .

(٣) فى النسخة (ك) ابن أبى ميسرة بدل ابن ميسرة .

(٤) فى النسخة (ك) خلاد بدل خالد .

وأما تسميتها الناسَّة بالنون والسين المهملة فذكره الماوردى قال ومعناه أى تنس من ألحد فيها أى تطرده وتنفيه وحكاه صاحب المطالع والنووى وذكره ابن جماعة قال والنَّاسة قيل لأنها تنس الملحد أى تطرده وقيل لقلة مائها والنس اليبس .

وأما تسميتها النساسة بالنون وتشديد السين الأولى فهو مقتضى كلام المطالع والمعنى فى ذلك والله أعلم كالمعنى فى الناسة بالنون .

وأما تسميتها الحاطمة فذكره الأزرقى عن ابراهيم [1] بن أبى يحيى وصاحب المطالع وابن خليل والنووى وقال لحطمها الملحدين .

وأما تسميتها صلاح بصاد مهملة مفتوحة وحاء مهملة فحكاه مصعب بن الزبير [2] وقال سميت بذلك لأمنها وأنشد له قول أبى سفيان بن حرب بن أمية لابن الحضرمى .

أبا مطر هلم إلى صلاح فيكفيك الندامى من قريش
وتنزل بلدة عزت قديماً وتأمن أن يزورك رب جيش

وصلاح مبنى على الكسر كحذام وقطام ونظائرهما وقد يصرف ، واستدل على صرفه بقول أبى سفيان السابق .

وأما تسميتها العرش بعين مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة فذكره كراع فيما حكاه عنه ابن جماعة وأشار إلى ذلك صاحب المطالع .

وأما تسميتها العريش بزيادة ياء مثناة من تحت فذكره ابن سيده فيما حكاه عنه ابن جماعة .

وأما تسميتها القادس فذكره صاحب المطالع قال والقادس من التقديس لأنها تطهر من الذنوب .

وأما تسميتها المقدسة فذكره صاحب المطالع والنووى والمعنى فيه كالذى قبله .

وأما تسميتها كوثى فذكره الأزرقى عن مجاهد والسهيلى ولم يعزه ، وصاحب المطالع إلا أنه قال باسم بقعة منها منزل بنى عبد الدار انتهى ، وأفاد الفاكهى أن كوثى فى ناحية قعيقعان قال وقيل كوثى جبل بمنى انتهى وكوثى بكاف مضمومة وثاء مثلثة .

وأما تسميتها الحرم بحاء وراء مهملتين فذكره سليمان بن خليل فى منسكه .

---

(١) فى النسخة (ك) ابن يحيى بدل ابن أبى يحيى

(٢) فى النسخة (ك) مصعب الزبيرى بدل مصعب بن الزبير ، وهو خطأ لأنه معروف بابن الزبير .

وأما تسميتها رتاج براء مهملة وتاء مثناة من فوق وألف وجيم فذكره المحب الطبرى فى شرح التنبيه فيما نقله عنه ابن جماعة .

وأما تسميتها أم رحم براء مهملة مضمومة فذكره مجاهد فيما حكاه عنه الماوردى لأن الناس يتراحمون فيها ويتوازعون .

وأما تسميتها أم زحم بزاى معجمة من الازدحام فذكره الرشاطى[1] .

وأما تسميتها أم صبح فذكره ابن الأثير فى كتابه المرصع على ما وجدت بخط قاضى طرابلس شمس الدين محمد بن أحمد النويرى .

وأما تسميتها بساق فذكره ابن رشيق فى العمدة[2] فى تفسير قول أمية بن حُرثان .

سأستعدى[3] على الفاروق ربًّا له عَمَد الحجيجُ إلى بساق

ثم قال ابن رشيق وقد قيل إن بساق بلد بالحجاز انتهى و بساق بباء موحدة وسين مهملة وألف وقاف .

وأما تسميتها برة فذكره سليمان بن خليل فى منسكه ولم يعزه ولم يذكر له معنى .

وأما تسميتها البيت العتيق فذكره الأزرقى عن ابراهيم بن أبى يحيى وصاحب المطالع وابن خليل ولعل ذلك من تسمية الكل باسم البعض وهو مجاز شائع لكن يرد على ذلك تسمية مكة بأسماء الكعبة كلها إذا لحظ[4] هذا المعنى .

وأما تسميتها الراس فذكره الإمام السهيلى وصاحب المطالع والنووى وقال لأنها أشرف الأرض كرأس الانسان .

---

(١) كان فى الأصل الشاطى وهو الرشاطى فأثبتناه فى الأصل على الصواب والرشاطى هو صاحب كتاب الأنساب واسمه : عبد الله بن على بن عبد الله بن على بن أحمد الحافظ النسابه أبو محمد اللخمى المزنى المعروف بالرشاطى ألف كتابه الحاوى المسمى (باقتباس الأنوار والتماس الأزهار فى التماس أنساب رواة الآثار) استشهد عند دخول العدو المريه فى جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وخمسمائة وكان مولده فى سنة ست وأربع مائة وقيل فى سنة خمس والأول أصح قاله الذهبى فى تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٩٩.

(٢) ج ١ ص ٣١ وذكره أيضا ياقوت فى معجم البلدان فقال : بساق بالضم وآخره قاف ويقال بصاق بالصاد جبل بعرفات وقيل واد بين المدينة والجار وذكر الأبيات التى أنشدها أمية بن حرثان بن الأسكر عند عمر بن الخطاب بشأن ابنه كلاب وذكر ياقوت قصته وهى قصة فيها عبرة . وقال بساق أيضا عقبة بين التيه وأيلة

(٣) فى النسخة (ك) سأسادى بدل سأستعدى وهو خطأ لا يستقيم به المعنى

(٤) فى النسخة (ك) لفظ بدل لحظ وهو تحريف بلا شك لأن المعنى لا يستقيم به .

وأما تسميتها القادسية فذكره ابن جماعة ولم يعزه .

وأما تسميتها المسجد الحرام فذكره ابن خليل فى منسكه وفى القرآن العظيم ما يشهد له ، وحكاه عبد الله ابن عبد الملك بن الشيخ أبى محمد المرجانى عن ابن مسدى .

وأما تسميتها المعطشة فذكره ابن خليل ولم يعزه ولم يذكر له معنى .

وأما تسميتها المكتان فذكره شيخنا بالاجازة أديب الديار المصريه برهان الدين القيراطى فى ديوان شعره البديع ولعله أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل الاسدى .

ببطن المكتين على رجائى حديثك أن أرى منه خروجا

وللسهيلى على ذلك كلام حسن لأنه قال بعد أن ذكر هذا البيت ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر ثم قال وإنما مقصد العرب فى هذه الاشارة إلى جانبى كل بلدة أو الإشارة إلى أعلى البلد وأسفلها فيجعلونها اثنتين على هذا المعنى انتهى وقال السهيلى فى موضع آخر بعد أن ذكر شيئاً من حال عبدالله بن سعد بن أبى سرح القرشى العامرى وهو الذى يقول فى حصار عثمان بن عفان رضى الله عنه :

أرى الأمرَ لا يزداد إلا تفاقماً وأنصارنا بالمكتين قليل
وأسلمنا أهل المدينة والهوى إلى أهل مصر والذليل ذليل[1]

وأما تسميتها النابية فذكره الشيخ عماد الدين بن كثير فى تفسيره على ما وجدت بخط بعض أصحابنا فى حاشية كتاب تحبير الموشين لشيخنا مجد الدين قاضى القضاة عند كلامه على أسماء مكة ونص الحاشية : « وذكر ابن كثير فى تفسيره ان من أسماء مكة النابية بالنون والباء [2] » .

وأما تسميتها أم روح فقد قاله ابن الأثير فى كتابه المرصع على ما وجدت بخط شمس الدين النويرى المقدم ذكره .

وأما تسميتها أم الرحمن فذكره عبد الله بن عبد الملك [3] المرجانى وعزاه لابن العربى .

وأما تسميتها أم كوثى فذكره ابن المرجانى ولم يعزه ولم يذكر له معنى ، وقد بان لما ذكرناه فى هذا التفصيل

---

(١) الروض الأنف ج ٢ ص ٢٧٤ ط الجمالية بمصر.

(٢) راجعنا تفسير العماد بن كثير فلم نجد ما نقله عنه هنا ولعل الناقل وهم فى نقله حيث قال ابن كثير لما ذكر أسماء مكة فأبلغها إلى إحدى وعشرين اسما قال والناسه بالنون وبالباء أيضا ثم قال والناسه فظن الناقل ان التى بالباء النابية وصوابه الباسه والثالثة النساسه حيث ذكر قبلها الناسة والله أعلم .

(٣) فى النسخة (ك) عبد الله بن المرجانى بدل عبد الله بن عبد الملك المرجانى.

معرفة من ذكر الاثنى عشر اسما التى ذكرناها فى أسماء مكة ولم يذكرها شيخنا القاضى مجد الدين مع معنى بعضها، وبان به أيضا معرفة من ذكر بعض أسماء مكة التى ذكرها شيخنا القاضى مجد الدين مع بعض معانيها أيضا وبعض الأسماء الغريبة التى لم أرها لغيره [١] إلا فى كلام المعنى فيه واضح وهى أم راحم وأم الرحم فان ذلك فى معنى أم رحم بالراء المهملة والبلد الحرام لحرمة مكة وبلد الله لاختياره لها على غيرها وطيبة لطيبها وذكر هذا الاسم فى أسماء مكة الحافظ علاء الدين مغلطاى فى سيرته وصلاح منونة لأنها من معنى صلاح بلا تنوين، والسلام من هذا المعنى .

والوادى من قول عمر بن الخطاب لنافع بن عبد الحارث الخزاعى عامله على مكة لما لقيه بعسفان حين استخلف على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزى : من استخلفت على أهل الوادى ؟

ولم يذكر النووى من أسماء مكة إلا ستة عشر اسما قال ولا يعرف فى البلاد بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أشرف الأرض انتهى باختصار .

قال عبد الله المرجانى فى تاريخه للمدينة المسمى (بهجة الأسرار فى تاريخ دار هجرة النبى المختار) [٢] بعد ذكره لأسماء مكة .

ومن الخواص قيل : إذا كتبت بالدم [٣] على الجبين « مكة وسط الدنيا والله رءوف بالعباد » انقطع الدم انتهى .

(١) فى النسخة (ك) لم أرها إلا فى كلامه ، بدل لم أرها لغيره إلا فى كلام .
(٢) لم توجد هذه الجملة فى النسخة (ك).
(٣) فى الجامع اللطيف لابن ظهيرة إذا كتب بدم المرعوف الخ .

الباب الثالث

فى ذكر حرم مكة وسبب تحريمه وتحديده وعلاماته وحدوده

وما يتعلق بذلك من ضبط ألفاظ فى حدوده ومعنى بعض أسمائها

ذكر الحرم وسبب تحريمه

أما حرم مكة فهو ما أحاط بها وأطاف بها من جوانبها ، جعل الله حكمه حكمها فى الحرمة تشريفا لها ، أشار إلى ذلك الماوردى وابن خليل والنووى ، واختلف فى سبب تحريمه ، فقيل : إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خاف على نفسه من الشيطان ، فاستعاذ بالله منه ، فأرسل الله له ملائكة حفوا بمكة من كل جانب ، ووقفوا فى موضع أنصاب الحرم يحرسون آدم ، فصار ما بينه و بين موقف الملائكة حرما .

وقيل : لأن الخليل عليه السلام لما وضع الحجر الأسود فى الكعبة حين بناها أضاء الحجر يمينا وشمالا وشرقا وغربا فحرم الله الحرم من حيث انتهى نور الحجر الأسود .

وقيل لأنه الله سبحانه وتعالى حين قال للسموات والأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم ، ولذلك حرمها .

ذكر هذا القول السهيلى ، وذكر الأزرقى فى ما يشهد للقولين الأولين ، وقيل غير ذلك .

ذكر علامات الحرم

للحرم علامات بينة وهى أنصاب مبنية فى جميع جوانبه خلاحده [1] من جهة جدة [2] وجهة الجعرانة [3] فانه ليس فيها [4] أنصاب [5] .

---

(١) حدّه ويقال حداء : قرية بها مزارع ونخل . وقد تكون بالحديبية التى بايع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه فيها تحت الشجرة وهى قريبة من مكة وكل من سار من مكة الى جدة أو من جدة الى مكة يراها لأنها واقعة على الطريق

(٢) جدة هى الثغر الحجازى المشهور على حافة البحر الأحمر . وهو أكبر ثغور الحجاز وأشهرها وأقربها الى مكة . بها ينزل الحجاج الوافدين من جهات الدنيا بحراً وجوا اذ بها مطار كبير . وتقف بها أعظم البواخر التجارية وحاملات الحجاج وحاملات البترول . وتجارتها واسعة وأهلها من أنشط الناس فى التجارة والعمل

(٣) الجعرانة واد فى شرقى مكة وبه بئر عذبة الماء . وأهل مكة يذهبون اليها للنزهة لطيب هوائها وعذوبة مائها ومنهم من يعتمر فى رمضان منها . وقد يذهب المكيون جماعات لتناول طعام الافطار بها ثم يصلون المغرب والعشاء ويعودون الى مكة محرمين بالعمرة .

(٤) فى النسخة (ك) فيهما بدل فيها .

(٥) توجد الآن أنصاب مبنية فى مدخل الجعرانة .

وأول من نصب ذلك الخليل عليه السلام بدلالة جبريل له ثم قصى بن كلاب وقيل نصبها اسماعيل عليه السلام بعد أبيه الخليل ثم قصى وهذا يروى عن ابن عباس ذكره عنه الفاكهى وغيره وقيل إن عدنان بن أد أول من وضع أنصاب الحرم حين خاف أن يدرس الحرم ، ذكره الزبير بن بكار ونصبتها قريش بعد أن نزعوها والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل هجرته ونصبها النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان ابن عفان ثم معاوية ثم عبد الملك بن مروان ثم المهدى العباسى ، ثم أمر الراضى العباسى بعمارة العلمين الكبيرين اللذين بالتنعيم فى سنة خمس وعشرين [١] وثلاثمائة واسمه عليها مكتوب ثم أمر المظفر صاحب إربل بعمارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة فى سنة ست وعشرين وستمائة ثم الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، ولم يذكر الأزرقى القول بتنصيب اسمعيل عليه السلام لأنصاب الحرم ولا نصب عدنان ولا نصب المهدى لها ولا تاريخ السنة التى أمر فيها عمر بذلك وكان أمر عمر عثمان بنصب ذلك فى سنة سبع عشرة من الهجرة وأمر عثمان بذلك فى سنة ست وعشرين على ما ذكره ابن الأثير فيهما .

وقال الأزرقى ما رويناه بالسند المتقدم : أنصاب الحرم على رأس الثنية ما كان فى [٢] وجهها من هذا الشق فهو حرم وما كان فى ظهرها فهو حل

وذكر الأزرقى علامة أخرى لأنه قال رويناه عنه بالسند المتقدم وكل واد فى الحرم فهو يسيل فى الحل ولا يسيل وادى الحل فى الحرم إلا فى موضع وادى [٣] التنعيم عند بيوت نفار انتهى. ذكر ذلك الأزرقى فى آخر الترجمة التى ترجم عليها بقوله ذكر الحرم وكيف حرم .

وذكر الفاكهى ما يقتضى أن سيل الحل [٤] يدخل إلى الحرم من عدة مواضع ، لأنه قال ذكر ما يسكب من أودية الحل فى الحرم ، وبين هذه المواضع وذكرنا ذلك فى أصل هذا الكتاب .

ذكر حدود الحرم وضبط ألفاظ فيها

ذكر الأزرقى رحمه الله حدود الحرم من جهاته الست ، وذكرها غيره إلا أنه خالف الأزرقى فى مقدار بعضها وأخلّ بذكر بعضها ، وقد تلخص لى مما رأيته للناس فى حدود الحرم أن جميع حدوده مختلف فيها على ما سنبينه .

فأما حده من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن نمرة [٥] ففيه أربعة أقوال : نحو ثمانية عشر ميلا على

---

(١) فى النسخة (ك) عشرة بدل وعشرين وهو خطأ إذ أن الخليفة الراضى العباسى تولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ

(٢) فى النسخة (ك) من بدل فى .

(٣) يقع وادى التنعيم فى الشمال الغربى لمكة . وقد كاد عمران مكة يصل اليه .

(٤) الحل مكان خارج هذه الأنصاب من جميع الجهات .

(٥) نمرة هو موضع به المسجد الأثرى الكبير المقام فى وادى عُرَنة على حدود عرفات . وقد اختلف فيه فبعضهم يقول انه من عرنة وبعضهم يقول من عرفة .

ما ذكره القاضى أبو الوليد الباجى ، وأحد عشر ميلا على ما ذكره الأزرقى والفاكهى وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه الخراسانى فى كتاب المسالك والممالك والمحب الطبرى نقلا عن الأزرقى وسليمان بن خليل إلا أنه ذكره بصيغة التمريض ، وتسعة أميال بتقديم التاء على ما ذكره شيخ المذهب أبو محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى فى كتاب النوادر وسليمان بن خليل وصدر به كلامه والمحب الطبرى بعد أن حكى ما ذكره الأزرقى ، وسبعة أميال بتقديم السين على الباء على ما ذكره الماوردى فى كتاب الاحكام السلطانية له ، والشيخ أبو اسحاق الشيرازى فى مهذبه والنووى فى إيضاحه وتهذيب الأسماء واللغات له ، وفى ما قالوه نظر قوى يقتضى بُعد استقامة قولهم على ما سيأتى بيانه ، وذكر النووى فى التهذيب أن الأزرقى انفرد بما قاله فى حد الحرم من طريق الطائف وقال إن الجمهور قالوا ستة انتهى بالمعنى ، ولم ينفرد الأزرقى بقوله بموافقة ابن خرداذبه له على قوله ، بل لا يعرف له فيما قاله مخالف قبله ولا معاصر له ولا بعده غير الماوردى وصاحب المهذب ، ولو خالف [1] الأزرقى غيرهما لنقل ذلك كما نقلت مخالفتهما للأزرقى ، وقد تبعهما على ذلك النووى وغيره من المتأخرين ولم يذكر ذلك سليمان بن خليل ، ولا المحب الطبرى ، وذلك مشعر بعدم رضاهما لهذا القول لأنهما ذكرا فى حدود الحرم ما قاله ابن أبى زيد وغيره ، وكان ذكرهما لذلك أولى ، لكون قائله من الشافعية ، ولا يقال لعل ذلك خفى عليهما . فان ذلك مشتهر جدًّا والله أعلم .

وأما حده من جهة العراق ففيه أربعة أقوال ، أحدها سبعة أميال بتقديم السين على ما ذكره الأزرقى ، وثمانية أميال على ما ذكره بن أبى زيد المالكى فى النوادر ، وعشرة أميال على ما ذكره سليمان بن خليل ، وستة أميال على ما ذكره أبو القاسم بن خرداذبه ، وذكر الأزرقى أن الحد فى هذه الجهة على بنية خل بالمقطع ، فأما خل فبخاء معجمة مفتوحة ، وأما المقطع فبضم الميم وفتح الطاء المشددة على ما وجدت بخط سليمان بن خليل فيهما ، ووجدت بخط المحب الطبرى فى القرى على الخاء من خل نقطة من فوق وعلى اللام شدة ، ووجدت بخطه ضبط المقطع بفتح الميم وإسكان القاف ، ووجدت فى غير [2] موضع من تاريخ الأزرقى على الخاء من خل نقطة من فوقها ، ورأيت فى الايضاح للنووى وتهذيب الأسماء واللغات له عوض خل جبل بجيم وباء موحدة ولا يبعد أن يكون ذلك تصحيفا والله أعلم ، وذكر الأزرقى أن سبب تسمية اسم المقطع بذلك أنهم قطعوا منه أحجار الكعبة فى زمن ابن الزبير ، وقيل لأنهم كانوا فى الجاهلية إذا خرجوا من الحرم علقوا فى رقاب إبلهم من قشور شجر الحرم ،

---

(١) فى النسخة (ك) يخلف بدل خالف وهو خطأ لا يستقيم به المعنى .

(٢) فى النسخة (ك) بإسقاط (غير) .

وإن كان رحل علق فى رقبته فأمنوا حيث توجهوا ويقال : هؤلاء وفد الله تعظيما للحرم ، فاذا رجعوا فدخلوا الحرم قطعوا ذلك فسمى المقطع .

وأما حده من جهة الجعرانة ففيه قولان : تسعة أميال بتقديم التاء كما ذكره الأزرقى ويزيد ، واثنا عشر ميلا على ما ذكره ابن خليل وحكايته لهذا القول بصيغة التمريض بعد ذكره للقول السابق ، والجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وتخفيف الراء على ما هو الصواب فى ضبطها وسيأتى لذلك مزيد بيان ، وذكر الأزرقى أن حد الحرم من جهة الجعرانه فى شعب آل عبد الله بن خالد بن أسيد انتهى ، وعبد الله بن خالد بن أسيد المنسوب إليه هذا الشعب هو فيما أحسب ابن أخى عتاب بن أسيد بن أبى العاص الأموى القرشى أمير مكة لأنه كان لعبد الله المذكور بمكة شهرة لولايته لأمر مكة وغير ذلك، ونسب إليها مقبرة بأعلى مكة وهى التى دفن فيها عبد الله بن عمر رضى الله عنهما والله أعلم ، وذكر سليمان بن خليل بن عبد الله المنسوب إليه هذا الشعب هو عبد الله بن خالد بن أسيد الخزاعى ، وذكر ابن جماعة ما يخالف ذلك أيضا ، لأنه قال لما ذكر حد الحرم من هذه الجهة ومن طريق الجعرانة فى شعب آل عبد الله القسرى انتهى ، وما أشرنا إليه من نسبة هذا الشعب لعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص أشبه بالصواب من نسبته لغيره ، لأن التعريف إنما يكون فى الغالب بأشهر الأحوال وليس لمن نسب إليه ابن الخليل هذا الشعب ولا لمن نسبه إليه ابن جماعة من الشهرة مثل ما لمن نسبناه إليه والله أعلم بالصواب ، وحد الحرم من هذه الجهة لا يعرف موضعه الآن إلا أن بعض أعراب مكة زعم أنه فى مقدار نصف طريق الجعرانة ، وسئل عن سبب معرفته لذلك فقال : إن الموضع المشهور الذى أشار إليه فى محاذاة أعلام الحرم من جهة نخلة وهى جهة العراق والله أعلم بصحة ذلك ، وأما حده من جهة التنعيم ففيه أربعة أقوال : ثلاثة أميال على ما ذكره الأزرقى وابن خرداذبه والماوردى وصاحب المهذب وغيرهم ، ونحو أربعة أميال على ما ذكره ابن أبى زيد فى النوادر عن غير واحد من المالكية ، وأربعة أميال على ما قال الفاكهى ، وخمسة أميال على ما ذكره أبو الوليد الباجى ، ونص كلامه : وأما التنعيم فانى أقمت بمكة وسمعت أكثر الناس يذكرون أنها خمسة أميال ولم أسمع فى ذلك اختلافاً مدة مقامى بها ، ولو كان بين التنعيم ومكة أربعة أميال لوجب أن يكون بين مكة والحديبية على هذا التقدير قريب من خمسة عشر ميلاً لأنها أزيد من ثلاثة أمثالها انتهى ، وفى هذا القول نظر وكذا فى القول الذى ذكره الفاكهى ، والقول الذى ذكره ابن أبى زيد على ما سيأتى بيانه ، ووقع فيما ذكره ابن أبى زيد فى حد الحرم من هذه الجهة ما يقتضى أنه إلى منتهى التنعيم لأنه قال : ومن غير الموازنة لغير واحد من أصحابنا أن حد الحرم مما يلى المدينة نحو أربعة أميال إلى منتهى التنعيم انتهى.

وذكر الأزرقى ما يخالف ذلك لأنه قال : ذكر حدود الحرم عن طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت نفار على ثلاثة أميال انتهى ، وذكر المحب الطبرى فى شرحه للتنبيه ما يرجح ما ذكره الأزرقى لأنه ذكر أن التنعيم أمام الحل قليلاً وأن من فسره بطرف الحل أطلق اسم الشىء على ما قرب منه انتهى ، وإذا كان من فسر التنعيم بطرف الحل متجوزاً فى تفسيره فكيف بمن جعل منتهى التنعيم أول الحل من جهة المدينة كما هو مقتضى ما ذكره ابن أبى زيد والله أعلم ، ونفار المذكورة فى حد الحرم من هذه الجهة فى كلام الأزرقى بنون مكسورة وفاء وألف وراء مهملة على ما ذكر غير واحد .

وأما حده من جهة جدة ففيه قولان : عشرة أميال على ما ذكر الأزرقى وابن أبى زيد ، ونحو ثمانية عشر ميلاً على ما ذكر الباجى فى مقدار ما بين مكة والحديبية بتخفيف الياء الثانية على الصواب فيها ومنتهى [1] حد الحرم من جهة جدة كما نقل ابن أبى زيد فى النوادر ، وذكر الأزرقى أن منتهى الحد فى هذه الجهة منقطع الأعشاش والأعشاش جمع عش وبعضها فى الحل وبعضها فى الحرم وكذلك الحديبية على ما قاله الشافعى وابن القصار ، وقال الماوردى إنها فى طرف الحل ، وقال مالك إنها فى الحرم ، وهى والأعشاش لا يعرفان اليوم ويقال إن الحديبية هى البئر التى تعرف ببئر شميبى [2] فى طريق جدة والله أعلم ، وأما حده من جهة اليمن ففيه قولان : سبعة أميال بتقديم السين على ما ذكره الأزرقى وابن أبى زيد وسليمان بن خليل ، وستة أميال على ما وجدت بخط المحب الطبرى فى القرى ورأيت ذلك فى ثلاث نسخ من القرى وأخشى أن يكون وهماً ولا يقال سبق قلم لأنه فى القرى بعد ذكره لذلك القول الذى ذكره الأزرقى وابن أبى زيد والله أعلم. وموضع الحد فى هذه الجهة طرف أضاة لبن [3] فى ثنية لبن على ما ذكره الإمام الأزرقى هذه الأضاة تعرف اليوم بأضاة ابن عقش وفيها علامة مبنية لحد الحرم ، والأضاة مستنقع الماء وهى بهمزة مفتوحه وضاد معجمة على وزن فتاة ولبن بكسر اللام وسكون الباء الموحدة قاله الخازمى وضبطها سليمان بن خليل بفتح اللام والباء على ما وجدت بخطه فى غير موضع من منسكه والله أعلم . هذا ما رأيته للناس فى حدود الحرم بالأميال ورأيت ذلك لبعض الحنفية ما يستغرب جداً لأن القاضى شمس الدين السروجى الحنفى حكى فى مناسكه عن أبى جعفر الهندانى أنه قال مقدار حد الحرم من جهة المشرق ستة أميال ومن الجانب الثانى اثنا عشر ميلاً ، قال صاحب المحيط وفيه نظر ، فإن ذلك هو التنعيم قريب من ثلاثة أميال من مكة ، ومن الجانب الثالث ثلاثة عشر ميلاً ، ومن الرابع أربعة وعشرون ميلاً انتهى ، والظاهر والله أعلم أن قائل هذا الكلام

---

(١) فى النسخة (ك) ومنتهاها ، بدل ومنتهى

(٢) فى النسخة (ك) شميسى بدل شميبى وهو المعروف للان .

(٣) أضاة لبن جاء فى معجم البلدان ان اضاة لبن حد من حدود الحرم على طريق اليمن (ج ١ ص ٢٨٠) .

أراد بحده من جهة المشرق جهة العراق وبالحد الثانى جهة التنعيم ، وبالحد الثالث جهة اليمن ، وبالحد الرابع جهة جدة ، وإنما كان ما ذكره هذا القائل مستغرباً لنقصه فى حده من جهة المشرق ، وكثرة الزيادة فى حده من الجهات الثلاث وإنما لم أذكر ذلك مع ما ذكره غيره فى حدود الحرم لعدم تصريح قائل ذلك بجوانب الحرم التى حددها وقد اعتبرت بما قاله الناس فى تحديد الحرم من جميع جهاته المعروفة الآن وهى جهة الطائف على طريق عرفة من بطن غيره [١] عُرنَة ، وطريق العراق ، وطريق التنعيم ، وطريق اليمن ، وكان اعتبارنا لذلك بجبل مقدر على الذراع المعتبر فى أميال مسافة القصر ، وهو ذراع اليد على ما ذكره المحب الطبرى فى شرحه للتنبيه ، وذكر أن مقداره أربعة وعشرون أصبعاً كل أصبع ست شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض انتهى ، كذا وجدت بخطه، وأشار إلى ذلك النووى فى تحرير التنبيه وغلط النووى القدر [٢] فى قوله إن الأصبع ثلاث شعيرات ، ومقدار الذراع المشار إليه من ذراع الحديد المستعمل فى القماش بمصر ومكة الآن ذراع إلا ثمن ذراع ، هكذا اعتبره جماعة من أصحابنا بذراع أيديهم ثم اعتبروا ذلك بشعير معتدل مرصوص فجاء كما قال المحب الطبرى ومن وافقه وكان اعتبارهم لذلك بحضورى .

ذكر تحديد حد الحرم من جهة الطائف على طريق عرفة من طريق [٣] نمرة

من جدار باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحد الحرم من جهة عرفة سبعة بتقديم السين وثلاثون ألف ذراع ومائة ذراع وعشرة أذرع وسبعا ذراع بذراع اليد : يكون ذلك أميالاً عشرة أميال وثلاثة أخماس ميل وخمس سبع عشر ميل يزيد سبعى ذراع هذا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع وهو الذى ينبغى أن يعتبر فى حدود الحرم لكونه غالباً أقرب إلى موافقة ما هو المشهور فى قدرها ، فإنها إذا اعتبرت على القول بأن مقدار الميل ألفا ذراع يزيد مقدارها نحو ميل على ما هو المشهور فيها وإذا اعتبرت على القول بأن الميل ستة آلاف ذراع ينقص مقدارها عما هو مشهور فيها نحو نصف ذلك ، واعتبار ذلك على هذين القولين مشكل جداً لكثرة الزيادة وكثرة النقص ، على أن اعتبار ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع لا يخلو من إشكال إلا أن الأمر فيه قريب لتأتى الجواب عنه ، ويتأيد كون اعتبار ذلك على هذا القول أولى لكونه أصح

---

(١) فى النسخة (ك) نمرة بدل غيره. وهو الصحيح ، ونمرة عرنة أى نمرة وادى عرنة .

(٢) فى النسخة (ك) القلعى بدل القدر وهو خطأ لا يستقيم به المعنى.

(٣) فى النسخة (ك) بطن نمرة بدل طريق نمرة وكلاهما صحيح .

الأقاويل فى مقدار الميل على ما ذكره ابن عبد النبى [١] والله أعلم ، ولا يعكر [٢] على ما أشرنا إليه من ترجيح اعتبار هذا القول فى حدود الحرم ما يقع فى الاعتبار عليه من الزيادة والنقص المقتضيين مخالفة ما هو مشهور فى حدود الحرم لأن الزيادة والنقص يكونان فى الغالب شيئاً يسيراً وربما كان ذلك لشدة الحد فى الميل المقيس به وإرخائه أو لأجل ارتفاع الأرض وانخفاضها أو لأجل اعتبار غيرنا لذلك من موضع غير الموضع الذى اعتبرنا منه ، مثل أن يكون اعتبارنا وقع من باب بنى شيبة والأزرقى اعتبر من موضع بينه وبين المعلاة فى غير اعتباره لحد الحرم من جهة عرفة، ومن عتبة باب المعلاة إلى العلمين اللذين هما حد الحرم من هذه الجهة خمسة وثلاثون ألف ذراع وثلاثة وثمانون ذراعاً وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد يكون ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع عشرة أميال وسبع سبع ميل وخمس سبع عشر ميل وخمس خمس سبع عشر ميل ، ولم يعتبر الأزرقى حد الحرم من هذه الجهة من باب المعلاة وإنما اعتبره من باب بنى شيبة ووقع له ما يوهم أن حد الحرم من هذه الجهة ينتهى إلى دون قبلة مسجد نمرة [٣] بخمسة وعشرين ذراعاً لأنه ذكر أن حد الحرم من هذه الجهة على أحد عشر ميلاً وذكر مواضع هذه الأميال إلى عرفة فقال فى موضع الميل الحادى عشر : وموضع الميل الحادى عشر فى حد العكان الذى يدور حول قبلة مسجد عرفة مسجد إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وبينه وبين جدر المسجد خمس وعشرون ذراعاً انتهى ، وذلك يقتضى أن يكون العلمان المشار إليهما فى غير الحد ، وذكر الأزرقى ما يوهم أن حد الحرم من هذه الجهة ينتهى إلى دون العلمين اللذين هما علامة حد الحرم من هذه الجهة بمقدار ستمائة ذراع وواحد وستين ذراعاً لأنه قال : ومن حد الحرم إلى مسجد عرفة ألف ألف ذراع وستمائة ذراع وخمسى ذراع انتهى ، وإنما كان حد الحرم من هذه الجهة ينتهى إلى دون العلمين المشار إليهما بالقدر الذى ذكرناه ، لأنا اعتبرنا مقدار ما بين العلمين المشار إليهما والجدار القبلى من مسجد عرفة فكان ذلك ألف ذراع وسبعمائة ذراع بتقديم السين وثلاثة أذرع بذراع الحديد ويكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع وتسعمائة ذراع بتقديم التاء وستة وأربعين ذراعاً وذلك يقتضى أن يكون العلمان المشار إليهما فى غير الحد والعلمان المشار اليهما هما اللذان إلى مكة أقرب من العلمين اللذين إلى عرفة أقرب وكون العلمين المشار إليهما علامة لحد الحرم من هذه الجهة أشبه بالصواب من كون حد الحرم دونهما إلى مكة ، أو أمامها إلى جهة عرفة قريباً من المسجد المنسوب إليهما كما يوهم كلام الأزرقى فى الموطنين لأن فى العلمين المشار إليهما حجرين مكتوب فى كل منهما اللهم أيد بالنصر والظفر عبدك الشاكر لأنعمك يوسف بن عمر

---

(١) فى النسخة (ك) ابن عبد البر بدل ابن عبد النبى وهو الصحيح إذ هو المعروف.

(٢) فى النسخة (ك) يعكس بدل يعكر وهو خطأ إذ أن سياق الكلام الذى يليه لا يتلاءم مع كلمة يعكس .

(٣) فى النسخة (ك) عرفة بدل نمرة ، وهو الصحيح كما يظهر بعد ذلك من سياق الكلام .

فهو الآمر بتجديد هذا العلم الفاصل بين الحل والحرم وفيه مكتوب أيضا أن ذلك فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، ويوسف بن عمر المشار إليه هو الملك المظفر صاحب اليمن ، والعادة جرت بأن بناء مثل ذلك لا يكون إلا عن أخبار مستفيضة أو علامة قديمة كانت قبل ذلك فخربت وجدد عوضها فى محلها والله أعلم ، وأما النظر الذى أشرنا إليه فى قول من قال إن قدر الحرم من هذه الجهة على سبعة أميال بتقديم السين فبيانه أن قدر الحرم من هذه الجهة على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع يزيد على عشرة أميال سواء اعتبرت المسافة من باب بنى شيبة أو من باب المعلاة ومجرى هذه الزيادة يظهر [1] مما سبق قريبا وإن قدر الحرم من هذه الجهة على القول بأن الميل أربعة آلاف ذراع يكون لتسعة أميال بتقديم التاء وخمس ميل وعشر وربع عشر ميل يزيد سبعى ذراع هذا إن اعتبرنا المسافة من باب بنى شيبة وإن اعتبرنا المسافة على هذا القول من باب المعلاة يكون [2] قدر الحرم من هذه الجهة ثمانية أميال وثلاثة أرباع ميل وخمس عشر ميل وسبعة أسباع عشر عشر عشر ميل يزيد سبعى ذراع ، وإن قدر الحرم من هذه الجهة على القول بأن الميل ألف [3] ذراع يكون ثمانية عشر ميلاً وثلاثة أخماس ميل ونصف عشر عشر ميل يزيد سبعى ذراع ، هذا باعتبار المسافة من باب بنى شيبة ويكون ذلك على هذا القول باعتبار المسافة من باب المعلاة سبعة عشر ميلاً ونصف ميل وخمس خمس وستة أسباع خمس عشر عشر ميل ، وأن قدر الحرم من هذه الجهة على القول بأن الميل ستة آلاف ذراع يكون ستة أميال وخمس ميل وسدس عشر عشر ميل يزيد سبعى ذراع ، هذا باعتبار المسافة من باب بنى شيبة ، ويكون ذلك باعتبارها من باب المعلاة على هذا القول خمسة أميال ونصف ميل وثلث ميل وثلث خمس خمس ميل وخمسى سبع عشر عشر ميل ، وإذا تقرر أن مقدار الحرم من هذه الجهة ما ذكرناه على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقدار الميل ظهر بذلك بُعد استقامة قول من قال إن مقدار الحرم من هذه الجهة سبعة أميال بتقديم السين . لكون ذلك يخالف مقتضى هذه الأقوال باعتبار كثرة الزيادة على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقدار الميل غير القول بأنه ستة آلاف ذراع ، وباعتبار كثرة النقص على مقتضى القول بأن الميل ستة آلاف ذراع ، فإن النقص يكون على مقتضاه أربعة أخماس ميل إلا عشرة أذرع باليد تقريباً فى اعتبار المسافة من باب بنى شيبة ويكون النقص على مقتضى هذا القول أيضاً فى اعتبار المسافة من عتبة باب المعلاة ميلاً وقريباً من سدس ميل والله أعلم ، واعلم أنه وقع للنووى رحمه الله ما يقتضى أن حد الحرم من هذه الجهة على خلاف قوله أنه سبعة أميال بتقديم السين ، لأنه قال فى الإيضاح ، واعلم أن بين مكة ومنى فرسخا وذكر معنى

---

(١) فى النسخة (ك) تظهر .
(٢) فى النسخة (ك) تكون بدل يكون وهو خطأ نحوى .
(٣) فى النسخة (ك) ألفا بدل ألف .

ذلك فى غيره من كتبه ، وتظهر المخالفة بين ذلك و بين قوله إن حد الحرم من هذه الجهة على سبعة أميال بتقديم السين ببيان مقدار ما بين مكة ومنى ومقدار ما بين منى والعلمين اللذين هما علامة حد الحرم من جهة عرفة ، فأما مقدار ما بين مكة ومنى فهو ثلاثة عشر ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمانية وستون ذراعاً ، وذلك من جدار باب بنى شيبة إلى طرف العقبة التى هى حد منى من أعلاها مما يلى جمرة العقبة ، وأما مقدار ما بين منى والعلمين المشار إليهما فذلك ثلاثة وعشرون ألف ذراع وثمانمائة ذراع واثنان وأربعون ذراعاً وسبعا ذراع وذلك من طرف العقبة[1] المشار إليها[2] إلى العلمين المشار إليهما ، و إذا تقرر ذلك فالذى من عقبة منى إلى العلمين المشار إليهما قدر ما بين مكة ومنى باعتبار المسافة من باب بنى شيبة مرتين ينقص ألفى ذراع وثمانمائة ذراع وثلاثة وتسعين ذراعاً بتقديم التاء ، ويلزم على مقتضى قول النووى . أن بين مكة ومنى فرسخا . أن يكون ما بين طرف العقبة المشار إليها[3] ، والعلمين المشار إليهما خمسة أميال وثلث ميل يزيد سبعة وسبعين ذراعا باليد ، ويضم مقدار ما بين عقبة منى والعلمين المشار إليهما إلى مقدار ما بين مكة وعقبة منى فيصير جملة ذلك ثمانية أميال وثلث ميل وسبعة وسبعين ذراعا ، ويكون ذلك مقدار الحرم من هذه الجهة على مقتضى قول النووى : أن بين مكة ومنى فرسخا ، ويتعارض ذلك مع القول للنووى : إن حد الحرم من جهة عرفة سبعة أميال بتقديم السين ، ويقوى به النظر الذى أشرنا إليه فيما ذكره فى حد الحرم من جهة عرفة والله أعلم ، وربما كان مقدار حد الحرم من هذه الجهة على مقتضى قول النووى أن بين مكة ومنى فرسخا أكثر من هذا المقدار إذا كان الاعتبار لما بين مكة ومنى من باب المعلاة ، لأن من عقبة باب المعلاة إلى طرف العقبة المشار إليه أحد عشر ألف ذراع ومائتى ذراع وواحداً وأربعين ذراعا وسبع ذراع ، ومقدار ما بين منى والعلمين بالنسبة إلى مقدار ما بين مكة ومنى مرتان بزيادة ألف ذراع وثلاثمائة وستين ذراعا ، يزيد[4] فيكون مقدار ما بين منى والعلمين المشار إليهما ستة أميال وثلث ميل بزيادة مائة ذراع وأربعة عشر ذراعا . إذا كان مقدار ما بين مكة ومنى فرسخا ، وكان الاعتبار لذلك من باب المعلاة ويضم مقدار ما بين منى والعلمين إلى مقدار ما بين مكة ومنى فيصير جملة ذلك تسعة أميال وثلث ميل . بزيادة مائة ذراع وأربعة عشر ذراعا ، ويكون ذلك مقدار الحرم من هذه الجهة على قول النووى و إن بين مكة ومنى فرسخا والله أعلم . واعلم أن قول النووى أن بين مكة ومنى فرسخا فيه إشارة إلى أنه لم يعتبر فى ذلك قول من قال : إن الميل ستة آلاف ذراع ،

---

(١) كان فى الأصل العقبة التى المشار الخ ، فلعل الصواب التى أشار الخ .

(٢) فى النسخة (ك) اليه بدل إليها

(٣) فى النسخة (ك) إليه بدل إليها وكلاهما صحيح

(٤) فى النسخة (ك) لم توجد كلمة (يزيد) ، وذلك أصح إذ المعنى يستقيم بدونها.

لأنه لو اعتبر ذلك لزم أن يكون ما ذكره فى مقدار ما بين مكة ومنى غير مستقيم ، لأن المسافة تنقص عن الثلاثة الأميال وهى مقدار الفرسخ ميلا وثمن ميل وثمانية أذرع وستة أسباع ذراع فى اعتبار المسافة من باب المعلاة ، وينقص فى اعتبارها من باب بنى شيبة ثلاثة أرباع ميل وسدس ثمن ميل وستة أذرع وأربعة أسباع ذراع وإذا دار الأمر بين حمل كلام النووى على وجه مستقيم وحمله على وجه لا يستقيم فحمله على الأول أولى والله أعلم .

ذكر تحديد حد الحرم من جهة العراق

من جدار باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة حد الحرم فى طريق العراق وهما العلمان اللذان بجادة وادى نخلة سبعة وعشرون ألف ذراع ومائة ذراع واثنان وخمسون ذراعا باليد يكون ذلك أميالا . على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع : سبعة أميال بتقديم السين وخمسة أسباع ميل وثلاثة أسباع عشر ميل يزيد ذراعين ، ومن عتبة باب المعلاة إلى العلمين المشار إليهما خمسة وعشرون ألف ذراع . وخمسة وعشرون ذراعا باليد يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع : سبعة أميال بتقديم السين وسبع ميل ونصف سبع عشر ميل ، وما ذكره الأزرقى فى مقدار الحرم من هذه الجهة يمكن أن يتمشى على اعتبار المسافة من باب المعلاة ليسارة الزيادة على السبعة الأميال فى اعتبار المسافة من باب المعلاة ، وما ذكره ابن أبى زيد فى كون مقدار الحرم من هذه الجهة ثمانية أميال يمكن أن يتخرج على اعتبار المسافة من باب بنى شيبة ليسارة النقص عن الثمانية الأميال فى اعتبار المسافة من باب بنى شيبة ، ويبعد تخرج ما ذكره خرداذبه[1] فى أن مقدار الحرم من هذه الجهة ستة أميال ، وأبعد من ذلك ما ذكره سليمان بن خليل فى أن مقدار الحرم من هذه الجهة عشرة والله أعلم

ذكر تحديد حد الحرم من جهة التنعيم

وهى طريق المدينة وما يليها ، من جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة إلى أعلام الحرم فى هذه الجهة التى فى الأرض لا التى على الجبل اثنا عشر ألف ذراع وأربعمائة ذراع وعشرون ذراعا بذراع اليد ، يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وخمسى ميل وسبع ميل وخمس خمس سبع ميل ، ومن عتبة باب الشبيكة إلى الأعلام المشار إليها عشرة آلاف ذراع وثمانمائة ذراع واثنا عشر ذراعا ، يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وثلاثة أخماس سبع ميل وخمس عشر عشر ميل وسبع عشر عشر ميل ، وما ذكره الأزرقى فى مقدار حد الحرم من جهة التنعيم ، لعله اعتبره من موضع باب الشبيكة أو ما قرب منه فإن الزيادة قليلة[2] فى اعتبار المسافة من هذا الموضع ، على مقدار ما ذكره فى حد الحرم من هذه الجهة ، وأما قول من قال : إن مقدار الحرم من هذه الجهة أربعة أميال فيبعد تخريجه على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ، لأنا إن اعتبرنا

---

(١) فى النسخة (ك) ابن خرداذبه ، بدل خرداذبه ، وهو الصحيح كما تقدم .

(٢) فى النسخة «ك» يسيرة .

المسافة من باب الشبيكة كان النقص عن الأربعة أميال أربعة أخماس ميل وعشر ميل وعشر ميل [١] وثلاثة أذرع وإن اعتبرناها من باب العمرة نقصت المسافة نصف ميل إلا مائة وسبعين ذراعا ، ويبعد أيضا تخريج ذلك على القول بأن الميل أربعة آلاف ذراع لأن المسافة تنقص [٢] عن ذلك ميلا إلا عشر ميل ونصف عشر عشر ميل على اعتبار المسافة من باب العمرة ، وأما على اعتبارها من باب الشبيكة فينقص ميلا وأزيد من ربع ميل ، وكذلك يبعد تخريج قول من قال : إن قدر الحرم من هذه الجهة نحو أربعة أميال ، لأنه فى معنى القول بالأربعة ، وأبعد من هذا كله ما ذكره الباجى من أن مقدار الحرم من هذه الجهة على خمسة أميال ، لأنه لا يتخرج إلا على القول بأن الميل ألفا ذراع وفى التخريج عليه نظر وعلى أن الاعتبار فى ذلك من باب الشبيكة ، ومع ذلك فتزيد المسافة على الخمسة الأميال مقدار خمسى ميل ، وأما على اعتبار المسافة من باب العمرة فتزيد المسافة ميلا ونحو ربع ميل ، وهذا هو النظر الذى أشرنا اليه فى هذه الأقوال والله أعلم .

ذكر تحديد حد الحرم من جهة اليمن

من جدار باب المسجد الحرام المعروف بباب ابراهيم إلى علامة حد الحرم فى هذه الجهة أربعة وعشرون ألف ذراع وخمسمائة ذراع وتسعة أذرع بتقديم التاء . وأربعة أسباع ذراع ، يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع : سبعة أميال يزيد سبعة أذرع وأربعة أسباع ذراع ، ومن عتبة باب مكة المعروف بباب الماجن إلى حد الحرم فى هذه الجهة اثنان وعشرون ألف ذراع وثمانمائة ذراع وستة وسبعون ذراعا بتقديم السين وأربعة أسباع ذراع ، ومقدار ذلك من الأميال على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع : ستة أميال ونصف ميل وربع سبع ميل يزيد ذراعا وأربعة أسباع ذراع ، وقد حررنا مقدار الحرم من جميع جهاته الأربع المعروفة على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقدار الميل ، وذكرنا ذلك فى أصل هذا الكتاب . واقتصرنا فى هذا الكتاب على ذكر ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ، لرجحانه وطلبا للاختصار وقد نظم بعضهم فى حدود الحرم أبياتا وهى :

وللحرم التحديد من أرض طيبة ... ثلاثة أميال إذا رمت إتقانه
وسبعة أميال عراق وطائف ... وجدة عشر ثم تسع جعرانه
ومن يمن سبع بتقديم سينها ... فسل ربك الوهاب يرزقك غفرانه
وقد زيد فى حد لطائف أربع ... ولم يرض جمهور لذا القول رجحانه

---

(١) بهامش الأصل : مانصه، كذا بالأصل . ولعلها مكررة من الناسخ.

(٢) فى النسخة «ك» ينقص وهو خطأ نحوى .

والبيتان الأولان لا أعرف ناظمهما والبيتان الآخران لجدى لأبى [١] قاضى القضاة كمال الدين أبى الفضل محمد بن أحمد النويرى الشافعى ، قاضى مكة وخطيبها وعالم الحجاز فى عصره تغمده الله برحمته على ما وجدت فى تأليف له بخط بعض مشايخنا يسمى المعلم بدية [٢] الحر المسلم ، وبعض الناس ينشد بيت جدى الأول على غير ما ذكرناه فيقول :

ومن يمن سبع بتقديم سينها [٣] * وقد كملت فاشكر لربك إحسانه

وهذا هو المشهور عند الناس ويجمع بين هذا الاختلاف بأن يكون جدى قال ذلك على الوجهين ، وكان جدى قصد بالبيت الأول فى نظمه إفادة حد الحرم من جهة اليمن لكونه ناظم البيتين الأولين لم يتعرض فيهما لحد الحرم من جهة اليمن ، كما وقع للماوردى فى الأحكام السلطانيه ، والشيخ أبى اسحاق الشيرازى فى مهذبه ، وكأن جدى قصد بالبيت الثانى من نظمه أن يفيد فى حد الحرم من جهة الطائف على طريق عرفة ما قيل من أنه أحد عشر ميلا ، كما ذكره الأزرقى فى تاريخه ، وإن الراجح فى حد الحرم فى هذه الجهة قول من قال إنه سبعة أميال بتقديم السين على الباء كما قال الماوردى والشيخ أبو اسحاق الشيرازى والنووى ، وقلدهم جدى فى رجحان ذلك ، وفى كون ذلك راجحا نظر لما سبق بيانه من بعد استقامة قولهم خصوصاً النووى رحمه الله لاضطراب كلامه فى ذلك ، وسبب ذلك والله أعلم تقليدهم فى ذلك مع بعدهم عن المكان وعدم اعتبارهم لذلك ، ولو اعتبر كل من هؤلاء الأئمة هذا الأمر كما اعتبرناه لظهر له صحة ما قلناه ، وإنما قلدوا فى ذلك فلم يستقم قولهم ، وقد طال الكلام فى هذا الأمر ولكن لموجبات اقتضت ذلك وكان شيخنا الكمال العلامة المفنن [٤] المصنف المفتى كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميرى المصرى المكى الشافعى رحمه الله ينشد عن جدى رحمه الله قوله : ومن يمن سبع البيت ، ثم يقول الأولى أن يقال :

ومن يمن سبع بتقديم سينها * لذلك سيل الحرم [٥] لم يعد بنيانه

وهذا النصف الأخير له على ما ذكره لى صاحبنا الإمام صلاح الدين خليل بن محمد الاقفهسى أبقاه الله ، وذكر لى أن شيخنا كمال الدين كان يفعل [٦] ذلك بما فيه من الفائدة فى كون سيل الحل لا يدخل الحرم ، بخلاف شطر بيت جدى فليس فيه إلا الدعاء ، وهذه الفائدة ذكرها غير واحد من العلماء إلا أنها معترضة بما ذكره الأزرقى

---

(١) فى النسخة (ك) لأمى بدل لأبى (٢) فى النسخة (ك) بدنه بدل بدية

(٣) الشطر الأول غير مستقيم الوزن ـ وقد ورد هكذا .

(٤) كذا بالأصل ولعله المفتن

(٥) فى النسخة (ك) الحل بدل الحرم وهو الأصح والذى يتفق مع وزن البيت وأيضاً يقتضيه سياق الكلام ، والحرم بسكون الراء للوزن

(٦) فى النسخة (ك) يعلل بدل يفعل وهو الصحيح

من أن سيل الحل يدخل الحرم من جهة التنعيم فقط ، وقد سبق كلام الأزرقى فى هذا المعنى ، و يعارضها أيضا ما ذكره الفاكهى وقد سبق ذكره ، وسمعت بعض أصحابنا ينشد بيت الشيخ كمال الدين هذا بتغيير فى لفظه لأنه نقل عن شيخنا الدميرى أنه قال :

ومن يمن سبع وكرز لها اهتدى * لذلك سيل الحرم[1] لم يعد بنيانه

انتهى ، وذكر المشار إليه هو كرز بن علقمة الخزاعى وليس هو أول من نصبها فى الإسلام لأن جماعة من الصحابة سبقوه إلى ذلك ، منهم تميم بن أسد عام الفتح بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم فى زمن عمر حويطب ابن عبد العزى ، وسعيد بن يربوع ، ومخرمة بن نوفل ، وأزهر بن عوف الزهريان ، كذا فى الأزرقى والفاكهى ، وفى الفاكهى أيضا عن الزبير بن بكار ، أن صبيحة بن الحارث بن جبلة بن عامر بن كعب بن سعيد بن تيم أحد القرشيين اللذين بعثهم عمر بن الخطاب يجددون أنصاب الحرم ، ومنهم فى زمن عثمان حويطب بن عبد العزى ، وسعيد بن يربوع[2] وعبد الرحمن بن هرمز[3] ونفر من قريش ، وكان هؤلاء يجددونها فى كل سنة كذا فى الأزرقى والفاكهى ، وليس فيهما ذكر نصب كرز لانصاب الحرم ، وإنما ذكر ذلك ابن عبد البر ، وذكر أن ذلك وقع فى زمن معاوية فى ولاية مروان على مكة ، وما عرفت لأى معنى ذكر شيخنا الدميرى نصب كرز دون غيره ممن هو أشهر منه وكان الأولى أن يقول :

ومن يمن سبع تميم لها اهتدى * لذلك سيل الحرم لم يعد بنيانه

لكون فعل ذلك بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ومامر للجاهلية فإن لتحديد بعدها أثرا والله أعلم ، ولم أر أحدا تعرض لمقدار الحرم إلا أبا القاسم بن خرداذبه الخراسانى فى كتابه المسالك والممالك ، لأنه قال وطول الحرم حول مكة سبعة وثلاثون ميلا وهى التى تدور بأنصاب الحرم انتهى ، وهى فائدة حسنة إن صحت والله أعلم بحقيقة ذلك[4] .

---

(١) فى النسخة (ك) الحل بدل الحرم ـ والشطر الأول غير مستقيم وزناً

(٢) لم توجد جملة (وسعيد بن يربوع) فى النسخة (ك)

(٣) فى النسخة (ك) أزهر بدل هرمز وليس بصحيح

(٤) بمناسبة هذا السرد الطويل الذى سرده المؤلف من الاختلاف الذى وقع فيه أسلافنا رحمهم الله فى تحديد الحرم . وتغير (المقاسات) واختلافها وجهل أهل عصرنا بذلك . نرى ان تشكل لجنة من أهل الخبرة والعلم . تقوم بضبط المقاسات وتحقيق حدود الحرم ضبطا وتحقيقا علمياً وتذكر المسافات بالكيلو مترات . من جميع الجهات وتكتب محضرا بذلك وتصدق عليه المحكمة الشرعية أو رئاسة القضاء الشرعى ويستحسن إضافة بعض اعلام العلماء من كافة الأمم الإسلامية للاشتراك فى تحقيق أرض الحرم وللتوقيع على المحضر . ويستحسن إضافة ذكر تاريخ الانصاب المقامة فى كل جهة من الجهات ويطبع كل ذلك فى كتاب يحفظ فى مكتبة الحرم المكى الشريف وتوزع منه نسخ على المعاهد الإسلامية فى كل البلاد . فان فى ذلك خدمة إسلامية كبرى وأثرا من الآثار النافعة ومرجعا من المراجع الموثوق بها إذا ما استدعى الأمر لذلك . والحق ان بلادنا خاصة مكة والمدينة وما بينهما فى حاجة إلى خدمة كبيرة من ناحية الآثار والمشاعر وتحقيقها وضبط أمكنتها . حفظا للمشاعر والآثار الإسلامية المعظمة .

الباب الرابع

فى ذكر شىء من الأحاديث والآثار الدالة على حرمة مكة وحرمها

وشىء من الأحكام المختصة بذلك ، وذكر شىء مما ورد فى تعظيم الناس لمكة وحرمها وفى تعظيم الذنب فى ذلك وفى فضل الحرم

روينا فى تاريخ الأزرقى عن مجاهد قال : إن هذا الحرم حرم حذاه من السموات السبع والأرضين السبع ، وروينا فيه عن قتادة قال : ذكر لنا أن الحرم حرم حياله إلى العرش ، وروينا فى مسند الشافعى عن ابن شريح الكعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله سبحانه حرم مكة ولم يحرمها الناس ، ولا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرا ، فإن ارتخص أحد فقال أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : إن الله سبحانه أحلها لى ولم يحلها للناس وإنما أحلت لى ساعة من نهار ثم هى حرام حرمتها [1] بالأمس انتهى باختصار ، وأخرجه البخارى ومسلم بالمعنى ، وروينا فى مسند أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة إن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ما أحل لأحد فيه القتل غيرى ، ولا تحل لأحد بعدى فيه حتى تقوم الساعة ، وما أحل لى منه إلا ساعة من نهار ، فهو حرمة الله عز وجل إلى أن تقوم الساعة ، لا يعضد شوكه ولا يختلى خلاه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته ، إلا لمعرف [2] ، قال : فقال العباس وكان من أهل البلد قد علم الذى لا بد لهم منه إلا الإذخر يارسول الله فإنه لا بد لهم منه ، فانه للقبور والبيوت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر ، أخرجاه بالمعنى ، وروينا فى مسند أحمد بن حنبل عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قال : لا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها : ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ، فقال العباس إلا الإذخر ، فإنما نجعله لقبورنا و بيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإذخر أخرجاه أيضا ، وفى لفظ لهما ولأحمد لا يعضد شجرها بدل قوله لا يختلى شوكها وفى ألفاظ الأحاديث الواردة فى هذ المعنى اختلاف ، وقد اقتضت هذه الأحاديث أمورا ، منها . منع اختلاء خلا مكة ، والخلا مقصور الكلأ الرطب ، فإذا يبس فهو حشيش وهشيم ما خلا الإذخر فإنه يجوز كما فى الحديث

---

(١) فى النسخة (ك) كحرمتها ، بدل حرمتها وكلاهما صحيح .

(٢) المعرف : هو الذى يعرف اللقطة ويحتفظ بها إلى أن يحضر صاحبها .

للحاجة إليه فى سقف البيوت والقبور والصباغة وما فى معناه ، وهو نبت مشهور طيب الرائحة ، وفى معنى الإذخر السنا للحاجة إليه فى الدواء كما فى المدونة والموازية من كتب أصحابنا المالكية ، والصحيح من مذهب الشافعى حل أخذ نبات الحرم لعلف الدابة وللدواء ، ومنها منع عضد شجر مكة أى قطعها ، وأرخص مالك فى قطع العصا والعصاتين من شجر الحرم ، ومنها منع تنفير صيد مكة أى لا يصاح عليه فينفر ، قاله المحب الطبرى ، ونقل عن عكرمة أنه قال لرجل أتدرى ما تنفير صيدها ؟ هو أن تنحيه من الظل وتنزل مكانه ، ونقل معنى ذلك عن سفيان ابن عُيَيْنَة قال : ولا خلاف انه لو نفره وسلم فلا جزاء عليه . لكنه أثم بارتكابه النهى ، ومنها منع اصطياد صيد مكة ، ومنها أن لقطتها لا تملك كما هو الأصح من مذهب الشافعى . وهو رأى بعض المالكية ، وعند الأئمة الثلاثة أن حكم مكة فى لقطتها كغيرها من البلاد ، وقد جاءت أحاديث تقتضى امتناع هذه الأمور بالمدينة النبوية ، لكن لمكة فى ذلك على المدينة مزية من ثلاثة أوجه ، الأول . وجوب الجزاء فى صيد مكة بالاجماع بخلاف المدينة ففيه خلاف ، الثانى . وجوب الجزاء فى شجر مكة عند الشافعى وابن حنبل ، الثالث . أنه لم يقل أحد من علماء الأمة فيما علمت بعدم تملك لقطة المدينة .

ولمكة أيضا أحكام تخصها وأحكام تشاركها المدينة فيها ، فمن الأحكام التى تخص مكة أن الصلاة فيها تضاعف على الصلاة فى غيرها ، لأحاديث صحيحة وردت فى ذلك يأتى ذكرها ، ومنها تضاعف ثواب القربات بها لحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما يأتى ذكره ، ومنها تضاعف السيئة بها كما قال مجاهد وأحمد بن حنبل فيما حكاه عنهما المحب الطبرى فى القرى ، ومثل ذلك نقل عن غيرهما والصحيح من مذهب العلماء أن السيئة بمكة كغيرها والله أعلم ، ومنها ان الانسان يؤاخذ بهمّه بالسيئة بمكة وإن كان تائبا عنها ، كما هو مقتضى الحديث الذى رويناه فى مسند الأمام أحمد بن حنبل من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، ولفظه فى المسند : حدثنا يزيد ابن هارون قال : أخبرنا شعبة عن السدى أنه سمع مرة أنه سمع عبد الله قال [1] شعبة ورفعه لى ولا أرفعه المنقول فى قوله عز وجل « ومَن يُرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ » قال : لو أن رجلاً هَمَّ فيه بإلحاد وهو بعدن أبين [2] لأذاقه الله عذابا أليما انتهى ، ووجه اختصاص مكة بهذا الحكم أن غيرها من البلاد إذا همّ الإنسان فيها بسيئة لا يؤاخذ بها إلا إذا عملها كما هو مقتضى حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل فى كتاب الحسنات والسيئات ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بفعلها [3] كتبها الله سيئة

---

(١) فى النسخة (ك) قال لى بدل قال بدون لفظ (لى) .

(٢) عدن أبين : جزيرة باليمن أقام بها « أبين » رجل من حمير (تاج العروس) .

(٣) فى النسخة (ك) وإن هم بها فعملها بدل وإن هم بفعلها .

واحدة ، وهذا الحديث فى الصحيحين ، وهو بظاهره يقتضى عموم البلاد فى هذا الحكم ، فيدخل فى ذلك مكة ، ولكن حديث ابن مسعود المشار إليه يخصها والله أعلم ، وكنت غفلت عن ذكر هذه الخصوصية فكتب إلى بعض علماء عصرنا ممن وقف على بعض هذا الكتاب يذكرها لى ، ونص ما كتبه الى : رأيت مختصر مولانا لأخبار مكة وذكرتم تخصيص [1] الحرم بأشياء ولم تتعرضوا لمن همَّ فيه بسيئة ، فإنهم ذكروا فى خصائصه العقوبة على مريد السيئة ومن همَّ بها ، وروينا فى ذلك حديثا مرفوعا وهو من حديث ابن مسعود فى مسند أحمد وغيره ، وهو حديث إسنادُه صحيح ، ثم قال وهذه المسألة ذكرها ابن أبى حاتم فى تفسيره و بسط فيها القول انتهى باختصار ، وذكر ذلك أيضا أبو اليمن بن عساكر فى فضل منى عند الكلام على ما اختصت به مكة من الأحكام ، ونص كلامه : و إن من أراد فيها الإلحاد ولم يعمل به أذاقه الله من أليم العذاب ، وزاد أيضا من خصائصها عدم استباحة غنائمها ، ومنها أن صلاة النافلة التى لاسبب لها لا تكره بمكة فى وقت الكراهة ، كما هو مذهب الشافعى رحمه الله لحديث من رواية جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، ولفظه عند الدارقطنى : « يا بنى عبد مناف لا تمنعوا أحدا يصلى عند هذا البيت أية ساعة شاء من ليل أو نهار » وأخرجه ابن حبان بمعناه ولفظه عند أصحاب السنن الأربعة ، وابن حنبل ، وابن حبان أيضا يا بنى عبد مناف [إن] وليتم من هذا الأمر شيئا فلا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت وصلى أى ساعة شاء من ليل أو نهار ، وجوز البيهقى فى المراد بالصلاة احتمالين : أحدهما أن يكون المراد بالصلاة صلاة الطواف خاصة ، وقال : إنه هو الأشبه بالآثار ، والاحتمال الآخر أن يكون المراد جميع الصلوات ، ولفظ حديث الدار قطنى يرد الاحتمال الأول الذى ذكره البيهقى أنه أشبه بالآثار قاله القاضى عز الدين بن جماعة ، وتأول بعضهم الصلاة على الدعاء وفيه بُعد ، ومنع بعضهم الاستدلال بهذا الحديث لعموم النهى كما هو مذهب المالكية والحنفية والله أعلم ، ومنها أن صلاة العيد تصلى بالمسجد الحرام لا فى الصحراء كما فى سائر البلاد ، ومنها وجوب قصدها فى كل سنة على طائفة من الناس لإقامة شعائر [2] الحج ، ومنها أنها لا تدخل إلا بإحرام على تفصيل فى ذلك مقرر فى كتب الفقه ، ومنها أنه لا يجوز إحرام المقيم فى الحرم بالحج خارجه كما هو مذهب الشافعى على ما نقل النووى فى الإيضاح ، وهذا لفظه ، ومنها اختصاصها بنحر هدايا الحج ، ومنها لزوم النحر بمكة لنادرة فيها ، ومنها احتصاص حمام مكة فى الجزاء بشاة من غير حكم إذا أصيب فى الحرم كما هو مذهب مالك والشافعى ، ومنها أن الخارج يتبع الصيد فإذا دخل الحرم تركه ، ذكر ذلك ابن الحاج عن بعض المفسرين ، ومنها ائتلاف الظباء والسباع فيه ذكره المحب الطبرى ، ومنها أمن الظباء والوحوش والسباع بها حتى إن الطيور لتجوز الحد فيعرض

---

(١) فى النسخة (ك) خصائص بدل تخصيص ، وتخصيص أصح .

(٢) فى النسخة (ك) شعيرة بدل شعائر .

لها من السباع ما لا يعرض لها إذا جاز شيء منعها الحدود[١] انتهى ، ذكر ذلك الحافظ وقال : قالوا : ومنها، كون أهل مكة لادم عليهم فى التمتع والقران عند مالك والشافعى وأكثر العلماء ، لكونهم من حاضرى المسجد الحرام خلافا لأبى حنيفة ، ومنها : أن أهلها لا يقاتلون إذا بغوا فيها عند بعض العلماء ، لكن يُضَيَّقُ عليهم حتى يرجعوا عن ذلك ، بل قال القفال المروزى وهو من كبار الشافعية : أنه يمتنع قتال الكفار بمكة إذا تحصنوا فيها وهو مقتضى مذهب مالك على ما ذكره ابن شاش [٢] وابن الحاجب ففى الجواهر لابن شاش [٣] . ولا يجوز قتال الحاضر مسلما كان أو كافرا ، وكذا فى مختصر ابن الحاجب ، ومذهب أكثر العلماء جواز قتال الكفار والبغاة بمكة تقديماً لحق الله تعالى ، لأن قتال الكفار من الحقوق التى لا يجوز إضاعتها وصحح ذلك النووى ، وأجاب عن الأحاديث الصحيحة الواردة فى تحريم القتال بمكة أن معناها تحريم نصب القتال عليهم بما يعمم [٤] كالمنجنيق وغيره إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك ، بخلاف ما إذا تحصن كفار فى بلد آخر فإنه يجوز قتالهم على كل وجه بكل شيء ، وقال : إن الشافعى نص على هذا التأويل ، ومنها . عند أبى حنيفة أن القاتل عمدا إذا لجأ إلى الحرم لا يقتل ما دام فيه . لكن يضيق عليه حتى يخرج منه ليقتل خارج الحرم ، ومنها عنده أن الزانى المحصن إذا لجأ إلى الحرم لا يقام عليه الحد ما دام فيه بل يضيق عليه حتى يخرج منه ليقتل خارج الحرم ، ومنها عنده أن الحربى إذا لجأ إلى الحرم بغير أمان لا يقتل فيه . بل يضيق عليه حتى يخرج منه ومذهب أبى حنيفة فى هذه الثلاث المسائل هو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل ، ومذهب مالك والشافعى أن الحرم لا يمنع من استيفاء القصاص والحدود ، ومنها . أن القاتل فى الحرم يغلظ عليه الدية بزيادة ثلثها سواء كان القتل عمدا أو خطأ عند الشافعية والحنابلة على ما نقل عنهم ابن جماعة فى منسكه ، وفيما نقله عن الشافعية نظر ، لأن الصحيح عندهم أن القاتل فى الحرم يغلظ عليه الدية باعتبار التثليث ، وهى أن تكون ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة ، وذلك لا يفهمه نقل ابن جماعة والله أعلم ، ومنها أنه يمنع من خالف دين الإسلام من دخول الحرم مقيما كان أو مارًّا كما هو مذهب الشافعى وأكثر الفقهاء على ما نقل الماوردى ، وجوز ذلك أبو حنيفة إذا لم يستوطنوه ويجوز عند مالك للكافر دخول الحرم مجتازا لتجارة وشبهها لا مستوطنا ، والأصل فى ذلك ، ما روينا عن أبى داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » ووجه الدليل أن الحجاز هو نفس الجزيرة فى قول طائفة من العلماء ، وقال طائفة منهم : إن الحجاز بعض الجزيرة ، وقالوا : إن المراد بما أطلقه عليه الصلاة والسلام من الجزيرة الحجاز

---

(١) هذا التعبير غير واضح فى الدلالة على المعنى والأوضح أن يقال : إذا منعها شيء أن تجتاز الحدود .

(٢) فى النسخة (ك) ساس بدل شاش .

(٣) فى النسخة (ك) ساس بدل شاش .

(٤) فى النسخة (ك) يعم بدل يعمم .

لقوله عليه الصلاة والسلام : أخرجوا المشركين واليهود من الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب ، ومنها . على ما قال ابن الصلاح من الشافعية لا يجوز أخذ شيء من مساويك الحرم ، وذكر ابن الحاج من أصحابنا أنه لا بأس بأخذ السواك من الحرم ، ومنها أن المستنجى بحجارة الحرم مسيء على ما قال الماوردى ، ويجزيه ذلك ، ومنها أنه لا يحل حمل السلاح بمكة لغير ضرورة وعند مالك والشافعى ، لحديث جابر رضى الله عنه لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة ، والحديث فى الصحيحين ، ومنها أنه لا يجوز استقبال الكعبة ولا استدبارها عند قضاء الحاجة فى الصحراء إذا لم يكن ثم ساتر ، لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى رواية أبى أيوب الأنصارى فى الصحيحين ، وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه فى صحيح مسلم وغيره ، ومنها أن الله أوجب على أهلها التوسعة على الحجيج إذا قدموا مكة وأن لا يأخذوا منهم أجرا على نزولهم فى مساكنها كما هو مفهوم من كلام أبى اليمن ابن عساكر فى فضل منى ، وتقدم من كلام السهيلى فى الباب الأول ما يؤيد ذلك ، ومنها أنه يمتنع على المهاجر منها الإقامة بها إلا ثلاثة أيام بعد الصدر كما روى العلاء بن الحضرى [١] عن النبى صلى الله عليه وسلم بمعناه ، ومن الأحكام التى تشارك المدينة فيها مكة تحريم قطع الرطب من شجرها وحشيشها وتنفير صيدها واصطياده ، وإن كان لا جزاء فى صيد المدينة كما سبق بيانه لأحاديث صحيحة فى ذلك ، ومنها أنه يحرم دفن المشرك فيها ، فإن دفن نبش ما لم يتقطع ، نقل ذلك عن النووى الشيخ خليل الجندى المالكى فى منسكه ، ومنها أنه يحرم اخراج [٢] ترابها وحجرها على ما نقل الشيخ خليل الجندى عن ابن الصلاح ، ونص كلامه لما ذكر خصائص الحرمين قال ابن الصلاح : ويختصان بتحريم إخراج الحجر والتراب ، ويكره إدخال ذلك من الحل وخلط ذلك بمثله ، ولا يجوز اتخاذ المساويك من أراك الحرم ، زاد النووى : ويختصان بتحريم دفن المشرك ولو دفن نبش ما لم يتقطع اه ، وما ذكره ابن الصلاح من تحريم إخراج تراب الحرم وحجارته إلى خارجه نص عليه الشافعى فى الجامع الكبير وفى الأم وصححه النووى فى الروضة ، وإن كان نقل فى شرح المهذب عن الأكثرين من الشافعية . أن ذلك مكروه ، وقال المحب الطبرى : إن كراهية إخراج تراب الحرم إلى الحل كراهية تحريم عندنا انتهى ، والواجب على من أخرج ذلك من الحرم رده إليه ولا ضمان عليه فى ترك الرد ، وأما كراهية إدخال تراب الحل وأحجاره إلى الحرم نص عليه النووى فى روضته ومناسكه ، وذكر فى المجموع أن الأصحاب متفقون على أن ذلك من باب الأولى ، وفيه نظر . لأن صاحب البيان نقل عن الشيخ أبى حامد أنه قال لا يجوز إدْخال شيء من تراب الحل وأحجاره

---

(١) فى النسخة (ك) الحضرمى بدل الحضرى وهو الصحيح المعروف .
(٢) كذا بالأصل

إلى الحرم انتهى ، والعلة فى كراهية ذلك لئلا تحدث لها حرمة لم تكن ، ومذهب الحنابلة . كراهة إخراج تراب الحرم وحصاه إلى الحل و إدخال ذلك من الحل إلى الحرم والإخراج أشد على ما قاله أحمد ، وحكم حرم مكة فى ذلك حكم مكة من غير خلاف .

وقد اختلف العلماء فى مكة وحرمها . هل صار ذلك حرما آمنا من الجبابرة والخوف [1] والزلازل بسؤال الخليل عليه السلام ، أم لم يزل ذلك حرما آمنا منذ خلق الله السموات والأرض وهو الصحيح على ما ذكره النووى وغيره لحديث ابن عباس وأبى هريرة وابن سريح الخزاعى رضى الله عنهم ، و إنما سأل الخليل عليه السلام ربه تبارك وتعالى أن يجعل ذلك آمنا من الجدب والقحط وأن يرزق أهله من الثمرات ، واحتج القائلون بالأول : بحديث عبد الله بن زيد بن عاصم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن ابراهيم حرم مكة و إنى حرمت المدينة » الحديث . كما فى الصحيحين ، وأجاب القائلون بالثانى عن هذا الحديث . بأن إبراهيم أظهر التحريم بعد أن كان مهجورا ، والله أعلم بالصواب .

ذكر شىء مما ورد فى تعظيم الناس لمكة وحرمها وفى تعظيم الذنب فى ذلك

روينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن عباس أنه قال حج الحواريون فلما بلغوا الحرم مشوا تعظيما للحرم ، وروينا فيه عن ابن جريج قال : كان الرجل يلقى قاتل أخيه أو ابنه فى الكعبة أو فى الحرم أو فى الشهر الحرام فلا يعرض له ، وروى أبو على بن السكن فى سننه : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة إذا أراد حاجة الانسان خرج إلى المغمس ، ويروى أن الشيخ أبا عمرو الزجاجى أحد كبار الصوفية جاور بمكة أربعين سنة لم يبل ولم يتغوط فى الحرم ، ويروى أن الإمام أبا محمد عبيد الله بن سعيد السنتجانى جاور بمكة دهرا وكان إذا أراد قضاء الحاجة خرج من الحرم ، ومن الأخبار الواردة فى تعظيم الذنب فى الحرم . ما رويناه فى تاريخ الأزرقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه كان يقول إن من الإلحاد فى الحرم أن يقول: كلا والله و بلى والله، وروينا عن عمر بن الخطاب أنه قال : ياأهل مكة لا تحتكروا الطعام فإن احتكار الطعام بها للبيع إلحاد وروينا مثل ذلك عن ابنه عبدالله بن عمر ، وروينا عن عمر أنه قال لأن أخطىء سبعين خطيئة بركية أحب إلى من أن أخطىء خطيئة واحدة بمكة ، انتهى ، وركية محاذية لذات عرق ميقات أهل العراق ، وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما الإلحاد

---

(١) فى النسخة (ك) الخسوف بدل الخوف . والأول أرجح إذ الخسوف ظاهرة طبيعية لها سبب خاص وهو توسط القمر بين الأرض والشمس ، وليس فيها من الضرر مثل مافى الخوف والزلازل .

فى الحرم ظلم الخادم ، وقد جاء فى هلاك من ظلم بمكة من الأمم أو استخف بحرمتها أخبار كثيرة سنذكر منها شيئا فيما بعد إن شاء الله تعالى ، وجاء فى النجاة من الذنب بالالتجاء إلى الحرم حديث رويناه عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه قال لما عقر ثمود الناقة فأخذتهم الصيحة لم يبق تحت أديم السماء منهم أحد الا أهلكته إلا رجلا واحدا كان فى حرم الله عز وجل فمنعه الحرم . فقالوا : من هو يا رسول الله فقال : أبو رغال أبو ثقيف فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه ، أخرجه أحمد فى مسنده ومسلم وأبو حاتم ابن حيان فى صحيحيهما .

الباب الخامس

فى ذكر الأحاديث الدالة على أن مكة المشرفة أفضل من غيرها من البلاد

وأن الصلاة فيها أفضل من غيرها وغير ذلك من فضلها

أخبرنى إبراهيم بن محمد الصوفى سماعا بالمسجد الحرام قال أخبرنا أحمد بن أبى طالب الصالحى عن أبى المنجا عبدالله بن عمر البغدادى وأبى بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب ، قالا : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى ابن شعيب السنجرى ، قال : أخبرنا الفقيه أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودى قال أخبرنا عبد الله ابن أحمد السرخسى قال أخبرنا إبراهيم بن حزيم قال أخبرنا عبد بن حميد الحافظ ، قال : أخبرنى يعقوب بن ابراهيم الزهرى قال : حدثنى أبى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله ابن عدى بن الحمراء أنه أخبره أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته بالحزورة بمكة يقول لمكة « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلىَّ ولولا انى أخرجت منك ما خرجت » وأخبرتنى الأصيلة أم أحمد فاطمة بنت العز محمد بن أحمد الجيلى قراءة عليها وأنا أسمع بدمشق فى الرحلة الثانية أن القاضى تقى الدين سليمان بن حمزة المقدسى أنبأها وتفردت عنه قالت أخبرنا الحافظ ضياء الدين المقدسى قال : أخبرنا زاهر بن أحمد الثقفى قال : أخبرنا غانم بن خالد قال : أخبرنا عبد الرزاق بن منصور قال : أخبرنا ابن المقرى قال : أخبرنا ابن قتيبة قال : حدثنا عيسى بن حماد زغبة قال : حدثنا الليث عن عقيل عن محمد بن مسلم أن أبا مسلمة أخبره عن عبد الله بن عدى بن الحمراء رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته واقفاً بالحزورة يقول «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت» ، وأخبرتنى عاليا أم محمد [1] بنت النجا سماعا عن القاضى أبى الفضل المقدس قال : أخبرنا الحافظ الضياء قال : أخبرنا أبو جعفر الصيدلانى وفاطمة بنت سعد الخير قالا : أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله قالت أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله قال : أخبرنا أبو القاسم الطبرانى قال : حدثنا أبو زرعة الدمشقى قال : حدثنا أبو اليمانى قال : حدثنا شعيب بن أبى حمزة وبه قال الطبرانى وحدثنا عبد الرحمن ابن جابر البحترى قال : حدثنا بشر بن شعيب قال : حدثنا أبى عن الزهرى قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن

---

(١) فى النسخة (ك) أحمد بدل محمد .

أن عبد الله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : وهو واقف بالحزورة فى شرقى مكة «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ماخرجت» ، أخرجه الترمذى والنسائى عن قتيبة بن سعيد عن الليث ، وأخرجه ابن ماجة عن زغبة ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن زغبة عن الليث فوقع لنا به بدلا للترمذى والنسائى وموافقته لابن ماجة وابن حبان مع العلو فى ذلك ولله الحمد. وأخرجه النسائى عن اسحق بن مسعود الكوسج عن يعقوب بن أبى إبراهيم الزهرى فوقع لنا بدلا له عاليا ، وقال الترمذى : إن حديث ابن الحمراء حديث حسن صحيح على ما نقل عنه المحب الطبرى فى القرى ومن حظه نقلت ذلك ولما ذكر هذا الحديث قال : وعن عبدالله بن عدى بن الحمراء ثم رأيت فوق الحمراء حفر باب وفوق الضرب ماصورته الخيار وهذا عجب منه فإن الحديث مشهور عن ابن الحمراء والله أعلم ، وقال الترمذى عقب حديث ابن الحمراء رواه محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة : وحديث الزهرى عندى أصح (انتهى) ، ورويناه فى المعجم الكبير للطبرانى من حديث محمد بن عبد الله بن مسلم الزهرى ابن أخى الزهرى عن عمه محمد بن مسلم الزهرى عن محمد بن جبير عن عبد الله بن عدى وشذ ابن أخى الزهرى فى ذلك على ما قال صاحبنا الحافظ أبو الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى أمتع الله بفوائده ، وما ذكره الترمذى من أن محمد بن عمرو رواه عن أبى سلمة عن أبى هريرة لم أره هكذا ، وإنما رأيته عنه عن أبى سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا ، هكذا رويناه فى الجزء الثانى من حديث على بن حجر السعدى عن اسماعيل بن جعْفر عن محمد بن عمرو يه ، وفى تاريخ الأزرقى عن جده عن سعيد بن سالم القداح عن عثمان بن ساج عن محمد بن عمرو يه ، ولعل محمد بن عمرو فى الرواية التى ذكرها عنه الترمذى سلك فيها جادة إسناده المتكرر فى غير ما حدثت له عن أبى سلمة عن أبى هريرة والله أعلم ، وفى رواية محمد بن عمرو المرسلة التى فى تاريخ الأزرقى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك عام الفتح على الحجون ولا تضاد بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها وبين الرواية التى فيها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك وهو واقف بالحزورة لإمكان الجمع بين الروايتين بأن يكون قاله على الحجون فى الفتح وبالحزورة حين خرج من مكة فى عمرة القضية لأنه أراد الإقامة بمكة ليبنى فيها بزوجته ميمونة بنت الحارث الهلالية فأبت عليه قريش ذلك ، وظن بعض أهل عصرنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك حين خرج من مكة للهجرة إلى المدينة وليس كذلك لأن بعض طرق الحديث التى أخرجناها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك وهو على راحلته بالحزورة ، ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة حين هاجر إلى المدينة لأن الأخبار الواردة فى هجرته صلى الله عليه وسلم تقتضى أنه صلى الله عليه وسلم خرج من مكة مستخفيا ولو ركب بالموضع المشار إليه لأشعر ذلك بسفره والقصد خلاف ذلك والله أعلم ، والحزورة بحاء مهملة مفتوحة وزاى معجمة وعوام مكة يصحفون الحزورة ويقولون عزورة بعين مهملة ، وهذا التصحيف من قديم ، لأنى رأيت ذلك مكتوباً فى حجر رباط رامشت بمكة وتاريخه

سنة تسع وعشرين وخمسمائة، والحزورة الرابية الصغيرة والجمع الحزاور ، وكان عندها سوق الحناطين بمكة ، وهى فى أسفلها عند منارة المسجد الحرام التى تلى أجياد وما وقع للطبرانى من أن الحزورة فى شرقى مكة تصحيف صوابه سوق مكة كما وقع مصرحا به فى مسند أحمد بن حنبل من حديث عبد الله بن عدنى ابن الحمراء وما ذكرناه فى موضع الحزورة هو المشهور المعروف على ماذكره الأزرقى وذكر عن بعض المكيين أن الحزورة بفناء دار الأرقم يعنى دار الخيزران التى عند الصفاء ونقل عن بعضهم أنها بحذاء الردم فى الوادى والله أعلم ، والحزورة مخففة على وزن قسورة وذكر الدارقطنى ان تخفيف الحزورة هو الصواب وان المحدثين يفتحون الزاى و يشددون الواو وهو تصحيف نقل ذلك عنه صاحب المطالع قال وقد ضبطناه بالوجهين عن ابن سراج انتهى ، وأفاد الفاكهى سبب تسمية الحزورة لأنه قال : لما ذكر ولاية ابن نزار للكعبة وبيته فكان أمر البيت إلى رجل منهم يقال له وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد فبنى صرحا بأسفل مكة عند سوق الحناطين اليوم وجعل فيه أمة له يقال لها الحازورة فبها سميت حازورة مكة انتهى ، وقد روينا نحو حديث ابن الحمراء من رواية ابى هريرة وابن عباس رضى الله عنهم وعبد الله بن عمرو بن العاص فأما حديث أبى هريرة رضى الله عنه فاخبرنى به الحافظان ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين وأبو الحسن على بن أبى بكر المصريان سماعا بالقاهرة قالا : أخبرنا عبد الله بن محمد المقدسى قال : أخبرنا على بن احمد الحنبلى عن محمد بن معمر القرشى وأخته عائشة قالا : أخبرنا سعيد بن أبى الرجاء قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن النعمان قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن ابراهيم المقرى الحافظ . قال : أخبرنا اسحاق ابن احمد الخزاعى قال : أخبرنا محمد بن يحى بن أبى عمر قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال : « قد علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت» ، أخرجه النسائى عن سلمة بن شبيب عن عبد الرزاق بن همام فوقع لنا بدلاله عاليا ، ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده . عن عبد الرزاق به . وعن إبراهيم بن خالد الصنعانى . عن رباح بن زيد عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة . عن بعض الصحابة . ولم[1] وذكر صاحبنا الحافظ أبو الفضل العسقلانى ، أبقاه الله . أن رواية معمر شاذة يعنى روايته لهذا الحديث عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا قال : والظاهر أن الوهم فيه من عبد الرزاق لأن معمرا كان لا يحفظ اسم صحابيه كما جاءت رواية رباح عنه ، وعبد الرزاق سلك الجادة فقال : عن أبى سلمة عن أبى هريرة ثم قال : و إذا تقرر ذلك علم أن لا أصل له من حديث أبى هريرة والله أعلم . انتهى ، وروينا

---

(١) يوجد بالأصل فضاء بعد كلمة ولم

نحوه فى الثالث من حديث المخلص اسقا ابن أبى الفوارس ، وفى المنتقى من سبعة أجزاء من حديث المخلص أيضا من حديث عبد الله بن رباح الأنصارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أخبرنى به القاضى المفتى أبو بكر بن الحسين الشافعى سماعا بطيبة عن أحمد بن أبى طالب إذناً وكتابة ، وأنبأنى به محمد بن عبد الرحمن القضاعى فى كتابه أن أحمد بن أبى طالب أخبره سماعا . قال : أخبرنا أحمد بن يعقوب المارستانى إذنا ، قال : أخبرنا أبو المعالى بن النحاس عن أبى القاسم بن البشرى قال : أخبرنا أبو طاهر المخلص قال : حدثنا يحيى بن محمد قال : حدثنا أحمد بن محمد بن سنان قال : حدثنا مؤمل بن اسماعيل قال . حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا ثابت عن عبد الله بن رباح الأنصارى قال : خرجت فى وفد فيه أبوهريرة . فذكر عن أبى هريرة فى حديث ذكره أنه قال : لما قدمنا مكة أتته الأنصار وهو قائم على الصفا فجلسوا حوله فجعل يقلب بصره فى نواحى مكة وينظر إليها ويقول : والله لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله ولولا أن قومى أخرجونى ما خرجت ، وبه إلى المخلص قال : حدثنا يحيى بن محمد قال : حدثنا أحمد بن سنان بالرملة قال : حدثنا مؤمل بن اسماعيل قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : حدثنا ثابت قال : حدثنا عبد الله بن رباح الأنصارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله وبه قال ابن صاعد : هذان الخبران لم يأت بهما فى هذا الحديث إلا مؤمل بن اسماعيل انتهى ، وإسناد هذا الحديث فيه نظر، لأن مؤمل بن اسماعيل الذى تفرد به كثير الخطأ على ما قال أبو حاتم ، وفيه نظر أيضا . لمكان غيره فيه وإنما أوردناه لغرابته والله أعلم ، وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما . فأخبرنى به المسندان الأمام المفتى أبو أحمد ابراهيم بن محمد اللخمى ومحمد بن حسن بن على القرشى المصريان سماعا على الثانى وأجازه مشافهة من الأول أن الحافظ أبا الفتح اليعمرى أخبرهما سماعا قال : قرأت على أبى حفص عمر بن عبد المنعم هوسل من غوطة دمشق: أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصارى قال : أخبرنا أبو الحسين بن المسلم قال : أخبرنا الحسين بن محمد بن أحمد بن كلاب قال : أخبرنا ابن جميع قال : حدثنا ابراهيم بن معاوية قال : حدثنا عبد الله ابن سليمان قال حدثنا نصر بن عاصم قال : حدثنا الوليد قال : حدثنا طلحة عن عطاء بن عباس رضى الله عنهما قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله وأكرمها على الله ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت ، وعاليا عمر بن حسن المزى فى إذنه العام ، قال : أخبرنا عمر بن عبد المنعم المذكور بسنده السابق أخرجه الترمذى فى المناقب عن محمد بن موسى البصرى عن فضيل بن سليمان وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن الحسن بن سفيان عن فضيل بن الحسين الجحدرى عن فضيل بن سليمان عن ابن حتيم عن سعيد بن جبير وابن الطفيل كلاهما عن ابن عباس ، وقال الترمذى : حسن صحيح غريب فى هذا الوجه وأما حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فذكره الفاكهى فى كتابه أخبار مكة ولفظه وحدثنا ميمون

ابن الحكم الصنعانى قال : حدثنا محمد بن جعشم عن ياسين بن معاذ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على أهل مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرى أين بعثتك ؟ بعثتك على أهل الله . ليس بلد أحب إلى الله عز وجل ولا إلىّ منها ولكن قومى أخرجونى فخرجت ، ولو لم يخرجونى لم أخرج . وحدثنا عبد الله بن عمران قال : حدثنا سعيد بن سالم قال : حدثنا عثمان بن ساج قال : أخبرنى يحيى بن أبى أنيسة عن ابن شهاب الزهرى قال أخبرتى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحو من حديث ميمون انتهى ، وحديث عبد الله بن عدى بن الحمراء السابق هو حجة القائلين بأفضلية مكة على غيرها من البلاد والأماكن ما خلا المكان الذى دفن فيه النبى صلى الله عليه وسلم فانه أفضل بقاع الأرض بالإجماع على ما نقل القاضى عياض فى شرح مسلم حتى إنه أفضل من موضع الكعبة على ما صرح به أبو اليمن بن عساكر فى اتحافه ، وممن قال بأفضلية مكة على غيرها من البلاد الإمام أبو حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل فى أصح الروايتين عنه ، وابن وهب وابن حبيب من المالكية ، وقال العبدى : إنه مذهب أكثر الفقهاء ، وقال ابن عبد البر : إن ذلك يروى عن عمرو على وابن مسعود وأبى الدرداء وجابر وغيرهم من الصحابة قال : وهم أولى أن يقلدوا ممن جاء بعدهم قال : وحسبك بفضل مكة أن فيها بيت الله الذى رضى بحط الأوزار للعباد بقصده فى العمر مرة ولم يقبل من أحد منهم صلاة إلا باستقبال جهته إن قدر على التوجه اليها وهى قبلة المسلمين أحياء وأمواتا انتهى ، قلت : الفضل الثابت لمكة ثابت لجميع حرمها كما ذكره المحب الطبرى فى القرى (لقاصد أم [1] القرى منسكه) وضعف ابن عبد البر بعض الأحاديث المستدل بها على ان المدينة أفضل من مكة ، وذلك الحديث الذى أخرجه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال حين خرج من مكة إلى المدينة : اللهم إنك تعلم أنهم أخرجونى من أحب البلاد إلى فاسكنى أحب البلاد اليك . الحديث ، قال فيه ابن عبد البر انه لا يصح ولا يختلف أهل العلم فى نكارته ووضعه انتهى ، وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه لمن استدل به على ما ذكره المحب الطبرى ، لأنه لما ذكر اختلاف العلماء فى تفضيل المدينة على مكة فى الفضل الذى عقده لفضل مسجد المدينة والصلاة فيه ، قال : وما احتجوا به من قوله صلى الله عليه وسلم : أخرجتنى من أحب البلاد أو البقاع الى فاسكنى فى أحب البقاع اليك . محمول على أنه أراد أحب البقاع اليك بعد مكة بدليل حديث النسائى وابن حبان المتقدم فى فضل مكة . يعنى حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء فانه دل على أنها أحب أرض الله إلى الله على أن هذا الحديث نفسه لا دلالة فيه لأن قوله واسكنى فى أحب البقاع إليك هذا

---

(١) فى النسخة (ك) لم يوجد مابين القوسين .

السياق يدل فى العرف على أن المراد بعد مكة فإن الإنسان لا يسأل عما خرج منه ، فإن قال : أخرجتنى فأسكنى يدل على ارادة غير الخرج [١] منه ، فيكون مكة مسكوتا عنها فى الحديث انتهى ، وحديث رافع بن خديج رضى الله عنه : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المدينة خير من مكة كما فى معجم الطبرانى قال فيه ابن عبد البر ضعيف الإسناد ولا يحتج به وقيل إنه موضوع وذكره الذهبى فى فضل البلدان وقال حديث واه منكر الحديث ، وهذان الحديثان أشهر الأحاديث المستدل بها على أن المدينة أفضل من مكة ، وممن قال بذلك الأمام مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه خلا من ذكرنا ونقل القاضى عياض ذلك عن عمر بن الخطاب و بعض الصحابة وأكثر أهل المدينة والله أعلم ، ولا ريب فى أن مكة والمدينة أفضل من سائر البلاد لإجماع الناس على ذلك كما ذكره القاضى عياض ، كما أن بيت المقدس أفضل من سائرها بعد مكة والمدينة للإجماع ، ومستند الإجماع فى ذلك أحاديث مشهورة ثابتة فى الصحيحين وغيرهما والله أعلم .

ذكر الأحاديث الدالة على ان الصلاة بمسجد مكة أفضل من الصلاة فى غيره من المساجد

روينا فى ذلك أحاديث من حديث أنس بن مالك وجابر بن عبد الله الأنصاريين وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبى هريرة وأبى الدرداء وأم الدرداء وعايشة رضى الله عنهم ، وقد أخرجنا هذه الأحاديث فى أصل هذا الكتاب بأسانيدنا ونقتصر هنا على عزوها لكتب أهل العلم ، فأما حديث أنس وجابر رضى الله عنهما ففى سنن ابن ماجه واسناده فى حديث جابر صحيح على ما قال ابن جماعة فى منسكه ، وحديث ابن الزبير فى مواضع يأتى ذكرها ، وحديث ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهما فى مسند ابن حنبل ، وحديث أبى الدرداء رضى الله عنه فى المعجم الكبير للطبرانى بسند حسن على ما قال بعض مشايخنا ، وحديث أم الدرداء رضى الله عنها فى الاتحاف لا بن عساكر ، وحديث عائشة رضى الله عنهم [٢] فى المعجم الأوسط للطبرانى ، وحديث ابن الزبير رضى الله عنهما عندى اعلاها وقد اخبرنى به ابراهيم بن محمد الصوفى سماعا بمكة ان احمد بن ابى طالب الصالحى أخبره عن ابن اللتى وأبى بهروز قالا : أخبرنى ابو الوقت قال : أخبرنا الداودى قال : أخبرنا الحموى قال أخبرنا إبراهيم بن حزيم قال : حدثنا عبد بن حميد الحافظ قال : حدثنا سليمان بن حرب قال : حدثنا حماد بن زيد عن حبيب المعلم عن عطاء عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة فى

---

(١) لعلها الخروج .

(٢) كذا بالأصل ولعله عنها .

مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة وأخبرنيه أعلى من هذا على بن محمد الخطيب عن أبى بكر الوشتى قال : أخبرنا الحافظ بن خليل قال : أخبرنا الرازى قال: أخبرنا الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال: أخبرنا عبد الله بن فارس قال: أخبرنا يونس ابن حبيب قال : حدثنا أبو داود الطيالسى قال : حدثنا الربيع بن صبيح قال :سمعت عطاء بن أبى رباح يقول بينما ابن الزبير يخطبنا إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام تفضل بمائة صلاة . قال عطاء فكانت مائة ألف قال قلت يا أبا محمد هذا الفضل الذى يذكر فى المسجد الحرام وحده أو فى الحرم ؟ قال: بل فى الحرم فان الحرم كله مسجد ، ورأيناه فى اتحاف الزائر لأبى اليمن بن عساكر من حديث شبابة بن سواد عن الربيع بن صبيح به إلا أن فيه وصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف ، ورأيناه فى مسند ابن حنبل والبزار ومعجم الطبرانى الكبير بألفاظ مختلفة ، ويتحصل من طرق حديث ابن الزبير ثلاث روايات ، أحدها أن الصلاة بالمسجد الحرام تفضل على الصلاة بمسجد المدينة بمائة صلاة كما فى مسند عبد بن عبيد[1] وابن حنبل والبزار واحدى روايتى الطبرانى فى الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح والرواية الأخرى أن الصلاة فى المسجد الحرام تفضل على الصلاة بمسجد المدينة بألف صلاة كما فى مسند الطيالسى و إتحاف ابن عساكر وحديث ابن الزبير من رواية حماد بن زيد أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن الحسن بن سفيان عن محمد بن عبد الله بن حساب عن حماد بن زيد فوقع لنا عاليا وقد روى موقوفا على ابن الزبير ، ومن رفعه فهو أحفظ وأثبت من جهة النقل على ما قاله ابن عبد البر ، وصحّح هذا الحديث وقال إنه الحجة عند التنازع ، و إنه نص فى موضع الخلاف قاطع عند من ألهم رشده ولم تمل به عصبيته (انتهى) ، وحديث كل من أنس وجابر وأبى الدرداء رضى الله عنهم فى الصلاه فى المسجد الحرام يقتضى تفضيل الصلاة بالمسجد الحرام على الصلاة بمسجد المدينة كحديث ابن الزبير الذى فى مسند الطيالسى واتحاف ابن عساكر ، وحديث ابن عمر ليس فيه بيان ما تفضل الصلاة به فى المسجد الحرام على الصلاة فى غيره و انما يقتضى ان الصلاة فيه افضل من غيره وحديث ابى هريرة يقتضى ان الصلاة فيه افضل من الصلاة فى مسجد المدينة بمائة صلاة ، هذا مقتضى حديث ابن عمر وأبى هريرة فى كتاب الفاكهى ، وقد ورد فى فضل الصلاة بالمسجد الحرام ثواب أكثر من هذا لأن الفاكهى قال : حدثنى عبد الله ابن منصور عن عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: من صلى فى المسجد الحرام حول بيت الله الحرام فى جماعة خمسة وعشرين مرة كتب الله له مائة ألف صلاة يكون ألفى الف صلاة ، ومن صلى فى المسجد الحرام أوفى بيته أو فى الحرم كتب الله له مائة ألف صلاة ، قيل له أوقال رجل من التابعين :

---

(١) عبيد كذا ولعله حميد .

أعن رأيك هذا يا ابن عباس ، أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ، وعبد الرحيم ضعيف وقال الفاكهى أيضا : وحدثنى محمد بن صالح البلخى قال : حدثنا أبو مطيع الحكم ابن عبد الله القرشى قال : حدثنا المسيب عن المبارك بن حسان عن الحسن ومعاوية بن قرة قالا : الصلاة فى المسجد الحرام بألفى ألف صلاة وخمسمائة صلاة والصلاة فى الحرم كله بمائة ألف صلاة . انتهى ، وروينا عن الجندى فى كتاب فضائل مكة له قال : حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال : حدثنا اسمعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد ابن مغفل عن وهب بن منبه قال : وجدت مكتوبا فى التورية[1] من شهد الصلوات الخمس فى المسجد الحرام كتب الله له بها اثنا عشر ألف ألف وخمسمائة ألف صلاة وروى الجندى فى تفسير قوله تعالى (إنَّ فى هذا لبلاغاً لقومٍ عابدين) حديثا يقتضى أن المراد بذلك الصلوات الخمس جماعةً فى المسجد الحرام ولفظه: حدثنا عبد الله بن أبى غسان حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : إنَّ فى هذا لبلاغاً لقومٍ عابدينَ . ثم قال : هى الصلوات الخمس فى الجماعة فى المسجد الحرام ، ولنذكر فوائد تتعلق بحديث ابن الزبير رضى الله عنهما وما شاهد منها ان ابن كنانة المالكى وغيره من المالكية قالوا فى قوله صلى الله عليه وسلم : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام . كما فى الصحيحين إنه يقتضى أن الصلاة بمسجده صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فى سائر المساجد بألف صلاة خلا المسجد الحرام، فإن الصلاة فى مسجده صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فى المسجد الحرام بدون الألف ليستقيم لهم بذلك ما رووا من تفضيل الصلاه بالمدينة على الصلاة بمكة ، وحديث ابن الزبير وما شابهه من الأحاديث التى ذكرناها يدفع هذا التأويل لأنها تقتضى تفضيل الصلاة بمكة على الصلاة بالمدينة والله أعلم ، ومنها أن النقاش المفسر حسب الصلاة بالمسجد الحرام على مقتضى حديث: إن الصلاة فيه أفضل من الصلاة فى سائر المساجد بمائة ألف صلاة ، فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة، وصلاة يوم وليلة وهى خمس صلوات فى المسجد الحرام عمر مائتى سنة وسبعة وتسعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال انتهى. قلت : رأيت لشيخنا بالاجازة الإمام بدر الدين أحمد بن محمد المعروف بابن الصاحب المصرى الإشارى كلاماً حسناً فى هذا المعنى لأنه قال فيما أنبأنا به أن كل صلاة بالمسجد الحرام فرادى بمائة ألف صلاة كما ورد فى الحديث ، وكل صلاة فيه جماعة بألفى ألف صلاة وسبعمائة ألف صلاة ، والصلوات الخمس فيه بثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة صلاة ، وصلاة الرجل منفردا فى وطنه غير المسجدين المعظمين كل مائة سنة شمسية بمائة وثمانين ألف صلاة وكل ألف سنة بألف ألف صلاة

---

(١) فى النسخة (ك) التوراة بدل التورية وهو الصحيح .

وثمانمائة ألف صلاة ، فتلخص من هذا أن صلاة واحدة فى المسجد الحرام جماعة يفضل ثوابها على ثواب من صلى فى بلدة فرادى حتى بلغ عمر نوح عليه السلام نحو الضعف ، وسلام على نوح فى العالمين. وهذه فائدة تساوى رحلة ، ثم قال : هذا إذا لم تضف إلى ذلك شيئا من أنواع البر فإن صام يوما وصلى الصلوات الخمس جماعة وجعل فيه أنواعا من البر وقلنا بالمضاعفة ، فهذا مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه انتهى ، ومنها أن للعلماء المالكية وغيرهم خلافا فى هذا الفضل هل يعم الفرض والنفل أو يختص بالفرض؟ وهو مقتضى مشهور مذهبنا ومذهب أبى حنيفة ، والقول بالتعميم مذهب الشافعى على ما صرح به النووى ، ومنها أن للعلماء خلافا فى المراد بالمسجد الحرام فقيل مسجد الجماعة الذى يحرم على الجنب الإقامة فيه ، حكاه المحب الطبرى ، وذكر أنه يتأيد بقوله صلى الله عليه وسلم : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام . والإشارة بمسجده إلى مسجد الجماعة فينبغى أن يكون المستثنى كذلك انتهى ، وقيل المراد بالمسجد الحرام الحرم كله ، قال المحب الطبرى : ويتأيد بقوله تعالى : « والمسجد الحرام الذى جعلناهُ للناسِ سواءً العاكفُ فيهِ والبادِ » . أو قوله تعالى : « سبحانَ الذى أسرَى بعبده ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى » . وكان ذلك من بيت أم هانئ انتهى ، وقيل المراد بالمسجد الحرام الكعبة خاصة ذكره المحب الطبرى عن بعضهم وأبهم له ، قال : واختاره بعض المتأخرين من أصحابنا وذكر أنه يتأيد بحديث أبى هريرة رضى الله عنه : صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا الكعبة . أخرجه النسائى انتهى باختصار . وذكر بعض الحفاظ من أصحابنا أن فى بعض طرق هذا الحديث إلا مسجد الكعبة وعلى هذا فلا تستقيم الدلالة بالحديث الذى ذكره المحب الطبرى على أن المراد بالمسجد الحرام الكعبة خاصة والله أعلم. ومنها أن هذا التضاعف بالنسبة إلى الثواب لا بالنسبة إلى إسقاط الفوائت كما يتخيله كثير من الجهال ولذلك نبهنا عليه . وممن صرح بذلك النووى فى شرح مسلم ، وقد ظهر بما ذكرناه من الأحاديث وكلام العلماء تفضيل مكة على سائر البلاد وأن ثواب الصلاة فيها أفضل من ثوابها فى غيرها ، وجاءت أحاديث تدل على تفضيل ثواب الصوم وغيره من القربات بمكة على ثواب ذلك فى غيرها إلا أنها فى الثبوت ليست كأحاديث فضل مكة والصلاة فيها ، وحديث تفضيل الصوم بمكة على غيرها . رويناه فى مسند ابن ماجه وفى تاريخ الأزرقى وفى المجالس المكية للميانشى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، وعنه ورد تضاعف حسنات الحرم على غيرها لأنا روينا عن زادان عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من حج من مكة ما شياً حتى يرجع إليها كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم . فقال بعضهم لابن عباس : وما حسنات الحرم ؟ قال : كل حسنة بمائة ألف حسنة . انتهى . رواه البيهقى مسنده إلى عيسى بن سوادة عن إسماعيل بن أبى خالد عن زادان وقال : تفرد به عيسى بن سوادة وهو مجهول انتهى . قلت : لم ينفرد به عيسى بن سوادة كما ذكر البيهقى لأنا رويناه فى الأربعين المختارة لخطيب مكة : الحافظ

ابن مسدى وغيرها من حديث سفيان بن عينية عن اسماعيل بن أبى خالد الذى رواه عنه ابن سوادة، وقال ابن مسدى : هذا حديث حسن غريب . انتهى . ورواه الحاكم من الوجه الذى رواه البيهقى وصحح إسناده وقال المحب الطبرى بعد أن أخرج هذا الحديث : وهذا الحديث يدل على أن المراد بالمسجد الحرام فى فضل تضعيف الصلاة الحرم جميعه لأنه عمم التضعيف فى جميع الحرم ، وكذلك حديث تضعيف الصلاة عمن فى جميع مكة وحكم الحرم ومكة فى ذلك سواء باتفاق إلا أن يخص المسجد بتضعيف زائد ذلك فبقدر كل صلاة بمائة ألف صلاة فيما سواه ، والصلاة فيما سواه بعشر حسنات فتكون الصلاة فيه بألف ألف حسنة ، والصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بمائة ألف حسنة و يشهد لذلك ظاهر اللفظ والله أعلم . قال : وعلى هذا تكون حسنة الحرم بمائة ألف حسنة وحسنة مسجده: إما مسجد الجماعة و إما الكعبة على اختلاف القولين بألف ألف ، و يقاس بعض الحسنات على بعض أو يكون ذلك خصيصاً للصلاة والله أعلم ، انتهى . وروينا عن الحسن البصرى ما يقتضى تضاعف الحسنة بمكة إلى مائة ألف حسنة لأنه قال : صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة ألف ، و كل حسنة بمائة ألف ، انتهى . وذكر المحب الطبرى أن فيما تقدم من أحاديث مضاعفة الصلاة والصوم بمكة دليلاً على اطراد التضعيف فى جميع الحسنات إلحاقاً بهما . قال: و يؤيد ذلك قول الحسن ، انتهى .

الباب السادس

فى المجاورة بمكة والموت بها وشىء من فضل أهلها

وشىء من فضل جدة ساحل مكة وشى من خبرها وشىء من فضل الطائف وشىء من خبره.

ذكر المجاورة بمكة

المجاورة بمكة مستحبة عند أكثر العلماء منهم الشافعى ، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة ، وابن القاسم صاحب مالك لأنه قال : إن جوار مكة مما يتقرب به إلى الله كالرباط والصلاة نقل ذلك عنه ابن الحاج المالكى فى منسكه واستحبها أيضاً أحمد بن حنبل لأنه روى عنه أنه قال : ليت لى الآن مجاورة بمكة ، وممن كره المجاورة بمكة أبو حنيفة وفهم ذلك ابن رشد المالكى من كلام وقع لمالك ، وسبب الكراهة عند من رآها من العلماء على ما قال المحب الطبرى فى القرى: خوف الملل وقلة الاحترام لمداومة الأنس بالمكان ، وخوف ارتكاب ذنب هنالك فإن المعصية ليست كغيرها وتهييج الشوق بسبب الفراق . قال أبو عمرو الزجاجى : من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشىء سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه . وقال المحب أيضاً : ولم يكره المجاورة أحمد بن حنبل فى خلق كثير وقالوا إنها فضيلة وما يخاف من ذنب فيقابل بما يرجى لمن أحسن من تضعيف الثواب ، وقد نزل بها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة وخمسون رجلاً سردهم المحب فى القرى وذكر النووى فى الإيضاح أن المختار استحباب المجاورة بمكة وعلل كراهة من كرهها فى العلماء بنحو مما قال المحب . ثم قال : وأما من استحبها فلما فيها من تضاعف الحسنات والطاعات وقد جاور بها ممن يقتدى به من سلف الأمة وخلفها خلائق لا يحصون انتهى . قلت : يدل لاستحباب المجاورة بمكة رغبة للنبى صلى الله عليه وسلم فى سكناها كما فى حديث عبد الله بن الحمراء وابن عباس وأبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم . وتمنى بلال رضى الله عنه العود إلى أماكن، بعضها بمكة و بعضها حولها حيث يقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بفخ وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة * وهل تبدون لى شامة وطفيل

هكذا رويناه فى تاريخ الأزرقى. وفى البخارى: بواد عوض قوله بفخ. وقد سبق أن الإذخر نبت معروف طيب الرائحة ، والجليل النمام وقبل النمام إذا جل، وفخ هو وادى الزاهر لأن ياقوتاً فى معجم البلدان قال لما ذكر فخ . قال السيد على بن وهاس العلوى: فخ وادى الزاهر فيه قبور جماعة من العلويين قتلوا فيه فى وقعة كانت لهم مع أصحاب موسى الهادى بن المهدى بن المنصور فى ذى الحجة سنة تسع وستين ومائة وللشعر فيه ميزات كثيرة . انتهى . وعلى بن وهاس هـذا من فضلاء مكة ممن أخـذ عن الزمخشرى ولأجله صنف الـكشاف على ما قيل ومدحه الزمخشرى فى الـكشاف وسيأتى فى الباب الأربعين إن شاء الله تعالى ذكر مجنة وشامة وطفيل ويدل لذلك قول عائشة رضى الله عنها : لولا الهجرة لسكنت مكة إنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان قط أحسن منه بمكة. روينا ذلك فى تاريخ الأزرقى ويدل لذلك ما رويناه عن الجندى فى فضائل مكة له ،قال: حدثنا أبو صالح محمد بن زنبور قال حدثنا سفيان بن عينية عن مطر عن أبى الطفيل قال: قال ابن عباس رضى الله عنهما : أقم بمكة وإن أكلت بها العضاه يعنى السمر ، ويدل لذلك أمور أخر ذكرناها فى أصل هذا الـكتاب مع أشياء أخر تتعلق بحكم المجاورة بمكة وفيما ذكرناه هنا من ذلك كفاية .

ذكر شىء مما جاء فى الموت بمكة

روينا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث ثم قال : ومن مات بمكة فإنما مات فى سماء الدنيا. إسناده ضعيف . وروينا عن الحسن البصرى فى رسالته المشهورة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من مات بمكة فكأنما مات فى سماء الدنيا . وروينا فى فضائل مكة للجندى عن محمد بن قيس بن مخرمة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من مات بمكة بعثه الله فى الآمنين يوم القيامة . وروينا فيه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً من جملة حديث يتعلق بالـكعبة قال فيه : إن آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل ، فقال : يارب ، أسألك من حج هذا البيت من ذريتى لا يشرك بك شيئاً أن تلحقه بى فى الجنة ، فقال الله تعالى : من مات فى الحرم لا يشرك بى بعثته آمناً يوم القيامة . وروينا فيه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة فى الآمنين . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات بمكة أو فى طريق مكة بعث من الآمنين ، ذكره ابن جماعة فى منسكه . قال : يروى أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى عن ما لأهل بقيع الغرقد ؟ فقال : لهم الجنة . فقال : يارب ما لأهل المعلاة ؟ قال : يا محمد سألتنى عن جوارك فلا تسألنى عن جوارى . انتهى . وسيأتى ذكر شىء من فضل معبرة المعلاة فى الباب الحادى والعشرين . وروينا

فى مسند الطيالسىّ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من زارنى كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله تعالى من الآمنين يوم القيامة . وروى حاطب بن أبى بلتعة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن مات فى أحد الحرمين بعث فى الآمنين يوم القيامة . أخرجه هكذا ابن الحاج المالكى فى مناسكه . وعن سلمان الفارسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيامة من الآمنين . أخرجه ابن جماعة .

ذكر شىء مما جاء فى فضل أهل مكة

روينا فى كتاب النسب للزبير بن بكار قاضى مكة وفى غيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة فقال له : هل تدرى إلى من أبعثك ؟ أبعثك إلى أهل الله . وروينا فى تاريخ الأزرقى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عزل عامله نافع بن عبد الحارث الخزاعى لاستعماله على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزى قارئاً لكتاب الله تعالى . ووجدت بخط بعض أصحابنا فيما نقله من خط الشيخ أبى العباس الميورقى ورد أن سفهاء مكة حشو الجنة واتفق بين عالمين فى الحرم منازعة فى تأويل الحديث وسنده فأصبح الذى طعن فى الحديث ومعناه ، قد طعن أنفه واعوج ، وقيل له : إى والله سفهاء مكة من أهل الجنة ، سفهاء مكة من أهل الجنة ، سفهاء مكة من أهل الجنة. فأدركه روع وخرج إلى الذى كان مكابره فى الحديث من علماء عصره وأقر على نفسه بالكلام فيما لا يعنيه وفيما لا يحيط به خُبراً . انتهى باختصار . و بلغنى أن الرجل المنكر للحديث هو الإمام تقى الدين محمد بن إسماعيل بن أبى الصيف اليمنى الشافعى نزيل مكة ومفتيها و بلغنى أنه كان يقول : إنما الحديث أسْفى مكة أى المحزونون فيها على تقصيرهم والله أعلم .

ومن الأخبار الواردة فى فضل أشراف مكة ما ذكره الشيخ جمال الدين أبو محمد عبد الغفار ابن القاضى معين الدين أبى العباس أحمد بن عبد المجيد الشهير بابن نوح الأنصارى الخزرجى الأقصرى المولد العوصى الدار فى كتابه المنتقى من كتاب الوحيد فى سلوك طريق أهل التوحيد والتصديق والإيمان بأولياء الله تعالى فى كل زمان. لأنه قال: وأخبرتنى الحاجة أم نجم الدين بنت مطروح وكانت من الصالحات وكانت زوجة القاضى سراج الدين قالت : حصل لنا غلاء بمكة شرفها الله تعالى وأكل الناس الجلود وكنا ثمانية عشر نفراً فكنا نعمل ما مقداره نصف قدح حسوة ، فبينما نحن كذلك إذ جاءنا أربعة عشر قطعة دقيق وجاء خلفها أهل مكة شرفها الله تعالى ، فاقتطعت منها أربع قطع وقلت له : أنت تريد تقتلنا بالجوع ، وفرق العشر القطع على أهل مكة ، فلما كان الليل

قام من منامه مرعوباً وربما قالت فبكى ، فقلت له : ما بالك ؟ قال : رأيت الساعة أو رأيت فى منامى فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وهى تقول : ياسراج تأكل البُرَّ وأولادى جياع .!! فقام وفرق الأربع قطع على الأشراف و بقينا بلا شىء وما كنا نقدر على القيام من الجوع . انتهى . ورو ينا فى أصل هذا الكتاب من تاريخ الأزرقى وغيره أخباراً أُخر تدل على فضل أهل مكة تركنا ذكرها هنا اختصاراً .

ذكر شىء من فضل جدة ساحل مكة وشىء من خبرها

قال الفاكهى : حدثنا عبد الله بن منصور عن سليم بن مسلم عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسو الله صلى الله عليه وسلم : مكة رباط وجدة جهاد . حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا يحي ابن سليم عن ابن جريج قال : سمعت عطاء[1] يقول : إنما جده حرانة مكة وانما يؤتى به إلى مكة ولا يخرج به منها . حدثنا ابن أبى يوسف قال : حدثنا يحي بن سليم عن أبى جريج قال : مكة رباط وجدة جهاد . قال ابن جريج : إنى لأرجو أن يكون فضل مرابط جدة على سائر المرابط كفضل مكة على سائر البلدان . حدثنا محمد بن على الصايغ حدثنا خليل بن رجاء قال : حدثنا مسلم أبو يونس قال : حدثنى محمد بن عمر عن حنو بن فجر قال : كنت جالساً مع عباد بن كثير فى المسجد الحرام فقلت : الحمد لله الذى جعلنا فى أفضل المجالس وأشرفها قال وأبى عن جده : الصلاة فيها سبعة عشر ألف ألف صلاة والدرهم فيها مائة ألف وأعمالها بقدر ذلك يغفر للناظر فيها مد بصره قال : قلت رحمك الله مما يلى البحر ؟ قال : مما يلى البحر . ثم قال الفاكهى حدثنا ابراهيم بن أبى يوسف قال حدثنا يحي بن سليم قال : سمعت عبد الله بن سعيد بن قنديل قال : جاءنا فرقد السنجى بجدة فقال : إنى رجل أقرأ هذه الكتب و إنى لأجد فيما أنزل الله عز وجل من كتبه جدة أو جديدة يكون بها قتلى وشهداء لا شهيد يومئذ على ظهر الأرض أفضل منهم . وقال بعض أهل مكة إن الحبشة جاءت جدة فى سنة ثلاث وثمانين فى مصدرها فوقعوا بأهل جدة فخرج الناس من مكة إلى جدة وأميرهم عبد الله بن محمد بن ابراهيم فخرج الناس غزاة فى البحر واستعمل عليهم عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن الحارث بن عبد الملك بن عبدالله بن أبى ربيعة المخزومى وجدت هذا فى كتاب أعطانيه بعض المكيين عن أشياخه يذكر هذا . انتهى . وابراهيم جد عبد الله بن محمد أمير مكة ، هذا هو ابراهيم المعروف بالإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أخو السفاح والمنصور حفيده عبد الله هذا ولى مكة للرشيد بن المهدى بن المنصور العباسى . وعلى هذا فسنة ثلاث وثمانين المشار إليها فى هذا الخبر سنة ثلاث وثمانين ومائة . وفى بعض الكتب أن اسم عبد الله هذا عبيد الله والله أعلم بالصواب . وجدة هى الآن ساحل مكة الأعظم . وعثمان بن عفان رضى الله عنه أول من جعلها ساحلاً بعد أن شاور الناس فى ذلك لما

(١) هو عطاء بن أبى رباح ، كما ورد فى خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال ص ١٢٥ .

سئل فيه فى سنة ست وعشرين من الهجرة وكانت الشعيبة ساحل مكة قبل ذلك . وذكر ابن جبير أنه رأى بجدة أثر سور محدق بها ، وذكر أن بها مسجدين ينسبان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأن أحدهما يقال له مسجد الأبنوس لساريتين فيه من خشب الأبنوس . وهذا المسجد معروف إلى الآن والمسجد الآخر غير معروف ولعله والله أعلم المسجد الذى تقام الجمعة فيه بجدة وهو من عمارة الملك المظفر صاحب اليمن على ما بلغنى ، وذكر ابن جبير أيضاً أنه كان بجدة موضع فيه قبّة مشيدة عتيقة يذكر أنها منزل حواء أم البشر زوج آدم عليهما السلام . انتهى . ولعل هذا الموضع هو الموضع الذى يقال له قبر حوّاء وهو مكان مشهور بجدة أن لا مانع من أن تكون نزلت فيه ودفنت فيه والله أعلم . واستبعد أن يكون قبر حواء بالموضع المشار إليه لكن ابن جبير لم يذكره وما ذاك إلا لخفاية عليه فهو فيما بعد رحلته من الزمن أخفى والله أعلم . وروى الفاكهى بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما أن قبر حواء بجدة . انتهى باختصار وبها دور كثيرة .

ذكر شىء من فضل الطائف وخبره

أخبرنى أبو هريرة بن الحافظ الذهبى بقراءتى عليه فى الرحلة الأولى بغوطة دمشق أن يحيى بن محمد بن سعد الأنصارى أخبره سماعاً وتفرد بالسماع منه قال : أخبرنا أبو المنجا بن اللتى وغيره قال : أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد البزار قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى قال : أخبرنا أبو يوسف يعقوب بن سفيان العسوى قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى القرشى ثم الأسدى قال حدثنا عبد الله بن الحارث ابن عبد الملك المخزومى قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن إنسان عن أبيه عن عروة بن الزبير عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من لِيَّةَ . قال الحميدى مكان بالطائف حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند طرف القرن الأسود حذوها فاستقبل نخبا ـ قال الحميدى : مكان بالطائف يقال له نخب ـ ببصره ثم وقف حتى اتفق الناس ثم قال : ان صيد وج وعضاهه حرم محرم لله عز وجل ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً . روينا هذا الحديث هكذا فى الأول من مشيخة العسوى عن الحميدى وهو فى سنن أبى داود ومسند ابن حنبل وإسناده ضعيف على ما قال النووى وقال قال البخارى : لا يصح وقال فى الإيضاح ويحرم صيد وج وهو واد بالطائف لكن لا ضمان فيه انتهى . وذكر المحب الطبرى فى تحريم صيد وج احتمالين لأنه قال : وتحريمه يحتمل أن يكون على وجه الحمى له وعليه العمل عندنا ، ويحتمل أن يكون حرمه فى وقت ثم نسخ . قال ونخب بفتح النون وكسر الخاء المعجمة وادٍ بالطائف وقيل هو واد بأرض هذيل قال : والقرن جبل صغير ورأسه مشرف على وهدة . قال : ووج بفتح الواو وتشديد الجيم قيل هو أرض الطائف نفسه يسمى بوج

ابن عبد الحق من العمالقة . انتهى . ووح بالحاء: ناحية نعمان . ذكره الحازمى من الأماكن فيما حكى عنه النووى ، وذكر أن وجا بالجيم ربما اشتبه بوح بالحاء . قال وقال الحازمى : وج اسم لحصون الطائف وقيل لواحد منها قال وقال فى المهذب هو واد بالطائف . انتهى . وقال صاحب المطالع : هو وادى وج على يومين من مكة . انتهى . قال المحب الطبرى ، وقد جاء فى الحديث أن وجا مقدس . انتهى . وروى الفاكهى: حدثنا من رواية خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن آخر وطأة وطئها الله تعالى بوج ، وقال الفاكهى قال سفيان يعنى ابن عيينة فى تفسيره: آخر غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف لقتاله أهل الطائف وحصاره ثقيفاً . انتهى . وذكر الشيخ أبو العباس الميورقى ما يوافق هذا التفسير ويزيده إيضاحاً لأنه قال وروى فى الصحاح للجوهرى آخر وطأة وطئها الله بوج ، وأحسن ما قيل فى ذلك ما كان شيخنا أبو محمد محمد بن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى يقول : آخر غزوة وطأ الله بها أهل الشرك غزوة الطائف بإثر فتح مكة شرفها الله تعالى . ذكر ذلك الميورقى فى جزء ألفه سماه : بهجة المهج فى بعض فضائل الطائف ووج ، وفيه أسئلة غريبة . ومما ذكره فى فضل الطائف ، وروى فى قوله عز وجل « وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ » أى بفتح مكة، والطائف أهم البلاد عليه وأحبها إليه . وقال المفسرون فى قوله تعالى : « لولا نزّل هذا القرآنُ على رجلٍ من الْقَرْيتين عَظيم » قالوا : هما مكة والطائف فقرن الله جل جلاله الطائف ببيته ، وفى ذلك غاية الفخر الذى تعجز العبارة عن كنهه وقدره وماهيته . انتهى . وقال الفاكهى : فى الآية الأخيرة أنها نزلت فى مكة والطائف فيما يقال ، وحكى فى الرجل قولين [1] : أحدهما أن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، والآخر أنه مسعود بن معتب الثقفى قال وأما الطائف فهى من مخاليف مكة وهى بلد طيب الهواء بارد الماء كان له خطر عند الخلفاء فيما مضى وكان الخليفة يوليها رجلاً من عنده ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة . انتهى . وبالطائف آثار تنسب للنبى صلى الله عليه وسلم منها السدرة التى انفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين وذلك لما اعترضته فى طريقه وهو سايرٌ وسنان ليلاً فى غزوة الطائف على ما ذكره ابن فورك فيما حكاه عنه القاضى عياض فى الشفا وبعض هذه السدرة باق إلى الآن والناس يتبركون به ومنها مسجد ينسب للنبى صلى الله عليه وسلم فى مؤخر المسجد الذى فيه قبر السيد عبد الله بن العباس [2]

---

(١) قال الخازن : اختلفوا فى هذا الرجل العظيم، قيل الوليد بن المغيرة بمكة ، وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة ، وكنانة بن عبد ياليل الثقفى من الطائف . وقال ابن عباس الوليد بن المغيره من مكة ، ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفى ،وفى عبارة الآمل ارتباك مرجعه إلى سقوط تتمة القولين .

(٢) توفى عام ٦٨ هـ بالطائف .

رضى الله عنهما لأن فى جداره القبلى من خارجه حجراً مكتوباً فيه : أمرت السيدة أم جعفر بنت أبى الفضل [١] أم ولاة عهد المسلمين أطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف وفيه أن ذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة والمسجد الذى فيه قبر ابن عباس رضى الله عنهما أظن أن المستعين العباسى عمره مع ضريح ابن عباس رضى الله عنهما واسمه مكتوب فى المنبر الذى فى هذا المسجد واسم الملك المظفر صاحب اليمن مكتوب فى القبة التى فيها ضريح ابن عباس رضى الله عنهما بسبب عمارته لها ، وبالطائف مواضع أخر تنسب للنبى صلى الله عليه وسلم معروفة عند أهل الطائف ، وذكر الحافظ أبو محمد القاسم ابن الحافظ أبى القاسم على بن عساكر خبراً فى فضل أهل الطائف نقله عن المحب الطبرى فى القرى ونص ذلك على ما فى القرى عن عبد الملك بن عباد بن جعفر . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أول من أشفع له يوم القيامة من أمتى أهل المدينة وأهل الطائف . انتهى . واختلف فى سبب تسمية الطائف بالطائف فقال السهيلى : ذكر بعض أهل النسب أن الدمون بن الصدف واسم الصدف مالك بن مالك بن مربع بن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه فلحق ثقيفاً فأقام بها وقال لهم : ألا أبنى لكم حائطاً يطيف بلدكم فبناه فسمى به الطائف ذكره البكرى واعترض عليه السهيلى فما ذكره فى نسب الدمون وأفاد شيئاً من خبره وخبر ولده وذكر ابن الكلبى ما يوافق هذا القول . وقيل فى تسمية الطائف أن جبريل عليه السلام طاف به حول الكعبة على ما ذكر بعض المفسرين لأنه قال فى تفسير قوله تعالى فى سورة ن « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » أن جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها الله تعالى حيث الطائف اليوم فسميت باسم الطائف الذى طاف عليها وطاف بها . انتهى باختصار من كتاب السهيلى ، ونقل الميورقى عن الأزرقى : أن الطائف سمى بالطائف لطواف جبريل به سبعاً حول البيت لما اقتلعه من الشام لدعوة الخليل عليه السلام حيث يقول : « وارزق أهله من الثمرات » الآية والله أعلم بالصواب . وقد أتينا على جملة من فضل الطائف وخبره ، ومن غريب خبره ما ذكر الميورقى عن الفقيه ابن محمد عبدالله بن حموا النحارى عن شيخ الخدام بالحرم النبوى بدر الشهابى أنه بلغه أن ميضاه وقعت فى عين الأزرق فى الطائف فخرجت بعين الأزرق بالمدينة [٢] على ساكنها السلام .

77 + voir p. 288

◆◆◆◆◆◆◆

(١) يريد بها السيدة زبيدة زوج الرشيد وأم ولى عهده الأمين ونسب المأمون والمعتصم إليها تجوزا وكانت قد زارت الحجاز وأدخلت فيه بعض الاصلاحات وبنت العمائر وأجلها عين زبيدة التى بمكة .

(٢) هذه الروايات وأشباهها من نقل جبريل للطائف من الشام وظهور الميضاه التى سقطت فى عين الأزرق بالطائف فظهرت بالمدينة من الأساطير القديمة وأوهام العوام التى لادليل عليها ولا يصدقها العقل .

الباب السابع

فى أخبار عمارة الكعبة المعظمة

لا شك أن الكعبة المعظمة بنيت مرات، وقد اختلف فى عدد بنائها، ويتحصل من مجموع ما قيل فى ذلك أنها بنيت عشر مرات : منها بناء الملائكة عليهم السلام ، ومنها بناء آدم عليه السلام ، ومنها بناء أولاده ، ومنها بناء الخليل ابراهيم عليه السلام ، ومنها بناء العمالقة ، ومنها بناء جرهم ، ومنها بناء قصى بن كلاب ، ومنها بناء قريش، ومنها بناء عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى رضى الله عنه ، ومنها بناء الحجاج بن يوسف الثقفى ، واطلاق العبارة بأنه بنى الكعبة تجوُّزٌ لأنه لم يبن إلا بعضها كما سيأتى بيانه ، ولم أذكر ذلك إلاَّ لكون السهيلى والنووى ذكرا ذلك فى عدد بناء الكعبة ، ووجدت بخط عبد الله بن عبد الملك المرجانى أن عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بنى الكعبة بعد قصى وقبل بناء قريش ولم أر ذلك لغيره وأخشى أن يكون وهماً والله أعلم . فأما بناء الملائكة للكعبة فذكره الأزرقى فى تاريخه وذكر أن ذلك قبل خلق آدم عليه السلام ، واستدل على ذلك بخبر رواه عن زين العابدين وذكر من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً ما يدل لبناء الملائكة للكعبة ، وذكر النووى فى تهذيب الأسماء واللغات بناء الملائكة للكعبة وعدَّ ذلك أول بنائها ، ولم يذكر بناء آدم للكعبة ، وذلك عجيب منه لأن بناء آدم فى الشهرة كبناء الملائكة أو أشهر وإن كانا غير ثابتين ، وكلا البنايتين على تقدير صحتهما تأسيس والله أعلم . فأما بناء آدم عليه السلام فروينا فيه خبراً مرفوعاً فى كتاب دلائل النبوة للبيهقى ولفظه. أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادى قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال : حدثنا أبو صالح الجهنى قال : حدثنى ابن لهيعة عن يزيد عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما : ابنيا لى بيتاً فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى أجابه الماء فنودى من تحته : حسبك يا آدم فلما بناه الله إليه أن تطوف به ، وقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع ابراهيم القواعد منه . قال البيهقى تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعاً . وذكر الأزرقى بناء آدم للكعبة واستدل له بخبرين رواهما عن ابن عباس رضى الله عنهما فى أحدهما أنه بناه من خمسة أجبل : لبنان ، وطور زيتا ، وطور سيناء، والجودى، وحراء حتى استوى على الأرض وفى الآخر كان آدم عليه السلام أول من أسس البيت وصلى فيه ، وفى مصنف عبد الرزاق أن آدم

بنى البيت من هذه الخمسة الجبال وأن مربضه كان من حراء . قال المحب الطبرى: والمربض هنا هو الأساس المستدير بالبيت . وذكر الأزرقى بسنده إلى ابن اسحاق ما يدل لبناء آدم الكعبة فى أثناء خبر بناء الخليل عليه السلام للكعبة واختلف هل بناء الملائكة قبل بناء آدم أو بناء آدم قبل الملائكة؟ وذكر الأزرقى رحمه الله ما يشهد للقولين(١) وذكرنا ذلك فى أصل هذا الكتاب .

ذكر البيت المعمور الذى أنزله الله على آدم وشىء من خبره

روينا فى تاريخ الأزرقى عن مقاتل يرفع الحديث إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث حدث به أن آدم عليه السلام قال : أى رب إنى أعرف شقوتى إنى لأرى شيئاً من نورك يتعبد فيه فأنزل الله عز وجل عليه البيت المعمور على عرض البيت وموضعه من ياقوتة حمراء ولكن طولها كما بين السماء والأرض وأمره أن يطوف بها فأذهب الله عنه الغم الذى كان يجد قبل ذلك ثم رفع على عهد نوح . وأما بناء آدم للكعبة فذكره الأزرقى لأنه روى بسنده إلى وهب بن منبه قال : لما رفعت الخيمة التى عرى الله بها آدم عليه السلام من حلته الجنة حين وضعت له بمكة فى موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتاً بالطين والحجارة فلم يزل معموراً يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بوئ لابراهيم عليه السلام انتهى . وقال الحافظ أبو القاسم السهيلى فى الفصل الذى عقده لبنيان الكعبة وكان بناؤها فى الدهر خمس مرات : الأولى حين بناها شيث بن آدم عليه السلام ، انتهى . قلت : هذا يخالف ما تقدم فى من بنى الكعبة أولاً هل هو الملائكة أو آدم ؟ ولعل السبب عند من قال إن شيثاً أول من بنى الكعبة كون بنائه كان بيتاً بالطين والحجارة بخلاف بناء آدم فإنه كان بناء لأساس البيت كما فى خبر بنيانه ، وأنزل الله عليه من الجنة البيت الذى كان يطوف به وهو البيت المعمور كما سبق ، ولعله الخيمة المشار إليها فى خبر وهب بن منبه والله أعلم . ولعل سبب نسبة هذا البناء لشيث بن آدم كونه كان وصى أبيه كما يروى عن وهب بن منبه والله أعلم . وأما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت كما فى القرآن العظيم والسنة الشريفة وهو أول من بنى البيت على ما ذكر الفاكهى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وجزم به الشيخ عماد الدين بن كثير فى تفسيره ، وقال لم يجىء خبر عن معصوم إذ البيت كان مبنيًّا قبل الخليل انتهى . وروينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن إسحاق أن الخليل لما بنى البيت جعل طوله فى السماء تسعة أذرع وعرضه فى الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً من الركن الأسود إلى الركن الشامى الذى عنده الحجر من وجهه وجعل عرض ما بين الركن الشامى إلى الركن الغربى اثنين وعشرين ذراعاً ، وجعل طول ظهرها من الركن الغربى إلى الركن اليمانى أحدا وثلاثين ذراعاً وجعل عرض شقها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرين

(١) القول الراجح المعقول أن بناء الملائكة قبل بناء آدم .

ذراعاً وجعل بابها بالأرض غير مبوب وحفرها فى بطن البيت على يمين من دخله يكون خزانة للبيت وكان يبنى واسماعيل ينقل له الحجارة على رقبته . وذكر ابن الحاج المالكى فى منسكه شيئاً من خبر بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة فقال : وكان صفة بناء ابراهيم عليه السلام للبيت أنه كان مدوراً من ورائه وكان له ركنان وهما اليمانيان فجعلت قريش حين بنوه أربعة أركان . انتهى . وروينا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : أما والله ما بنيناه بقصب [١] ولا مدر ولا كان معهما من الأعوان والأموال ما يسقفانه ولكنهما أعلياه وطافا به . وروينا عن عثمان ابن ساج أنه بلغه أن الخليل بنى الكعبة من سبعة أجبل وروينا عن أبى قلابة أنه بناه من خمسة أجبل : حراء ، وثبير [٢] ، ولبنان ، والطور ، والجبل الأحمر . وروينا عن قتادة قال : ذكر لنا أنه يعنى الخليل بناه من خمسة أجبل : من طور سيناء [٣] ، وطور زيتا [٤] ، ولبنان ، والجودى [٥] ، وحراء . قال : وذكر لنا أن قواعده من حراء . انتهى. ويروى أنه أسس البيت من ستة أجبل : من أبى قبيس ، ومن الطور ، ومن القدس ، ومن ورقان ، ومن رضوى ، ومن أحد . انتهى . قلت : هذا يعكر على الحكمة التى ذكرها السهيلى فى كون الخليل بنى الكعبة من خمسة أجبل على ما قيل لأنه قال بعد أن ذكر أن الخليل عليه السلام بنى الكعبة من خمسة أجبل هى : طور زيتا ، وطور سيناء، والجودى، ولبنان ، وحراء . وانتبه لحكمة الله تعالى كيف جعل بناءها من خمسة أجبل فشاكل ذلك معناها إذ هى قبلة الصلوات الخمس وعمود الإسلام ، وقد بنى على خمس . انتهى . وأما بناء العمالقة وجرهم للكعبة فذكره الأزرقى لأنه روى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال فى خبر بناء ابراهيم للكعبة ثم انهدم فبنته العمالقه ، ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم، ثم انهدم فبنته قريش . انتهى. وذكره الفاكهى لأنه روى بسنده عن على رضى الله عنه

---

(١) القصب : الغاب ، والمدر : الحجارة .

(٢) ثبير : إن الأثبرة بمكة كثيرة منها ثبير الاعرج ، وثبير غينى، يقول ياقوت وهما (حراء) والجبل الذى بمنى على يمين الهابط من مزدلفة إلى منتهى منى عند جمرة العقبة . يقال له ثبير أيضاً، وبمزدلفة جبل يقال له ثبير ، وهو على يسار الذاهب إلى منى . وهناك أثبرة أخرى أيضاً منها الجبل الذى بين خندمة وأبى قبيس . ومنها جبل الزنج يقال له ثبير الزنج وهو الجبل المعروف عند أهل مكة الآن بجبل الحفائر كما يغلب على الظن .

(٣) «طور سيناء» ويقال : طور سينين . وهو الجبل المعروف فى صحراء سينا شرقى مصر وهذا هو المشهور، وهناك جبل بالشام أى بفلسطين يقال له : طور سيناء أيضاً .

(٤) « طور زيتا » جبل فى القدس مشرف على المسجد الأقصى .

(٥) «الجودى» . جبل يطل على دجلة وعلى جزيرة ابن عمر وهى قرية من أعمال الموصل. وعلى هذا الجبل استوت سفينة نوح عليه السلام لما نضب ماء الطوفان . ويقال إن بعثة أمريكية عثرت على سفينة نوح عند جبل أرارات بتركيا وقالت إن هذا الجبل هو الجودى .

قال : أول من بنى البيت ابراهيم ، ثم انهدم فبنته جرهم ، ثم هدم البيت فبنته العمالقة ، ثم هدم فبنته قريش . قلت هذا يقتضى أن جرهما بنت البيت قبل العمالقة والخبر الأول يقتضى أن العمالقة بنته قبل جرهم و به جزم المحب الطبرى فى القرى والله أعلم . وذكر المسعودى ما يقتضى أن الذى بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الأصغر لأنه لما ذكر خبرهم قال فيه: إن الحارث هذا زاد فى بناء البيت ورفعه كما كان عليه من بناء إبراهيم . انتهى والله أعلم بحقيقة ذلك ، وأما بناء قصى بن كلاب فذكره الزبير بن بكار قاضى مكة فى كتاب النسب لأنه قال وقال غير أبى عبيدة من قريش بن عبد العزى بن عمران العنبسى أخذ قصى فى بنيان البيت وجمع نفقته ثم هدمها فبناها بنياناً لم يبن أحد ممن بناها مثله ، وجعل وهو يبنيها يقول :

ابنى و بيتى الله يرفعها * وليبن أهل وراثها بعدى

بيتا بها وتمامها وحجابها * بيد الإله وليس بالعبدى

فبناها وسقفها بخشب الدوم الجيد و بجريد النخل و بناها على خمسة وعشرين ذراعاً فلذلك يقول أعشى بكر بن وائل :

فانى وثو بى راهب اللج والتى * بناها قصى والمضاض بن جرهم

لئن جد أسباب العداوة بيننا * لترحلن منِّى على ظهر شيهم[1]

وذكر الزبير بن بكار فى مواضع أخر ما يشهد له . وسيأتى ذكره فى خبر قصى ، ونقل ذلك كله عن الزبير الفاكهى فى كتاب أخبار مكة وقال بعد ذكره لخبر عبد العزيز بن عمران يعنى بالشيهم القنفذ . وذكر الفاكهى بناء قصى عن غير الزبير لأنه قال فى خبر قصى ، وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة حدثنا عبد الله بن يزيد عن أبى لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن أبى الأسود قال : بلغنى أن قصى بن كلاب بنى البيت بعد بناء ابراهيم ثم بنته قريش . انتهى . وذكر أبو عبد الله محمد بن عابد الدمشقى فى مغازيه أن قصى بن كلاب بنى البيت وجزم به الماوردى فى الأحكام السلطانية لأنه قال : فكأن أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل . انتهى . ولم يذكر ذلك الأزرقى رحمه الله والله أعلم بحقيقة ذلك . وأما قول عبد العزيز بن عمران فى الخبر الذى ذكره الزبير بن بكار و بناها على خمسة وعشرين ذراعاً ففيه نظر لأنه إن أراد به أن قصيا جعل ارتفاع الكعبة خمسة وعشرين ذراعاً كان مخالفاً لما اشتهر فى الأخبار

---

(١) الشيهم : القنفذ

من أن الخليل عليه السلام جعل طولها تسعة أذرع وأن قريشاً زادت فى طولها تسعة أذرع و إن أراد أن قصياً جعل عرضها خمسة وعشرين ذراعاً فالمعروف أن عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعاً فى بناء الخليل لها بل يزيد على خلاف فى مقدار الزيادة وان أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها فى هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعاً ثلاثة أذرع أو أزيد ، وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم لم يبنها إلا على قواعده غير أن قريشاً اقتصرت من عرضها فى الجهة الشرقية والغربية أذرعاً عن أساس ابراهيم عليه السلام لأمر اقتضاه الحال وصنع ذلك الحجاج بعد ابن الزبير عناداً كما سيأتى بيانه . وأما بناء قريش الكعبة فهو ثابت كما فى السنة الشريفة الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم وحضره صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين سنة كما جزم به ابن إسحاق وغير واحد من العلماء وقيل ابن خمس وعشرين سنة كما جزم به موسى بن عقبة فى مغازيه وابن جماعة فى منسكه ونقله مغلطاى عن تاريخ يعقوب بن سفيان وقيل ابن ثلاثين سنة حكاه ابن خليل فى منسكه وجزم به ، وهذا القول غير معروف وأظنه سقط من كتابه لفظة خمس بين ابن و بين ثلاثين والله أعلم . وقيل إنه صلى الله عليه وسلم كان حين بناء قريش للكعبة غلاماً ذكر هذا القول الأزرقى لأنه قال فى ترجمة ترجم عليها بقوله ذكر ما كان عليه ذرع الكعبة حين صار إلى ما هو عليه إلى اليوم من خارج وداخل ثم بنتها قريش فى الجاهلية والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ غلام . انتهى . وذكر الفاكهى ما يوافق ذلك وفيما ذكره بيان لسن النبى صلى الله عليه وسلم حين كان غلاماً لأن الغلام يقع على الصبى من حين يولد إلى حين يبلغ وما ذكره الفاكهى فى ذلك مذكور فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله: ذكر ما كانت عليه الكعبة فى عهد إبراهيم عليه السلام من الطول والعرض إلى يومنا هذا ، لأنه قال : ثم بنتها قريش فى الجاهلية ، وقد كتبنا بناءها فى موضع بناء قريش الكعبة والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ قد ناهز الحلم . انتهى . وهذا القول والقول الذى ذكره ابن خليل غريبان لمخالفتهما المشهور فى سنه صلى الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة وهو ما ذكره ابن إسحاق أو ما ذكره ابن عقبة ولم أر من ذلك القول الذى ذكره ابن خليل والله أعلم . وهو صلى الله عليه وسلم الذى وضع الحجر الأسود موضعه من الكعبة حين اختلفت قريش فى ذلك وكان سبب بنائهم لها لوهنها من الحريق الذى أصابها حين جمرت والسيل العظيم الذى دخلها وصدع جدرانها بعد توهنها بالحريق وجعلوا ارتفاعها من خارجها من أعلاها إلى الأرض ثمانية عشر ذراعاً منها تسعة أذرع زائدة على طولها حين عمرها الخليل عليه السلام واقتصروا من عرضها أذرعاً جعلوها فى الحجر لقصر النفقة الحلال التى أعدوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا و يمنعوا من شاءوا وكبسوها بالحجارة وجعلوا فى داخلها ست دعائم فى صفين ثلاث فى كل صف من الشق الذى يلى الحجر إلى الشق اليمانى وجعلوا فى ركنها الشامى من داخلها درجة يصعد منها إلى سطحها وجعلوه سطحاً

وجعلوا فيه ميزابا يصب فى الحجر ، هذا ملخص بالمعنى مختصر مما ذكره الأزرقى فى خبر بناء قريش ، وقد ذكرناه بكماله فى أصل هذا الكتاب مع ما ذكره ابن اسحاق فى ذلك وفوائد أخر تتعلق بذلك . وذكر الأزرقى والفاكهى فى القدر الذى زادته قريش فى طول الكعبة على بناء الخليل عليه السلام أمراً يستغرب . أما الأزرقى فإنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله ماجاء فى ذكر بناء قريش الكعبة فى الجاهلية : حدثنى جدى عن داود بن عبد الرحمن العطار قال حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم القارى عن أبى الطفيل فذكر خبراً فى بنيان قريش للكعبة وفيه ثم هدموها و بنوها عشرين ذراعاً طولها . انتهى ، وأما الفاكهى فانه قال : وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة ابن زهر قال حدثنا ابراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن أبى سليمان عن أبيه عن بن الزبير رضى الله عنهما قال : قال عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان عالماً بأمر الجاهلية و بنيان البيت قال : ان قريشاً لما هدمت الكعبة فجعلو يبنونها بأحجار الوادى تحملها قريش على رقابها فرفعوها فى السماء عشرين ذراعاً وكانوا ينقلون الحجارة من اجياد [1] . انتهى باختصار . ووجه الغرابة فى ذلك مخالفته لما ذكر الأزرقى والفاكهى وغيرهما من أن قريشاً جعلوا طول الكعبة لما بنوها ثمانية عشر ذراعاً . وذكر الفاكهى أيضاً فى من وضع الحجر الأسود فى الكعبة حين بنتها قريش أمراً يستغرب أيضاً لأنه قال فى أثناء خبر ذكره ، وزعم عباد بن عبد الرحمن الأعرج مولى ربيعة بن الحارث قال : حدثنى من لا أتهم عن حسان بن ثابت ، وكان قد شهد بناءها قال : رأيت عبد المطلب بن هاشم جالساً على سور الكعبة وهو شيخ كبير قد ربط له حاجباه وهم يختصمون فى الركن ليرفعوه إليه فلما قضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قضى ورفعته قريش فى الثوب حتى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فرفعه إلى عبد المطلب وكان هو الذى وضعه بيده فقال له محمد بن على حين حدثه والله ما سمعت هذا من أحد من أهل بيتى وما سمعت أحداً يذكر إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى وضعه بيده [2] قال عثمان : قال محمد وحدثت عن بعض أهل العلم أن عبد المطلب أخذ بيده وجعلت قريش أيديهما تحت يده ثم رفعوا حتى انتهوا به إلى موضعه فوضعه النبى صلى الله عليه وسلم بيده كل ذلك قد سمعناه فى الركن . انتهى . ووجه الغرابة فى كون عبد المطلب وضع الحجر الأسود فى الكعبة حين بنتها قريش مخالفته لما اشتهر من أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى وضع الحجر الأسود بيده فى الكعبة حين بنتها قريش على ما هو مشهور وفى خبر بنائهم ، ويتأيد ذلك بأن عبد المطلب مات وللنبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين ، وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة أيام وقيل

---

(١) لعله يريد وادى ابراهيم لقربه من الكعبة ومن أجياد كما ذكر بعد .

(٢) هذه الرواية بينة الضعف لأن الثابت أن عبد المطلب توفى ورسول الله ابن ثمان سنوات .

تسع سنين وقيل عشر سنين ، وقيل ست سنين ، وقيل ثلاث سنين. والكعبة بنيت وللنبى صلى الله عليه وسلم خمس وثلاثون سنة ، وقيل خمس وعشرون سنة على ما هو المشهور فى سنه حين بنتها قريش (١) ، وإذا كان كذلك فلا يكون عبد المطلب وضع الحجر الأسود بيده حين بنتها قريش ولا حضر بناءهم لها ، على أن الفاكهى ذكر فى موضع آخر ما يقتضى أن عبد المطلب حضر بناء قريش ذكر ذلك فى خبر تبع . وأما بناء ابن الزبير للكعبة فانه ثابت مشهور . وسبب ذلك توهن الكعبة من حجارة المنجنيق التى أصابتها حين حوصر ابن الزبير بمكة فى أوائل سنة أربع وستين من الهجرة لمعاندته يزيد بن معاوية وما أصابها مع ذلك من الحريق بسبب النار التى أوقدها بعض أصحاب ابن الزبير فى خيمة له فطارت الرياح بلهب تلك النار فأحرقت كسوة الكعبة والساج الذى بنى فى الكعبة حين عمرتها قريش فضعفت جدران الكعبة حتى إنها لينقض من أعلاها إلى أسفلها ويقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها ، ولما زال الحصار عن ابن الزبير لإدبار الحصين بن نمير من مكة بعد أن بلغه موت يزيد بن معاوية رأى ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها فوافقه على ذلك نفر قليل وكره ذلك نفر كثير، منهم ابن عباس رضى الله عنهما . ولما أجمع على هدمها خرج كثير من أهل مكة إلى منى مخافة أن يصيبهم عذاب ، وأمر ابن الزبير رضى الله عنهما جماعة من الحبشة فهدمتها رجاء أن يكون فيهم الحبشى الذى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه يهدمها فهدمت الكعبة أجمع حتى بلغت الأرض وكان هدم ابن الزبير لها يوم السبت فى النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، وبناها على قواعد ابراهيم وأدخل فيها ما أخرجته منها قريش فى الحجر ، وزاد فى طولها على بناء قريش نظير ما زادته قريش فى طولها على بناء الخليل وذلك تسعة أذرع فصار طولها سبعة وعشرين ذراعاً بتقديم السين وهى سبعة وعشرون مدماكاً (٢) ، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض أحدهما بابها الموجود اليوم والآخر المقابل له المسدود ، واعتمد فى ذلك وفى إدخاله فى الكعبة ما أخرجته قريش منها فى الحجر حين أخبرته به خالته عائشة رضى الله عنها يأتى ذكره وجعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد وجعل لها درجة فى ركنها الشامى يصعد منها إلى سطحها ، وجعل فيها ميزاباً يصب فى الحجر ، وجعل فيها روازن للضوء . هذا ملحق بالمعنى مختصر مما ذكره الأزرقى فى خبر بناء ابن الزبير للكعبة ، وما ذكره من أن زيادة ابن الزبير تسعة أذرع فى طول الكعبة هو المشهور . وروينا فى صحيح مسلم من حديث عطاء بن أبى رباح أن ابن الزبير رضى الله عنهما زاد فى طول الكعبة عشرة أذرع ، وفيه ما يقتضى أنه لم يهدم الكعبة فى الوقت الذى ذكره الأزرقى ، وصرح ابن الأثير فى كامله بأن عمارة ابن الزبير للكعبة كانت سنة خمس وستين ، ثم قال : وقيل كانت عمارتها فى

---

(١) المشهور أن الرسول كانت سنه حينئذ خمسا وثلاثين سنة كما رواه ابن اسحق « الروض الآنف ج ١ ص ١٢٧ » .

(٢) المدماك مقياس قديم لأهل مكة .

سنة أربع وستين ، وهذا يوافق ما ذكره الأزرقى والقول الأول موافق لما فى مسلم لأن فيه من حديث عطاء بن أبى رباح قال : لما احترق البيت زمان يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام وكان من أمره ما كان تركه ابن الزبير حتى قدم الناس فى الموسم فلما صدر الناس قال : يا أيها الناس أشيروا علىّ فى الكعبة أنقضها ثم أبنيها أو أصلح ما وهى منها ؟ . فقال له ابن عباس رضى الله عنهما : إنى أرى أن تصلح ما وهى منها وتدع بيتاً أسلم الناس عليه وحجارة أسلم الناس عليها وبعث عليها النبى صلى الله عليه وسلم، فقال ابن الزبير : لو أن أحدكم احترق بيته ما رضى حتى يجدده فكيف ببيت ربكم إنى مستخير ربى ثلاثاً ثم عازم على أمرى، فلما مضت الثلاثة أجمع رأيه أن ينقضها فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس يصعد عليه أمر من السماء حتى صعد رجل فألقى منه حجارة فلما لم ير الناس أصابه شىء تتابعوا فنقضوه حتى بلغ به الأرض . انتهى باختصار . ووجه مخالفة هذا لما ذكره الأزرقى أنه يقتضى أن ابن الزبير لم يهدم البيت حتى صدر الناس من الموسم ، وصدورهم منه كان بعد حجهم ، وزمن الحج غير الزمن الذى ذكره الأزرقى أن ابن الزبير هدم فيه البيت ، وقد سبق ذلك قريباً والله أعلم بالصواب وتكون عمارة ابن الزبير للبيت على مقتضى حديث عطاء فى آخر ذى الحجة من سنة أربع وستين ، وفى سنة خمس وستين ، وذلك يوافق ما جزم به ابن الأثير من بناء الكعبة والله أعلم . ولم أر فى تاريخ الأزرقى ذكر الوقت الذى فرغ فيه ابن الزبير من بناء الكعبة وهو سنة خمس وستين على ما ذكره المسبّحى فى تاريخه على ما وجدت بخط الحافظ رشيد الدين بن الحافظ زكى الدين المنذرى فى اختصاره لتاريخ المسبّحى والله أعلم . وذكر المحب الطبرى ما يقتضى أن فراغ ابن الزبير من عمارة الكعبة كان فى ليلة سابع عشر من رجب من سنة أربع وستين ، لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله : ما جاء فى عمرة التنعيم فى الباب الثامن والثلاثين من القرى بعد أن ذكر اعتماد ابن الزبير من التنعيم لما فرغ من بناء الكعبة . وذكر أبو الوليد أن هدم الكعبة كان يوم السبت فى النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، والظاهر أن ابتداء البناء عقيبه بعد الفراغ منه وأهل مكة يعتمرون فى ليلة سبع وعشرين من رجب فى كل سنة وينسبون هذه العمرة إلى ابن الزبير ولا يبعد أن يكون بناء الكعبة امتد إلى هذا التاريخ فان تطابق الناس على ذلك يأثره الخلف عن السلف وفعله كل سنة بأسبابه تدل على صحة النسبة إليه وانه اعتمر فى ذلك الوقت وأن الفراغ من بناء الكعبة كان فى هذا التاريخ والله أعلم . وقد اختلفت الأخبار فيمن وضع الحجر الأسود فى موضعه من الكعبة حين بناها ابن الزبير فقيل وضعه عبد الله بن الزبير بنفسه . ذكر ذلك الأزرقى فى خبر رواه عن الواقدى بسنده لأن فيه : فلما بلغ البناء موضع الركن جاء ابن الزبير حتى وضعه بنفسه وشده بالقصبة انتهى . وقيل وضعه عباد بن عبد الله بن الزبير ، وهذا فى خبر رواه الأزرقى ذكر فيه أن عبد الله بن الزبير أمر ابنه عباداً وجبير بن شيبة أن يجعلا الركن فى ثوب ويخرجاه وهو يصلى بالناس فى صلاة الظهر فى يوم شديد الحر لئلاّ

يعلم الناس بذلك فيتنافسوا فى وضعه فيه : ففعلا ذلك ، وفيه : فكان الذى وضعه فى موضعه هذا عباد بن عبدالله ابن الزبير وأعانه عليه جبير بن شيبة وقيل وضعه حمزة بن عبد الله بن الزبير بأمر أبيه ، نقل ذلك السهيلى عن الزبير بن بكار ، ورأيت فى تاريخ الأزرقى وكتاب الفاكهى ما يقتضى أن الحجبة وضعوه فى موضعه ومعهم حمزة ابن عبد الله بن الزبير ، والله أعلم بالصواب . فيتلخص من ذلك أربعة أقوال فيمن وضع الحجر الأسود حين بنى ابن الزبير الكعبة ، وأما بناء الحجاج للكعبة فهو أيضاً ثابت مشهور ذكره الأزرقى وغيره ، وملخص ذلك أن الحجاج بعد محاصرته ابن الزبير وقتله كتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها باباً آخر واستأذنه فى رد ذلك على ما كان عليه فى الجاهلية ، فكتب إليه عبد الملك أن يسد بابها الغربى ويهدم ما زاد فيها ابن الزبير من الحجر ويكبسها به على ما كانت عليه ففعل ذلك الحجاج وبناؤه فى الكعبة الجدار الذى من جهة الحجر بسكون الجيم والباب الغربى المسدود فى ظهر الكعبة عند الركن اليمانى وما تحت عتبة الباب الشرقى وهو أربعة أذرع وشبر على ما ذكر الأزرقى وترك بقية الكعبة على بناء ابن الزبير . وهذا ملخص مما ذكره الأزرقى فى ذلك بالمعنى ، وكان ذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة على ما ذكره ابن الأثير ، وقيل سنة ثلاث وسبعين على ما ذكر الذهبى فى العبر . ثم إن عبد الملك بن مروان ندم على ما وقع منه فى أمر الكعبة ، وقال : وددت والله أنى كنت تركت ابن الزبير وما تحمل حين أخبره الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى أنه سمع من عائشة رضى الله عنها حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم الذى اعتمده ابن الزبير فيما فعله فى الكعبة . أخبرنى بحديث عائشة رضى الله عنها الزاهد عبد الرحمن بن أحمد المقرى سماعاً بالقاهرة فى الرحلة الأولى : أن يونس بن ابراهيم العسقلانى أخبره سماعاً عن أبى الحسن على بن الحسين البغدادى عن أبى بكر ابن الزاغونى ونصر بن نصر العكبرى قال الزاغونى أخبرنا ابن نصر الزينبى وقال العكبرى أخبرنا أبو القاسم ابن البسرى قالا : أخبرنا أبو طاهر المخلص قال حدثنا يحيى قال حدثنا بكار بن عيينة قال حدثنا أبو داود الطيالسى قال : حدثنا سليم بن حيان قال حدثنا سعيد بن مثنى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال أخبرتنى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة وألزقتها بالأرض وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ولزدت ستة أذرع من الحجر فى البيت فإن قريشاً استقصرت ذلك لما بنت البيت ، وقد اختلفت الروايات فيما تركته قريش من الكعبة فى الحجر ، وسنذكر ذلك فى أخبار الحجر .

ذكر شيء من حال الكعبة بعد بناء ابن الزبير والحجاج
وما وضع فيها من العمارة وما عمل لها من الأساطين والميازيب والأبواب
بعد ابن الزبير والحجاج

اعلم أنه لم يغير أحد من الخلفاء والملوك فيما مضى من الزمان و إلى الآن [١] ما بناه ابن الزبير والحجاج فيما علمناه ولو وقع ذلك لنقل فان ذلك مما لا يخفى لعظم أمره ، والذى غير فيها بعدهما ميزابها غير مرة و بابها غير مرة كما سيأتى بيانه و بعض أساطينها وما دعت الضرورة إلى عمارته فى جدرها وسقفها ودرجتها التى يصعد منها إلى سطحها وعتبتها ورخامها وهو مما حدث فى الكعبة بعد ابن الزبير والحجاج ، وذكر الأزرقى أن الوليد بن عبد الملك أول من فرش الكعبة بالرخام وأزّر به جدْارنها [٢] ونقل ذلك عن ابن جريج لأنه قال : قال ابن جريج وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأحمر والأخضر والأبيض الذى فى بطنها فوزر به أيضاً جدرانها وفرشها بالرخام وأرسل به من الشام ثم قال الأزرقى : فجميع ما فى الكعبة من الرخام فهو من عمل الوليد بن عبد الملك انتهى . وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك ابن مروان يحب أن يردها على ما بناها ابن الزبير ، حين أخبره بذلك خليفته الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان لما سأله عن ذلك ولم يمنع سليمان من ذلك إلا كون الحجاج صنع ذلك بأمر أبيه عبد الملك بن مروان ذكر هذا الخبر الأزرقى ، و يروى أن الخليفة الرشيد ، وقيل جده المنصور أراد أن يغير ما صنعه الحجاج فى الكعبة وأن يردها إلى ما صنع ابن الزبير فنهاه عن ذلك الإمام مالك بن أنس رحمه الله وقال له : نشدتك الله لا تجعل بيت الله ملعبةً للملوك لا يشأ أحد منهم أن يغيره إلا غيَّره فتذهب هيبته من قلوب الناس . انتهى بالمعنى ، وكان مالك لحظ فى ذلك كون درء المفاسد أولى من جلب المصالح وهى قاعدة مشهورة معتمدة ، ونشير إلى ما علمناه من العمارات التى وقعت فى الكعبة بعد ابن الزبير والحجاج . فمن ذلك انفتاح الجدار الذى بناه الحجاج من وجه الكعبة

---

(١) يريد الفاسى إلى وقت تأليف كتابه ، ونذكر بهذه المناسبة أن الخليفة العثمانى السلطان مراد خان قام بعمارة للكعبة عام ١٠٤٠ هـ — ١٦٣٠ م بعد مطر شديد صدع البناء وقتل فيه نحو ألف إنسان ، وقد سقط الجدار الشامى من الكعبة وبعض الجدارين الشرقى والغربى فى عهد أمير مكة مسعود بن إدريس بن حسن (راجع ص ٩٢ — ١٢٧ من كتاب تاريخ الكعبه المعظمة تأليف حسين عبدالله باسلامه رحمه الله — طبعة أولى) .

(٢) أزر جدرانها أى غطى جدرانها من أسفل إلى حوالى ثلثها بالرخام وهذا مايسمى بالوزرة فى لغة مصر وهو تغطية أسفل الحائط بالخشب ونحوه .

ودبرها وترميمه . ذكر ذلك إسحاق بن أحمد الخزاعى أحد من روى عن الأزرقى فى تاريخه ونص كلامه وأنا رأيتها ، وقد عمر الجدار الذى بناه الحجاج مما يلى الجدار فانفتح من البناء الأول الذى بناه ابن الزبير مقدار نصف أصبع من وجهها ومن دبرها وقد رم بالجص الأبيض . انتهى . وذكر ذلك من انفتاح الجدر وترميمه وقع فى عصره والآخر أن يكون وقع ذلك قبله ورآه كما ذكر والله أعلم . ووقع فيما ذكره الأزرقى ما يقرب من هذا ومن ذلك ما وقع فى سطح الكعبة على ما ذكر الأزرقى لأنه قال : وكانت أرض سطح الكعبة بالفسيفساء ثم كانت تكف عليهم إذا جاء المطر فقلعته الحجبة بعد سنة مائتين ، وسدوه بالمرمر المطبوخ والجص شيد به تشييدا .

ومن ذلك عتبة باب الكعبة السفلى على ما ذكره الأزرقى لأنه قال : لما ذكر العمارة المتعلقة بالكعبة فى زمن المتوكل العباسى وهى فى سنة إحدى وأربعين ومائتين وكانت عتبة باب الكعبة السفلى قطعتين من خشب الساج قد برتا ونخرتا من طول الزمان عليهما فأخرجهما ، يعنى المندوب للعمارة إسحاق بن سلمة الصايغ وصير مكانهما قطعة من خشب الساج وألبسهما صفائح فضة . انتهى . ومن ذلك رخامتان أو ثلاث فى جدران الكعبة قلع ذلك إسحاق بن سلمة وأعاد نصبه بجص صُنع فى التاريخ المشار إليه . ذكر ذلك الأزرقى أيضاً ومن ذلك ما وقع بعد الأزرقى وهو عمارة سقف الكعبة والدرجة التى بباطنها وكلاهما فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة . ومن ذلك عمارة رخامها فى عشر الخمسين وخمسمائة فى غالب ظنى ، وهذه العمارة من جهة الوزير جمال الدين المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل . ومن ذلك ما وقع فى سنة تسع وعشرين وستمائة وما عرفت للمعمور فى تلك السنة من الكعبة هل هو فى سقفها أو أرضها وجدرها كإصلاح رخامه فى ذلك وغيره والله أعلم . وهذه العمارة من جهة المستنصر العباسى لأن فى جدر الكعبة اليمانى من داخلها رخامة مكتوباً فيها بعد البسملة : أمر بعمارة البيت المعظم الإمام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين وفيها بعد الدعاء له فى شهور سنة تسع وعشرين وستمائة ، ومن ذلك رخام الكعبة بأمر الملك المظفر صاحب اليمن واسمه مكتوب بسبب ذلك فى الكعبة فى رخامة فى وسط الجدر الغربى ونص المكتوب : أمر بتجديد رخام هذا البيت المعظم العبد الفقير إلى رحمة ربه يوسف بن عمر بن على بن رسول، وفيها بعد الدعاء له بتاريخ شوال سنة ثمانين وستمائة . ومن ذلك إلصاق رخام خشى سقوطه فى بعض جدرانها من داخلها فى آخر سنة إحدى وثمان مائة أوفى أول سنة اثنتين وثمان مائة . ومن ذلك مواضع فى سطحها كان يكثر وكف المطر منها إلى سفلها، منها موضع عندالطابق الذى فى هذا الموضع متسعاً مضراً يصل الماء منه إلى الجدر الشامى من الكعبة لقربه منها وينزل الماء منه فى وسط الجدار ومواضع بقرب بعض الروازن التى للضوء . وكان إصلاح المواضع المذكورة بالجبس بعد قلع الرخام الذى هناك وأعيد فى موضع وأبدل بعضه بغيره وأصلحت الروازن كلها بالجبس وكانت الأخشاب المطبقة بأعلى الروازن التى عليها البناء

المرتفع فى سطح البيت قد تخربت فعوّضت بخشب سوى ذلك ، وأعيد البناء الذى كان عليها كما كان إلا أن الروزن الذى يلى باب الكعبة فإن خشبه لم يغير ، وكان الروزن الذى يلى الركن الغربى قد تخرب بعض الخشب الذى فى جوفه مما يلى السقف والكسوة التى فى جوف الكعبة ، وكانت الكسوة التى تليه قد زال تشبكها فشمرت ، وكان الروزن الذى يلى الركن اليمانى منكسراً فقلع وعوّض بروزن جيد وُجد فى أسفل الكعبة وأُصلح فى الدرجة أخشاب متكسره ، وشاهدت إصلاح كثير من هذه الأمور وأنا بسطح الكعبة مع من صعد لعمل ذلك وذلك فى أيام متفرقة فى العشر الأوسط من شهور رمضان سنة أربع وعشرين وثمانمائة عقب مطر عظيم حصل بمكة فى أوائل هذا العشر وصار يخرج بسببه من باب الكعبة إلى الطواف كأفواه القرب ، ومن ذلك أن فى النصف الأخير من ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة أصلحت الروازن التى بسطح الكعبة ورخامة تلى ميزابها لأن الماء كان ينتقع عليها لخراب ما تحتها فقلعت وأزيل ما تحتها من الخراب وأعيد إلصاقها بعد إحكام هذا الإصلاح ، ومن ذلك فى هذا التاريخ أن الأخشاب التى بسطح الكعبة المعدة لربط كسوتها تخربت فقلعت وعوض عنها بأخشاب جيدة محكمة وركبت فيها الحلق الحديد التى يشد بها كسوة الكعبة ووضعت الأخشاب بسطح الكعبة فى مواضعها قبل ذلك ، ومن ذلك أن فى صفر سنة ست وعشرين وثمانمائة قلع الرخام الذى بين جدر الكعبة الغربى والأساطين التى بالكعبة لتخرب به وأعيد نصبه محكماً كما كان بالجص وأصلح رخام آخر فى بعض جدران الكعبة لتخرب به وكتب بسبب ذلك فى لوح رخام يقابل باب الكعبة ومعنى المكتوب فيه : تقرب إلى الله تعالى برخام هذا البيت الشريف المطهر العبد الفقير إلى الله تعالى الملك الأشرف برسباى فى سنة ست وعشرين وثمانمائة . انتهى. والملك الأشرف المشار إليه هو صاحب الديار المصرية والشامية والحرمين فى هذا التاريخ زاده الله نصراً وتوفيقا . ومن ذلك أن الأسطوانة التى تلى باب الكعبة ظهر بها ميل فخيف من أمرها فاجتمعنا بالكعبة الشريفة مع جماعة من قضاة مكة والأمير المندوب من مصر فى السنة الماضية لعمارة المسجد الحرام أحسن الله إليه وغيره من الأعيان بمكة والعارفين بالعمارة وكشف من فوق السارية المذكورة فوجدت صحيحة فحمدنا الله تعالى كثيراً على ذلك وردت حتى استقامت وأحكم ذلك كما كانت أولاً فلله الحمد ، والأمير المشار إليه هو الجناب العالى السيفى مقبل القديدى الملكى الأشرفى صاحبنا أحسن الله إليه . وكان إصلاح هذه الأسطوانة فى يوم السبت سادس عشر صفر سنة ست وعشرين وثمانمائة وإصلاح الرخام فى أيام من الشهر المذكور ، ومما غير فى الكعبة بعد ابن الزبير والحجاج عتبة الباب السفلى لأن الأزرقى ذكر أنها جعلت قطعة واحدة من خشب الساج كما سبق ذكره . وعتبة الكعبة الآن السفلى حجر منحوت وما منى كان ذلك . وقد خفى علينا من المعنى الذى ذكرناه من أمر عمارة الكعبة كثير لعدم تدوين من قبلنا لذلك ويدخل فى المعنى الذى ذكرناه من عمارة الكعبة العمارة الواقعة فى شاذروانها ، وقد بيّنا ما علمناه من ذلك فى الباب الذى بعد هذا فى الترجمة المتعلقة بالشاذوران . وأما الأساطين فواحدة فيما علمت على ما ذكر الفاكهى لأنه

قال : حدثنى أبو على الحسن بن مكرم قال : حدثنا عبد الله بن بكر قال : حدثنى أبى بكرُ بن حبيب قال : جاورت بمكة فعابت اسطوانة من أساطين البيت فأخرجت وجىء بأخرى ليدخلوها مكانها فطالت عن الموضع وأدركهم الليل والكعبة لا تفتح ليلاً فتركوها مائلة ليعودوا من غد فيصلحوها فجاؤوا من غد فأصابوها أقوم من القدح . انتهى . ولم يذكر ذلك الأزرقى ولم أر من ذكر ذلك غير الفاكهى وهو غريب جداً والله أعلم. وفيه كرامة للبيت زاده الله شرفاً . وأما الميازيب فميزاب عمله الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط المشهور بمكة وصل به خادمه مثقال بعد موته مع تابوته فى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وميزاب أبعده الخليفة[1] المقتفى العباسى فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة أوفى التى بعدها وجعل عوض ميزاب رامشت ، ومنها ميزاب عمله الناصر[2] العباسى وهو الآن فى الكعبة لأن اسمه مكتوب فيه وهو خشب مبطن برصاص فى الموضع الذى يجرى فيه الماء ، وظاهره مما يبدو للناس مطلى بفضة، وأصلح الموضع الذى يجرى فيه الماء منه فى العشر الأوسط من شهر رمضان سنة أربع عشرة وثمانمائة بعد قلع اللوح الذى فوقه ستر مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان وطول هذا الميزاب بما منه فى جدار الكعبة يزيد على أربعة أذرع بالحديد مقدار ثمن الذراع أو أكثر الشك منى فى مقدار الزيادة بعد تحريرى لذلك فى التاريخ الذى ذكرنا فيه إصلاحه ، وأحدث عهد حلّى فيه هذا الميزاب سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

وأما الأبواب فباب عمله الوزير جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور المعروف بالجواد سنة خمسين وخمسمائة وركب عليها فى سنة إحدى وخمسين وكتب عليه اسم الخليفة حليته على ما ذكر ابن جبير فى أخبار رحلته ، وذكر فيها صفة حليته وكلام ابن الأثير يوهم أن الذى صنع للكعبة الباب فى هذا التاريخ الخلفية المقتفى لأنه قال فى أخبار سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فيها قلعة الخليفة المقتفى لأمر الله باب الكعبة وعمل عوضه باباً مصفحاً بالنقرة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتاً يدفن فيه إذا مات . انتهى . وليس ما ذكره ابن الأثير من نسبة هذا الباب للمقتفى معارضاً لما ذكره ابن جبير من نسبته للجواد لأن الجواد إنما صنعه بأمر المقتفى وأضاف إليه هذا الباب بكتابة اسمه عليه ، وإنما نبهنا على ذلك لئلا يتوهم أن كلاً منهما صنع للكعبة باباً لأنه يبعد أن يعمل كل منهما للكعبة باباً فى تاريخ واحد بسبب واحد وهو اتخاذ الباب الأول تابوتاً للدفن ، فإن الجواد عمل تابوتاً على ما قيل من الباب الذى كان قبل بابه حمل فيه إلى المدينة الشريفة ودفن بها ولم يكن يتمكن من ذلك إلاّ بموافقة المقتفى عليه وإظهاره أن للمقتفى رغبة فى عمل الباب الذى قبل بابه تابوتاً ولأجل ذلك نسب هذا الأمر للمقتفى كما ذكر ابن الأثير والله أعلم . ومنها باب عمله الملك المظفر صاحب اليمن وكان عليه صفايح فضة زنتها ستون رطلاً وصارت لبنى شيبة ، ومنها باب عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر وركب على الكعبة بعد قلع باب الملك المظفر

(١) هو أبو عبد الله الحسين المقتفى لأمر الله بن المستظهر ، بويع بالخلافه سنة ٥٣٠ واستمر إلى أن توفى سنة ٥٥٥ هـ .

(٢) هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء ، بويع بالخلافة سنة ٥٧٥ هـ وظل بها إلى أن توفى سنة ٦٢٢ هـ.

فى ثامن عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وكان عليه من الفضة خمسة وثلاثون ألف درهم وثلاثمائة درهم على ما ذكره البرازلى وذكر أن هذا الباب من السنط الأحمر ، ومنها باب عمل فى سلطنة ولده الملك الناصر حسن وذلك فى سنة إحدى وستين وسبعمائة وهو من خشب الساج عمل بمكة واستمر فى الكعبة إلى تاريخه إلا أنه فى سنة ست وسبعين وسبعمائة قلع منها لعمل الحلية التى هى فيه الآن وعوض عنه بباب قديم كان للكعبة وهو الآن فى حاصل زيت الحرم ولعله باب الكعبة الذى عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم أعيد إليها الباب الذى عمل بمكة فى دولة الناصر حسن بعد تحليته فى التاريخ الذى ذكرناه على ما أخبرنى به والدى أعزّه الله ، وذكر أن مقدار هذه الحلية لما كان مشارفاً على عملها ، وأظن أنه حلّى فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة والله أعلم ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون مكتوب فى هذا الباب بأسفله واسم حفيده الملك الأشرف شعبان بن حسين فى بعض فيارٍ من الباب وفى بعض فيارى الباب وهو الجانب الذى يكون على يمين الداخل إلى الكعبة مكتوب اسم الملك المؤيد أبى النصر شيخ صاحب مصر نصره الله لأن بعض خواصه قدم الى مكة فى أول يوم من ذى الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة فرأى جانب الباب المشار إليه محتاجاً إلى الحلية فحلاّه بفضة وطلاها بالذهب وكتب فى ذلك اسم الملك المؤيد نصره الله ، ومقدار الفضة التى حلى بها الموضع المشار إليه مائة درهم ونيف وتسعون درهماً على ما أخبرنى به بعض من صاغ ذلك ، وكان عمل ذلك والفراغ منه قبل الطلوع إلى عرفة فى أيام من العشر الأول من ذى الحجة من سنة ست عشرة وثمانمائة واستحسن ذلك ممن صنعه فالله يزيده رفعة واسم الملك المظفر صاحب اليمن على مفتاح قفل باب الكعبة الآن ، وفى القفل أيضاً فيما أظن لأن فيه كتابة ممحوّة والله أعلم .

ولنختم هذا الفصل بفائدة فى بيان أول من بوّب الكعبة : أول من بوّبها انوش بن شيث بن آدم عليه السلام على ما ذكر الزبير بن بكار لأنه قال : وقال محمد بن حسن حدثنى عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : أنوش بن شيث بن آدم أول من غرس النخلة و بوب الكعبة وزرع الحبة . انتهى ، وذكر ذلك السهيلى رحمه الله لأنه قال : أنوش وتفسيره الصادق وهو بالعربية أنش وهو أول من غرس النخلة و بوب الكعبة و بذر الحبة . انتهى . وروينا فى تاريخ الأزرقى ما يقتضى أن تبعا الحميرى أول من بوب الكعبة لأنه قال فى أثناء خبر نقله عن ابن اسحاق فى بناء ابراهيم الكعبة وجعل بابها فى الأرض غير مبوب حتى كان تبع أسعد الحميرى هو الذى جعل لها باباً وعلقاً فارسيًّا وذكر معنى ذلك فى موضع آخر . وذكر الفاكهى ما يخالف ذلك لأنه قال : وحدثنا احمد بن صالح عن الواقدى قال : كان البيت قد دخله السيل من أعلا مكة فانهدم فأعادته جرهم على بناء ابراهيم وجعلوا له مصرا عين وقفلاً فاستخفت جرهم بأمر البيت وعملوا أموراً وأحدثوا احداثاً لم تكن . انتهى ووجه مخالفة هذا لما ذكره الأزرقى أنه يقتضى أن جرهما جعلوا للكعبة باباً وهو المصراعان المشار إليهما فى هذا الخبر والزمن الذى ضيقوا

فيه ذلك هو زمن ولا يتهم للكعبة ، وولايتهم لها قبل ولاية خزاعة وولاية خزاعة لها قبل ولاية قريش ، والباب الذى عمله تبع هو فى زمن ولاية قريش على ما أشار إليه الفاكهى وغيره فى خبر تبع الذى صنع باب الكعبة الذى ذكره الأزرقى والله أعلم : وذكر بعضهم ما يخالف ما ذكره الزبير والسهيلى فى كون أنوش أول من بذر الحبة لأن القطب الحلبى ذكر أنه رأى بخط أبى على الحسين بن الأشرف احمد بن القاضى عبد الرحيم ابن على البيسانى أول من زرع الحبة آدم عليه السلام ، فإنه كان يحرث ويزرع . روى أن الشعير من زرع حواء والحنطة من زرع آدم عليه السلام وإنها تأملت فى ذلك وقال ذكروه فى كتب التاريخ . انتهى .

الباب الثامن

فى الكعبة المعظمة وذرعها وشاذروانها وحليتها ومعاليقها وكسوتها وطيبها وأخدامها وأسمائها

وهدم الحبش لها ووقت فتحها فى الجاهلية والإسلام و بيان جهة المصلين إلى الكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها

ذكر صفة الكعبة وما أحدث فيها من البدعة

أما أرض الكعبة وجدرانها من داخلها فمرخمة برخام ملون ، وقد ذكر الأزرقى رحمه الله عدد الرخام الذى فى أرض الكعبة وجدرانها وألوانه ، ونقل عن ابن جريج أن الوليد بن عبد الملك بن مروان أول من رخم أرض الكعبة وجدرانها برخام بعث به من الشام . وفى الكعبة الآن ثلاث دعائم من ساج على ثلاثة كراسى وفوقها ثلاثة كراسى وعلى هذه الكراسى ثلاث جوائز من ساج ولها سقفان بينهما فرجة ، وفى السقف أربعة روازن نافذة من السقف الأعلى إلى السقف الأسفل للوضوء ، وفى ركنها الشامى درجة من خشب يصعد منها إلى سطحها ، وعدد الدرج الذى فيها ثمان وثلاثون مرقاة ، وسقفها الأعلى مما يلى السماء مرخم برخام أبيض وطلى بنوره [1] فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة بأمر أمير يقال له باشه من أمراء مصر لما ندبه لعمارة المسجد وغيره بمكة الأمير [2] مدبر المملكة بالديار المصرية مع الملك الظاهر قبل سلطنته . ثم كشطت النورة فى سنة إحدى وثمانمائة بأمر الأمير بيسق و يطيف بسطحها إفريز مبنى بالحجارة على جدرها من جميع جوانبها يأتى تحرير ذرعه فيما بعد إن شاء الله تعالى ، و يتصل بهذا الإفريز أخشاب فيها حلق من حديد يربط بها كسوة الكعبة ، وبابها من ظاهره مصفح بصفائح فضة مموهة بالذهب ، وكذلك فياريز الباب وعتبته العليا مطلية بفضة زنتها على ما بلغنى ألف درهم وثمانمائة درهم وفيها مكتوب اسم مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر صاحب الديار المصرية واسم أبيه الملك الظاهر ، وأضيف إلى كل منهما الأمر بعمل هذه الحليه ، وفيها مكتوب

---

(١) النورة عند الحجازيين يسميها المصريون الجير الأسمر .

(٢) بياض بالأصل .

أيضاً اسم الأمير انتمش الذى جعله الملك الظاهر أتابكا [1] لولده واسم الأمير لشبك الذى كان خازندار الملك الظاهر ثم لابنه الملك الناصر ثم صار دواداراً للملك الناصر وأتابكا له واسم الأمير بيسق الآمر بهذه الحلية . وأما ما أحدث فيها من البدعة فهو البدعة التى يقال لها العروة الوثقى ، والبدعة التى يقال لها سرة الدنيا ، وقد ذكرها الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله لأنه قال : وقد ابتدع من قريب بعض الغجر والمحتالين فى الكعبة المكرمة أمرين باطلين عظم ضررهما على العامة . أحدهما ما يذكرونه من العروة الوثقى عمدوا إلى موضع عال من جدار البيت المقابل لباب البيت فسموه بالعروة الوثقى ، وأوقعوا فى قلوب العامة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى فأحوجوهم إلى أن يقاسوا فى الوصول إليها شدة وعناء ويركب بعضهم فوق بعض ، وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ولامست الرجال ولامسوها فلحقهم بذلك أنواع من الضرر دنيا ودينا . الثانى مسمار فى وسط البيت سموه سرة الدنيا ، وحملوا العامة على أن يكشفوا أحدهم عن سرته وينبطح بها على ذلك الموضع حتى يكون واضعاً سرته على سرة الدنيا ،قاتل الله واضع ذلك ومختلقه وهو المستعان . انتهى بنصه من منسك ابن الصلاح ، ونقل ذلك عنه النووى فى الإيضاح ما يخالف بعض ذلك فى اللفظ ويوافقه فى المعنى. قلت : وهذان الأمران لا أثر لهما الآن فى الكعبة ، وكان زوال البدعة التى يقال لها العروة الوثقى فى سنة إحدى وسبعمائة لأن الإمام جمال الدين المطرى فيما أخبرنى عنه القاضى برهان الدين بن فرحون ذكر أن الصاحب زين الدين أحمد بن محمد بن على بن محمد المعروف بابن حناء توجه إلى مكة فى أثناء سنة احدى وسبعمائة فرأى فيها ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام ويتعلق الناس بعضهم على بعض وحمل النساء على أعناق الرجال للاستمساك بالعروة الوثقى فى زعمهم ، فأمر بقلع ذلك المثال وزالت تلك البدعة والمنة لله تعالى . انتهى .

ذكر ذرع الكعبة من داخلها وخارجها

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : ذرع البيت من خارج طولها فى السماء سبعة وعشرون ذراعاً وذرع طول وجه الكعبة من الركن الأسود إلى الركن الشامى خمس وعشرون ذراعاً ، وذرع ظهرها من الركن اليمانى إلى الركن المغربى خمس وعشرون ذراعاً وذرع شقها اليمانى من الركن الأسود إلى الركن اليمانى عشرون ذراعاً ، وذرع شقها الذى فيه الحجر من الركن الشامى إلى الركن الغربى أحد وعشرون ذراعاً ، وذرع جميع الكعبة مكسراً أربعمائة ذراع وثمانية عشر ذراعاً ، وذرع نقد جدار الكعبة ذراعان ، والذراع أربع وعشرون أصبعاً .

---

(١) أتابك: لقب تركى مملوكى، معناها الرائد أو المربى .

ثم قال الأزرقى : ذرع طول الكعبة فى السماء من داخلها إلى السقف الأسفل مما يلى الكعبة ثمانى عشرة ذراعاً ونصف ، وطول الكعبة فى السماء إلى السقف الأعلى عشرون ذراعاً ، وذرع داخل الكعبة من وجهها من الركن الذى فيه الحجر الأسود إلى الركن الشامى وفيه باب الكعبة تسعة عشر ذراعاً وعشر أصابع ، وذرع ما بين الركن الشامى إلى الركن الغربى وهو الشق الذى يلى الحجر خمسة عشر ذراعاً وثمانى عشرة أصبعاً ، وذرع ما بين الركن الغربى إلى الركن اليمانى وهو ظهر الكعبة عشرون ذراعاً وست أصابع ، وذرع ما بين الركن اليمانى إلى الركن الأسود ستة عشر ذراعاً وست أصابع . وذكر الأزرقى رحمه الله : ذرع ما بين الأساطين التى فى الكعبة فقال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم ذرع ما بين الجدار الذى بين الركن الأسود والركن اليمانى إلى الاسطوانة الأولى أربعة أذرع ونصف ، وذرع ما بين الأسطوانة الأولى إلى الأسطوانة الثانية أربعة أذرع ونصف ، وذرع ما بين الأسطوانة الثانية إلى الأسطوانة الثالثة أربعة أذرع ونصف ، وذرع ما بين الأسطوانة الثالثة إلى الجدار الذى يلى الحجر ذراعان وثمانى أصابع . انتهى . وقد حرر ذرع الكعبة الفقيه أبو عبد الله محمد بن سراقة العامرى فى كتابه دلائل القبلة لأنه قال : اعلم أن الكعبة البيت الحرام مربعة البنيان فى وسط المسجد ارتفاعها من الأرض سبعة وعشرون ذراعاً وعرض الجدار وجهها قراب أربعة وعشرين ذراعاً وهو بناء الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكان عبدالله ابن الزبير رضى الله عنهما حين ولى مكة جعل عرضه ثلاثين ذراعاً يزيد على ذلك أقل من ذراع، بعد أن كشف عن قواعد ابراهيم الخليل عليه السلام وبنى عليها . ثم قال : وعرض وجهها وهو الذى فيه بابها أربعة وعشرون ذراعاً وعرض مؤخرها مثل ذلك وعرض جدارها الذى يلى اليمن وهو فيما بين الركن اليمانى والركن العراقى وهو الذى فيه الحجر الأسود عشرون ذراعاً . ثم قال : وعرض جدارها الذى يلى الشام وهو الذى فيما بين الركن الشامى والركن العراقى أحد وعشرون ذراعاً . انتهى . وإنما ذكرنا ما ذكره ابن سراقة العامرى من ذرع الكعبة لأن فيه مخالفة لما ذكره الأزرقى فى ذرع شقها الشرقى وشقها الغربى وذلك ينقص عما ذكره الأزرقى فى ذرع ذلك ذراعا . وفى النسخة التى رأيتها من كتاب ابن سراقة لحن فى التعبير عن ذرع بعض ما نقلته عنه فكتبته هنا على ما وجدته فى النسخة وذلك واضح لمن تأمله . وذكر ابن جبير فى أخبار رحلته ما يستغرب فى طول الكعبة لأنه ذكر أن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن الشيبى زعيم الشيبيين الذين لهم سدانة البيت أخبره أن ارتفاعه فى الهواء من الصفح الذى يقابل باب الصفا وهو بين الحجر الأسود واليمانى تسع وعشرون ذراعاً وسائر الجوانب ثمان وعشرون بسبب انصباب السطح إلى الميزاب . انتهى بنصه . وما عرفت كيف يستقيم هذا الذرع ، وذكر ذرع جهات الكعبة وأموراً يتعلق بها بالأقدام والخطا . وقد ذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب . وذكر ابن خرداذبه فى عرض الكعبة ما يخالف ما ذكره الأزرقى لأنه قال عند ذكر الكعبة : طول البيت أربعة وعشرون ذراعاً وشبر فى ثلاثة

وعشرين ذراعاً وشبر ، ثم قال : وسمكه فى السماء سبعة وعشرون ذراعاً . انتهى . وهذا الكلام يقتضى أن أقوله أولا طول البيت المراد به عرضه لقوله فيما بعد وسمكه فى السماء فان هذا ذرع طوله ، وإذا تقرر ذلك فإن أراد ابن خرداذبه بقوله طول البيت بيان ذرع شقه الشرقى والغربى فقد خالف الأزرقى فى ذلك لأن الأزرقى ذكر أن ذرع كل من هذين الشقين خمسة وعشرون ذراعاً وان أراد بذلك بيان ذرع شقها الشامى واليمانى فقد خالف فى ذلك ما ذكره الأزرقى لأنه ذكر أن ذرع الشق الشامى واحد وعشرون واليمانى عشرون . والوجه الأول أقرب إلى مراد خرداذبه وانما ذكرناه لغرابته والله أعلم . وقدحرر طول الكعبة من داخلها وخارجها القاضى عز الدين ابن جماعة بذراع القماش المستعمل بمصر فى زمنه وهو المستعمل فى زمننا ، وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فقال فيما أخبرنى به عنه خالى رحمهما الله : ارتفاعها من أعلى الملتزم إلى أرض الشاذروان ثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع وثلث ذراع . و بين الركن الذى فيه الحجر الأسود و بين الركن الشامى و يقال له العراقى من داخل الكعبة ثمانية عشر ذراعاً وثلث وربع وثمن ومن خارجها ثلاثة وعشرون ذراعاً وربع ذراع ، وارتفاع باب الكعبة الشريفة من داخلها ستة أذرع وقيراطان ، ومن خارجها خمسة أذرع وثلث ، وعرضه من داخلها ثلاثة أذرع وربع وثمن ومن خارجها ثلاثة أذرع وربع ، وعرض العتبة نصف ذراع وربع . وارتفاع الباب الشريف عن أرض الشاذوران ثلاثة أذرع وثلث وثمن ، ومن الركن الشامى والغربى من داخل الكعبة خمسة عشر ذراعاً وقيراطان . ومن خارجها ثمانية عشر ذراعاً ونصف وربع و بين الغربى واليمانى من داخلها ثمانية عشر ذراعاً وثلثا ذراع وثمن ذراع ، ومن خارجها ثلاثة وعشرون ذراعاً ، ومن الركن اليمانى والركن الأسود ومن داخلها خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع ، ومن خارجها تسعة عشر بتقديم التاء على السين وربع . انتهى . ووقع فيما ذكره ابن جماعة تسمية الركن الشامى الذى يلى وجه الكعبة بالعراقى ، وذلك يخالف ماذكره ابن سراقة فى الركن العراقى ، ورأيت مايدل لما ذكره ابن جماعة كما سيأتى ذكره فى الباب الخامس عشر من هذا الكتاب .

وذكر ابن جبير فى غير موضع من رحلته ما يوافق ماذكره ابن جماعة فى ذلك والله أعلم . وقد حررت ماحرره الأزرقى وابن جماعة من ذرع الكعبة مع أمور أخر تتعلق بها وفيما حررناه مخالفة لبعض ما حرره .

ونذكر ما حررناه لبيان معرفة الاختلاف ومعرفة أمور أخر تتعلق بالكعبة حررناها لم يحررها الأزرقى ولا ابن جماعة ، وكان تحريرنا لذلك بذراع الحديد الذى حرر به ابن جماعة ، ومنه يظهر معرفة ما حرره الأزرقى ، لأن تحريره كان بذراع اليد وهو ينقص عن ذراع الحديد ثمن ذراع بالحديد كما تقدم بيانه فى باب حدود الحرم ، واتفق تحريرنا لذلك فى ضحوة يوم الجمعة ثانى عشر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثمانمائة .

ذكر ذرع الكعبة من داخلها بذراع الحديد

طول جدارها الشرقى من السقف الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعاً بتقديم السين ونصف ذراع إلا قيراطا . وعرضه من الركن الذى فيه الحجر الأسود إلى جدار الدرجة الذى فيه بابها خمسة عشر ذراعاً وثمن ذراع . وذرع بقية هذا الجدار يعرف تقريباً من جدار الدرجة الغربى لكونه فى محاذاة بقية هذا الجدار ، وذرع جدار الدرجة الغربى المشار إليه ثلاثة أذرع وقيراط فيكون ذرع الجدار الشرقى على التقريب ثمانية عشر ذراعاً وسدس ذراع وطول الجدار الشامى من سقفها الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعاً بتقديم السين أيضاً ، وعرض هذا الجدار من جدار الدرجة الغربى إلى ركن الكعبة الغربى أحد عشر ذراعاً وقيراط ، وذرع بقية هذا الجدار يعرف تقريبا من جدار الدرجة اليمانى لكونه فى محاذاة بقية هذا الجدار ، وذرع جدار الدرجة المشار إليه ثلاثة أذرع إلا ثمنا ، فيكون ذرع الجدار الشامى على التقريب أربعة عشر ذراعاً إلا قيراطين ، وطول جدارها الغربى من سقفها الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعاً بتقديم السين أيضاً ، وربع ذراع وثمن ذراع ، وعرض هذا الجدار من الركن الغربى إلى الركن اليمانى ثمانية عشر ذراعاً وثلث ذراع ، وطول جدار الكعبة اليمانى من سقفها الأسفل إلى أرضها سبعة عشر ذراعاً بتقديم السين ونصف ذراع وقيراطان . وعرض هذا الجدار من الركن اليمانى إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود أربعة عشر ذراعاً وثلثا ذراع ، ومن وسط جدار الكعبة الشامى إلى وسط جدارها اليمانى ثمانية عشر ذراعاً وثلث ، ومن وسط جدارها الشرقى إلى وسط جدارها الغربى أربعة عشر ذراعاً ونصف ذراع وثمن ذراع ، وما بين الجدار الشرقى و بين كرسى الاسطوانة الأولى التى تلى اليمن و باب الكعبة سبعة أذرع بتقديم السين على الباء وثمن وكذلك ما بينه و بين كرسى الأسطوانة الوسطى ، وما بينه و بين كرسى الأسطوانة التى تلى الحجر سبعة أذرع بتقديم السين أيضاً وقيراط ، و بين كل من كراسى هذه الأساطين وما يقابله من الجدار الغربى سبعة أذرع بتقديم السين أيضاً إلا أنه ينقص فى ذرع مابين كرسى الاسطوانة الوسطى وما يحاذيها من الجدار الغربى المذكور قراطين ، و بين كرسى الاسطوانة الأولى التى تلى باب الكعبة و بين جدار الكعبة اليمانى أربعة أذرع وثلث وما بين كرسيها و كرسى الأسطوانة الوسطى أربعة أذرع وربع وثمن ، وما بين كرسى الوسطى وكرسى الأسطوانة الثالثة التى تلى الحجر بسكون الجيم أربعة أذرع ونصف ، ومابين كرسى هذه الاسطوانة الثالثة والجدار الشمالى الذى يليها ذراعان وربع ، وذرع تدوير الاسطوانة الأولى التى تلى الباب ذراعان وربع وثمن ، وذرع تدوير الوسطى ذراعان ونصف ذراع وربع ذراع ، وذرع تدوير الاسطوانه التى تلى الحجر ذراعان ونصف وقيراطان وهى مثمنة ، وطول فتحة الباب من داخله مع الفيارز ستة أذرع ، وطوله من خارجه بغير الفيارز ستة أذرع إلا ربع [1]

(١) بياض بالأصل .

وذرع فتحة الباب من داخل الكعبة مع الفياريز ثلاثة أذرع وثلث إلا قيراط ، وطول كل من فردتى الباب ستة أذرع إلا ثمن ، وعرض كل منهما ذراعان إلا ثلث ، وذرع عرض القبة ذراع إلا ربع ، وسعة فتحة باب الدرجة الذى يصعد منه إلى أعلا الكعبة من أسفله ذراع وقيراطان ومن أعلاه ذراع وثمن ، وارتفاع الباب عن الأرض ذراعان ونصف ذراع وسدس ذراع وثمن ذراع .

ذكر ذرع الكعبة من خارجها بذراع الحديد

طول جدارها الشرقى من أعلا الشاخص على سطحها إلى أرض المطاف ثلاثة وعشرون ذراعاً وثمن ذراع ، وعرض هذا الجدار من الركن الذى فيه الحجر الأسود إلى الركن الشامى الذى يقال له العراقى أحد وعشرون ذراعاً وثلث ذراع ، ومن عتبة باب الكعبة إلى أرض الشاذروان تحتها ثلاثة أذرع ونصف ، وارتفاع الشاذروان تحتها ربع ذراع وقيراط ، وطول جدارها الشامى من أعلا الشاخص فى سطحها إلى أرض الحجر ثلاثة وعشرون ذراعاً إلا ثمن ذراع ، وعرض هذا الجدار من الركن الشامى إلى الركن الغربى سبعة عشر ذراعاً بتقديم السين ونصف ذراع وربع ذراع ، وطول جدارها الغربى من أعلا الشاخص فى سطحها إلى الأرض ثلاثة وعشرون ذراعاً ، وعرض هذا الجدار من الركن الغربى والركن اليمانى أحد وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع ، وطول جدارها اليمانى من أعلا الشاخص فى سطحها إلى الأرض كالجهة الشرقية ثلاثة وعشرون ذراعاً وثمن ذراع وعرض هـذا الجدار من الركن اليمانى إلى الركن الذى فيه الحجر الأسود ثمانية عشر ذراعاً وسدس ذراع .

ذكر ذرع سطح الكعبة

من وسط جدارها الشرقى إلى وسط جدارها الغربى أربعة عشر ذراعاً وربع ذراع وثمن ذراع ، ومن وسط جدارها الشامى إلى وسط جدارها اليمانى ثمانية عشر ذراعاً إلا ثمن ذراع ، وارتفاع الشاخص فى الجهة الشرقية ذراع إلا ثمن ، وعرضه ذراعان إلا سدس ، وارتفاع الشاخص فى الجهة الشامية ذراع وثمن ، وعرضه ذراعان إلا ثمن وارتفاع الشاخص فى الجهـة الغربيـة ذراع ، وعرضه ذراع ونصف وثمن ، وارتفاع الشاخص فى الجهة اليمانيـة ثلثا ذراع ، وعرضه ذراع ونصف وقيراط ، وماذكرناه فى ذرع عرض الكعبة من داخلها وخارجها ينقص عما ذكره ابن جماعة فى ذلك ، وما ذكرناه فى طولها من خارجها ينقص عما ذكره ابن جماعة فى ذلك ، لأن ما ذكرناه ينقص فى طولها من خارجها ثلثى ذراع وقيراطاً وينقص فى ذرع عرض جدارها الشرقى من خارجها

ذراعين إلا قيراطين ، وينقص فى عرضه من داخلها نصفا وقيراطا ، وينقص فى ذرع عرض جدارها الشامى من خارجها ذراعاً ، وينقص فى عرضه من داخلها ذراعاً وسدساً ، وينقص فى ذرع عرض جدارها الغربى من خارجها ذراعاً وثلث ذراع ، وينقص فى عرضه من داخلها ثلث ذراع وثمن ذراع ، وينقص فى ذرع عرض جدارها اليمانى من خارجها ذراعاً وقيراطين ، وينقص فى عرضه من داخلها ثلثى ذراع ، وكل ذلك بذراع الحديد .

ذكر شاذروان الكعبة وشىء من خبر عمارته

أما شاذروان الكعبة فهو الأحجار الملاصقة بالكعبة التى عليها البناء المسنم المرخم فى جوانبها الثلاثة : الشرقى والغربى واليمانى و بعض حجارة الجانب الشرقى لا بناء عليه ، وهو شاذروان أيضاً . وأما الحجارة الملاصقة بجدار الكعبة الذى يلى الحجر فليست شاذرواناً لأن موضعها فى الكعبة بلا ريب كما سبق بيانه ، والشاذروان هو ما نقصته قريش من عرض جدار أساس الكعبة حتى ظهر على الأرض كما هو عادة الناس فى الأبنية، أشار إلى ذلك الشيخ أبو حامد الاسفرائينى وابن الصلاح والنووى ، ونقل ذلك عن جماعة من الشافعية وغيرهم والمحب[1] الطبرى . وذكر أن الشافعى أشار إلى ذلك فى الأم ، ونقل عنه أنه قال : ان طاف عليه أعاد الطواف . انتهى . وقد اختلف العلماء فى حكم الشاذروان ، فذهب الشافعى وأصحابه إلى وجوب الاحتراز منه وعدم اجزاء طواف من لم يحترز منه ، وهو مقتضى مذهب مالك على ماذكر ابن شاش وابن الحاجب وشارحه الشيخ خليل وتلميذه صاحب الشامل وغيرهم من متأخرى المالكية وأنكر ذلك بعض متأخرى المالكية ولم يثبته فى المذهب ، ومذهب الحنابلة أن الاحتراز منه مطلوب إلا أن عدم الاحتراز لايفسد الطواف ومذهب أبى حنيفة أنه ليس من البيت على مقتضى مانقل القاضى شمس الدين السروجى من الحنفية عنهم وهو اختيار جماعة من محققى العلماء على ماذكر القاضى عز الدين بن جماعة . قلت : ينبغى الاحتراز منه لأنه إن كان من البيت كما قيل فالاحتراز منه واجب و إلا فلا محذور فى ذلك ، كيف والخروج من الخلاف مطلوب ، وهو هنا قوى والله أعلم و بعض الناس يعارض القول بأن الشاذروان من البيت بكون ابن الزبير رضى الله عنه بنى البيت على أساس ابراهيم عليه السلام كما جاء فى خبر بنيانه ، وهذا المعارض لا يخلو من حالتين : أحدهما أن يدعى أن ابن الزبير استوفى البناء على جميع أساس جدران البيت بعد ارتفاعه عن الأرض ، والآخر أن يدعى أن البناء إذا نقص من عرض أساسه بعد ارتفاعه عن الأرض لا يكون مبنيًّا على أساسه ، والأول لا يقوم عليه دليل لأن ما ذكر من صفة بناء ابن الزبير البيت لا يقتضى أن يكون بناء البيت

---

(١) ورد هذا النص فى كتاب تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٤٥ وعبارته : كالمحب الطبرى .

مستوفياً على جميع أساس جدرانه بعد ارتفاعها عن الأرض ولا ناقصاً عن أساسها ووقوع هذا فى بيانه أقرب من الأول لأن العادة جرت بتقصير عرض أساس الجدار بعد ارتفاعه لما فى ذلك من مصلحة البناء ، وإذا كان هذا مصلحة البناء فلا مانع من فعله فى البيت لما بنى فى زمن ابن الزبير رضى الله عنه ، والله أعلم . نعم فى بناء ابن الزبير له على أساس ابراهيم دليل واضح على أنه أدخل فى البيت ما أخرجته منه قريش فى الحجر فإن بناء ذلك على أساس ابراهيم لا أساس قريش والثانى غير مسلم لأن الجدار إذا اقتصر من عرضه بعد ارتفاعه عن الأرض لا يخرجه ذلك عن كونه مبنيًّا على أساسه . وهذا مما لا ريب فيه وانكاره مكابرة والله أعلم . ولم أدر متى كان ابتداء البناء فى الشاذروان ولم يبن مرة واحدة وإنما بنى دفعات ، منها فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ولم أدر ما بنى منه فى هذه السنة . ومنها فى سنة ست [1] وثلاثين وستمائة على ما ذكر ابن خليل فى منسكه وينص [2] لما بين ستة وثلاثين وذكر أن هذه فى السنة ختم الشاذروان عند الحجر الأسود ، ومنها فى آخر عشر الستين وستمائة أو فى أوائل عشر السبعين وستمائة لأن القاضى بدر الدين ابن جماعة ذكر أنه رأى الشاذروان فى سنة ست وخمسين وستمائة وهى مصطبة يطوف عليها بعض العوام . ورآه فى سنة إحدى وستين وقد بنى عليه ما يمنع من الطواف عليه على هيئة اليوم . هكذا نقل عنه ولده القاضى عز الدين فيما أخبرنى به عنه خالى رحمهم الله تعالى . وذكر القاضى عز الدين ابن جماعة فيما أخبرنى عنه خالى أيضاً أن ارتفاع الشاذروان عن أرض المطاف فى جهة باب الكعبة ربع ذراع وثمن ذراع وعرضه فى هذه الجهة نصف وربع . وذكر الأزرقى أن طول الشاذروان فى السماء ستة عشر أصبعاً وعرضه ذراع انتهى . وقد نقص عرضه كما ذكر الأزرقى فى بعض الجهات رأفتى المحب الطبرى عالم الحجاز فى وقته بوجوب إعادة مقداره على ما ذكره الأزرقى وله فى ذلك تأليف نحو نصف كراس سماه استقصاء البيان فى مسألة الشاذروان .

ذكر حلية الكعبة المعظمة

أول من حلاها فى الجاهلية على ما قيل عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بالغزالين الذهب اللذين وجدهما فى زمزم حين حفرها . ذكر ذلك الأزرقى واضطرب كلامه فى أول من حلاها فى الإسلام فنقل عن جده أن الوليد ابن عبد الملك بن مروان أول من ذهب البيت فى الإسلام . وذكر فى موضع آخر بما يخالف ذلك لأنه قال : وبعث

---

(١) كان موضعها بياض فى الأصل ، وقد أكملنا النص من كتاب تاريخ الكعبة المعظمة ص ١٤٦ حيث ذكر كلام الفاسى كاملاً

(٢) هكذا بالأصل ولا معنى لها .

عبد الملك بن مروان بالشمسيتين وقدحين من قوارير وضرب على الاسطوانة الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفايح انتهى . وذكر المسبّحى ما يقتضى خلاف ما ذكره الأزرقى فى أول من حلى الكعبة فى الإسلام لأنه قال فى أخبار سنة خمس وستين من الهجرة : وفيها استتم ابن الزبير بناء الكعبة وقال ان بناءها بالرصاص المذوّب المخلوط بالورس ، وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب ومفاتحها ذهب انتهى . نقلت ذلك هكذا من خط الحافظ رشيد الدين ابن الحافظ ركن الدين المنذرى فى اختصاره لتاريخ المسبحى ، وإنما ذكرنا ذلك بنصه لما فيه من إفادة تاريخ عمارة ابن الزبير للكعبة ، ولما فيه من أنه بناها بالرصاص مع الورس ، وذلك مما لم يذكره الأزرقى فى خبر عمارته والله أعلم . وقال الفاكهى فى الأوليات بمكة : وأول من عمل الذهب على باب الكعبة فى الإسلام عبد الملك بن مروان انتهى . وذكر الفاكهى : أن الوليد بن عبد الملك أول من جعل الذهب على ميزاب الكعبة . انتهى . وذكر الأزرقى صفة الحلية التى عملت بأمر الوليد ومقدارها لأنه قال : فلما كان فى خلافة الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابى الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التى فى باطنها وعلى الأركان فى جوفها . وذكر الأزرقى أن الأمين محمد بن هارون الرشيد الخليفة العباسى أرسل إلى سالم بن الحجاج عامل له على صوافى مكة بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفايح الذهب على بابى الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفايح وزاد عليها من الثمانية عشر ألف دينار فضرب عليه الصفائح التى هى عليه اليوم يعنى فى زمنه والمسامير وحلقتى باب الكعبة وعلى الفياريز والعقب . وذكر الأزرقى أن الحجبة كتبوا إلى الخليفة المتوكل العباس رقعة ذكروا فيها أن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها ملبسين [1] ذهباً وزاويتين فضة وأن ذلك لو كان ذهباً كله كان أحسن وأزين وأن قطعة مركبة على بعض جدران الكعبة شبه المنطقة فوق الإزار الثانى من الرخام ، وذكروا أنه لو كان بدل تلك القطعة فضة فى أعلا إزار الكعبة فى تربيعها كان أبهى وأحسن . وذكر الأزرقى أن المتوكل أنفذ لعمل ذلك ولعمل ما كتب به إليه إسحاق بن سلمة الصائغ . قال : وعمل إسحاق الذهب على زاويتى الكعبة من داخلها فكان ما كان هنالك من الفضة ملبساً وكسر الذهب الذى كان على الزاويتين الباقيتين وأعاد عمله فصار ذلك أجمع على مثال واحد منقوشة مؤلفة ثابتة وعمل منطقة من فضة وركبها فوق إزار الكعبة فى تربيعها كلها منقوشة مؤلفة جليلة ثابتة يكون عرض المنطقة ثلثى ذراع ، وجعل لها طوقاً من ذهب منقوشاً متصلا بهذه المنطقة . ثم قال وفى أعلا هذه المنطقة رخام منقوش فما لبس ذلك الرخام ذهباً رقيقاً من الذهب الذى يتخذ للسقوف . قال : وكان فى الجدار الذى فى ظهر الباب يمنة من دخل الكعبة رزة كلاب من صفر يشد به الباب إذا فتح بذلك

(١) هكذا فى الأصل ملبستين وهو خطأ نحوى والصحيح ملبستان .

الكلاب لئلا يتحرك عن موضعه فقلع ذلك الصفر وصير مكانه فضة وألبس ما حول باب الدرجة فضة مضروبة .
قال : وكانت عتبة الباب السفلى قطعتين من خشب الساج قد رثتا ونخرتا من طول الزمان عليهما فأخرجهما وصير مكانهما قطعة واحدة من خشب الساج وألبسها صفائح فضة . قال الأزرقى وأخبرنى إسحاق بن سلمة الصايغ أنه بلغ ما كان فى الزوايا من الذهب والطوق الذى حول الجزعة نحو من ثمانية آلاف مثقال وأن ما فى منطقة الفضة وما كان على عتبة الباب السفلى من الصفائح وعلى كرسى المقام من الفضة نحو من سبعين ألف درهم ، ومار كب من الذهب الدقيق على جدران الكعبة وسقفها نحو من مائة حق يكون فى كل حق خمسة مثاقيل ، هذا ماذكره الأزرقى من خبر حلية الكعبة ، وأفاد السهيلى فى تحلية الوليد بن عبد الملك للكعبة أمراً لم يفده الأزرقى ، وفى كلامه مايقتضى أنه ليس أول من حلاها فى الإسلام ، ولنذكر كلامه لإفادة ذلك ، ونصه ثم كان الوليد بن عبدالملك فزاد فى حليتها وصرف فى ميزابها وسقفها ما كان فى مائدة سليمان عليه السلام من ذهب وفضة وكانت قد احتملت على بغل قوى منفسح تحتها فضرب منها الوليد حلية الكعبة وكانت قد احتملت اليه من طليطله من جزيرة الأندلس وكانت لها أطواق من يا قوت وزبرجد انتهى . ولنذكر ما علمناه من خبر حليتها بعد الأزرقى على الترتيب فمن ذلك أن وفد الحجبة كتبوا إلى الخليفة المعتضد العباسى يذكرون أن بعض عمال مكة كان قد قلع ما على عضادتى باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير واستعان به على حرب وأمور كانت بمكة بعد العلوى الخارجى بها فى سنة احدى وخمسين ومائتين فكانوا يسترون العضادتين بالديباج وأن بعض العمال بعده قلع مقدار الربع من أسفل ذهب بابى الكعبة وما على الأنف واستعان به على فتنة كانت بين الحناطين والجزارين بمكة فى سنة ثمان وستين ومائتين وجعل ذلك فضة مضروبة مموهة بالذهب على مثال ما كان عليها فاذا تمسح به فى أيام الحج بدت الفضة حتى تجدد تمويهها فى كل سنة وان المعتضد أمر بعمل ذلك وعمل ما رفع اليه فعمل ذلك ومن ذلك أن أم المقتدر الخليفة العباسى أمرت غلامها لؤلؤ بان يلبس جميع الاسطوانة الأولى التى تلى باب الكعبة الذهب لأن التى تليها كانت ملبسة بصفائح الذهب وبقيتها مموهة وذلك فى سنة عشر وثلثمائة ومن ذلك أن الوزير جمال الدين محمد بن على بن أبى منصور المعروف بالجواد وزير صاحب مصر أبعد فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة رجلا من جهته يقال له الحاجب ومعه خمسة آلاف دينار لعمل صفائح الذهب والفضة فى داخل الكعبة وفى أركانها . وممن حلاها الملك المظفر صاحب اليمن وحليته لبابها وقد تقدم مقدار الحلية التى كانت على الباب الذى صنعه لها وحلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن وأخبرت عمن رأى اسم الملك المجاهد مكتوب [1] بقلم غليظ فى أعلى الحائط الذى فوق

---

[1] هكذا بالأصل وهو خطأ نحوى وصحته مكتوباً .

باب الكعبة من داخلها وقد تقدم أن الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى صاحب مصر حلى باب الكعبة الذى عمله لها بخمسة وثلاثين ألف درهم وثلاثمائة درهم وأن حفيده الملك الأشرف شعبان بن حسين حلى باب الكعبة فى سنة ست وسبعين وسبعمائة فهذا ما علمته من حلية الكعبة بعد الأزرقى (١) .

ذكر معاليق الكعبة وما أهدى إليها فى معنى الحلية

قال المسعودى فى أخبار الفُرس: وكانت الفرس تهدى إلى الكعبة أموالا فى صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيراً فدفن فى زمزم وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك إليها ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم انتهى . ويقال إن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى أول من جعل فى الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة وذكر ذلك صاحب المورد العذب الهنىء وذكر الأزرقى رحمه الله أشياء أهديت للكعبة لأنه قال حدثنا محمد بن يحيى عن الواقدى عن أشياخه قال لما فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه مداين كسرى كان مما بعث اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة وبعث عبد الملك بن مروان بالشمسيتين وقدحين من قوارير ثم قال وبعث الوليد بن عبد الملك بقدحين وبعث الوليد بن يزيد بالسرير والكرسى وبهلالين ثم قال وبعث أبو العباس يعنى السفاح بالصحفة الخضراء وبعث أبو جعفر يعنى أخاه المنصور بالقارورة الفرعونية وبعث المأمون بالياقوتة التى تعلق كل سنة فى وجه الكعبة فى الموسم لسلسلة من ذهب وبعث أمير المؤمنين جعفر المتوكل بشمسية عملتها من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد وسلسة تعلق فى وجه الكعبة فى كل موسم وقال الأزرقى حدثنى سعيد بن يحيى البلخى قال أسلم ملك من ملوك البيت وكان له صنم من ذهب يعبده فى صورة إنسان وكان على رأس الصنم تاج من ذهب مكلل بخرز الجواهر والياقوت الأحمر والأخضر والزبرجد وكان على سرير مرتفع (٢) عن الأرض على قوائم والسرير من فضة وعلى

---

(١) هذا ماذكره الفاسى وغيره من المؤرخين عن تحلية باطن الكعبة المشرفة ولا يوجد شىء من ذلك فى العصر الحاضر . وربما كان ذلك كله قد أزيل وذهب فى العمارة الأخيرة التى وقعت فى سنة ألف وأربعين هجرية وأبدل ذلك الحلى الذهبى بالثوب الحرير الأحمر الذى هو ساتر داخل الكعبة بدل تلك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة التى تقدم ذكرها .

(٢) فى النسخة « ك » مربع مرتفع عن الأرض .

السرير فرشة الديباج وعلى أطراف الفرش آزار من ذهب وفضة مرخاة والآزار على قدر الكرسى فى وجه السرير فلما أسلم ذلك الملك أهدى السرير والصنم إلى الكعبة ، هذا ما ذكره الأزرقى فى معاليق الكعبة وما أهدى إليها فى معنى الحلية ومما أهدى لها من هذا القبيل فى عهد الأزرقى ومما لم يذكره قفل فيه ألف دينار أهداه إليها المعتصم العباسى ذكر ذلك الفاكهى لانه قال : ذكر قفل الكعبة ، وقال بعض المكيين ان أمير المؤمنين المعتصم بالله بعث إلى الكعبة بقفل فيه ألف دينار فى سنة تسع عشر [١] ومائتين وعلى مكة يومئذ صالح بن العباس فأرسل صالح إلى الحجبة فدعاهم ليقبضهم القفل فأبى [٢] ان يأخذوه فاجبرهم على ذلك وأراد أن يأخذ قفلها الأول ويرسل به الى الخليفة فكلموه فتركه عليهم وأذن لهم فى الخروج إليه فخرجوا إليه فكلموه فيها فترك قفلها هذا الذى عليها واعطاهم القفل الذى كان بعث إليها فقسموه بينهم انتهى وذكر المسبحى هذا القفل وفيما ذكره ما يفهم منه غير ما ذكره الفاكهى لانه قال فى اخبار سنة تسع عشر [٣] ومائتين منهما وصل طاهر بن عبد الله بن طاهر حاجا فى عدد كثير من الجند بقفل فيه ألف مثقال من ذهب فقفل به البيت ونزع قفله الذى كان عليه وكان مطليا ويقال إن الحجاج عمله انتهى نقلت ذلك من خط الرشيد بن المنذرى فى اختصاره لتاريخ المسبحى ومما أهدى لها من هذا القبيل فى عهد الأزرقى أو بعده بقليل طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت وغير ذلك مع ياقوته خضراء كبيرة ذكره الفاكهى لأنه قال وأسلم ملك من ملوك السند فى سنة تسع وخمسين ومائتين فبعث إلى الكعبة بطوق من ذهب فيه مائة مثقال مكلل بالزمرد والياقوت وبالماس وياقوتة خضراء وزنها اربعة وعشرون مثقالا فدفعها الى الحجبة فكتبوا فى أمرها إلى امير المؤمنين المعتمد على الله واخذوا الدرّة فأخرجوها وجعلوها فى سلسلة من ذهب وجعلوها فى وسط الطوق مقابلة الياقوت والزمرد فجاء الكتاب فى أمير المؤمنين بتعليقها فعلقت مع معاليق الكعبة فى سنة تسع وخمسين ومائتين انتهى . ومما علق فى الكعبة فى عهد الأزرقى أو بعده بقليل قصبة من فضة فيها كتاب فيه بيعة جعفر بن المعتمد وبيعة أبى احمد الموفق ذكر ذلك الفاكهى لأنه قال ثم قدم الفضل بن عباسى الهاشمى مكة فى موسم سنة إحدى وستين [٤] ومعه كتاب فيه بيعية جعفر بن أمير المؤمنين المعتمد وبيعة أبى احمد الموفق بالله أخى أمير المؤمنين وما عقد له أمير المؤمنين المعتمد على الله فعمل لذلك قصبة من فضة فيها ثلاثمائة وخمسون درهما فضة ثم أدخل الكتاب فيها وجعل على رأس القصبة ثلاث رزان وجعل فى الرزان ثلاث سلاسل من فضة ثم دخل الكعبة يوم

---

(١) فى النسخة « ك » عشرة

(٢) فى النسخة « ك » فأبى الحجبة وهو الذى يقتضيه سياق الكلام

(٣) فى النسخة « ك » عشرة

(٤) أى سنة إحدى وستين ومائتين .

الاثنين لأربع ليال خلون من صفر ومعه محمد بن يحيى صاحب شرطته وهو يومئذ على الخراج والبريد والصوافى فأقاما فيها حتى علقت [١] هذه القصبة مع معاليق الكعبة وذلك فى صفر سنة اثنتين وستين ومائتين انتهى . وأفاد الفاكهى فى صفة الياقوتة التى بعثها المأمون ما لم يفده الأزرقى وهى أنها أكبر من الدُّرة اليتيمة لأنه قال وبعث أمير المؤمنين بالياقوتة التى كانت تعلق كل سنة فى وجه الكعبة بسلسلة من ذهب وهى أكبر من الدُّرة اليتيمة حدثنى حسن بن حسين الازدى حدثنا اسماعيل بن مجمع قال وزنت الدرة اليتيمة فوجدتها فإذا وزنها مثقالان ونصف وربع وعشر انتهى . ومما اهدى لها من هذا القبيل بعد الأزرقى قناديل بعث بها المطيع العباسى كلها فضة خلا قنديلا منها كان ذهبا زنته ستمائة مثقال وذلك فى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ومن ذلك قناديل ومحاريب أهداها إلى الكعبة صاحب عمان على ما ذكر أبو عبيدالله [٢] البكرى فى كتاب المسالك والممالك ونص كلامه وقد أهدى صاحب عمان إلى الكعبة بعد العشرين وأربعمائة محاريب مبنية زنة المحراب أزيد من قنطار وقناديل فى نهاية الإحكام وسمرت المحاريب فى الكعبة مما يلى بابها انتهى . ومن ذلك قناديل ذهب وفضة أهداها للكعبة الملك المنصور عمر بن على من رسول صاحب اليمن فى سنة اثنين وثلاثين وستمائة ومن ذلك قفل ومفتاح أهداه إليها الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر وركب عليها القفل المذكور ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها ألف مثقال وفى كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات وبينها ست قطع بلخش فاخر بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبى سعيد بن خدابنده ملك التتر على يد الحاجى مولاواخ فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة ولما أراد تعليق ذلك بباب الكعبة منعه منه أمير الركب المصرى فى هذه السنة وقال هذا لا يمكن إلا بإذن السلطان يعنى صاحب مصر إذ ذاك وهو الناصر محمد بن قلاوون فقال الحاجى مولاواخ إن الوزير على شاه كان نذر متى ظفر بخواجه رشيد الدولة وقتله أن يعلق على باب الكعبة حلقتين فيقال إنه أذن له فى تعليقهما زمنا قليلا ثم رفعتا وأخذهما إذ ذاك رميثة بن أبى نمى من آل قتادة ومن ذلك ما أخبرنى به بعض فقهاء مكة أربعة قناديل كبار كل قنديل منها على ما ذكر فى مقدار الدورق بمكة اثنان منها ذهب واثنان فضة والمهدى لذلك هو السلطان شيخ أويس صاحب بغداد وذلك فى أثناء عشر السبعين وسبعمائة على ما ذكر وذكر أن ذلك علق فى الكعبة زمنا قليلا ثم أزيل وأخذه أمير مكة عجلان بن رميثة انتهى بالمعنى وأهدى الناس بعد ذلك للكعبة قناديل كثيرة . والذى فى الكعبة الآن من المعاليق ستة عشر قنديلا منها ثلاثة فضة وواحد ذهب وواحد بلور

---

(١) فى النسخة « ك » « حتى علقا » . وهو الصحيح الذى يتناسب مع سياق الكلام ،

(٢) كذا هنا والصواب أبوعبيد .

واثنان نحاس والباقى زجاج حلبى وهو تسعة بتقديم التاء وليس فى الكعبة الآن شىء من المعاليق التى ذكرها الأزرقى ومما لم يذكره مما ذكرنا سوى الستة عشر قنديلا وليس فيها شىء من حلقة الذهب والفضة التى كانت فى أساطينها وجدرانها بسبب [١] توالى الأيدى عليه من الولاة وغيرهم على ما ذكر الأزرقى فى تاريخه ووقع ذلك بعده أيضا فمن ذلك ما وقع لأبى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى حين خرج عن طاعة الحاكم بأمر الله ودعى لنفسه بالإمامة وتلقب بالراشد لأنه أخذ من حليتها وضربها دنانير ودراهم . وهى التى تسمى الفتحية وأخذ بعد ذلك المحاريب التى أهداها للكعبة صاحب عمان ومن ذلك ما وقع لمحمد بن جعفر المعروف بابن أبى هاشم الحسينى لأنه فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لما لم يصله شىء من جهة المستنصر العبيدى صاحب مصر لاشتغاله عنه بما هو فيه من القحط الذى كاد بسببه يتولى [٢] الخراب على اقليم مصر وقد ذكر الأزرقى فى عقوبة من اجترأ على ذلك وفى التحذير منه إخبارا منها ما نقله عن جده أحمد بن محمد الأزرقى عن عبد الله بن زرارة أنه كان مال الكعبة يدعى الأبرق ولم يخالطه مالٌ قط الا محقه ولم يرزأ منه أحد إلا بان النقص من ماله وأدنى ما يصيب صاحبه أن يشدد عليه الموت ، ومنها أن فتى من الحجبة حضرته الوفاة فاشتد عليه النزع جدا حتى مكث أياما ينتزع نزعاً شديداً فقال له أبوه لعلك أصبت من الأبرق شيئا يعنى مال الكعبة فقال أربعمائة دينار فأشهد أن عليه للكعبة أربعمائة دينار فسرى عن الفتى ثم لم يلبث أن مات . هذا معنى الخبرين باختصار و بالجملة فلا يجوز أخذ شىء من حلية الكعبة لا للحاجة ولا للتبرك لأن ما جعل للكعبة وسبل لها جرى مجرى الأوقاف ولا يجوز تغييرها عن وجوهها أشار إلى ذلك المحب الطبرى فى القرى قال وفيه تعظيم للاسلام وترهيب على العدو انتهى .

ذكر كسوة الكعبة المعظمة

كسيت الكعبة فى الجاهلية والاسلام أنواعا من الكسى منها الخصف والمعافر والملاء والوصائل والعصب [٣] كساها ذلك تبع الحميرى على ما ذكرا بن اسحق [٤] وذكر ابن جريج أنه كساها العصب وأنه أول من كسى

---

(١) فى النسخة « ك » (وسبب ذلك توالى) .

(٢) فى النسخة « ك » يستولى وهو الصحيح الذى يقتضيه سياق الكلام

(٣) العصب برود يمانية ، والوصائل جمع وصيلة وهى ثوب أحمر مخطط يمانى ، والملاء جمع ملاءة وهى ثوب لين رقيق ، والمعافر اسم بلد سميت به الثياب المعافرية التى تصنع فيه ، والخصف جمع خصفة وهى الثوب الغليظ .

(٤) روى ابن هشام نقلاعن ابن اسحق أن تبعا أول من كسا البيت وأوحى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره . وجعل له باباً ومفتاحاً (ج ١ ص ٢٧ ط الجمالية) .

الكعبة كسوة كاملة وذكر السهيلى أنه كساها المسوح والأنطاع [١] ومنها على ما ذكرت أم زيد بن ثابت الأنصارى مطارف خز خضر وصفر وكرار وأكسية من أكسية الأعراب وسقاف شعر ومنها على ما ذكر عمر بن الحكم السلمى وصايل وانطاع وكرار خز ونمارق عراقية ، ومنها حبَرات يمانية كساها ذلك أبو ربيعة المخزومى وكساها ذلك قريش حين بنوا الكعبة كما فى خبر أبى نجيح وفى رواية أنهم كسوها حينئذ الوصايل ومنها أنماط فهذه كسوتها فى الجاهلية على ما ذكره الأزرقى ، وأما كسوتها فى الإسلام على ما ذكر الأزرقى فثياب يمانية كساها النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وقباطى من مصر كساها ذلك عمر وعثمان وكساها عثمان أيضا برودا يمانية وهو أول من ظاهر لها بين كسوتين وكساها عبد الله بن عمر بن الخطاب ما كان يحلى به بدنه من القباطى والحبرات والأنماط وكساها معاوية الديباج والقباطى والحبرات فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء والقباطى فى آخر رمضان للفطر [٢] .

وكساها يزيد بن معاويه الديباج الجسروانى وكساها الديباج أيضا ابن الزبير وعبدالملك بن مروان ويقال فى كل من هؤلاء إنه أول من كسى الكعبة الديباج وكساها ابن الزبير حين فرغ من بنائها القباطى وكساها المأمون ثلاث كسى الديباج الأحمر يوم التَّروِية والقباطى يوم هلال رجب والديباج [٣] الذى أحدثه المأمون يوم سبع وعشرين من رمضان للفطر وهكذا كانت تكسى فى زمن المتوكل العباسى وكساها حسين الأقطس العلوى كسوتين من قز رقيق احداهما صفراء والأخرى بيضاء أمر يعملها ابوا السرايا هذا ملخص بالمعنى مما ذكره الأزرقى فى كسوة الكعبة فى الجاهلية والاسلام، وممن ذكر الأزرقى أنه كسى الكعبة أبو بكر الصديق رضى الله عنه ولم يذكر صفة كسوته ولا وقت كسوة عبد الله بن عمر بن الخطاب للكعبة ولا أن على بن أبى طالب كسى الكعبة ولم أر من

---

(١) المسوح جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ والأنطاع جمع نطع وهو بساط من الجلد .
وقد ذكر الفاسى رواية السهيلى مقتضبة وتكملتها أنه كساها بالخصف ثم كساها بالمسوح والأنطاع ثم كساها بالملاء والوصائل ، ومن قوله حين كسى البيت :

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معضداً وبرودا
فأقمنا به من الشهر عشراً وجعلنا لبابه إقليداً
ونحرنا بالشعب ستة ألف فترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم سهيلا فرفعنا لواءنا معقودا

(٢) ذكر ابن هشام أن أول من كسى الكعبة بالديباج الحجاج بن يوسف وأنها كانت تكسى قبل ذلك بالقباطى والبرود (ج ١ ص ١٣٢)
(٣) فى الأصل والديباج الأبيض .

صرح بأنه كساها . ولعله اشتغل عن ذلك بحرو به فى تمهيد أمر الدين مع الخوارج والله أعلم ووقع فيما ذكره الأزرقى من كسوة الكعبة ذكره القباطى والوصايل والحبرات والعصب والأنماط فأما القباطى فهى جمع قبطية بالضم وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض كان منسوباً إلى القبط وهم أهل مصر والضم فيها من تعبير النسب وهذا فى الثياب وأما فى الناس فقبطى بالكسر لا غير، وأما الوصايل فثياب حمر مخططة يمانية، وأما الحبرات فجمع حبرة وهو ما كان من البرود مخططا يقال له برد حبرة و برد حبر على الوصف وعلى الإضافة وهو من ثياب اليمن، وأما العصب فهو برود يمانيه يعصب غزلها أى يجمع و يشد ثم يصبغ و ينسج فنأى موسى لبقايا عصب منه أبيض ثم يأخذه صبغ يقال له برد عصب و برود عصيب بالتنوين والإضافه وأما الأنماط فضرب من البسط واحدها نمط ذكر تفسير ذلك كله على ما ذكرنا من يعتمد من العلماء وممن كسى الكعبة على ما قيل ولم يذكره الأزرقى اسماعيل النبى عليه السلام اخبرنى خالى عن ابن جماعة قال وقد روى عبد الرزاق عن ابن جريج قال وزعم بعض علمائنا أن أول من كسى الكعبة اسماعيل النبى عليه السلام والله أعلم بذلك انتهى باختصار ومنهم عدنان بن أد وهو أول من كساها على ماقيل لأن الزبير بن بكار قال فى كتابه النسب و يقال إن عدنان بن أد خاف أن يدرس الحرم فوضع أنصابه فكان أول من وضعها وأول من كسى الكعبة أو كسيت فى زمانه انتهى ومنهم خالد بن جعفر بن كلاب على ما ذكر السهيلى نقلا عن الماوردى ونص كلام السهيلى بعد أن ذكر شيئا فى كسوة الكعبة و يزيد هنا ما ذكره الماوردى قال أول من كسى الكعبة الديباج خالد بن جعفر بن كلاب وجد لطمة يحمل البرو وجد فيها انماطا فعلقها على الكعبة انتهى وسبقهما إلى ذلك الفاكهى لأنه قال وحدثنا محمد بن أبى عمر وعبد الجبار بن العلاء يزيد أحدهما على صاحبه فقال حدثنا سفيان عن مسعد عن خشرم قال أصاب خالد بن جعفر لطمة فى الجاهلية فيها نمط من ديباج فأرسل به إلى الكعبة و بسط عليها انتهى ومنهم ام العباس بن عبد المطلب كستها الحرير والديباج على ما ذكر ابو عبيدة فيما نقله عنه ابن الحاج فى منسكه ونقل عن أبى عبيدة أن سبب كسوتها للكعبة أنها أضلت العباس صغيرا فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة فلما وجدته كستها ذلك وهى أول عربية كست الكعبة الديباج على ما ذكر السهيل وغيره وذكر الزبير بن بكار أن الذى أضلته أم العباس ونذرت أن تكسو البيت إن رده الله عليها ابنها ضرار بن عبد المطلب شقيق العباس وذكر أنها كانت تنشده بابيات ثم قال فاتاها به رجل من الخدام فكست البيت ثيابا [1] والله اعلم و كسيت الكعبة بعد الازرقى أنواعا من الكساء فمن ذلك الديباج الابيض الخراسانى والديباج الأحمر الخراسانى على ما ذكر بن عبد ربه فى العقد ولنذكر كلامه بنصه لأفادته ذلك وغيره من أمر كسوة الكعبة قال

---

(١) بياض فى الأصل

بعد أن ذكر شيئاً من خبرها ،والبيت كله مستوفى إلا الركن الأسود فإن الأستار تفرج عنه مثل القامة ونصف، وإذ دنا وقت الموسم كسى القباطى وهو ديباج أبيض خراسانى فيكون فى تلك الكسوة ما دام الناس محرمين فإذا أحل الناس ذلك يوم النحر حل البيت فكسى الديباج الأحمر الخراسانى وفيه دارات مكتوب فيها حمد الله وتسبيحه وتكبيره وتعظيمه فيكون كذلك إلى العام المقبل ثم يكسى أيضا على حال ما وصفت فاذا كثرت الكسوة فخشى على البيت من ثقلها خفف منها فأخذ ذلك سدنة البيت وهم بنو شيبة ،انتهى كلام صاحب العقد بنصه. وكانت وفاته [1] سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة على ما ذكره الذهبى فى العبر وغيرها ورأيت فى كتابه العقد ما يقتضى أنه عاش بعد ذلك سنين كما بيناه فى أصل هذا الكتاب والله أعلم. ومن ذلك الديباج الأبيض فى زمن الحاكم العبيدى وفى زمن حفيده المستنصر العبيدى كساها ذلك الصليحى صاحب اليمن ومكة وكساها أبو النصر الاستراباذى كسوة بيضاء من عمل الهند فى سنه ست وستين وأربعمائة وكسيت فى هذه السنة الديباج الأصفر وهذه الكسوة حملها السلطان محمد بن سبكتكين ثم ظفر بها نظام الملك وزير السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى فأرسل بها إلى مكه وجعلت فوق كسوة أبى النصر وكسيت أيضا كسوة خضراء وذلك فى مبدأ خلافة الناصر العباسى ولعلها كانت تكسى ذلك من قبل والله أعلم. وكسيت فى زمنه أيضا كسوة سوداء وفيها طراز أصفر وكان قبل ذلك أبيض واستمرت فيما أحسب تكسى الديباج الأسود إلى الآن الا أن فى سنة ثلاث وار بعين وستمائة كسيت ثيابا من القطن مصبوغة بالسواد كساها ذلك العفيف منصور بن منعة البغدادى شيخ الحرم بمكة لما تمزقت كسوتها من الريح الشديدة التى وقعت بمكة فى هذه السنة ووجدت بخط الميورقى مايقتضى أن هذه الريح كانت فى سنة أربع وأربعين وستمائه [2] والله أعلم. ولما عريت الكعبه فى هذا التاريخ أراد صاحب اليمن الملك المنصورأن يكسوها فقال له ابن منعة لا يكون هذا إلا من جهة الديوان يعنى الخليفة العباسى ولم يكن عند ابن منعة شىء لأجل ذلك فاقترض ثلاثمائه مثقال واشترى بها الثياب المشار إليها وصبغها بالسواد وركب فيها الطرز القديمة التى كانت فى كسوة الكعبة وكساها بذلك ، وفى سنة عشر وثمانمائه أحدثت فى جانب الكسوة الشرقى من الكعبة جامات منقوشة بالحرير الأبيض وصنع ذلك فى سنة إحدى عشرة وفى سنة اثنتى عشرة وفى سنة ثلاث

---

(١) يعنى صاحب العقد ابن عبدربه لأن المؤلف أورد نص كلامه ولكن المعروف أن صاحب العقد توفى عام ٣٤٩ هـ

(٢) ذكر السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة مايؤيد هذا الرأى فقال :« وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وستمائة هبت ريح عاصفة بمكة فألقت ستارة الكعبة المشرفة فما سكنت الريح إلا والكعبة عريانه قد زال عنها شعار السواد ومكثت أحدا وعشرين يوماً ليس عليها كسوة » وقد نقل هذا الخبر عن السيوطى العلامة الشيخ عبدالله بن محمد غازى الهندى ثم المكى فى كتابه إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مخطوط بمكتبة الشيخ محمد نصيف بجدة .

عشرة وفى سنة أربع عشرة وترك ذلك فى سنة خمس عشرة وثمانمائة وجعلت كسوة هذا الجانب كلها سوداء من غير جامات كما كانت أولاً وكذلك فى سنة ست عشر وثمانمائة وفى سنة سبع عشر وثمانمائة وفى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ثم جعلت فى كسوة الجانب الشرقى جامات منقوشه من الحرير الأبيض فيما تحت الطراز إلى تحت الكسوة فى كل شقة من هذا الجانب وذلك فى سنة تسع عشر وثمانمائة وعمل فى هذه السنة لباب الكعبة ستارة عظيمة الحسن أحسن من الستاير الأولى التى شاهدناها ، والجامات المشار اليها مكتوب فيها : لا إله الا الله محمد رسول الله. بالبياض وكان ذلك مكتوبا فى الشقاق التى أحدثت سنة عشر وثمانمائة وذلك دوائر واستمرت الجامات البيض المشار إليها خمس سنين متوالية بعد سنة سبع عشرة وثمانى عشر ثم أزيلت وعوض عنها بجامات سود فى سنة خمس وعشرين وثمانمائه وفى كسوة الكعبة طراز من حرير أصفر وكان قبل ذلك أبيض على ما أدركناه وأول ما عمل أصفر قبل سنه ثمانمائة بسنة أو سنتين، وفى الطراز مكتوب آيات من القرآن العظيم فى الجانب الشرقى قوله تعالى : « إنَّ أولَ بيتٍ وضع للناس للَّذِى ببكّةَ مباركا وهُدًى للعالمينَ . فيه آياتٌ بيناتٌ مَقامُ إبراهيم ومن دَخَله كان آمناً ولله على الناسِ حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفرَ فإن اللهَ غنىٌّ عن العالمينَ ». وفى الجانب الغربى: « وإذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ واسماعيل ربنا تقبلْ منا إنكَ أنتَ السميعُ العليمُ . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أُمةً مُسلمةً لك وأرِنا مناسكَنا وتُبْ علينا إنك أنتَ التوابُ الرحيمُ ». وفى الجانب اليمانى: « جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للناس والشهرَ الحرامَ والهدىَ والقلائدَ ذلكَ لتعلموا أنَّ الله يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض وأن الله بكلِّ شىءٍ عليم ». وفى الجانب الشامى اسم صاحب مصر وأمره بعمل الكسوة وهذا الطراز المذكور فى نحو الربع الأعلى من البيت وذكر بعض العلماء حكمة حسنة فى سواد كسوة الكعبة لأنا روينا عن ابن أبى الصيف مفتى مكة أن بعض شيوخه قال: له يا محمد تدرى لم كسى البيت السواد ؟ فقال : لا، قال كانه يشير إلى أنه فقد أنا ساكانوا حوله فلبس السواد حزنا عليهم وهذا معنى كلام ابن أبى الصيف ولمهلهل الدمياطى الشاعر فى سواد كسوة الكعبة والقفل [1] :

يروق لى منظر البيت العتيق إذا بدا * كأن حليتها السوداء قد نُسِجتْ * من حبة القلب أو من أسود المقل :

وكسوتها فى هذه السنه وفيما قبلها من سبعين سنة من الوقف الذى وقفه السلطان الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر أيام سلطنته. على كسوة الكعبة فى كل سنه وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوى فى كل خمس سنين مرة وهذا الوقف قرية بنواحى القاهرة فى طرف القليوبية مما يلى القاهرة اشتراها الملك الصالح من بيت المال ووقفها على ما ذكر فيها ولم يكسها أحد من الملوك بعد ذلك إلا أخوه الملك الناصر حسن إلا أن كسوته لم تكن لظاهر الكعبة وإنما هى لباطنها وهى الكسوة التى فى جوفها الآن و بلغنى أنها كانت أطول

---

(١) هذان بيتان من الشعر نثرهما الناسخ.

من هذا بحيث تصل إلى الأرض وهى الآن ساترة لمقدار النصف الأعلى وسقفها ، وهى حرير أسود وفيها جامات مزركشة بالذهب ماخلا شقة من السقف بين الأسطوانتين اللتين تليان الباب فإنها كمخة حرير حمراء ، وفى وسطها جامة كبيرة مزركشة بالذهب وكان إرسال السلطان حسن بهذه الكسوة فى سنة إحدى وستين وسبعمائة ، و بلغنى أنه كان فى جوف الكعبة قبلها كسوة للملك المظفر صاحب اليمن ، والملك المظفر أول من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بنى العباس من بغداد وذلك فى سنه تسع وخمسين وستمائة واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر وانفرد بكسوتها فى بعض السنين وكان المستولى لذلك غالبا. وأول من كساها من ملوك مصر بعد بنى العباس الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى. وأول سنة كسى فيها الكعبه سنة إحدى وستين وستمائة وممن كسا الكعبه من غير الملوك الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة كساها من الخيرات وغيرها فكانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار مغربية [١] : على ما قال ابن الأثير وقيل بار بعة آلاف دينار وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة والكعبة تكسى فى عصرنا هذا يوم النحر من كل سنة إلا أن الكسوة فى هذا اليوم تسدل عليها من أعلاها ولا تسبل حتى تصل إلى منتهاها على العادة وهى شاذروان الكعبة إلا بعد أيام من النحر ويأخذ سدنتها بنوشيبة يوم النحر مابقى على الكعبة من كسوتها القديمة وهو مقدار نصفها الأعلى وأخذهم للنصف الأسفل فى سابع عشرى ذى القعدة من كل سنة وذكر ابن جبير فى أخبار رحلته ما يفهم أن كسوة الكعبة تشمر فى اليوم السابع والعشرين من ذى القعدة ولا يقطع لأنه قال بعد أن ذكر فتح الكعبة فى هذا اليوم فتحا عاما للسرور فى هذا اليوم المذكور الذى هو السابع والعشرون من ذى القعدة شمرت أستار الكعبة المقدسة إلى نحوقامة ونصف من الجدار من الجوانب الأربعة و يسمون ذلك إحراما لها فيقولون أحرمت الكعبة . وبهذا جرت العادة دائماً فى الوقت المذكور من الشهر انتهى وفى هذا مخالفة لما يفعله الحجبة اليوم [٢] من وجهين. أحدهما : أنهم يشمرون كسوة الكعبة فى اليوم الخامس والعشرين من ذى القعدة فى كل سنة من جوانبها الأربعة إلى عتبة الباب السفلى وكانوا يصنعون ذلك بعد العصر فى هذا اليوم ثم صاروا يصنعونه فى أول النهار ، والوجه الثانى أنهم فى اليوم السابع والعشرين من ذى القعدة فى كل سنة يقطعون كسوة الكعبة من فوق الباب مع ماشمروه من قبل . وكلام ابن جبير لا يقتضى قطع ذلك فى السابع والعشرين و إنما يقتضى تشميره فيه ولعل ذلك لكون الحجاج الذين تكثر رغبتهم فى تحصيل كسوة الكعبة بالشراء وغيره وهم الحجاج العراقيون لا يصلون للحج غالبا الاموافين ليوم عرفة و يقصدونها قبل مكة خيفة فوات الوقوف و إذا كان كذلك فلا فوت على الحجبة فى ذلك الزمان فى تأخيرهم قطع كسوة الكعبة فى السابع والعشرين وتأخير قطعها إلى أيام منى أو أخذ الكسوة فيها جملة عندوصول الكسوة الجديدة ولعل سبب قطع الحجبة للكسوة أى كسوة الكعبة فى السابع والعشرين من ذى القعدة كون الحجاج

(١) فى النسخة « ك » مصرية .

(٢) كذا بالأصل .

من مصر والشام صاروا يقدمون إلى مكة فى أوائل العشر الأول من ذى الحجة فإذا أخر الحجبة قطع ذلك أو أخذوا الكسوة جملة الى أيام منى فات الحجبة بعض مقصودهم من بيع الكسوة فى العشر الأول من ذى الحجة والله أعلم. وذكر ابن جبير مايقتضى أن الكعبة لاتكسى فى يوم النحر و إنما تكسى فى يوم النفر الثانى لأنه قال وفى يوم النحر المذكور سيقت كسوة الكعبة المقدسة من عمل الأمير إلى مكة على أربعة جمال يقدمها القاضى الجديد بكسوة الخليفة السواد به والرايات على رأسه والطبول تهز وراءه ثم قال فوضعت الكسوة فى السطح المكرم على الكعبة فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك اشتغل الشيبيون بإسبالها خضراء يانعه تفيد الأبصار حسنا ثم قال بعد وصفه للكسوة فكملت كسوتها وشمرت أذيالها الكريمة ونا لها من أيدى الأعاجم وشدة اجتذابها وقوة تهافتهم عليها وانصبابها انتهى وهذا يخالف مايفعل اليوم من إسدال الكسوة على الكعبة وتشميرها فى يوم النحر وما يفعل اليوم من كسوة الكعبة فى يوم النحر يوافق ما ذكره ابن عبد ربه ، وفى هذا العصر من نحو أربع سنين لايؤتى بكسوة الكعبه من منى فى يوم النحر و إنما يأتى أمير الحاج المصرى ومعه أعلام والدبادب والبوقات تضرب معه حتى يدخل المسجد ويخرج إليه كسوة الكعبة من جوفها فتنشر فى المسجد فى صحنه مما يلى الشق اليمانى تبرز كسوة كل شق و يرفعها أعوان الأمير مع الحجبة إلى أعلا الكعبه حتى تكمل وتسدل على الكعبة على الصفة السابقة وموجب وضعها فى الكعبة قبل الحج صونها من السرقة لأنه قبل ذلك سرق بعضها من محل الأمير بمنى ثم عادت إليه بشىء بذله وصار الأمراء بعده يضعونها فى الكعبة عند توجههم من مكة إلى الموقف وفى سنة ثمانى عشر وثمانمائة كسيت الكعبة فى رابع ذى الحجة إسبالا على نصفها الأعلى ولم تكس فى سنة تسع عشر إلا فى يوم النحر على العادة القديمة التى أدركناها وكسيت فى سنة عشرين وثمانمائة فى ثالث ذى الحجة وكذلك فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وكسيت فى ثلاث سنين متوالية بعد ذلك فى هذا التاريخ أو بعده قبل اليوم السادس من ذى الحجة ثم كسيت فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة فى يوم النحر ضحى[1] وتختم هذه الترجمة بمسألة تتعلق بكسوة الكعبة وهى أن العلماء اختلفوا فى جواز بيع كسوة الكعبة فنقل جواز ذلك عن عائشة وابن عباس وجماعة من الفقهاء الشافعية وغيرهم ومنع من ذلك ابن القاضى وابن عبدان من

(١) أرسل هذه الكسوة برسباى ، سلطان مصر حينئذ . ثم استمرت سلاطين مصر ترسل كسوة الكعبة فى كل عام ، كسوة حمراء لداخل البيت وسوداء لظاهره .

ولما استولى جلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود على مكة سنة ١٣٤٣هـ دخلت كسوة الكعبة فى دور سياسى بعد أن كانت من أعمال البر ، فامتنعت مصر عن إرسال الكسوة ، فأمر جلالة الملك عبد العزيز بإنشاء دار خاصة بأجياد فى مكة لعمل كسوة الكعبة سنة ١٣٤٦ هـ . فتم إنشاؤها فى هذا العام ، وأخرجت كسوة الكعبة فى غاية الروعة والفخامة على شكل الكسوة المصرية .

ولكن لم يلبث هذا الخلاف اليسير أن زال ـ بحمد الله ـ فعادت مصر إلى إرسال الكسوة الشريفة فى موسم الحج من كل عام ، ولها دار خاصة بمصر ويحتفل بخروجها سنويا .

الشافعية وذكر الحافظ ابن صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائى الشافعى فى قواعده أنه لايتردد فى جواز ذلك الآن لأجل وقف الأمام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها فى كسوة الكعبة والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها قال وهذا ظاهر لا يعارضه المنقول المتقدم انتهى باختصار . وكان أمراء مكة يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة فى كل سنة وجانبا كبيرا من كسوتها أو ست آلاف درهم كاملة عوضها [1] عن ذلك فسمح لهم بذلك الشريف عنان بن مغامس بن رميسة بن أبى ثمن لما ولى إمارة مكة فى آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وجرى على ذلك الأمراء من بعده فى الغالب ثم إن السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته لمكة صار يأخذ منهم ستارة باب الكعبة وكسوة مقام ابراهيم ويهدى ذلك [2] يرجوه من الملوك وغيرهم .

ذكر طيب الكعبة وأخدامها

وروينا من تاريخ الأزرقى عن عائشة رضى الله عنها قالت :طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره. وروينا فيه عنها أيضا قالت: لأن أطيب الكعبة أحب إلى من ان أهدى لها ذهبا وفضة وروينا فيه عن أبى نجيح أن معاوية بن أبى سفيان أجرى للكعبة وظيفة الطيب بكل صلاة، وكان يبعث لها بالمجمر والخلوق فى الموسم وفى رجب وأخدمها عبيدا ثم اتبعت ذلك الولاة بعده وروينا فى تاريخ الأزرقى أن عبد الله بن الزبير كان يجمر الكعبة كل يوم برطل من مجمر ويجمر الكعبة كل جمعة برطلين من مجمر وقال المحب الطبرى المجمر ما يتجمر به وهو العود الرطب وبالضم ما يتجمر به والخلوق طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ويغلب عليه الصفرة والحمرة وقال قال الأمام أبو عبد الله الحليمى روى عن سعيد بن جبير أنه كان يؤخذ من طيب الكعبة يستشفى به وقال قال عطاء كان أحدنا إذا أراد أن يستشفى به جاء بطيب من عنده فمسح به الحجر ثم أخذه ذكره بن الصلاح فى منسكه انتهى وذكر النووى أنه لا يجوز أخذ شىء من طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره ومن أخذ شيئا من ذلك لزمه رده فإن أراد التبرك أتى بطيب من عنده فمسحها به ثم أخذه انتهى .

ذكر أسماء الكعبة المعظمة

للكعبة المعظمة أسماء شريفة : منها الكعبة ومنها بكة بالباء الموحدة ومنها البيت الحرام ومنها البيت العتيق ومنها قادس ومنها نادر ومنها القرية القديمة وهذه الأسماء الأخيرة الثلاثة مذكورة فى تاريخ الأزرقى وسميت الكعبة بالكعبة لتكعيبها وهو تدويرها قال القاضى عياض فى المشارق لما ذكر الكعبة قال الكعبة هو البيت نفسه لاغير سمى بذلك لتكعيبها وهو تربيعها وكل بناء مرتفع مربع كعبة وقال النووى سميت بذلك لاستدارتها وعلوها وقيل

---

(١) فى الأصل عوضا ، وهو الصحيح الذى يقتضيه سياق الكلام .

(٢) كذا بالأصل ولعله من يرجوه .

لتربيعها فى الأصل انتهى وممن قال إنها سميت بالكعبة لكونها على حلقة الكعب ابن أبى نجيح ابن جريج وسميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة وقيل غير ذلك ، واختلف فى معنى البيت العتيق فقيل لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة فلم ينله جبار قط أولم يقدر عليه جبار ، وقيل غير ذلك والصحيح الأول على ما ذكر ابن جماعة . ومن أسمائها البينة بباء موحدة ونون وياء مثناة من تحت مشددة ذكر هذا الاسم لها القاضى عياض فى المشارق لأنه قال فى حرف الباء لما ذكر البيت العتيق : والبنية اسم للكعبة انتهى وذكر ابن الأثير فى النهاية ما يدل لذلك لأنه قال وفى حديث البراء بن معرور رأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر يريد الكعبة وكانت تدعى بنية ابراهيم عليه السلام لأنه بناها وقد كثر قسمهم برب هذه البنية انتهى وذكر الأزرقى ما يشهد بذلك لأنه روى خبرا عن الواقدى فيه أذان بلال للظهر يوم فتح مكة على ظهر الكعبة وسماع قريش لذلك وإنكارهم له. وفيه وقال الحكم ابن أبى العاص هذا والله الحديث الجليل أن يصبح عبد بنى جمح ينهق على بنية أبى طلحة انتهى، وأبو طلحة هو عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن نصر بن كلاب حاجب الكعبة ولذلك أضافها الحكم إليه والله أعلم.ومن أسمائها الدوار بضم الدال المهملة وفتحها وتشديد الواو وبعدها ألف وراء مهملة ذكر ذلك ياقوت فى مختصره لمعجم البلدان وذكر أن ابن القطان حكى الوجهين اللذين ذكرهما فى ضبطه وذكر أن دوار شجرة باليمامة وضبطه بالوجهين أيضا وذكر هذا الاسم شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى فى كتابه الوصل والمنى فى فضل منى ، ومن أسمائها المسجد الحرام لقوله تعالى « فولِّ وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرام » والمراد به الكعبة بلا خلاف وقد ورد اطلاق المسجد الحرام على غير الكعبة وبينا ذلك فى الباب الخامس .

ذكر هدم الحبش الكعبة فى آخر الزمان

روينا فى مسند أحمد بن حنبل وفى المعجم الكبير للطبرانى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وتسلبها حليتها وتجردها من كسوتها ولكأنى أنظر إليه أصلع أقرع[1] يضرب عليها بمسحاته ومعوله . وروينا فى تاريخ الأزرقى عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول كأنى به أصيلع أقيرع قائما عليها يهدمها بمسحاته وروينا فى تاريخ الأزرقى أيضاً أنه قال والذى نفسى بيده أنى لأنظر إلى صفته فى كتاب الله عز وجل أفيحج[2] أصيلع قائما يهدمها بمسحاته وروينا فى تاريخ الأزرقى عن على بن أبى طالب أنه قال: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأنى أنظر إليه جيشاً أصيلع

---

(١) فى الأصل أبدع .

(٢) أفيحج تصغير أفحج ، يقال فحج فى مشيته إذا تدانى صدور قدميه وتباعد عقباه فهو أفحج .

أصيلع قائما عليها يهدمها بمسحاته وروينا فيه وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وروينا فى صحيح البخارى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: كأنى به أسود أفجح يقلعها حجرا حجرا . وجزم السهيلى بأن تخريب الحبشة للكعبة يكون بعد رفع القرآن وذلك بعد موت عيسى عليه السلام على ما ذكر ابن جماعة قال وصححه بعض العلماء المتأخرين ونقل عن الحليمى أن ذلك فى زمن عيسى عليه السلام والله أعلم .

ذكر وقت فتح الكعبة فى الجاهلية والإسلام

روينا فى تاريخ الأزرقى عن سعيد بن عمرو الهذلى عن أبيه قال رأيت قريشا فى الجاهلية يفتحون الكعبة يوم الاثنين والخميس وذكر ذلك الفاكهى وذكر أيضاً أنها كانت تفتح فى الجاهلية يوم الجمعة لأنه قال حدثنا أحمد بن صالح بن سعيد عن محمد بن عمرو السلمى حدثنى عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو عن أبيه قال رأيت قريشا فى الجاهلية يفتحون البيت يوم الإثنين ويوم الجمعة انتهى. وروينا فتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس عن عثمان بن طلحة الحجبى من طريق ابن أسعد وذكر ابن جبير فى رحلته وكانت سنة تسع وسبعين وخمسمائة أن الكعبة تفتح كل يوم اثنين ويوم جمعة إلا فى رجب فتفتح كل يوم . انتهى . قلت وفتحها يوم الجمعة مستمر إلى الآن وفتحها يوم الاثنين متروك إلا أنه وقع فى شهر رمضان وشوال وذى القعدة من سنة احدى وثمانمائة واختص النساء بدخولها فى هذا اليوم لأمر أوجب ذلك وتفتح الكعبة غير يوم الجمعة أيضا وذلك فى أوقات متعددة من كل سنة منها فى بكرة اليوم الثانى عشر من ربيع الأول من كل سنة ومنها فى بكرة اليوم التاسع والعشرين من رجب من كل سنة ويختص النساء بدخولها فى هذا اليوم أكثر من الرجال وذلك قبل غسلها ومنها فى بكرة يوم عيد الفطر ومنها فى بكرة السادس والعشرين من ذى القعدة ولا يدخلها فى هذا اليوم إلا الأعيان من الناس وفتحها فى هـذا اليوم لأجل غسلها ومنها فى زمن الموسم وذلك فى بعض ليالى الثمان الأول من ذى الحجة من كل سنة وفى بعض هذه الأيام وفتحها فى هذه الأوقات لأجل البر الذى تأخذه الحجبة ممن يرغب فى دخولها ثم لا تفتح فتحا عاما إلا بعد انقضاء ذى الحجة فى أول جمعة من السنة التى تلى ذلك إلا أن فى سنة أربع عشرة وثمانمائة فتحت الكعبة بعد سفر الحجاج من مكة وقبل دخول سنة خمس عشرة وضع مثل ذلك الحجبة فى سنة خمس عشرة وذلك للرغبة فى أخذ البر من الداخلين إليها وذكر ابن جبير من أوقات فتح الكعبة التى أشرنا إليها فتحها فى اليوم التاسع والعشرين من رجب وذكر أنها تغسل فى ثانى هذا اليوم لأجل ما لعله أن يكون وقع من حدث الصغار الذين يدخلون مع أمهاتهم فى اليوم التاسع والعشرين من رجب وذكر أن للنساء

احتفالا كثيراً فى دخول الكعبة فى هذا اليوم. وذكر ابن جبير فتح الكعبة أيضا فى يوم عيد الفطر بكرة ولم يذكر فتحها فى السادس والعشرين من ذى القعدة وذكر أنها تفتح فى السابع والعشرين من ذى القعدة فتحا عاما وأن فى هذا اليوم شمرت كسوتها من جوانبها الأربعة التشمير الذى يسمونه إحرام الكعبة ثم قال ولا تفتح من حين إحرامها إلا بعد الوقعة ثم قال بعد أن ذكر أن كسوة الكعبة وضعت على سطحها فى يوم النحر وأسبلت عليها فى يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المذكور وشمرت أذيالها صونا لها من أيدى الأعاجم وفى هذه الأيام يفتح البيت الكريم كل يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم من الواصلين مع الأمير العراقى . انتهى . وفى هذا دلالة على أن الكعبة تفتح فى أيام الموسم وهو فى زمن ابن أبى جبير بعد الحج لأن الحجاج العراقيين ما يصلون غالبا إلا موافين ليوم عرفة ولنختم هذه الترجمة بحكم سدانة الكعبة وحكم ما يأخذه سدنتها ممن يدخلها وللمحب الطبرى فى ذلك كلام شاف فنذكره ونص كلامه : الحجابة منصب بنى شيبة ولاّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها كما ولى السقاية للعباس ثم قال وسدانة البيت خدمته وتولى أمره وفتح بابه وإغلاقه ويقال سدن يسدن سدانة فهو سادن والجمع سدنة ثم قال قال العلماء : لا يجوز لأحد أن ينزعها منهم قالوا وهى ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [1] وأعظم مالك أن يشرك معهم غيرهم . قلت ولا يبعد أن يقال هذا إذا حافظوا على حرمته ولازموا فى خدمته الأدب أما إذا لم يحافظوا على حرمته فلا يبعد أن يجعل عليهم مشرف يمنعهم من هتك حرمته وربما تعلق الجاهل الغبى البذى المعكوس الفهم بقوله صلى الله عليه وسلم « وكلوا بالمعروف » فاستباح أخذ الأجرة على دخول البيت ولا خلاف بين الأمة فى تحريم ذلك وأنه من أشنع البدع وأقبح الفواحش وهذه اللفظة إن صحت رواية فيستدل بها على إقامة الحرمة لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف وإنما الإشارة والله أعلم إلى ما يقصدون به من البر والصلة على وجه التبرر فلهم أخذه وذلك أكل بالمعروف لا محالة أو إلى ما يأخذونه من بيت المال على ما يقومون به من خدمته والقيام بمصالحه فلا يحل لهم منه إلا قدر ما يستحقونه والله أعلم. ثم قال بعد أن ذكر أحاديث تتعلق بالحجر بسكون الجيم وفيها ما يقتضى أن سبب رفع قريش لباب الكعبة ليمنعوا من شاءوا وفى قوله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا وقوله وألصق بابها بالأرض دلالة على أن الناس غير محجوبين عن البيت وأنه لا يحل

---

(١) لما يروى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تم فتح مكة دفع مفتاح الكعبة إلى سدنتها قبل الفتح وهم بنو شيبة . وقال : خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة لاينزعها منكم إلا ظالم ، وقد ذكر ابن هشام أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : اين عثمان بن طلحة ؟ ـ وهو سادن الكعبة حينئذ ـ فدعى له فقال : هاك مفتاحك ياعثمان ، اليوم يوم بروووفاء « سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٤ » ولا تزال سدانة الكعبة فى أيديهم إلى اليوم .

منعهم وما يأخذه السدنة على ذلك لا يطيب لهم إلا بطيب نفس من الدافعين ، و إنما تجب أجرتهم على ما يتولونه من القيام بمصالحه من بيت المال قال أبو العالية الرباحى فى قوله « فأنَّ لله خُمُسه » قال : السهم المضاف إلى الله تعالى إنما هو لبيت الله تعالى وأكثر أهل العلم على أنه أضاف الخمس إلى نفسه لشرفه وسهم الله وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد . انتهى . ذكر ذلك مفرقا فى موطنين من الباب الثامن والعشرين من كتابه القرى . وعزا المحب الطبرى الخبر الذى فيه وكلوا بالمعروف إلى سنن سعيد بن منصور وهو فى طبقات محمد بن سعد كاتب الواقدى من حديث عثمان بن طلحة وسيأتى ذلك فى الباب السابع والثلاثين من هذا الكتاب إن شاء الله والأصل فى غسل الكعبة لتطهيرها فى الجملة ذكر الفاكهى ما يدل له لأنه قال فى ترجمة ترجم عليها بقوله ذكر أذان بلال بن رباح على الكعبة ورقيه فوقها يوم الفتح للأذان : حدثنى محمد بن على المروزى حدثنا عبد الله بن موسى حدثنا موسى بن عبيدة بن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فرقى على ظهر الكعبة فأذن بالصلاة وقام المسلمون فتجرروا فى الأزر وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم فغسلوا الكعبة ظهرها و بطنها فلم يدعوا أثرا من آثار المشركين إلا محوه وغسلوه انتهى . و إنما ذكرنا هذا الخبر فى هذه الترجمة لما وقع فيها من غسل الحجبة ويكون هذا الخبر كالشاهد بذلك والله أعلم .

ذكر بيان جهة المصلين إلى الكعبة من سائر الآفاق

ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها

أخبرنى بذلك خالى قاضى الحرمين محب الدين النويرى سماعاً عن القاضى عز الدين بن جماعة سماعاً أنه نقل ذلك من خط والده فى الدائرة التى ذكر فيها صفة الكعبة وما يحتاج إلى معرفة تصويره وأن والده قال إنه كتبها فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وستمائة قال : جهة القبلة لأهل البصرة والأهواز وفارس وكرمان وأصبهان وسجستان وشمالى بلاد الصين وما على سمت ذلك من باب الكعبة إلى الحجر الأسود فمن جعل القطب على أذنه اليمنى والشولة إذا تدلت للغروب بين عينيه ومشرق الصيف خلف كتفه الأيمن والدبور [1] على خده الأيمن والجنوب على خده الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى، وجهة القبلة لأهل الكوفة و بغداد وحلوان والقادسية وهمدان والرى ونيسابور وخراسان ومرو وخوارزم و بخارى ونسا ومرغان والشاش وماهان وما كان على سمت ذلك

---

(١) الدبور : هى الريح الغربية .

ما بين مصلى آدم إلى قرب باب الكعبة، فمن جعل بنات نعش [١] الكبرى إذا طلعت خلف أذنه اليمنى والهقعة [٢] إذا طلعت بين كتفيه إلى خلف أذنه اليسرى والقطب على كتفه الأيمن وريح الصبا على الأيسر والشمال على عاتقه الأيمن والجنوب على خده الأيسر استقبل القبلة إن شاء الله تعالى، وجهة القبلة لأهل الرها والموصل وملطية وسميشاط وسنجار والجزيرة وديار بكر وما كان على سمت ذلك إلى القبلة يستقبلون من الركن الشامى إلى مصلى آدم فمن جعل فيها القطب على أذنه اليسرى ومشرق الشتاء خلف أذنه اليسرى وريح الصبا على كتفه الأيسر والشمال على خده الأيمن والجنوب على عينيه اليسرى استقبل القبلة إن شاء الله ، وجهة القبلة لأهل الشام كلهم إلا ما ذكر عن اليمين ودمشق فى هذا القسم وهى حمص وحماه وسلمية وحلب ومنبيح وحران وميا فارقين وما والاها من البلاد وسواحل الروم ما بين الميزاب والركن الشامى موقفهم موقف أهل المدينة ودمشق كما تقدم لكنهم يتياسرون شيئا كثيرا والجهة شاملة للجميع إن شاء الله تعالى ، وجهة القبلة لأهل جانب الشام الغربى ووسط غزة والرملة وبيت المقدس والمدينة الشريفة ودمشق وفلسطين وعكاّ وصيدَا وما والى ذلك من السواحل على سمته وهى من قبيل ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربى فمن جعل بها سهيلا إذا طلع بين عينيه وبنات نعش إذا غربت خلفه والنسر الواقع إذا طلع على أذنه اليسرى فقد استقبل هذا فى الجانب الغربى من الشام ، أما المدينة ودمشق وما والاها من أوسط الشام . فمن جعل بنات نعش الكبرى إذا طلعت خلف أذنه اليسرى والجدى على قفا ظهره مائلا إلى عينه قليلا والهقعة إذا طلعت عن شماله والصبا على خده الأيسر والجنوب تلقاء وجهه فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى، وجهة القبلة لأهل مصر والصعيد الأعلى وسواحلها السفلى أسوان وإسناد قرص والفسطاط والاسكندرية والمحلة ودمياط وتنيس وبرقة وطرابلس وصفد وساحل المغرب والأندلس وما كان على سمته وهو ما بين الركن الغربى والميزاب فمن جعل بنات نعش إذا غربت خلف كتفه الأيسر وإذا طلعت على خده الأيسر والقطب على أذنه اليسرى ومشرق الشتاء تلقاء وجهه والدبور خلف كتفه الأيمن فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى ، وجهة القبلة لأهل الشام من بلاد البجاة والنوبة وأواسط المغرب من جنوب الواحات إلى بلاد أفريقية وأوسط بلاد البربر وبلاد الجريد إلى البحر المحيط وهى جهة حدة وعيداب وجنوب أسوان وهى من دون الركن الغربى بثلث الجدار إلى الركن الغربى فمن جعل بها الثريا إذا طلعت على عينه اليسرى ، والصّبا على عينه اليمنى [٣] ، وجهة القبلة لأهل جنوب بلاد البجاة وبلاد دهلك وسواكن وبلاد البلين والنوبة إلى بلاد التكرور وما وراء ذلك وما على سمته من بلاد السودان وغيرهم إلى البحر المحيط وهى من دون الباب المسدود إلى ثلثى الجدار ، فمن جعل بها الثريا

---

(١) سبعة كواكب : أربعة منها نعش لأنها مربعة وثلاث بنات نعش (تاج العروس ٤ / ٣٥٧)

(٢) الهقعة بفتح الهاء وسكون القاف وفتح العين ثلاثة كواكب منيرة قريب بعضها من بعض فوق منكس الجوزاء كأنها الأثافى وهى من منازل القمر إذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف (تاج العروس ٥ / ٥٨٨)

(٣) بياض بالأصل .

إذا طلعت بين عينيه والقطب على عينه اليسرى وخده الأيسر والصبا على عينه اليمنى ، والدبور خلف أذنه اليسرى ، ومغرب الشولة خلف كتفه الأيمن ومشرق الشتاء على خده الأيمن ومشرق الصيف على الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى ، وجهة القبلة لأهل الحبشة والزنج والزيلع وأكثر بلاد السودان وجزائر فرسان وما والاها من البلاد وكان على سمتها وهى من الركن اليمانى إلى ثلثى الجدار وهو آخر الباب المسدود ، فمن جعل بهـا الثريا إذا طلعت على جنبه الأيمن والقطب على الأيسر ، والصبا على خده الأيمن ، والدبور على كتفه الأيسر ، والجنوب على الأيمن ، ومغرب الشولة خلف كتفه الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى ، وجهة القبلة لأهل اليمن بأسره ظفار وحضر موت وصنعاء وعمان وصعدة والشحر وسبأ وما والاها وما كان على سمتها وهى من دون الركن اليمانى بسبعة أذرع إلى الركن اليمانى فمن جعل فيها القطب بين عينيه وسهيلا إذا طلع خلف أذنه اليمنى و إذا غرب خلف اليسرى ومشرق الشتاء على أذنه اليمنى ومغرب الشتاء على اليسرى والشمال تلقاء وجهه والجنوب خلف ظهره والصبا على خده الأيمن والدبور على الأيسر فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى وجهة القبلة لأهل بلاد السند وجنوب بلاد الهند وجنوب بلاد الصين وأهل التهائم والسندين والبحرين وما والاها وكان على سمتها وهى من دون مصلى النبى صلى الله عليه وسلم إلى ثلثى هـذه الجدار ، فمن جل بنات نعش إذا طلعت على خده الأيمن ومطلع النسر الواقع على أذنه اليمنى ومغرب بنات نعش بين عينيه فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى، وجهة القبلة لأهل بلاد الصين وأهل واسط والهنـد والمهرجان وكابل [1] والتتار والمسفر والقندهار وما والاها وكان على سمتها وهو من الركن الأسود إلى دون مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فمن جعل بها بنات نعش الـكبرى إذا طلعت على خده الأيمن والقطب على عاتقه الأيمن والصبا خلف أذنه اليمنى فقد استقبل القبلة إن شاء الله تعالى .

انتهى ما ذكره القاضى عز الدين بن جماعة عن أبيه من بيان جهة المصلين إلى الـكعبة من سائر الآفاق ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها ووجدت فى الـكتاب الذى ألفه الفقيه أبو عبد الله محمد بن سراقة العامرى لمعرفة دلائل القبلة فى جميع البلدان بابا فى هذا المعنى وعرضه على ما ذكره بن جماعة فإذا بين ما ذكره ابن سراقة وابن جماعة اختلاف كثير فى اللفظ والمعنى والزيادة والنقص وغير ذلك فرأيت أن أذكر ما ذكره ابن سراقة ليحيط بذلك علماء النظر فى هذا الـكتاب أنبأنى بكتاب ابن سراقة المسند أن محمد بن محمد بن عبد الله وابراهيم بن أبى بكر ابن عمر الصالحيان إذنا مكاتبة عن أبى القاسم شهاب بن على المحسبى أن أبا محمد عبد الوهاب بن ظافر الأزدى أخبره سماعا قال أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازى قال أخبرنا أبو صالح محمد بن أبى عيسى بن الفضل السمرقندى بمصر قال أخبرنا الفقيه محمد بن سراقة العامرى قال باب ذكر البلدان ومواقفها من جهات الـكعبة وما يستدل به أهل كل بلد عليها اعلم أن أهل القادسية والـكوفة و بغداد

(١) فى الأصل : والهدبان .

وحلوان وهمدان والرى ونيسابور ومرو وخوارزم وبخارى والشاش وفرغانه وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون من الكعبة من مصلى آدم إلى بابها، فمن كان فى إحدى هذه البلاد أو على خطها وأراد التوجه إليها جعل بنات نعش الكبرى إذا طلعت على أذنه اليمنى والهقعة إذا طلعت بين كتفه إلى خلف أذنه اليسرى والقطب على كتفه الأيمن وريح الصبا على كتفه الأيسر والشمال على عاتقه الأيمن إلى قفاه والدبور على صفحة خده الأيمن والجنوب على خده الأيسر، فمن استدل ببعض هذه الدلائل فى إحدى هذه البلدان أو فيما كان على سمتها من البلاد من بر أو بحر أو سهل أو جبل فقد استقبل جهة القبلة [١] التى أمر باستقبالها . واعلم أن أهل البصرة والأهواز وفارس وأصبهان وكرمان وسجستان وبست إلى بلاد الصين وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من باب الكعبة إلى الركن العراقى، فمن كان فى إحدى هذه البلاد وفيما كان على سمتها وأراد التوجه إلى الكعبة جعل القطب على أذنه اليمنى والنسر الواقع خلفه والشولة إذا نزلت للغروب بين عينيه أو مشرق الصيف خلف كتفه الأيمن ومهب الصبا على كتفه الأيسر والشمال على أذنه اليمنى والدبور على خده الأيمن والجنوب على عينه اليسرى فمتى فعل ذلك فقد استقبل جهة الكعبة . واعلم أن أهل السند والهند والمهرجان وكابل والقندهار والنسان وما كان على سمت ذلك من البلاد فهم يستقبلون فى صلاتهم من الركن العراقى إلى مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فمن جعل فى إحدى هذه البلاد ومن كان من البلاد على سمتها بنات نعش إذا طلعت على خده الأيمن والقطب على عينه اليمنى وريح الصبا خلف أذنه اليمنى والشمال على خده الأيمن والدبور على خده الأيسر والجنوب على كتفه الأيسر فقد استقبل جهة الكعبة . واعلم أن أهل اليمن والسدير والتهائم إلى عدن والبحرين إلى عمان وحضرموت والشحر وصنعاء وهى [٢] وصعدة وما كان على سمت ذلك من البلاد يستقبلون فى صلاتهم من موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم إلى الركن اليمانى فمن كان فى إحدى هذه البلاد فجعل القطب بين عينيه أو سهيلا إذا طلع على أذنه اليمنى وإذا غرب خلف أذنه اليسرى ومشرق الشتاء على أذنه اليمنى والصبا على كتفه الأيمن والشمال تلقاء وجهه والدبور على جنبه الأيسر والجنوب على كتفه الأيسر فقد استقبل جهة الكعبة . واعلم أن أهل بلا الحبشة وجزائر فرسان وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من الركن اليمانى إلى الباب المسدود فمن كان فى إحدى هذه البلاد أو فيما كان من البلاد على سمتها فجعل الثريا إذا طلعت بين عينيه والشعرى والعيوق إذا طلعت على جنبه الأيمن أو القطب على أذنه اليسرى أو ريح الصبا على عينيه والشمال تلقاء وجهه أو الدبور عن شماله أو الجنوب خلفه كان مستقبلا لجهة الكعبة . واعلم أن بلاد أهل النوبة إلى البحر المحيط وما وراء ذلك من بلاد

---

(١) وفى نسخة الكعبة

(٢) بياض بالأصل .

السودان وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من الباب المسدود إلى دون الركن الغربى بسبعة أذرع فمن جعل فى إحدى هذه البلاد أو فيما كان على سمتها من البلاد العيوق إذا طلع بين عينيه أو الثريا على عينه اليمنى أو الشولة إذا غربت بين كتفه أو القطب على صفحة خده الأيسر أو مشرق الصيف قبالته أو مغرب الشتاء خلفه أو ريح الصبا على عينه اليمنى أو الشمال على حاجبه الأيسر أو الدبور على أذنه اليسرى أو الجنوب على كتفه الأيمن فقد استقبل جهة الكعبة . واعلم أن أهل الأندلس والمغرب من أهل أفريقية وطرابلس وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من دون الركن الغربى بسبعة أذرع إلى الركن الغربى فمن جعل فى إحدى هذه البلاد وما كان على سمتها الثريا إذا طلعت بين عينيه والشعرى على عينه اليمنى أو العيوق إذا غرب خلف قفاه أو ريح الصبا قبالته ، أو الدبور خلف ظهره أو الشمال على كتفه الأيسر أو الجنوب على كتفه الأيمن فقد استقبل جهة الكعبة . واعلم أن أهل الاسكندرية ومصر إلى القيروان إلى[1] والسوس والمغرب الأقصى إلى البحر الأسود وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من الركن الغربى إلى ميزاب الكعبة ، فمن جعل إحدى هذه البلاد الأحمرة إذا طلعت بين عينيه أو بنات نعش إذا غربت على كتفه الأيسر و إذا طلعت على أذنه اليسرى أو الشمال خلف أذنه اليسرى أو ريح الصبا على جبينه الأيسر أو الشمال خلف أذنه اليسرى أو الدبور خلفه أو الجنوب على عينه اليمنى فقد استقبل جهة الكعبة . واعلم أن أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل[2] والرملة و بيت المقدس وفلسطين وما كان على سمت ذلك من البلاد يستقبلون فى صلاتهم ميزاب الكعبة ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استقبال القبلتين بالغائط أو بالبول لأن من كان بالمدينة واستقبل الكعبة فقد استدبر صخرة بيت المقدس وقد كانت قبلة ، ومن استدبر الكعبة فقد استقبل الصخرة وكأنّ فى نهيه عن استدبار القبلتين نهيا عن استقبال الكعبة واستدبارها ثم قال ولكن شرقوا أو غربوا لتكون الكعبة عن يمينه و بيت المقدس عن شماله أو الكعبة عن شماله و بيت المقدس عن يمينه فهذا خاص لأهل المدينة وما كان على سمتهم فمن كان فى إحدى هذه البلاد فجعل بنات نعش إذا غربت خلفه أو سهيلا إذا طلع بين عينيه أو النسر الواقع إذا طلع على أذنه اليسرى و إذا غرب خلف أذنه اليمنى أو ريح الصبا على عينه اليسرى أو الشمال خلف أذنه اليسرى أو الدبور خلف أذنه اليمنى والجنوب على حاجبه الأيمن فقد استقبل جهة الكعبة . واعلم أن أهل الشام كلها خلا الرملة و بيت المقدس وما كان من البلاد على سمت ذلك يستقبلون فى صلاتهم من ميزاب الكعبة إلى الركن

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) فى الأصل (الحجاز)

الشامى فمن جعل فى إحدى هذه البلاد بنات نعش الكبرى إذا طلعت خلف أذنه اليسرى أو الجدى إذا علا على منكبه الأيسر أو الهقعة إذا طلعت عن شماله أو الصبا على صفحة خده الأيسر أو الشمال على مرجع الكتف الأيمن أو الدبور على أذنه اليمنى إلى ما يلى قفاه أو الجنوب تلقاء وجهه كان مستقبلا لجهة الكعبة . واعلم أن أهل ملطية وسميساط والمرس وارمينيا إلى باب الأبواب وما كان من البلاد على سمْت ذلك منهم يستقبلون فى صلاتهم الركن الشامى إلى مصلى آدم عليه السلام ، فمن كان فى إحدى هذه البلاد وما كان من البلاد وعلى سمتها العيوق إذا طلع خلف أذنه اليسرى إلى قفاه و إذا غرب على جنبه الأيمن أو القطب على أذنه اليمنى إلى خلف قفاه أو مشرق الشتاء على العظم الذى خلف أذنه اليسرى أو ريح الصبا على كتفه الأيسر أو الشمال على صفحة خده الأيمن أو الدبور على عاتقه الأيمن أو الجنوب على عينه اليسرى فقد استقبل جهة الكعبة ، ولا بد لمن أراد استعمال ما ذكرته فى كتابى هذا أو العمل به من معرفة ما ذكرته من الكواكب وهى يسيرة فيعرفها باعيانها، وكذلك الرياح ومهابها فإنه يصل إلى بغيته ومراده إن شاء الله تعالى . انتهى . ووقع فيما ذكره ابن جماعة وابن سراقة ما يقتضى أن مصلى آدم عليه السلام فى جهة الكعبة الشرقية فيما بين بابها والركن الشامى الذى يلى الحجر بسكون الجيم وأن مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فيما بين الركن اليمانى والحجر الأسود وذلك يحتاج إلى زيادة بيان رجاء معرفته فيحصل الفوز بالصلاة فيه وليس فى كلام ابن جماعة ما يقتضى ذلك وفى كلام ابن سراقة ما يقتضى زيادة بيان فى ذلك لأنه قال فى أوائل كتابه المذكور : ومن الباب أى باب الكعبة إلى مصلى آدم عليه السلام حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة وهى موضع الحلوق من آزار الكعبة أرجح من تسعة أذرع وهناك كان موضع مقام ابراهيم عليه السلام وصلى النبى صلى الله عليه وسلم عنده حين فرغ من طوافه ركعتين ثم قال ابن سراقة : و بين موضع الحلوق وهى مصلى آدم عليه السلام و بين الركن الشامى ثمانية أذرع انتهى. وقال ابن سراقة فى بيان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم بين الركن اليمانى والحجر الأسود وعرض جدارها يعنى الكعبة التى [1] يلى اليمن وهو فيما بين الركن اليمانى والركن العراقى وهو الذى فيه الحجر الأسود عشرون ذراعا و إلى وسط هذا الجدار كان يصلى النبى صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة انتهى . والذراع الذى أشار اليه ابن سراقة وهو ذراع اليد وهو ينقص عن ذراع الحديد ثمن ذراع كما سبق ذكره فى حدود الحرم وقد تحرر لى مما ذكره ابن سراقة فى ذرع ما بين الركن الشامى ومصلى آدم عليه السلام أن يكون مصلى آدم ظنا بقرب الحفرة المرخمة التى فى وجه الكعبة بحيث يكون من المصلى إلى الحفرة ثلاثة أذرع إلا ثلث ذراع بالحديد ويعرف أيضا مصلى آدم بأن بينه و بين الحفرة المشار إليها ست رخامات من

---

(١) فى الأصل (الذى) وهو الصحيح

الرخام الذى هو الآن فى شاذروان الكعبة إلا أربع أصابع وتحت الرخام ثلاثة أحجار صفر إلا أن الحجر الثالث يزيد على الست الرخامات فوقه قليلا وكان تحريرى لذلك مع من يعتمد عليه من أصحابنا فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثمانمائة بعد أن اعتبرنا ما ذكره ابن سراقة فى ذلك فوافق لأنا ذرعنا مقدار ثمانية أذرع ووضعناه عند طرف ركن الكعبة الشامى ومددناه إلى حيث انتهى . من جدار الكعبة ثم ذرعنا ذلك بذراع الحديد فجاء سبعة أذرع بتقديم السبعين وثمن دراع بالحديد فعرفنا ذلك أن موضع منتهى الثمانية الأذرع باليد أو السبعة بتقديم السين والثمن بالحديد موضع مصلى آدم ظنا وهو الموضع الذى أشرنا إليه والله أعلم. وحررنا فى التاريخ المذكور موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم بين الركن اليمانى والحجر الأسود وعلى مقتضى ما ذكره ابن سراقة من أنه فى وسط هذا الجدار فإذا هو موضع الرخامة البيضاء المكتوب فيها أمر بتجديد المطاف الشريف العبد الفقير الراجى عفو ربه الغفور الملك المنصور لاجين[1] وبعد ذلك سطر مكشوط وإنما كان هذا الموضع موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الجهة على ما ذكر ابن سراقة فى تحريره لأنا ذرعنا ما بين الحجر الأسود وهذه الرخامة فوجدناه ثمانية أذرع وثمن بالحديد وكذلك ما بين هذه الرخامة وبين الركن اليمانى فعرفنا بذلك أن هذه الرخامة فى وسط هذا الجدار وأنها على مقتضى ما ذكر ابن سراقة موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الجهة والله أعلم. على أنى رأيت ما يدل للخلاف ما ذكره ابن سراقة فى تحرير موضع مصلى آدم فى الجهة الشرقية وهو أيضا يخالف ما ذكره ابن جماعة فى ذلك لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه : حدثنى محمد بن يحيى قال حدثنى هشام بن سليمان المخزومى عن عبد الله بن أبى سليمان . المخزومى أنه قال طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت حين نزل ثم صلى وجاه باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال : اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى فاغفر لى ذنوبى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤالى اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى والرضا بما قضيت على قال فأوحى الله اليه يا آدم قد دعوتنى بدعوات فاستجبت لك ولن يدعونى بها أحد من ولدك الا كشفت غمومه وهمومه وكففت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها . ورويناه فى دلائل اليقين لابن أبى الدنيا بسنده عن عوف بن خالد قال وجدت فى بعض الكتب أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليمانى ركعتين ثم قال: اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبت لى ورضنى بما قسمت لى فأوحى الله إليه : يا آدم إنه حق على أن لا يلزم أحد من ذريتك هذا الدعاء إلا أعطيته ما يحب ونجيته مما يكره ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغنى بين عينيه وملأت جوفه حكمة . وهذان الخبران يقتضيان أن موضع مصلى آدم غير الموضع الذى يقتضيه كلام ابن سراقة وابن جماعة فإن الخبر الذى ذكره الأزرقى يقتضى

(١) هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين سلطان الديار المصريه ، تسلطن فى عاشر صفر سنة ٦٩٦ هـ ، وقتل فى عاشر ربيع الآخر سنة ٦٩٨ هـ .

أنه وجاه باب الكعبة والخبر الذى ذكره ابن أبى الدينا يقتضى أنه عند الركن اليمانى وعلى مقتضى هذ الخبر فركوع آدم عند الركن اليمانى يحتمل أن يكون عند الركن اليمانى مما يلى الحجر الأسود، ويحتمل أن يكون عند الركن اليمانى مما يلى الجهة الغربية فى المستجار، وقد رأيت ما يدل على أنه صلى فى المستجار لأن الفاكهى قال ذكر الموضع الذى تاب الله تعالى فيه على آدم عليه السلام وهو بين الركن والحجر. وتفسيره وكان يذكر بعض أهل مكة عن أشياخه أن الموضع الذى تاب الله تعالى فيه على آدم موضع الشقة الثالثة من كسوة الكعبة فى وجه الباب الذى يلى الركن الشامى عند باب الحجر، وقال بعض الناس أن الموضع الذى تاب الله فيه على آدم دبر الكعبة عند الباب الذى فتح ابن الزبير من دبرها عند الركن اليمانى، والقول الأول أحب إليهم وأعجب من أجل الحديث انتهى. وفيه دلالة لما ذكر ابن سراقة فى موضع مصلى آدم فى الجهة الشرقية والله أعلم.

وللنبى صلى الله عليه وسلم مصليات أخر عند الكعبة فى جهتها الشرقية وغيرها يأتى التنبيه عليها فى الباب السابع عشر إن شاء الله تعالى.

الباب التاسع

فى بيانه مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة المعظمة

وقدر صلاته فيها ، ووقتها ، ومن رواها من الصحابة، ومن نفاها منهم ، وترجيح رواية من أثبتها على من نفاها وما قيل من الجمع بين ذلك وعدد دخوله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة وأول وقت دخلها بعد هجرته

ذكر بيانه مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة

أخبرنى إبراهيم بن محمد المؤذن سماعاً بالمسجد الحرام أن أحمد بن أبى طالب الحجار الصالحى أخبره عن ابن[1] وابن هارون قالا أخبرنا أبو الوقت السجزى قال أخبرنا ابو الحسن الدوادى قال أخبرنا ابو محمد بن حمديه قال أخبرنا إبراهيم بن حزيم قال أخبرنا عبد بن حميد قال حدثنى سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة و بعث إلى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح ففتح له الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وعثمان بن طلحة وأسامة و بلال فلما خرجوا ابتدرهم الناس فقلت لبلال أصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت ؟ قال نعم قلت أين ؟ قال بين العمودين المقدمين تلقاء وجهه . أخرجه مسلم فى صحيحه عن قتيبة بن سعيد وأبى الربيع الزهرانى وابن كامل الجحدرى عن حماد فوقع له[2] عاليا بدرجة ووقع لنا أعلى من هذا بدرجة من حديث إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحى عن نافع عن ابن عمر أخبرنى به أبو هريرة بن الذهبى الحافظ بقراءتى عليه بغوطة دمشق فى الرحلة الأولى : أن عيسى بن عبد الرحمن بن المطعم أخبره سماعا فى الثالثة وأجازه، والقاضى تقى الدين سليمان بن حمزة الحنبلى إجازة قالا أخبرنا ابن الليثى قال أخبرنا أبو الوقت قال أخبرتنا لبنى بنت عبد الصمد العرثمية قالت أخبرنا عبدالرحمن ابن أبى شريح قال أخبرنا أبو القاسم البغوى قال حدثنا مصعب قال حدثنى مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة هو وأسامة و بلال وعثمان بن طلحة فأغلقها عليهم ومكث فيها ، قال عبد الله

---

(١) بياض بالأصل .

(٢) فى الأصل (لنا) بدلا من له .

ابن عمر فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : جعل عمودا عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاث أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى ، هذا حديث متفق على صحته وثبوته من حديث مالك ووقع لنا عاليا جدا من حديثه وقد أوضح ابن عمر رضى الله عنه موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة إيضاحاً أكثر مما فى هذا الحديث لأن البخارى قال فيما رويناه عنه : حدثنا أحمد بن محمد قال حدثنا عبد الله قال حدثنا موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حتى يدخل ويجعل الباب قبل الظهر يمشى حتى يكون بينه و بين الجدار الذى قبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع فيصلى بنواحى المكان الذى أخبره بلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، وليس على أحد بأس أن يصلى فى أى نواحى البيت شاء [1] وروينا فى تاريخ الأزرقى أن معاوية استدعى ابن عمر وهو فى الكعبة فقال : يا أبا عبد الرحمن أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام دخلها ؟ فقال : بين العمودين المقدمين اجعل بينك و بين الجدار ذراعين أو ثلاثة انتهى باختصار ولشيخنا الحافظ الحجة أبى الفضل العراقى كلام حسن فى تعيين مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة لأنه قال فيما أنبأنا به بعد ذكر الأحاديث الواردة فى هذا المعنى فتلخص من هذه الطرق أن مصلى النبى صلى الله عليه وسلم من البيت أن الداخل من الباب يسير تلقاء وجهه حتى يدخل إلى أن يجعل بينه و بين الحائط ثلاثة أذرع أو ذراعين أو ما بينهما لاختلاف الطرق فيه ، قال و ينبغى أن لا يجعل بينه و بين الجدار أقل من ثلاثة أذرع فإن كان الواقع أنه ثلاثة فقد صادف مصلاهُ و إن كان ذراعين فقد وقع وجه المصلى وذراعاه فى مكان قدمى النبى صلى الله عليه وسلم . فهذا أولى من التقديم عنه والله أعلم .

ذكر قدر صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة فى دخولها هذا

أما قدر هذه الصلاة فركعتان على ما رويناه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعن بلال من رواية بن عمر وعن جابر بن عبد الله كما رويناه فى شرح معانى الآثار للطحاوى وعن عمر أيضا كما رويناه فيه عن عبد الرحمن ابن صفوان عن عمر وجماعة ممن كان مع النبى صلى الله عليه وسلم حينئذ وعن عثمان بن طلحة أيضا كما رويناه فيه وهو مقتضى حديث شيبة بن عثمان الحجبى ـ يوجد فى الأصل (وعبد الله بن عباس ولا يثبت عنه وعبد الرحمن بن صفوان القرشى وعثمان بن طلحة الحجبى) وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين كما سيأتى مبيناً فى الترجمة التى بعد هذه الترجمة وليشير هنا لحديث ابن عمر و بلال لموجب اقتضى ذلك فأما الحديث المروى عن ابن عمر فى ذلك من غير

---

(١) ذكر ابن هشام ذلك فى سيرته ج ٢ ص ٢٧٥ ط الجمالية مع اختلاف يسير .

ذكر بلال فيه فإنا رويناه فى مسند أحمد بن حنبل لأن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال فى مسند أبيه : وجدت فى كتاب أبى حدثنا يزيد قال أخبرنا شعبة عن سماك يعنى الحنفى قال سمعت ابن عمر يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ركعتين ، وأما الحديث الذى رويناه عن بلال فى ذلك من رواية ابن عمر ففى صحيح البخارى لأنه قال فى كتاب الصلاة: حدثنا مسدد قال حدثنا عيسى [1] عن سيف قال سمعت مجاهدا قال أتى ابن عمر فقيل له هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ، فقال ابن عمر : فأقبلت والنبى صلى الله عليه وسلم قد خرج فوجد بلالا قائما بين الناس فسألت بلالا فقلت هل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ؟ فقال : نعم ركعتين بين الساريتين اللتين عن يسارك إذا دخلت ثم خرج فصلى فى وجه الكعبة ركعتين ، وأخرجه النسائى أيضا فقال: أخبرنا سليمان قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سيف بن سليمان فذكره، وروينا ذلك فى سنن النسائى أيضا من رواية السائب بن عمر عن ابن أبى مليكة عن ابن عمر انه سأل بلالا هل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ؟ فقال : نعم ركعتين بين الساريتين وروينا فى سنن الدار قطنى من رواية زهير بن معاوية عن ابن الزبير عن ابن أبى مليكة عن ابن عمر فى حديث ابن الزبير فسألت بلالا فأخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلى ركعتين وروينا فى حديث الصحيحين ما يقتضى أن ابن عمر نسى ان يسأل بلالا عن قدر صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ، وذلك من حديث أخرجه البخارى عن شريح بن النعمان عن فليح عن نافع عن ابن عمر وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد وأبى الربيع الزهرى وأبى كامل الجحدرى كلهم عن حماد بن زيد عن أيوب السختيانى عن نافع عن ابن عمر وروينا ذلك أيضا فى سنن ابن ماجه، وفى رواية ابن ماجه ثم لمت نفسى أن لا اكون سألته يعنى بلالا كم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . فتكون هذه الأحاديث معارضة للأحاديث التى تقتضى أن ابن عمر سأل بلالا عن قدر صلاة النبى صلى الله عليه وسلم هذه . وقد سبق ذكر هذه الأحاديث وذكر شيخنا العراقى فى الجمع بين هذا الاختلاف ثلاث احتمالات واستبعد منها اثنين وسكت عن الثالث وهو على ماقال فيما أنبأنى به، ويحتمل أن ابن عمر وإن كان سمع من بلال أنه صلى ركعتين لم يكتف بذلك فى أنه لم يصل غيرها لأن من صلّى أربعا أو أكثر يصدق عليه أنه صلى ركعتين ، على القول بأن مفهوم العدد ليس بحجة كما هو المرجح فلعل الذى نسى أن يسأل عنه بلالا فى أنه هل زاد على الركعتين شيئا أم لا ؟ والله أعلم .

---

(١) فى الأصل : يحيى .

ذكر من روى صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فى الكعبة

يوم فتح مكة من الصحابة ومن نقلها منهم

روى هـذه الصلاة بلال وجابر بن عبـد الله وشيبة بن عثمان الحجبى وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس على ما قيل وعبدالله ابن عمر بن الخطاب وأبو هريرة وعائشة وعبد الرحمن بن صفوان القرشى وعثمان بن طلحة الحجبى وعمر بن الخطاب، ونفاها أسامة على المعروف عنه والفضل بن عباس وأخوه عبد الله بن عباس على ماصح عنه وليس فى حديث أكثر الصحابة المثبتين لهذه الصلاة والنافين لها فى أن ذلك وقع فى يوم فتح مكة ، وانما ذلك مبين فى حديث ابن عمر السابق وحديث جابر كما سيأتى وغيره فيحمل على ذلك حديث من لم يقع فى حديثه بيان زمن الصلاة المشار إليها لأن الأحاديث تفسر بعضها بعضا والمجمل منها يرد إلى المبين وقد أشار إلى ذلك النووى فى شرح مسلم لما تكلم على قوله فى حديث ابن عمر : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ونزل بفناء الكعبة هـذا دليل على أن المذكور فى أحاديث الباب من دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة وصلاته فيها كان يوم الفتح وهذا لا خلاف فيه ولم يكن يوم حجة الوداع انتهى . ويتأيد ذلك بما رويناه فى تاريخ الأزرقى قال حدثنى جدى قال سمعت سفيان يعنى بن عيينة يقول سمعت غير واحد من أهل العلم يذكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ثم حج ولم يدخلها انتهى . وإذا تقرر ذلك فنشير إلى شىء من أحاديث الصحابة المشار إليهم . فأما حديث بلال ففى الصحيحين وغيرهما من رواية ابن عمر عنه . وأما حديث جابر بن عبد الله ، فرويناه فى شرح معانى الآثار للطحاوى قال حدثنا فهد قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا شبابة عن مغيرة بن مسلم عن أبى الزبير عن جابر قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم [1] يوم الفتح فصلى فيه ركعتين . وأما حديث شيبة فرويناه فى معجم ابن قانع ولفظه : حدثنا حامد بن محمد حدثنا القواريرى حدثنا محمد بن حمدان حدثنا أبو بشر عن مسافع ابن شيبة عن أبيه قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم . الكعبة فصلى فيها ركعتين ورأى فيها تصاوير فقال يا شيبة اكفنى هذا فاشتد ذلك على شيبة فقال له رجل : اطله بزعفران ففعل وسيأتى شيبة فى الباب الذى بعده فى حديث آخر فى المعنى ورويناه أيضا فى شرح الآثار للطحاوى ونصه : حدثنا ابن أبى داود قال حدثنا محمد بن الصباح قال حدثنا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم عن هرمز عن عبد الرحمن بن الزجاج قال أتيت شيبة بن عثمان

---

(١) فى الأصل : البيت ، وهو الذى يقتضيه سياق الكلام .

فقلت : يا أبا عثمان إن ابن عباس يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . دخل الكعبة فلم يصل، قال: بلى ، صلى ركعتين عند العمودين المقدمين ألزق بهما ظهره حدثنا فهد قال حدثنا محمد بن سعيد أخبرنا عبد الرحيم بن سليمان عن عبد الله بن مسلم فذكره وأما حديث ابن الزبير فرويناه فى مسند أحمد بن حنبل ولفظه حدثنا عثمان قال حدثنا حماد عن عبد الله بن أبى مليكة أن معاوية قدم إلى مكة فدخل الكعبة فبعث إلى ابن عمر يسأله أين صلى النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال صلى بين الساريتين بحيال الباب فجاء ابن الزبير فرج الباب رجا شديدا ففتح له فقال لمعاوية أما أنك قد علمت أنى كنت أعلم مثل الذى تعلم ولكنك حسدتنى ، وأما حديث ابن عباس فرويناه فى سنن الدارقطنى ولفظه حدثنا الحسين بن اسماعيل قال حدثنا عيسى بن أبى حرب الصفار قال حدثنا يحيى بن أبى بكير عن عبد الغفار بن القاسم قال حدثنى حبيب بن أبى ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فصلى بين الساريتين ركعتين ثم خرج فصلى بين الباب والحجر ركعتين ثم قال هذه القبلة ثم دخل مرة أخرى وأقام فيه يدعو ثم خرج ولم يصلِّ ، وكتب الدارقطنى على حاشية هذا الحديث عبد الغفار ضعيف انتهى. ورويناهذا الحديث فى معجم الطبرانى الكبير وفى إسناده أبو مريم روى عن صغار التابعين و بقية رجاله وثقوا وفى بعضهم كلام ورويناعن ابن عباس ما يدل لذلك أيضا فى مسند بلال للحسن بن محمد الصباح الزعفرانى ولفظه حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عبد الله بن المؤمل قال سمعت ابن أبى مليكة عن ابن عباس قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة . وكان بلال والفضل على الباب فقال بلال: سجد، وقال الفضل: إنما كان يركع . وأما حديث عبد الله بن عمر من غير ذكر بلال فاخبرنى به الحافظ أبو أحمد بن الحسين الحاكم إجازة إن لم يكن سماعا قال أخبرنا به محمد بن أزبك البدرى بقراءتى عليه بظاهر دمشق فى الرحلة الثالثة قال أخبرنا محمد بن عبد المؤمن الصورى قال أخبرنا عبدالله بن أحمد بن قدامة قال أخبرنا أحمد ابن المقرب الكرخى ونفيسة بنت أبى طالب البزار قالا أخبرنا طواد بن محمد القرشى قال أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن حسنون الترسى قال حدثنا محمد بن عمرو بن البحترى قال حدثنا أحمد الفرج بن عبيد الجشمى قال حدثنا غارم أبو النعمان قال حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى جوف الكعبة . هكذا رواه عن غارم عن حماد وخالفه قتيبة لأنه رواه عن حماد فزادفى إسناده بلالا ورواية قتيبة أخرجها الترمذى عنه وقال هذا حديث حسن صحيح وقال الطحاوى فى شرح معانى الآثار حدثنا أبو مرزوق قال حدثنا وهب هو ابن جرير قال حدثنا شعبة عن سماك الحنفى قال سمعت ابن عمر يقول: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت . وسيأتى من ينهاك فلا تسمع قوله يعنى ابن عباس وقال أيضا حدثنا فهد حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن سماك الحنفى قال سمعت ابن عباس يقول لا تجعل سائر البيت خلفك وائتم به جميعاً وسمعت ابن عمر يقول: صلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه . وأما حديث عبد الرحمن بن صفوان فرويناه فى معجم الطبرانى الكبير ولفظه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فدخلت بين رجلين منهم فقلت كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت ؟ قال صلى ركعتين بين الاسطوانتين عن يمين البيت ورجال الطبرانى رجال الصحيح على ما ذكر شيخنا أبو الحسن الحافظ ورويناه فى مسند البزار ولفظه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قلت لألبسن ثيابى وكانت دارى على الطريق فذكر الحديث إلى أن قال فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت من كان معه أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال ركعتين عند السارية الوسطى عن يمينها ورويناه فى سنن أبى داود السجستانى ورويناه عن شيوخه عن جماعة لم يسموه فى شرح معانى الآثار للطحاوى قال حدثنا ربيع الجيزى قال حدثنا عبد الله بن الحميدى قال حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن صفوان أو عبد الله بن صفوان قال سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح قد قدم فجمعت على ثيابى فوجدته قد خرج من البيت فقلت أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت ؟ قالوا تجاهك قلت كم صلى ؟ قالوا ركعتين وأما حديث عثمان بن طلحة فهو فى صحيح مسلم على الشك لأنه روى بسنده إلى ابن عمر قصة دخول النبى صلى الله عليه وسلم . الكعبة ثم قال فأخبرنى بلال أو عثمان بن طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى جوف الكعبة ووقع فى بعض نسخ مسلم على ما قال النووى بلال وعثمان بن طلحة ويعضد ذلك رواية فى مسلم يأتى ذكرها ولكن فيها علة وهى أن بعض رواتها نسب فيها إلى الوهم ورويناه حديث عثمان بن طلحة فى المعنى من غير شك فى مسند أحمد بن حنبل ولفظ حديثه أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى البيت . قال حسن فى حديثه وجاهك حين تدخل بين الساريتين ورجال أحمد رجال الصحيح ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير أيضا ورويناه أيضا فى معجم ابن قانع ولفظه حدثنا محمد بن يونس قال حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عثمان بن طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . صلى [1] بين الساريتين ورويناه أيضا فى شرح معانى الآثار للطحاوى ونصه حدثنا على بن عبد الرحمن حدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا هشام بن عروة عن عروة عن عثمان بن طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت فصلى فيه ركعتين وجاهك بين الساريتين وحسن شيخنا أبو الفضل الحافظ الحديث الذى من رواية ابن قانع وأما حديث عمر بن الخطاب فرويناه فى سنن أبى داود السجستانى ولفظه حدثنا زهير بن حرب قال حدثنى جرير عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن عبد الرحمن بن صفوان قال

---

(١) فى الأصل « فى البيت » بعد كلمة صلى

قلت لعمر بن الخطاب كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل الكعبة ؟ قال : صلى ركعتين ورواه الطحاوى فى شرح الآثار فقال حدثنا على بن شيبة قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلى قال أخبرنا جرير فذكره بلفظه إلا أنه قال قال ابن أبى الزناد ولم يقل ابن الخطاب وقال أيضا حدثنا بن أبى داود حدثنا أبو الوليد حدثنا جرير بن عبد الحميد فذكره بإسناده مثله غير أنه قال عبد الله بن صفوان . وأما حديث أبى هريرة فرويناه فى مسند البزار ولفظه قال لما كان يوم الفتح بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم عثمان بن طلحة أن ابعثى بالمفتاح أى مفتاح الكعبة فقالت : لا ، واللات والعزى لا أبعث به إليك فقال قائل[1] إليها قسرا فقال ابنها عثمان يارسول الله إنها حديثة عهد بكفر فابعثنى إليها حتى آتيك به قال فذهب فقال يا أمتاه إنه قد جاء أمر غير الذى كان وإنه إن لم تعط المفتاح قتلت قال فأخرجته فدفعته إليه فجاء به يسعى فلما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم فابتدر المفتاح بين يديه فقام النبى صلى الله عليه وسلم فجثا عليه بثوبه فاخذه ثم جاء إلى الباب أحسبه قال ففتحه ثم قام عند أركان البيت وأرجائه يدعو ثم صلى ركعتين بين الأسطوانتين ، فى إسناد هذا الحديث فى مسند البزار زيد بن عوف وهو ضعيف وأما حديث عائشة فرويناه فى سنن البيهقى ولفظه أخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن عبد الجبار بن مالك اللخمى بتنيس قال حدثنا عمرو بن أبى سلمة التنيسى حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله أن عائشة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم . الكعبة ماخلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها وأخرج هذا الحديث الحاكم فى المستدرك بهذا الإسناد وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأما حديث أسامة الموافق لهم فى إثبات الصلاة فرويناه فى شرح معانى الآثار للطحاوى أيضا قال حدثنا حسين بن نصر قال حدثنا بن أبى سريج قال أخبرنى محمد بن جعفر قال أخبرنى العلاء بن عبد الرحمن قال كنت مع أبى فلقيت عبد الله بن عمر فسأله أبى وأنا أسمع أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت ؟ فقال ابن عمر دخل النبى صلى الله عليه وسلم بين أسامة[2] و بلال فلما خرجا سألتهما أين صلى ؟ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على جهته حدثنا بن خزيمة حدثنا أحمد بن أشكاب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة عن أبى الشعثاء عن ابن عمر قال رأيته دخل البيت حتى إذا كان بين الساريتين مضى حتى لزق بالحائط فقام فصلى فجئت فقمت الى جنبه فصلى أربعا فقلت : أخبرنى أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت ؟ فقال ههنا أخبرنى أسامة أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) كذا ، والصواب : ابعث اليها قسراً . كما فى مجمع الزوائد للهيثمى .

(٢) فى الأصل أسامة بن زيد .

وسلم صلى . فهذه أحاديث الصحابة المثبتين لصلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ، وأما أحاديث الذين نفوها فإن حديث أسامة منها رويناه فى سنن النسائى ولفظه: أخبرنا حاجب بن سليمان المنبجى عن عبد الحميد بن أبى رواد حدثنا ابن جريج عن عطاء[1] عن أسامة بن زيد قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فسبح فى نواحيها وكبّر ولم يصل ثم خرج فصلى خلف المقام ركعتين ثم قال هذه القبلة. ورويناه فى صحيح مسلم من رواية عطاء عن عبد الله ابن عباس عن أسامة وأما حديث الفضل بن عباس فى نفى الصلاة فرويناه فى كتاب الطبقات لمحمد بن سعد كاتب الواقدى ولفظه : حدثنا موسى بن داود عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل البيت فكان يسبح ويكبر ويدعو ولا يركع قال شيخنا أبو الفضل الحافظ بعد إخراجه لهذا الحديث من هذا الطريق ورجاله رجال مسلم إلا أن موسى بن داود الصيتى قاضى طرطوش تكلم فيه وقد قيل إنه تفرد به عن حماد بن سلمة وأخرجه أيضا شيخنا أبو الفضل الحافظ من معجم بن قانع ثم قال بعد اخراجه له من طريقه : هذا حديث غريب من هذا الوجه ورويناه فى مسند أحمد بن حنبل ولفظه عن ابن عباس أن الفضل بن عباس أخبر أنه دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل فى الكعبة ولكنه لما خرج نزل فصلى[2] ركعتين عند باب الكعبة ورواه الطبرانى بمعناه فى الكبير ورجاله رجال أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح . وأما حديث عبد الله بن عباس فى نفى الصلاة من غير إسناده ذلك إلى أسامة وأخيه الفضل فرويناه فى صحيحى البخارى ومسلم، أما البخارى فأخرجه عن اسحاق بن نصر عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت دعا فى نواحيه كلها والمشهور عن عبد الرزاق بهذا الإسناد عن ابن عباس عن أسامة وكذا رواه النسائى وغيره ، وأما مسلم فقال: أخبرنا شيبان بن فروخ قال حدثنا همام قال حدثنا عطاء عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وفيها ست سوارٍ فقام عند كل سارية فدعا ولم يصل .

---

(١) هو عطاء بن أبى رباح .

(٢) فى النسخة (ك) فركع ركعتين .

ذكر ترجيح رواية من أثبت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فى الكعبة

على رواية من نفاها وما قيل فى الجمع بين ذلك

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر رواية ابن عمر عن بلال أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة أولى من رواية ابن عباس عن أسامة أنه لم يصل لأنها زيادة مقبولة وليس قول من قال من لم يفعل بشهادة إلى آخر كلامه ، وقال السهيلى فى الروض الأُنُف : وأما دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة وصلاته فيها فحديث بلال أنه صلى فيها وحديث ابن عباس أنه لم يصلِّ فيها وأخذ الناس بحديث بلال لأنه أثبت الصلاة وابن عباس نفاها، وانما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافى ومن تأول قول بلال إنه صلى أى دعا فليس بشىء لأن فى حديث ابن عمر أنه صلى فيها ركعتين ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان لأنه عليه الصلاة والسلام دخلها يوم النحر فلم يصل ودخلها من الغد فصلى فيها وذلك فى حجة الوداع وهو حديث مروى عن ابن عمر بإسناد حسن أخرجه الدارقطنى وهو من فوائده انتهى . وقال الشيخ محيي الدين النووى : أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مثبت فمعه زيادة علم فوجب ترجيحه قال وأما نفى أسامه فيشبه أنهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء فرأى أسامة النبى صلى الله عليه وسلم . يدعو ثم اشتغل أسامة فى ناحية من نواحى البيت والنبي صلى الله عليه وسلم فى ناحية و بلال قريب منه ثم صلى النبي صلى الله عليه وسلم فرآه بلال لقربه منه ولم يره أسامة لبعده واشتغاله بالدعاء وكانت صلاته خفيفة فلم يرها أسامة لإغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء وجاز له نفيها عملا بظنه ، وأما بلال فتحققها وأخبر بها والله أعلم. انتهى من شرح مسلم. وقال فى المجموع وهو شرح المهذب : قال العلماء الأخذ برواية بلال فى إثبات الصلاة أولى لأنه مثبت وقدم على النافى فإن بلالا كان قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى معه وراقبه فى ذلك فرآه يصلى وكان أسامة متباعدا مشتغلا بالدعاء والباب مغلق ولم ير الصلاة فوجب الأخذ برواية بلال لأن معه زيادة علم انتهى .

وقال المحب الطبرى : وقد اختلف بلال وأسامة فى صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فى البيت وحكم العلماء ترجيح حديث بلال لأنه أثبت وضبط ما لم يضبطه أسامة والمثبت مقدم على النافى ثم قال ويحتمل أن يكون أسامة غاب عنه بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته وقد روى ابن المنذر عن أسامة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى صورا فى الكعبة فكنت آتيه بماء فى الدلو يضرب به الصور فأخبر أنه كان يخرج لنقل الماء وكان ذلك فى يوم الفتح وصلاته صلى الله عليه وسلم فى الكعبة إنما كانت يوم الفتح لا فى حجة الوداع . قال أبو حاتم بن حبان

والأشبه عندى أن يحمل الخبران على دخولين متغايرين أحدهما يوم الفتح وصلى فيه والآخر فى حجة الوداع ولم يصل فيه من غير أن يكون بينهما تضاد انتهى .

وقال القاضى عز الدين بن جماعة فى هذا المعنى فيما أخبرنى به خالى عنه : قال يعنى أحمد بن حنبل حدثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء قال : قال أسامة بن زيد دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فجلس فحمد الله وأثنى عليه وكبر وهلل وخرج ولم يصلِّ ثم دخلت معه فى اليوم الثانى فقام ودعا ثم صلى ركعتين ثم خرج فصلى ركعتين خارجا من البيت مستقبل وجه الكعبة ثم انصرف وقال : هذه القبلة. وكذلك رواه أحمد بن منيع فى مسنده والدارقطنى وغيرهم وهو كلام شاف كاف فى الجمع بين الأحاديث فنحمد الله على التوفيق للجمع به فإن ذلك من أجل الفوائد فإن بعض كبار العلماء قال يحتمل أن يكون أسامة غاب عنه صلى الله عليه وسلم بعد دخوله لحاجة فلم يشهد صلاته . قال ابن جماعة بعد أن ذكر كلاماً للنووى فى المجموع فى الجمع بين حديث بلال وأسامة سبق ذكرنا له وهذا يحتاج إلى نقل ولم أقف عليه ولا ضرورة تدعو إليه والله أعلم . ثم قال بعد أن ذكر كلام ابن حبان السابق فى الجمع بين اختلاف بلال وأسامة وكلامه وكلام الشيخ محيى الدين يعنى النووى ومن نقل عنهم يدل على أنهم لم يطلعوا على ما جمعنا به انتهى . وقال الطحاوى فى شرح معانى الآثار فإن كان هذا الباب يؤخذ من طريق تصحيح تواتر الأخبار فإن الأخبار قد تواترت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى فى الكعبة ما لم يتواتر بمثله أنه لم يصل وإن كان يؤخذ بأن أسامة بن زيد الذى حكى عنه ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل الكعبة خرج منها ولم يصل فقد روى عنه ابن عمر و بلال وجابر وشيبة بن عثمان وعثمان بن طلحة ما يوافق ما روى ابن عمر عن أسامة فذلك أولى مما تفرد به ابن عباس عن أسامة وقال الطحاوى أيضا : فكان ينبغى لما تضادَّت الروايات عن أسامة وتكافأت أن يرفع و يثبت ما روى عن بلال إذا كان لم يختلف عنه فى ذلك . هذا ما رأيته للناس من ترجيح حديث بلال فى إثبات صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة على حديث من خالفه فى ذلك وما قيل فى الجمع بين هذا الاختلاف وما ذكروه من الترجيح يتجه ومما لعله أن يكون مرجحا لذكر[1] أيضا من حديث المعنى على ما ظهر لى أن الكعبة المعظمة كالمسجد الحرام فى استحباب التحية لمن دخلها والتحية للمسجد الحرام الطواف لمريده أو الصلاة فيه والطواف بالكعبة من داخلها غير مشروع فلم يبق لها تحية إلا الصلاة فيها كتحية سائر المساجد فكيف يدخلها النبى صلى الله عليه وسلم ولا يصلى فيها مع بعد عهده من دخولها فإنه من حين هاجر إلى المدينة لم يدخلها و بين هجرته ودخوله هذا ثمان سنين ومع طول مكثه صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى النسخة (ك) لذلك ، وهو الصحيح .

فى الكعبة فى دخوله هذا فإن مسلم من حديث ابن عمر فى قصة دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة ومن معه أنهم لبثوا فى البيت مليا قال النووى أى طويلا . فى البخارى عن ابن عمر من رواية نافع أن النبى صلى الله عليه وسلم مكث نهارا طويلا فى الكعبة حين دخلها يوم الفتح وطول المكث بمكان يستدعى الجلوس فيه غالبا و يبعد كل البعد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يجلس فى الكعبة فى دخوله هذا أو أن يجلس فيها بغير صلاة وقد نهى صلى الله عليه وسلم فيما صلى [1] عنه الداخل إلى المسجد عن الجلوس فيه من غير صلاة ومما يؤيد كونه صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة فى دخوله هذا إغلاق الباب عليه فيه كما فى الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر للحكمة التى ذكرها العلماء فى إغلاق الباب فى دخوله هذا وهى لئلا يكثر الناس عليه فلا يتمكن من الصلاة فى الكعبة على ما يريد صلى الله عليه وسلم . وقيل الحكمة فى ذلك ليصلى صلى الله عليه وسلم إلى كل جهة من الكعبة فإن الباب إذا كان مفتوحا وليس أمامه قدر مؤخرة الرحل لم تصحّ الصلاة إليه لعدم استقبال شىء من الكعبة ذكر هذين القولين المحب الطبرى فى القرى واستظهر القول الأول وذكر أنه يتأيد بكون النبى صلى الله عليه وسلم . لم يصل فى الكعبة أكثر من ركعتين على ما صح عنه . وأما الأوجه التى نقلناها عن العلماء فى الجمع بين اختلاف خبر بلال وأسامة وابن عباس فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم . فإن أقربها إلى الصواب ما قيل أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة لما غاب عنه أسامة ليأتيه بماء يمحو به الصور التى رآها فى الكعبة فرأى ذلك بلال فأثبت الصلاة ولم يره أسامة فنفاها و إنما كان هذا الوجه أقرب إلى الصواب من الوجوه لقيام الدليل على ما يؤيده وهو الحديث الذى رويناه فى مسند ابن أبى داود الطيالسى ولفظه : حدثنا ابن أبى ذئب عن عبد الرحمن بن مهران قال حدثنى عمير مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ورأى صورا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها ويقول: قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون . قلت رجال هذا الحديث ثقات قال ابن أبى ذئب : هو محمد بن عبد الرحمن الإمام المشهور وشيخه عبد الرحمن بن مهران وثقه النسائى وابن سعد وابن حبان وشيخه عمير روى له البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى و يتأيد هذا الحديث بالحديث الذى رواه ابن المنذر فى هذا المعنى ولم أر سنده فيه والله أعلم . وأما الوجه الذى ذكره النووى فى الجمع بين الاختلاف فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة فإنه و إن جاز وقوعه ففيه بُعْدٌ لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة هو وأسامة و بلال ومن دخل ، إما أن يكون اشتغل بعد دخوله بالصلاة فيها قبل اشتغاله بغيرها مما صنعه فى الكعبة ، أو بدأ قبل الصلاة بالذكر والدعاء ونحو ذلك مما صنعه فى الكعبة ، فإن كان الأول

---

(١) فى النسخة (ك) فيما صح عنه، وبذلك يستقيم الكلام .

فكيف يخفى صلاته على أسامة ؟ وإن كان الثانى وهو مقتضى كلام النووى فالحال يقتضى أن أسامة يلزم النبى صلى الله عليه وسلم ليقتدى به فيما يسمعه من دعواته الخيرية الجامعة النافعة وحسن ثنائة على الله تعالى وأن لا ينفرد عنه بمكان فى الكعبة يدعو فيه ويذكر حتى لا يعلم ما يصنعه النبى صلى الله عليه وسلم . وأما الوجه الذى ذكره ابن حبان فى الجمع بين الاختلاف فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة فإن فيه نظرا لأن النبى صلى الله عليه وسلم . دخل الكعبة يوم فتح مكة ودخل يومئذ معه أسامة و بلال وعثمان وطلحة والفضل بن عباس على خلاف فى الفضل وحديث دخول الفضل معهم فى مسند أحمد بن حنبل وسنن النسائى ولفظ أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا غير واحد وابن عوف عن نافع عن ابن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال الحديث و إسناد هذا الحديث صحيح ولكن فى صحيح مسلم ما يخالفه على ما سيأتى بيانه وثبت من حديث ابن عمر أن بلالا أثبت صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة لما دخلها يوم فتح مكة وثبت من حديث أسامة والفضل نفى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة وليس فى حديثهما التصريح بالزمن الذى نفيا فيه الصلاة فيه وهو يحتمل أن يكون الوقت الذى ثبت دخولهما فيه مع النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة وأن يكون فى حجة الوداع لما قال ابن حبان والأول أشبه بالصواب لأنه إذا دار الأمر بين حمل حديثهما من نفى الصلاة على زمن ثبت دخولهما فيه إلى الكعبة و بين حمل ذلك على زمن لم يثبت لهما فيه دخول فحمله على الزمن الذى ثبت دخولهما فيه أولى وفى حمله على الوجه الذى ذكره ابن حبان اشكال لأن ذلك يستلزم دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى حجة الوداع ودخول أسامة ومن نفى معه صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ولم يرضها يشعر بذلك فكيف يحمل على ذلك حديث من نفى الصلاة فى الكعبة كما قال ابن حبان ولا يعارض ذلك الحديث حديث عائشة المقتضى لدخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى حجة الوداع ولفظه قالت خرج النبى صلى الله عليه وسلم من عندى وهو قرير العين طيب النفس فرجع إلى وهو حزين فقلت له فقال إنى دخلت الكعبة ووددت أنى لم أدخلها [1] إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى لأن فى إسناد هذا الحديث من نسب إلى الضعف وهو اسماعيل بن عبد الملك بن أبى الصغير المكى راويه عن ابن أبى مليكة عن عائشة قال فيه ابن معين وأبو حاتم ليس بالقوى ورواه ابن مهدى وقال يحيى القطان تركته ثم كتبت عن سفيان ، نقل هذا كله الذهبى فى الميزان وذكر له هذا الحديث وحديث آخر له عن ابن أبى مليكة عن عائشة أيضا ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا يديه حتى يبدو ضبعاه إلا لعثمان بن عفان إذا دعى له ، وذكره

---

(١) فى النسخة (ك) لم أكن دخلت وكلاهما صحيح .

لهذين الحديثين مشعر بأن فى صحتها نظرا وذلك ـ والله أعلم ـ لكون الترمذى صحح هـذا الحديث وحسنه وكذا الحاكم لأنه أخرجه فى مستدركه على الصحيحين ، ومما يقوى النظر فى صحة هذا الحديث أن أفعال النبى صلى الله عليه وسلم فى حجته نقلت بأسانيد صحيحة لا وهن فيها ، ولم يذكر فيما نقل من أفعاله صلى الله عليه وسلم فى حجته بمثل ذلك دخوله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فى حجته ولو وقع ذلك لذكر كما ذكر بالإسناد الصحيح مجيئه صلى الله عليه وسلم إلى زمزم وإرادته النزع منها وشربه من السقاية ودخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى حجته لو وقع أولى بالذكر من هذه الأمور ولا يعارض ما أشرنا إليه ما ذكره البخارى فى صحيحه فى باب الزيارة يوم النحر لأنه قال ويذكر عن أبى حسان عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت أيام منى لأن زيارة البيت لا يستلزم دخوله ويصدق على الطواف به ، وأيضا فإن هذا تعليق بصيغة التمريض والاحتجاج به يتوقف على ثبوته والله أعلم .

ومما يقوى النظر فى حديث عائشة المشار إليه إنكار غير واحد من أهل العلم دخول النبى صلى الله عليه وسلم فى حجته على ما ذكر عنهم سفيان بن عيينة والله أعلم . وبتقدير صحته فليس فيه ما يشعر بأن من نفى الصلاة أى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى حجة الوداع حتى يكون من نفى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة محمولا على هذا الزمن كما قال ابن حبان ولا يقتضى التعارض بين حديث من أثبت صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة وحديث من نفاها بالتوفيق الذى ذكره ابن حبان لفقد دليل يدل على ما ذكره من أن الزمن الذى أثبت فيه بلال ومن وافقه الصلاة فى الكعبة غير الزمن الذى نفى فيه أسامة ومن وافقه الصلاة والزمن الذى نفى فيه أسامة ومن وافقه الصلاة وقيام الدليل على أن الزمن الذى أثبت فيه بلال ومن وافقه الصلاة والزمن الذى نفى فيه أسامة ومن وافقه الصلاة به متجه وهو يوم فتح مكة كما سبق بيانه ، ويتعارض حينئذ خبر بلال ومن وافقه وخبر أسامة ومن وافقه فى ذلك ويضاف إلى الترجيح أو التوفيق بما هو متجه كما سبق بيانه .

وبالجملة فقد خولف ابن حبان فيما نحاه إليه من دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى حجة الوداع كما ذكر سفيان بن عيينة وفى كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل فى الكعبة لما دخلها فى حجة الوداع كما ذكر البيهقى والله أعلم بالصواب وأما الوجه الذى ذكره السهيلى فى الجمع بين اختلاف حديث بلال وابن عباس فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ففيه نظر من أوجه : الأول أن كلامه يقتضى حمل حديث بلال فى إثبات الصلاة على زمن وحمل حديث ابن عباس فى نفيها على زمن غيره وفى ذلك من النظر مثل النظر الذى فيما ذكره ابن

حبان وهو حمل حديث من أثبت الصلاة على زمن وحديث من نفاها على زمن لاتحاد الزمان الذى وقع فيه ذلك والوجه الثانى إن كلام السهيلى يقتضى أن إثبات الصلاة ونفيها فى زمنين فى حجة الوداع ووجه النظر فى ذلك أنه لا ريب فى أن إثبات بلال لصلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة كان يوم الفتح كما روى حديث عمر فى الصحيحين وغيرهما وابن عباس إن كان المراد به الفضل فنفيه للصلاة محمول على الزمن الذى ثبت فيه دخوله وهو زمن الفتح و إن كان المراد به عبد الله بن عباس فلم يثبت له دخول فى الفتح ولا فى حجة الوداع فيكون نفيه لصلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة مستندا إلى قول أخيه الفضل وأسامة فإنه روى عنهما ذلك وقد سبق أن نفيهما محمول على الزمن الذى ثبت فيه دخولهما إلى الكعبة وهو زمن الفتح فيكون كذلك نفى عبد الله بن العباس ، و إذا تقرر ذلك لم يستقم ما ذكره السهيلى من أن إثبات بلال للصلاة فى الكعبة ونفى ابن عباس لها فى حجة الوداع ، وأنى يستقيم ما ذكره وهو يقتضى إثبات دخولين للنبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع إلى الكعبة وفى إثبات دخوله إليها مرة واحدة فى حجة الوداع نظر سبق بيانه فكيف بدخوله فيها مرتين وليس فى الحديث الذى أشار إليه السهيلى فى الجمع لما ذكر ما يقتضى أن ذلك فى الزمن الذى ذكر ويظهر ذلك بذكر الحديث ولفظه فى كتاب الدارقطنى حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا وهب بن منبه عن خاله عن ابن أبى ليلى عن عكرمة بن خالد عن يحيى بن جعدة عن عبد الله بن عمر قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت ثم خرج و بلال خلفه فقلت لبلال هل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا فلما كان الغد دخل فسألت بلالا هل صلى ؟ قال نعم ركعتين استقبل الجذعة وجعل السارية الثانية عن يمينه ، وكتب الدارقطنى على حاشية هذا الحديث ابن أبى ليلى ليس بالحافظ انتهى . فهذا الحديث كما ترى ليس فيه بيان زمن دخول النبى صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فإن حملنا الحديث على أن مافيه من الدخولين والصلاة فى أحدهما جرى فى حجة الوداع فى يوم النحر ومن الغد كما فهم السهيلى لم ينهض من الحديث دلالة على ذلك لاحتمال أن يكون اليومان اللذان دخل فيهما النبى صلى الله عليه وسلم وجرى فيهما ما ذكر فى الحديث هما يوم النحر ويوم النفر الأول أو يوم النفر الأول ويوم النفر الثانى أو هما فيما بين قدومه مكة وخروجه منها للوقوف بعرفة ، وكان قدومه بمكة صبيحة الرابع من ذى الحجة وليس فى الحديث الذى ذكره الدارقطنى على تقدير حمله على حجة الوداع ما يمنع من هذه الاحتمالات إلا أن فى البخارى ما يمنع الاحتمال الأخير و إن احتمله الحديث الذى ذكره الدارقطنى لأنه قال فى صحيحه حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا فضيل حدثنا موسى بن عقبة قال أخبرنى كريب عن عبد الله بن عباس قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة فطاف وسعى بين الصفا والمروة ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة. وروى البخارى ذلك أيضا فى موضع آخر فى صحيحه بهذا الإسناد ومع أمور آخر تتعلق بحجة النبى صلى الله عليه وسلم و إذا امتنع الاحتمال

الأخير نفى ما عداه مع احتمال آخر وهو ما ذكره السهيلى وكون ما ذكره هو الواقع مع تجويز غيره يحتاج إلى دليل ترجيح ما ذكره وهو متعدد والله أعلم .

وإن حملنا الحديث الذى ذكره الدارقطنى على أن مافيه من الدخولين والصلاة فى إحداهما جرى فى زمن الفتح لم يستقم كما ذكره السهيلى من أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فى يوم النحر من حجة الوداع ولم يصل بها فى هذا اليوم ودخلها فى ثانى يوم النحر وصلى بها فيه لكون ذلك مخالف [1] مقتضى ما يحمل عليه الحديث من أن مافيه جرى فى زمن الفتح ويخالف أيضا ما صح عن بلال من كون النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة لما دخلها يوم فتح مكة كما سبق ، الوجه الثالث أن كلام السهيلى يقتضى أن إسناد الحديث الذى أشار إليه حسن وذلك لا يستقيم لضعف فى إسناد الحديث وفيه علة أخرى وهى النكارة فى متنه لأنا إذا حملناه على زمن الفتح فإنه يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل فى الكعبة حين دخلها يوم فتح مكة وإنما صلى فيها حين دخلها فى اليوم الثانى وذلك يخالف ما صح عن ابن عمر من دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى يوم فتح مكة وصلاته بها فى هذا اليوم على ما أخبر به بلال كما هو مقتضى الحديث السابق وهو فى صحيح مسلم وروينا مثل ذلك من حديث أيوب السختيانى عن نافع عن ابن عمر فى مسند الحميدى . وعن عبيد الله بن عمر بن حفص ابن عاصم بن عمر بن الخطاب فى سنن البيهقى وإذا كان كذلك فالحديث الذى أخرجه الدارقطنى منكسر بمخالفة مارواه الأئمة الثقات عن نافع عن ابن عمر وأما الضعف الذى فى إسناد الحديث الذى أخرجه الدارقطنى فلأجل رواية محمد بن أبى ليلى بسبب سوء حفظه واضطراب حديثه وكثرة أخطائه فيه وإن كان صدوقا قال عنه شعبة ما رأيت أحدا أسوء حفظا من ابن أبى ليلى وقال أحمد بن حنبل : كان سيء الحفظ مضطرب الحديث وقال أبو حاتم : كان سيء الحفظ شغل بالقضاء وساء حفظه لا يتهم بشيء من الكذب انما ينكر عليه كثرة الخطإ يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابن حبان كان رديء الحفظ فاحش الخطأ فكثر الخطأ فى حديثه فاستحق الترك وقال الدارقطنى رديء الحفظ كثير الوهم وقال أبو أحمد الحاكم غالب أحاديثه مقلوبة انتهى ومن كان فى الحفظ بهذه الصفة فالحجة به غير ناهضة فيما يرويه من الحديث فكيف إذا عارض ما يرونه حديثا صحيحا كما فى هذه المسألة وحينئذ إنما يحتج بالحديث الصحيح لأن له مزيةً توجب الترجيح على أنى لم أر مايدل لرواية ابن أبى ليلى عن عكرمة بن خالد ولا لرواية عكرمة عن يحيى بن جعدة ولا لرواية يحى عن أبى عمر والله أعلم بصحة ذلك .

---

(١) هكذا بالأصل وهو خطأ نحوى والصواب مخالفاً .

ومن أوجه النظر فيما ذكره السهيلى من الجمع ما أشار إليه من حمله حديث ابن عباس فى نفى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة على أنه نفى ذلك فى يوم النحر من حجة الوداع لكونه لم يرد عن ابن عباس مايشعر بدخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى حجة الوداع بل ورد عن ابن عباس مايقتضى خلاف ذلك على مارويناه فى معجم الطبرانى ولفظ الحديث الوارد عنه فى ذلك حدثنا محمد بن حاجهان الجُنْدَيْسابورى قال حدثنا محمود بن غيلان قال حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا زهير عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل البيت فى الحج ودخل عام الفتح فلما نزل صلى أربع ركعات أو قال ركعتين بين الحجر والباب ، مستقبل الكعبة وقال هذه القبلة وجابر هو الجعفى ضعفه جماعة ووثقه شعبة وأما الوجه الذى ذكره ابن جماعة فى الجمع بين اختلاف حديث بلال وأسامة فإن فى استقامته نظراً لأن الحديث الذى جمع به يقتضى ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة مرتين فصلى فى الثانية ولم يصل فى الأولى وهو محمول على أن ذلك كان فى زمن الفتح لما سبق من كلام النووى و إذا كان كذلك فالصلاة التى نفاها أسامة فى اليوم الأول إن كانت هى الصلاة التى أثبتها بلال فى يوم فتح مكة على ماذكر ابن عمر ، فأسامة و بلال مختلفان فى هذه الصلاة ولا ينتفى اختلافهما فيها بإثبات أسامة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى غير اليوم الذى أثبت بلال فيه الصلاة لكونها غير الصلاة التى أثبتها بلال واختلافهما إنما هو فى الصلاة فى اليوم الأول لا فى اليوم الثانى و إنما كان يتجه الجمع بالحديث الذى جمع به ابن جماعة لو ورد من حديث ابن عمر أن الصلاة التى أثبتها بلال كانت فى زمن الفتح من غير تعرض لبيان اليوم الذى وقعت فيه وأما مع تبيين ابن عمر اليوم الذى أثبت بلال فيه الصلاة فإن الجمع بالحديث المشار إليه لا يستقيم والله أعلم .

وقد روى عن أسامة خبر يوهم أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة فى دخوله إليها يوم الفتح وروينا ه فى مسند بلال للحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى وفى صحيح مسلم ولفظ مسلم وحدثنى حميد بن مسعدة قال حدثنا خالد يعنى ابن الحرث قال حدثنا عبد الله بن عون عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه انتهى إلى الكعبة وقد دخلها النبى صلى الله عليه وسلم و بلال وأسامة وأجاف عليهم عثمان بن طلحة الباب قال فمكثوا فيه مليا ثم فتح الباب فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فرقيت الدرجة ودخلت البيت فقلت أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا : ههنا . وأنسيت أن أسألهم كم صلى ؟ وهذا الحديث يقتضى أن ابن عمر سأل بلالا وأسامة وعثمان عن صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة فى دخوله هذا وأنهم جميعا أخبروا ابن عمر بها وذلك وهم من بعض رواة هذا الحديث لأن القاضى عياض نقل عن الدارقطنى أنه قال : وهم ابن عون هنا وخالفه غيره فأسندوه عن بلال وحده قال القاضى وهذا هو الذى ذكره مسلم فى باقى الطرق فسألت بلالا فقال ألا إنه وقع فى رواية حرملة عن ابن وهب فأخبرنى

بلال أو عثمان بن طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى جوف الكعبة هكذا هو عند عامة شيوخنا وفى بعض النسخ وعثمان بن أبى طلحة قال وهذا يقصد رواية ابن عون والمشهور انفراد بلال برواية ذلك والله أعلم. انتهى وقد طال الكلام فى ترجيح خبر بلال على خبر أسامة وما قيل من الجمع بين ذلك ولكن لموجبات اقتضاها الحال واشتمل ذلك على فوائد يغتبط بها من له على تحصيل العلم إقبال . وأما ترجيح خبر بلال على خبر الفضل بن عباس المعارض بخبر بلال فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة يوم فتح مكة فلصحة حديث بلال فى ذلك عند أهل الحديث من غير اختلاف بينهم فى ذلك واختلافهم فى صحة حديث الفضل لاختلاف حديث ابن عمر فى دخول الفضل الكعبة يوم فتح مكة مع النبى صلى الله عليه وسلم وأسامة و بلال وعثمان بن طلحة فإنا روينا فى صحيح مسلم فى صحيح ابن شهاب الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل الكعبة وأسامة بن زيد و بلال وعثمان بن طلحة ولم يدخلها معهم أحد ثم أغلقت عليهم وذكر الحديث إلى آخره وهذا يقتضى أن الفضل لم يدخل مع المذكورين الكعبة وفى مسند أحمد بن حنبل ما يعارض ذلك لأنه قال فيما رويناه عنه حدثنا هشيم أخبرنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وذكر الحديث وروى ذلك النسائى لأنه قال فيما رويناه عنه أخبرنا يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم عن ابن عون فذكره وهذا الإسناد و إن صح ففيه نظر لأن رواية هشيم له شهادة على ما ذكر شيخنا الحافظ العراقى عن بعض مشايخه ونقل عنه تضعيف حديث الفضل وأيضا فإن للحديث الذى يرويه مسلم مزية فى الصحة على ما يرويه غيره من الأحاديث الصحيحة غير مافى صحيح البخارى فإنه أميز فى الصحة مما فى مسلم عند محققى أهل الحديث وعلى تقدير ثبوت دخول الفضل الكعبة مع النبى صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه وثبوت حديثه فى نفى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة فى دخوله إليها يوم الفتح فلا معارضة بين حديث الفضل و بلال فى الصلاة المشار إليها لأن نفى الفضل لها إنما هو باعتبار كونه لم يرها لا باعتبار كونها لم تقع لأنا روينا فى تاريخ الأزرقى عن عبد المجيد بن أبى رواد أن الفضل دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة يوم الفتح و بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بذنوب من ماء زمزم ليطمس به الصور التى فى الكعبة قال عبد المجيد فصلى خلافه ولذلك لم يره صلى وروينا فيه أيضا ما يؤيد ذلك لأن فيه من حديث الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح وأرسل الفضل بن عباس فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب فبل بالماء فأمر بطمس تلك الصور انتهى فتكون صلاته صلى الله عليه وسلم كانت فى الكعبة يوم الفتح حين غاب الفضل عنه للأمر الذى ندبه إليه ويتفق بذلك خبره مع خبر بلال والله أعلم .

وأما ترجيح خبر بلال على خبر عبد الله بن عباس فى نفيه لصلاة النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فلأن

بلالا حضر مع النبى صلى الله عليه وسلم حين صلى وشاهد صلاته وأخبر بها وابن عباس لم يحضُر مع النبى صلى الله عليه وسلم واعتمد فى كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل فى الكعبة على خبر أسامة له بذلك كما ثبت فى صحيح مسلم ورواية من حضر القصة مقدمة على من غاب عنها، وقد أشار إلى ترجيح خبر بلال على خبر الفضل بن عباس وأخيه عبد الله بما ذكره شيخنا الحافظ العراقى رحمه الله .

ذكر عدد دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة الشريفة بعد هجرته إلى المدينة وأول وقت دخل الكعبة فيه بعد هجرته

أما عدد دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد هجرته فرو ينا فى ذلك أخبارا يتحصل من مجموعها أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة بعد هجرته أربع مرات وهو يوم فتح مكة وفى ثانى يوم الفتح وفى حجة الوداع وفى عمرة القضية وفى كل من هذه الدخلات خلاف إلا الدخول الذى فى يوم الفتح . و نشير إلى الأخبار الواردة فى هذه الدخلات فأما دخوله فى يوم الفتح فرو يناه فى صحيح مسلم وغيره كما سبق فى حديث ابن عمر ولفظ حديثه عند مسلم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة وأرسل إلى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح ففتح الباب قال ثم دخل النبى صلى الله عليه وسلم و بلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وذكر الحديث ولا تضاد بين حديث ابن عمر هذا وحديثه فى صحيح مسلم الذى قال فيه أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقة لأسامة حتى أناخ بفناء الكعبة ثم دخل عثمان بن طلحة فقال ائتنى بالمفتاح الحديث فى صفة دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة وصلاته فيها لأن المراد بعام الفتح فى هذا الحديث يوم الفتح كما فى الحديث السابق لأن الأحاديث تفسر بعضها بعضا والمجمل منها يرد إلى المبين وقد أشار الإمام النووى إلى اتفاق الخبرين لأنه قال فى شرح مسلم قوله قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة هذا دليل على أن هذا المذكور فى أحاديث الباب من دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة وصلاته فيها كان يوم الفتح وهذا لا خلاف فيه ولم يكن يوم حجة الوداع انتهى وفى هذا الدخول وقع الاختلاف فى كون النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه وأما دخوله صلى الله عليه وسلم فى ثانى يوم الفتح ففى مسند أحمد بن حنبل ما يدل له لأنه قال حدثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء قال : قال أسامة بن زيد دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فجلس فحمد الله وأثنى عليه و كبر وهلل وخرج ولم يصل ثم دخلت معه فى اليوم الثانى فقام ودعا الحديث وقد سبق فى هذا الباب بكماله وأما دخوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فرو يناه فى سنن أبى داوود وابن ماجة وجامع الترمذى والمستدرك للحاكم من رواية اسمعيل ابن عبد الملك بن أبى الصغير عن ابن أبى ملبكة عن عائشة وسبق ذلك فى الترجمة التى قبل هذه الترجمة مع بيان ما فى الحديث من الوهن والله أعلم بالصواب .

وأما دخول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضية فذكر المحب الطبرى فى القرى عن عروة بن الزبير

وسعيد بن المسيب ما يقتضى ذلك لأنه قال فى باب العمرة وهو الباب الثامن والثلاثون فى ترجمة ترجم عليها بما جاء فى عمرة الحديبية وعمرة القضية : وعن هشام عن أبيه أن خراش بن أمية حلق رأس النبى صلى الله عليه وسلم عند المروة ثم دخل البيت . وعن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى نسكه دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال بالظهر على ظهر الكعبة وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا فلما كان ظهر اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو بن حويطب بن عبد العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة فقال يامحمد قد انقضى أجلك فاخرج عنا ، قال وماذا عليكم لو تركتمونى فأعرست عندكم وصنعت لكم طعاما ؟ وكان قد تزوج بميمونة الهلالية من طريقه وذكر مناشدة سهيل النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج من مكة وخروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى سرف وتعريسه فيه بميمونة ولم يذكر المحب الطبرى من خرج هذا الخبر ولا الخبر الأول وهما يقتضيان دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى عمرة القضية ، وخبر سعيد ابن المسيب أصرح لما فيه من القضايا التى وقعت فى عمرة القضية على ما جاء فى غير هذا الخبر وهى تزويج النبى صلى الله عليه وسلم ميمونة وسؤال سهيل بن عمرو النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج من مكة وجواب النبى صلى الله عليه وسلم له على نحو ما فى هذا الخبر ولست واثقا بصحة ما فيه من دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة وأذان بلال الظهر عليها وعلى تقدير صحتها فلأنهما يخالفان ما رويناه فى الصحيحين عن اسماعيل بن أبى خالد قال : قلت لعبد الله بن أبى أوفى : أدخل النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرته ؟ قال : لا ، انتهى . والمراد بهذه العمرة عمرة القضية على ما قال العلماء كما قال النووى منهم فى شرح مسلم وغيره وسيأتى ذكر السبب الذى لأجله لم يدخل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى هذه العمرة ولم أر أحدا من أهل العلم قال بدخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى عمرة القضية كما هو مقتضى هذين الخبرين وإنما ذكرناهما لغرابتهما ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وحجة الوداع فهو رأى أبى حاتم بن حبان لأنه جمع بذلك بين اختلاف بلال وأسامة فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ، ونص كلامه والأشبه عندى أن يحمل الخبران على دخولين متغايرين أحدهما يوم الفتح وصلى فيه ، والأخرى فى حجة الوداع ولم يصل فيه انتهى . وقد وافق ابن حبان على ما ذكره من دخول النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع الامام البيهقى لأنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى داخل الكعبة فى حجة الوداع حكى ذلك عن البيهقى ابن جماعة فى منسكه ، وأما دخول النبى صلى الله عليه وسلم الخ ، الكعبة فى ثانى يوم الفتح لمكة كما هو مقتضى حديث أسامة الذى قال به ابن جماعة فلم أر أحدا من أهل العلم قال به إلا ابن جماعة فان كلامه فى منسكه يقتضى ذلك والله أعلم . وأما أول وقت دخل فيه النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد هجرته فيوم فتح مكة لأنه لم يدخلها فى عمرة القضية على مقتضى حديث ابن أبى أوفى السابق ذكره فى الصحيحين ولا يعارض ذلك الخبران

المقتضيان لدخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى عمرة القضية لأنهما لو صحا لكان ما فى الصحيحين الخ ، مقدما عليهما فكيف وفى صحتهما نظر، وأما السبب الذى لم يدخل النبى صلى الله عليه وسلم لأجله الكعبة فى عمرة القضية فذكر النووى فيه كلاما لغيره لا يخلو من نظر لأنه قال لما تكلم على حديث ابن أبى أوفى : قال العلماء وسبب عدم دخوله صلى الله عليه وسلم ما كان فى البيت من الأصنام والصور ولم يكن المشركون يتركونه لتغييرها ، فلما فتح الله تعالى عليهم مكة دخل البيت وصلى فيه وأزال الصور قبل دخوله والله أعلم انتهى. قلت فى هذا الكلام مايقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل الكعبة يوم فتح مكة حتى أخرج منها ما كان ينبغى إخراجه من الصور وغير ذلك ووقع فى سند أبى داود والسجستانى من حديث ابن عباس ما يدل لذلك وقد روينا ما يخالف ذلك لأن أبا داود الطيالسى قال فى مسنده : حدثنا ابن أبى ذئب عن عبد الرحمن بن مهران قال حدثنى عمير مولى ابن عباس عن أسامة بن زيد، قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ورأى صورا فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها ويقول: قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون. ورجال هذا الحديث يحتج بهم وهو يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فى الفتح والصور فيها وأنه أزالها بعد دخوله ، ويدل لذلك أيضا ما رويناه فى تاريخ الأزرقى عن عبد العزيز بن[1] أبى رواد من أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الفضل بن عباس بعد دخوله معه الكعبة ليأتى بماء ليطمس به الصور التى فى الكعبة ويدل لذلك أيضا قول ابن اسحاق فى السيرة فى قصة الفتح: فلما قضى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم طوافه دعا بعثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، انتهى. وهذا يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وفيها الصور وأنه دخل الكعبة حين فتحت له فى هذا التاريخ ولم يشتغل بشىء سوى ذلك والله أعلم .

(١) هكذا وردت بالأصل ، وهو يشير إلى الرواية التى وردت فى ص ١٥٤ وهى عن عبد المجيد بن أبى رواد لا عن عبد العزيز .

الباب العاشر

فى ثواب دخول الكعبة المعظمة

وفيما جاء من الأخبار الموهمة لعدم استحباب دخولها وفيما يطلب فيها من الأمور التى صنعها النبى صلى الله عليه وسلم وفى حكم الصلاة فيها وفى آداب دخولها

أخبرنى أحمد بن عمر البغدادى بقراءتى عليه بالقاهرة والقاضى المفتى أبو بكر بن الحسين الشافعى بقراءتى عليه بطيبة كلاهما عن الحافظ أبى الحجاج المزى قال أخبرنا الدرحى قال أنبأنا الصيدلانى قالى أخبرتنا فاطمة الجوزانية قالت أخبرنا ابن زيدة قال أخبرنا الطبرانى قال حدثنا أحمد بن يحيى الملوانى قال حدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن عبد الله بن المؤمل قال حدثنا عبد الرحمن بن محيصن عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دخل البيت فصلى فيه دخل فى حسنة وخرج من سيئة مغفورا له . وفى لفظ من دخل البيت خرج مغفورا له وروى الفاكهى أخبارا فى فضائل دخول البيت [1] والصلاة فيه لأنه قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عمر فى دخول البيت دخول فى حسنة وخروج من سيئة مغفوراً له ، حدثنا محمد بن أبى عمر حدثنا سفيان عن عبد الكريم وحدثنا أبو بشر حدثنا ابن أبى الصيف حدثنا اسماعيل بن كثير أبو هاشم جميعا عن مجاهد قال دخول البيت حسنة وخروجه خروج من سيئة مغفورا له ، وقال الفاكهى أيضا حدثنى احمد بن محمد القرشى عن يوسف بن خالد قال حدثنا غالب القطان عن هند ابن أوس قال حججت فلقيت ابن عمر فقلت إنى أقبلت من الفج العميق أردت البيت العتيق وانه ذكر لى أن من أتى بيت المقدس يصلى فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فقال ابن عمر رأيت البيت من دخله فصلى فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال الفاكهى حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا الغازيان قال حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال : لأن اصلى ركعتين فى البيت أحب إلى من أن أصلى أربعاً فى المسجد الحرام وقال الفاكهى حدثنا احمد بن حميد عن الحسين بن الوليد قال حدثنا عباد بن راشد عن الحسن قال الصلاة فى الكعبة تعدل مائة ألف صلاة انتهى. وروينا عن الحسن البصرى فى رسالته المشهورة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من

---

(١) فى النسخة (ك) الكعبة بدل البيت ، وكلاهما صحيح .

دخل الكعبة ، دخل فى رحمة الله عز وجل وفى حمى الله تعالى وفى أمن الله عز وجل ، ومن خرج خرج مغفورا له انتهى . وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السلفى لنفسه بعد دخول الكعبة :

أبعد دخول البيت والله ضامن بنفى قبيح ، والخطايا الكوامنُ

فحاشاه ، كلا ، بل يسامح كلها ويرجع كلٌّ ، وهو جذلان آمن

وقد اتفق الأئمة الأربعة على استحباب دخول البيت[1] واستحسن مالك كثرة دخولها[2] لأن فى مناسك ابن الحاج قال ابن حبيب: وأخبرنى مطرف عن مالك أنه سئل عن الصلاة فى البيت وعن دخوله كلما قدر عليه الداخل فقال له ذلك واسع حسن انتهى . وروينا ذلك فى تاريخ الأزرقى عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أحد الفقهاء السبعة بالمدينة على ما قيل وصدقة بن يسار ووردت أخبار استدل بها بعض العلماء على عدم استحباب دخول الكعبة وقد ذكرها المحب الطبرى مع الجواب عنها فى كتاب القرى وذكرنا ذلك بنصه فى أصل هذا الكتاب ونشير هنا لشىء من ذلك: أنبأت عمن أنبأه المحب الطبرى قال باب دخول الكعبة وهو الباب الثامن والعشرون من كتابه القرى، حجة من قال لا يستحب عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى وهو قرير العين طيب النفس ثم رجع إلى وهو حزين فقلت له فقال: إنى دخلت الكعبة ووددت أنى لم أكن فعلت إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى . أخرجه أحمد والترمذى وصححه وأبو داود وقد استدل بهذا الحديث من كره دخول البيت ولا دلالة فيه ، بل نقول دخوله صلى الله عليه وسلم ، دليل على الاستحباب ، وتمنيه عدم الدخول فقد علله بالمشقة والشفقة على أمته ، وذلك لا يرفع حكم الاستحباب ، ثم قال المحب : وعن عبد الله بن أبى أوفى قال: اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ومعه من يستره من الناس قال له رجل: أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ؟ ، قال : لا ، أخرجاه وبوب عليه البخارى ، باب من لم يدخل الكعبة، واجاب المحب الطبرى عن هذا الحديث بان عدم دخول النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة فى عمرته هذه يجوز ان يكون لعذر ، قال : ولعله تركه شفقة على أمته كما دل عليه الحديث المتقدم انتهى ، قلت : هذا الاحتمال بعيد ، والاحتمال الأول هو الصواب لموافقته ما ذكره العلماء فى سبب كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل الكعبة فى عمرته المشار اليها ، وهو عدم تمكنه صلى الله عليه وسلم من أن يزيل من الكعبة ما كان فيها من الأوثان والصور لكون مكة فى أيدى المشركين وحكمهم إذا ذاكروا ، والله أعلم .

وأما ما يطلب فى الكعبة من الأمور التى صنعها النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو التكبير والتسبيح والتهليل

---

(١) فى النسخة (ك) الكعبة ، بدل البيت

(٢) الصواب كثرة دخوله أى البيت .

والتحميد والثناء على الله عز وجل ، والدعاء والاستغفار ، لأحاديث وردت فى ذلك منها ما رويناه عن أسامة بن زيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج ، فلما خرج ركع قبل البيت ركعتين وقال هذه القبلة، اخرجه البخارى ومسلم وفى مسلم عن ابن جريج قلت لعطاء ما نواحيه؟ أفى زواياه؟ قال : بل فى كل قبلة من البيت ، وعند النسائى فى هذا الحديث سبح فى نواحيه وكبر ، وقوله قبل البيت وهو بضم القاف والباء الموحدة ، ويجوز إسكان الباء كما فى نظائره ومعناه على ما قيل ما استقبلك فيها وقيل مقابلها وفى معنى قوله صلى الله عليه وسلم هذه القبلة ثلاثة احتمالات ، أولها أن معنى ذلك أن أمر القبلة قد استقر على استقبال هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم وصلوا إليه أبدا ، والاحتمال الثانى أن معنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم علمهم سنة موقف الإمام ، وأنه يقف فى وجه الكعبة دون أركانها وجوانبها ، وإن كانت الصلاة فى جميع جهاتها مجزية وهذان الاحتمالان أبداهما الإمام أبو سليمان الخطابى الخ . والاحتمال الثالث أبداه الامام النووى فى شرح مسلم بعد ذكره لهذين الاحتمالين ، وهو أن معناه هذه الكعبة هى المسجد الحرام الذى أُمرتم باستقباله لا كل الحرم ولا مكة ولا كل المسجد الذى حول الكعبة بل هى الكعبة نفسها فقط ،والله أعلم ، انتهى . ومعنى قول عطاء بل فى كل قبلة من البيت أى فى كل موضع من البيت قبلة أو كل موضع من البيت قبله ، ذكر ذلك المحب الطبرى ، قال : ويكون قد دار النبى صلى الله عليه وسلم فى البيت جميعه داعياً ذاكراً .

ومن الأحاديث الواردة فى المعنى الذى أشرنا اليه ما رويناه فى سنن النسائى أيضا من حديث أسامة بن زيد أنه دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم البيت فمضى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بين الاسطوانتين اللذين [1] يليان باب الكعبة جلس فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ثم قام حتى أتى ما استقبل من دبر البيت فوضع وجهه وخده عليه فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره ثم انصرف إلى كل ركن من أركان الكعبة فاستقبله بالتكبير والتهليل والتسبيح والثناء على الله والمسألة والاستغفار ثم خرج ، انتهى باختصار . ورويا من حديثه أيضا فى سنن النسائى قال : دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فجلس فحمد الله وأثنى عليه وكبر وهلل ثم قام إلى ما بين يديه من البيت فوضع صدره عليه وخده ويديه ثم هلل وكبر ودعا ثم فعل ذلك بالأركان كلها ثم خرج انتهى باختصار ، وأخرجه أحمد أيضا ورويا عن ابن عباس قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة وفيها ست سوارى [2] فقام عند كل سارية فدعا ولم يصل . أخرجه البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل ،

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، وهو خطا نحوى والصواب اللتين تليان باب الكعبة .

(٢) هكذا وردت بإثبات الياء، وهو خطا والصحيح سوارٍ بحذف الياء .

وروينا فى مسنده عن الفضل بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فى الكعبة وسبح وكبر ودعا الله عز وجل واستغفر ولم يركع ولم يسجد ، وروينا عن الفضل أيضا أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل الكعبة ،قال : فلم يصلِّ فيها ولكنه لما دخلها وقع ساجدا بين العمودين ثم جلس يدعو ،انتهى ، ولا تضاد بين قوله فى هذا الحديث وقع ساجدا و بين قوله فى الحديث الذى قبله ولم يسجد لاحتمال أن يكون أراد بقوله ولم يسجدأى فى صلاة ، ويؤيده قوله ولم يركع والركوع انما يكون فى صلاة ، ويكون سجود النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة على تقدير ثبوت الحديث المتضمن لذلك شكرا لله تعالى ، وقد أشار المحب الطبرى إلى التوفيق بين هذين الحديثين بما ذكرناه والله أعلم .

ومن الأمور التى قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم صنعها فى الكعبة ، صبُّه الماء على جسده صلى الله عليه وسلم، ذكر ذلك الفاكهى لأنه قال: حدثنا سلمة بن شبيب أبوعبد الرحمن قال حدثنا زيد بن الحباب قال : سمعت أبا قدامة عامر الأحول يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بدلْو من ماء فصبَّه عليه فى الكعبة . انتهى ، وهذا غريب جدا ولذا ذكرناه والله أعلم بصحته ، ولا أعلم أحدا من أهل العلم قال باستحبابه والله أعلم ، ومن الأمور التى صنعها النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة على ما قيل :أنه الصق بها بطنه وظهره كما رويناه فى معجم ابن قانع لأنه قال : أخبرنا حسين بن اليمانى قال حدثنا سهل بن عثمان العسكرى قال أخبرنا عبد الرحمن بن سليمان عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن عبد الرحمن الزجاج قال : أتيت شيبة بن عثمان فقلت يا أبا عثمان : زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فلم يصل فيها، فقال: كذبوا لقد صلى بين العمودين ركعتين ثم ألصق بها بطنه وظهره ، انتهى. وقد أشار شيخنا الحافظ العراقى إلى استحباب هذا الفعل فى الكعبة، ويدل لذلك ما رويناه فى مسند الشافعى عن عروة بن الزبير أنه كان إذا طاف بالبيت استلم الأركان كلها وألصق بطنه وظهره وجنبه بالبيت الخ، ورأيت لغير واحد من العلماء ما يقتضى عدم استحباب ذلك ؛ لأن المحب الطبرى قال فى القِرى: ما جاء فى كراهية أن يلصق ظهره إلى الكعبة : عن عطاء ، وقد سئل عن ذلك فكرّهه ، وعن إبراهيم قال : كانوا يكرهون أن يسند ظهره ،أخرجهما سعيد بن منصور ، انتهى . ورأيت أيضا لإمامنا مالك ما يقتضى أن ذلك غير مطلوب ، لأنه قال: لا يعتنق شيئا من أساطينه يعنى البيت وقد دخله صلى الله عليه وسلم ولم أسمع أنه اعتنق شيئا من أساطينه ، انتهى ، والدلالة من كلام مالك على كراهيته ذلك ظاهرة لأن اعتناق أساطين الكعبة كإلصاق البطن والظهر بها والله أعلم ، وأما ما سوى ذلك من الأمور التى صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة كما هو مذكور فى هذه الأحاديث ، فلا أعلم بين أهل العلم اختلافا فى استحبابه ، إلا سجدة الشكر فى الكعبة ، كما هو مقتضى

حديث الفضل ، ففيها خلاف بين أهل العلم: فإن مشهور مذهب مالك أن سجود الشكر مكروه من حيث الجملة، ومقتضى ذلك أن لا يفعل فى الكعبة ، على أن حديث الفضل الذى فى هذه السجدة مختلف فى ثبوته والله أعلم .

ذكر حكم الصلاة فى الكعبة

استحب جمهور العلماء الصلاة فى الكعبة لأنه ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيها، ومنع طائفة من العلماء منهم ابن عباس كما حكاه عنه القاضى عياض ، ونقله النووى عن جماعة من العلماء وفى شرح مسلم لأنه قال : وقال محمد بن جرير وأصبغ المالكى و بعض أهل الظاهر: لا تصح فيها صلاة أبداً لا فريضة ولا نافلة، قال : ودليل الجمهور حديث بلال، انتهى ، واختلف المستحبون للصلاة فى الكعبة ، فبعضهم قال بذلك فى الفريضة والنافلة بشرط يأتى ذكره فى الفريضة ، و بعضهم قصر ذلك على النفل غير المؤكد ، وهذا مذهب الإمام مالك ، ولم أر فيما وقفت عليه من كتب المالكية ما يشهد لصحة ما نقله النووى عن أصبغ بن الفرج أحد أئمة المالكية، والذى رأيته منقولا عنه فى كتب المذهب أن من صلى الفريضة فى الكعبة أعاد أبدا من غير نظر إلى كون المصلى فيها عامدا أو ناسيا ، وقد اختلف المذهب، وصحح صلاة الفريضة فى الكعبة ابن عبد الحكم ، واستحب أشهب ألا تصلى الفريضة فى الكعبة فإن صليت فيها صحت ، وصوب هذا القول اللخمى لأنه لما ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة النافلة وجب مساواة الفريضة لها فإن أمرهما فى الحضر واحد من جهة الاستقبال، ومشهور المذهب أن صلاة الفريضة لا تصح فى الكعبة و إن صلاها فيها أعاد الصلاة ، واختلف شيوخ المذهب فى الإعادة هل تكون فى الوقت أو أبدا؟ وهو مقتضى قول أصبغ ، واختلف فى الإعادة فى الوقت هل هى فى حق الناسى وهو قول ابن حبيب ورأى ابن يونس وجماعة، وقيل إن ذلك فى حق العامد والناسى وهو رأى القاضى عبد الوهاب واللخمى وابن عتاب ، و يلحق بالفريضة نوافل فى كونها لا تصلى فى الكعبة ، وهى السنن كالعيدين والوتر وركعتى الفجر وركعتى الطواف الواجب، فإن صليت هذه النوافل فى الكعبة فلا تجزى على المذهب المشهور ، وتجزى على رأى أشهب وابن عبد الحكم .

واختلف الحنابلة فى صحة صلاة الفريضة فى الكعبة ، والأصح عندهم أنها لا تصح فيها ، وكذلك عندهم النذر المطلق قالوا : فإن نذر الصلاة فى الكعبة صحت فيها ، وعندهم خلاف فى صحة النافلة فى الكعبة ، والأصح عندهم فيها الصحة. وعندهم فى كونها فى الكعبة مستحبة أو جائزة روايتان ولم يخالف مذهب الشافعى فى جواز الصلاة فى الكعبة ، سواء كانت فريضة أو نافلة، ومقتضى مذهبه إن فعل النافلة فى الكعبة أفضل من فعلها فى المسجد خارج الكعبة ، وكذلك الفريضة بشرط أن لا يرجو المصلى مجئ جماعة خارج الكعبة. قال الشافعى: ما فريضة تفوتنى فى جماعة فأصليها فى موضع أحب إلى منه، يعنى البيت الحرام، لأن البقاع إذا فضلت بقربها منه فبطنه أفضل منها.

ومذهب أبى حنيفة جواز صلاة النافلة والفريضة فى الكعبة ،وأن النافلة فى الكعبة مستحبة، وحيث صحت الصلاة فى الكعبة فللإنسان أن يصلى فى جوفها إلى أى جوانبها شاء، هكذا فى النوادر من كتب أصحابنا المالكية ، وفيه أحب إلى أن يجعل الباب خلف ظهره ثم يصلى إلى أى موضع شاء بعد أن يستدبر الباب، وكذلك فعل النبى صلى الله عليه وسلم، انتهى ،وهذا مذهب الشافعى،وعند الحنابلة أن الصلاة إلى الباب صحيحة إذا كانت له عتبة شاخصة ، وعندهم وجهان فيما إذا صلى إلى سترة فى لبن منظوم أو شبيهه غير متصل اتصال البناء ، وصحح أبو البركات الصحة فى هذه الصورة ،و إذا أقيمت الجماعة فى الكعبة فلمن ائتم بالإمام فيها خمسة أحوال فى الوقت : الأول أن يكون وجه المأموم إلى وجه الإمام ، الثانى أن يكون ظهره إلى ظهره ، الثالث أن يكون وجه المأموم إلى ظهر الإمام، الرابع أن يكون بجنبه غير متقدم عليه، الخامس أن يكون ظهر المأموم إلى وجه الإمام،فيصح فى جميع الأحوال غير الحالة الخامسة فلا يصح فيها على الأصح من مذهب الشافعى ، ومذهب أبى حنيفة فى هذه المسألة كمذهب الشافعى ، وعند الحنابلة وجهان فى صحة صلاة المأموم إذا تقابل هو والإمام ، وقاس أبو البركات من الحنابلة المنع على ما إذا كان قفاء المأموم فى وجه الإمام ، و إذا حفرت فى الكعبة حفرة وصلى فيها إنسان صحت صلاته فيها كما قال بعض الشافعية فيما نقل مجلى فى ذخائره ، قال مجلى : وذلك إذا لم تجاوز الحفرة قواعد البيت فإن جاوزتها بحيث لا تحاذى ببدنه شيئا منها لم يصح ، و إلا فهو كالصلاة على ظهرها إلى السترة القصيرة ، وذكر ابن الرفعة أن فيما قاله مجلى نظرا ، وذكر أنه لا فرق بين أن يتجاوز القواعد إلى سترة أولا كما أطلقه الأصحاب ، قال ابن جماعة : وعندى ينبغى أن يفصل فيقال: إن صلى فى الحفرة ولم يحاذ ببدنه شيئا من الكعبة أو قواعدها وكان قادرا على إصابة عين البناء لم تصح الصلاة ، و إلا صحت والله أعلم ، انتهى .

واختلف العلماء أيضا فى الصلاة على سطح الكعبة والمشهور من مذهب مالك منع الصلاة على ظهرها ، وأنه أشد من منعها فى بطنها ، وذلك لأن المصلى فى بطنها يعيد فى الوقت والمصلى على سطحها يعيد أبدا ، وقيل : إن الصلاة على سطحها كالصلاة فى بطنها فتعاد فى الوقت ، وهذا القول حكاه ابن محرز عن أشهب ، وقيل : إن الصلاة على سطحها تصح ولا إعادة على من فعل ذلك، وهذا القول حكاه اللخمى عن أشهب وهو قول ابن عبد الحكم ، وقيل : إن الصلاة على سطحها تصح إن أقام المصلى شيئا يقصده ، وهذا تأويل القاضى عبد الوهاب على المذهب ، وقيل : تصح الصلاة على سطحها إذا كان بين يدى المصلى قطعة من السطح ، وهذا الاختلاف فى الفريضة وأما النافلة على سطح الكعبة فلا تصح على مقتضى مشهور المذهب إذا كانت الصلاة متأكدة كالسنن والوتر وركعتى الفجر وركعتى الطواف الواجب ، لمساواة هذه النوافل للفريضة فى حكم الصلاة فى جوف الكعبة ، وفى صحة النفل غير المؤكد فى سطح الكعبة نظر على مقتضى رأى أكثر أهل المذهب فى حملهم النهى الوارد عن النبى صلى الله

عليه وسلم فى الصلاة على سطح الكعبة ، وأما على رأى ابن عبد الحكم ومن وافقه فيصح النفل مطلقا على سطح الكعبة وحديث النهى الوارد عن الصلاة فيه رويناه فى مسند عبد بن حميد بالسند المتقدم إليه فى الباب التاسع ، ولفظه ، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا يحيى بن أيوب عن زيد بن جبير عن داود بن حصين عن نافع عن ابن عمر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى فى سبعة مواطن المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق وفى الحمام ومعاطن الإبل وفوق ظهر بيت الله عز وجل ، أخرجه الترمذى عن محمود بن غيلان وابن ماجه عن محمد بن ابراهيم الدمشقى كلاهما عن المقرى فوقع لنا بدلا لهما عاليا بدرجة بالنسبة إلى روايتنا العالية لكتابيهما بدرجتين بالنسبة إلى روايتنا لهما المتصلة بالسماع ، وزيد بن جبير متروك الحديث، وروينا هذا الحديث من غير طريقه فى سنن ابن ماجه بإسناد يقوم بمثله الحجة ، ولفظه : حدثنا على بن داود ومحمد بن أبى الحسن قالا: أخبرنا أبو صالح قال : حدثنا الليث قال حدثنا نافع عن ابن عمر بن الخطاب قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سبع مواطن لا يجوز فيها الصلاة : ظاهر بيت الله والمقبرة والمزبلة والمجزرة والحمام ومعاطن الإبل ومحجة الطريق انتهى ، وذكر ابن بشير من أصحابنا المالكية أن المذهب اختلف فى الصلاة على ظهر الكعبة هل هى منهى عنها على الإطلاق ؟ أو بشرط أن لا يجعل المصلى عليها قائما يقصده ؟ والأول رأى جماعة من أهل المذهب ، والثانى تأويل القاضى عبد الوهاب على المذهب انتهى ، ومذهب الشافعى صحة صلاة الفريضة والنافلة على سطح الكعبة بشرط أن يكون بين يدى المصلى شاخص قدر ثلثى ذراع تقريبا من نفس الكعبة ، هذا هو الصحيح من مذهب الشافعى ، وفى مذهبه وجه أيضا : يصح فى السطح و إن لم يكن الشاخص قدر ثلثى ذراع ، وقيل : إنما تصح فيه بشرط أن يكون الشاخص قدر قامة المصلى طولا وعرضا، ومذهب الحنفية أن الصلاة على السطح جائزة و إن لم يكن بين يدى المصلى سترة فان الصلاة فى السطح مكروهة لما فيه من ترك التعظيم، وعندهم أن الصلاة على جدار الكعبة صحيحة إذا كان المصلى متوجها إلى سطحها ولا تصح إذا جعل السطح وراءه ، ومذهب الحنابلة أن صلاة الفريضه لا تصح فى سطح الكعبة وأن النافلة فيه تصح وأن حكم النافلة على سطحها حكم الفريضة فى بطنها إذا كان الباب مفتوحا ومقتضى ذلك أنها لا تصح فى السطح إلا إذا كان هناك شاخص ، وقد حررنا ارتفاع الشاخص فى سطح الكعبة وهو ذراع إلا ثمن ذراع فى الجهة الشرقية وفى جهة الحجر بسكون الجيم ذراع وثمن ، وفى جهة المغرب ذراع ، وفى جهة اليمن ثلثا ذراع ، وقد سبق تحريرنا لذلك طولا وعرضا فى الباب الثامن ، وقد أثبتنا فيما يتعلق بالصلاة فى وجه الكعبة وعلى سطحها بما فيه كفاية فى ذلك ، ويوجد به من الفوائد مالا يوجد مجتمعا فى تأليف ، ونسأل الله التوفيق لكل خير .

وأما آداب دخول الكعبة فكثيرة منها : الاغتسال ، لما رويناه عن عبد الكريم بن أبى المخارق ، ومنها

نزع الخف والنعل لما روينا فى سنن سعيد بن منصور عن عطاء وطاوس ومجاهد ، وكره مالك دخولها بالخفين والنعلين وهو قول الحنابلة ، ومنها أنه لا يرفع بصره إلى السقف لحديث فى ذلك رويناه عن عائشة أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وقد تقدم هذا الحديث فى الباب التاسع ؛ وإنما كره رفع البصر فى الكعبة لأنه يولد الغفلة واللهو عن القصد، أشار بذلك المحب الطبرى فى القرى ، ومنها أن لا يزاحم زحمة شديدة يتأذى بها أو يؤذى بها أحدا أشار إلى ذلك النووى وغيره ، ومنها أن لا يكلم أحدا إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، ومنها أن يلزم قلبه الخشوع والخضوع وعينيه الدموع إن استطاع ذلك والا حاول صورتها ، ذكر هذين الأمرين المحب الطبرى وهذا لفظه ، ومنها أن لا يسأل مخلوقا لما رويناه عن سفيان بن عيينة قال : دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال : سلنى حاجتك قال : أستحى من الله أن أسأل فى بيته غيره ، وذكر الفاكهى ما يقتضى أن التارك بسؤال هشام فى الكعبة غير سالم ابن عبد الله لأنه قال: حدثنا محمد بن أبى عمر قال : قال سفيان بن عيينة سمعت بعض من يذكر أن بعض الخلفاء هشام بن عبد الملك أو غيره دخل الكعبة عام حج فلم يدع فى الكعبة غير منصور الحجبى ، فقال له هشام سل حاجتك،قال منصور ما كنت لأسأل غير الله فى بيته، فلم يسأله شيئا، انتهى ، وحكم النساء فى دخولهن الكعبة حكم الرجال من غير خلاف أعلمه فى ذلك .

الباب الحادى عشر

فى ذكر شىء من فضائل الكعبة وفضائل ركنيها الحجر الأسود واليمانى

ذكر شىء من فضائل الكعبة

لا شك أن فضل الكعبة مشهور لوروده فى القرآن العظيم فى غير ما آية ووروده فى السنة الشريفة الصحيحة ، وإنما أردنا بذكره ههنا للتبرك، فمن الآيات الواردات فى ذلك قول الله تعالى « إنَّ أولَ بيتٍ وُضع للناس للذى ببكةَ مباركاً وهُدًى للعالمينَ فيهِ آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيمَ وَمَنْ دخله كانَ آمناً » .

واختلف فى معنى كونه أول بيت وضع للناس على قولين : أحدهما أنه أول بيت وضع للعبادة وكان قبله بيوت لغيرها ، وهذا يروى عن على بن أبى طالب ، والآخر أنه أول بيت كان فى الأرض . قال المحب الطبرى : وقوله مباركا أى كثير الخير لما يحصل لمن حجه أو اعتمره أو عكف عنده وطاف حوله من الثواب . وقوله وهدى للعالمين أى متعبدهم وقبلتهم ، وقوله : فيه آيات بينات مقام ابراهيم : مقام عطف بيان على آيات و بين الجمع بالواحد لاشتماله على آيات أثر قدميه فى الصخرة: و بقاؤه وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين ، واختلف فى أمن الداخل فقيل من دخله كان آمنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك ، وقيل : من دخله لقضاء النسك معظما لحرمته عارفا بحقه متقربا إلى الله عز وجل كان آمنا يوم القيامة كما جاء : من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار. يعنى نهار يوم القيامة ، وقيل معناه أمن من دخله أى لا يقتص منه كما هو مذهب أبى حنيفة ، ويلجأ إلى الخروج منه وقيل : معناه غير ذلك : ومن الآيات قوله تعالى « جعلَ اللهُ الكعبةَ البيت الحرام قياماً للناس » ، قال المحب الطبرى أى قواما لهم فى أمر دينهم ودنياهم فلا يزال فى الأرض دين ما حجت وعندها المعاش والمكاسب ، قال والمراد بتحريم البيت سائر الحرم، ونقل عن الضحاك أنه قال: قياما للناس: قياما لدينهم ومعالم حجهم ، قال : ويروى نحوه عن السدى وقال : قال عكرمة : قياما للناس نظاما لهم ، ومن الأحاديث الواردة فى ذلك ما رويناه عن الأزرقى بالسند المتقدم إليه قال : حدثنى جدى عن الزنجى عن أبى الزبير المكى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا البيت دعامة الإسلام ، ومن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله عز وجل إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده أن يرده بأجر وغنيمة ، ومنها ما ورد فى تنزيل الرحمات على الكعبة كما فى المعجم الكبير

للطبرانى من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم، ولفظه : إن الله ينزل فى كل ليلة ويوم. عشرين ومائة رحمة . ينزل على هذا البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين ، ورواه فى الأوسط إلا أنه قال: على هذا المسجد مسجد مكة ، وفى رواية : وأربعون للعاكفين بدل المصلين وأخرجه الأزرقى فى تاريخه يعنى رواية الطبرانى فى الكبير، ووقع لنا عاليا جدا أخبرنى به ابن الذهبى بقراءتى عليه قال : أخبرنا عيسى المطعم حضورا وإجازة قال : أخبرنا ابن الليثى قال : أخبرنا أبو الوقت قال : أخبرتنا لبنى قالت : أخبرنا ابن سريج قال حدثنا يحيى ابن محمد بن صاعد قال : حدثنا عبد الله بن عمران المخزومى بمكة قال : حدثنا يوسف بن الفيض قال ابن صاعد ، هكذا كان يسميه وانما هو يوسف بن السفر أبو الفيض عن الأوزاعى عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله عز وجل فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على أهل هذا البيت فستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين .

وذكر الشيخ محب الدين الطبرى أنه لا تضاد بين الرواية التى فيها أن الرحمات تنزل على هذا البيت وبين الرواية التى فيها أنها تنزل على مسجد مكة ، لأنه يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى : « فول وجهك شطر المسجد الحرام»، ويجوز أن يريد مسجد الجماعة وهو الأظهر ، ويكون المراد بالتنزيل على البيت التنزيل على أهل المسجد ، وكذلك قسمت الرحمات على أنواع العبادات الكائنة فى المسجد قال : وقوله فستون للطائفين إلى آخره يحتمل من تأويل القسم بين كل فريقين وجهين : الأول قسمة الرحمات بينهم بالسوية على المسمى لا على العمل بالنظر الى قلته وكثرته وضعفه وما زاد على المسمى فله ثواب من غير هذا الوجه ، ونظير هذا الكلام : أعط الداخلين بيتى مائة دينار فدخل واحد مرة وآخر مرارا ، فلا خلاف فى تساويهما فى القسم ، الوجه الثانى وهو الأظهر قسمها بينهم على قدر العمل لأن الحديث ورد فى سياق الحث والتحضيض وما هذا سبيله لا يستوى فيه الآتى بالأقل والأكثر ، واستدل المحب الطبرى على ذلك بأمور معنوية ظاهرة ، انتهى ، ومنها ما رويناه فى معجم الطبرانى الكبير عن ابن عباس قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فقال لا إله إلا الله ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة منك ان الله جعلك حراما وحرم من المؤمن ماله ودمه وعرضه وإن يظن به ظنًا سيئًا .

ذكر شيء من فضائل الحجر الأسود وما جاء فى كونه من الجنة

روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لاضاءآ ما بين المشرق والمغرب ، أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده وابن حبان فى صحيحه والترمذى فى جامعه وقال: حديث غريب : ونقل السهيلى عن الترمذى هذا الحديث الا أنه قال فيه إن الركن الاسود والركن اليمانى ياقوتتان ،وذكر بقية الحديث بالمعنى، وما نقله السهيلى من ان فى هـذا الحديث والركن اليمانى غير معروف ، والمعروف فيه الحجر الاسود والمقام ، ولعل ذلك من السهيلى سبق قلم ، وقد رأيت مانقلناه عنه فى غير نسخة من تأليفه قال بعد ذكره لهذا الحديث : وفى رواية غيره ولإبراء من استلمهما من الخرس والجذام والبرص ، انتهى . وروينا من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم» ، أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح ، وروينا عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «الحجر الأسود من الجنة » أخرجه النسائى وورينا عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «لولا ما طبع الله من الركن من انجاس الجاهلية وارجاسها لاشتفى به من كل عاهة ولألفاه كهيئته يوم خلقه الله تعالى و إنما غيره بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة وانها لياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة»، قلت ذكر شيخنا بالاجازة الإمام بدر الدين احمد بن محمد المعروف بابن الصاحب المقرى فى كون الحجر الأسود من ياقوت الجنة دون غيره من جواهرها حكمة حسنة لأنه قال فيما أنبأنا به: فإن قلت ما الحكمة فى كونه من ياقوتها ولم يكن من غيره من جواهرها قلت له سر غريب نبهت عليه فى كتاب الرموز فى كشف اغطيه الكؤوس، وانا ضنين بذلك ولكن ألوّح بشيء هنا من قشوره، وذلك أن الشمس فى الفلك الرابع المتوسط ولو لم يكن وسط الدنيا أحسنها ما اختارت الشمس فى أفلاكها الوسطى وهى الممتدة لما فوقها وما تحتها من الأفلاك والمعدة فى الفلك الرابع من الأنفس وهى الممتدة لما فوقها وتحتها ويقصرها على النار ولهذا قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم « المعدة بيت الداء خلق الله فيها عينا نباعة تحض معينة على الهضم والتبريد» ومكة فى الفلك المتوسط من الدنيا وهى محل النار وهى الممتدة للدنيا قال الله تعالى : « جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للنَّاسِ » اى قواما لدينهم ودنياهم وجعل الحجر من ياقوت الجنة الذى لا يبالى بالنار و يحصل منه التبريد المعنوى والحسى :

وطالما أحمى الياقوتَ جمرُ غضا ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

ثم سر آخر وهو أنه نقطة الدائرة الياقوتية وهذه نكتة من كشف أغطية الكونين، من أراد كشفها فليصغ حتى أسمعه ، فمن ذلك من الميراث النبوى مالا يسمعه من غيرى فى هذا الزمان والله الموفق انتهى .

ذكر ماقيل من الحكمة فى اسوداد الحجر الأسود بعد بياضه

قال السهيلى بعد أن ذكر شيئا مما يتعلق بالحجر الأسود وأشار ههنا إلى الحكمة فى أن سودته خطايا بنى آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها ، وذلك أن العهد الذى فيه بمعنى الفطرة التى فطر الناس عليها من توحيد الله فكل مولود يولد على الفطرة، وعلى ذلك فلولا أن أبويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حتى ليسود قلبه بالشرك لما حال من العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق قياسا ، فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما حاد عما كان عليه من ذلك العهد واسود الحجر بعد ابيضاضه وكانت الخطايا سببا فى ذلك، حكمة من الله سبحانه انتهى . وقال المحب الطبرى وقد اعترض بعض الملاحدة فقال: كيف يسود الحجر خطايا أهل الشرك ولا يبيضه توحيد أهل الإيمان ؟ فالجواب عنه من ثلاث : الأول ماتضمنه حديث ابن عباس المتقدم آنفا : ان الله عز وجل إنما طمس نوره ليستر زينته عن الظلمة وكأنه لما تغيرت صفته التى كانت كالزينة له بالسواد كان ذلك السواد له كالحجاب المانع من الرؤية وان نوى حرمه إذ يجوز أن يطلق عليه أنه غير مرئى كما يطلق على المرأة المستترة بثوب أنها غير مرئية ، الثانى اجاب به ابن حبيب فقال: لو شاء الله لكان ذلك وكما علمت أيها المعترض من أن الله تعالى أجرى العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ والبياض ينصبغ ولا يصبغ ، الثالث وهو منقاس إن يقال إن بقاءه أسود والله أعلم إنما كان للاعتبار ليعلم أن الخطايا إذا أثرت فى الحجر فمباشرها بالقلوب أعظم ، انتهى .

ذكر ما روى من البياض فى الحجر الأسود بعد اسوداده

ذكر ابن جبير فى خبر رحلته: أن فى الحجر الأسود نقطة بيضاء صغيرة مشرقة ولم يذكر سواها وكانت رحلته فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وقال الفقيه سليمان بن خليل العسقلانى فى منسكه بعد ذكره لشىء يتعلق بالحجر الأسود : قلت وأنا لقد أدركت فى الحجر الأسود ثلاث مواضع [1] بيض : فى الناحية التى تلى باب الكعبة المعظمة وهى إحداها أكبر حبة فى قدر حبة الذرة الكبيرة ، والأخرى إلى جنبها وهى أصغر منها ، والثالثة إلى جنب الثانية وهى أصغر من الثانية فإنها فى قدر حبة الدخن ، ثم إنى أتلمح تلك النقطة فاذا هى كل وقت فى نقص، انتهى

---

(١) هكذا وردت بالأصل ، والصواب : ثلاثة مواضع .

ونقل القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه كلام ابن خليل هذا ، وذكر أنه رأى الحجر الأسود فى سنة ثمان وسبعمائة وفيه نقطة بيضاء ظاهرة وأنه لم يرها فى سنة ست وثلاثين إلا بعد جهد انتهى . وكنت ذاكرت بهذا الأمر من نحو خمس عشرة سنة بعض مشايخنا فذكر أن فى الحجر الأسود نقطة بيضاء خفية جدا انتهى. ولم يذكر لى موضعها من الحجر ولعلها النقطة الموجودة فيه الآن، فإن فى جانبه مما يلى باب الكعبة من أعلاه نقطة بيضاء قدر حبة سمسمة على ما أخبرنى به ثلاثة نفر يعتمد عليهم من أصحابنا الفقهاء المكيين فى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الأول سنة ثمان عشرة وثمانمائة إلا أن بعضهم لم يخبرنى بذلك إلا فى يوم السبت ثانى تاريخه ، وأخبرنى الثلاثة أنهم رأوا ذلك فى يوم الجمعة المذكور وشكرت لهم فالله يثيبهم .

ما جاء فى شهادة الحجر الأسود يوم القيامة لمن استلمه بحق

روينا فى مسند الدارمى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليبعثن الله الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق، وفى رواية على من استلمه بحق، أخرجه الترمذى وابن حبان وقال: له لسان وشفتان ، وروينا ما يدل لذلك من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم وروينا ذلك من حديث سلمان الفارسى موقوفا عليه ـ ما جاء فى تقبيل النبى صلى الله عليه وسلم للحجر الأسود واستلامه له : وروينا عن عبد الله بن عمر أنه سئل عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله أخرجه البخارى ومسلم وروينا فى تقبيل النبى صلى الله عليه وسلم الحجر من حديث عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله وغيرهما ما جاء فى السجود عليه . وروينا فى الترمذى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد على الحجر: وروينا فى سنن البيهقى عنه قال : رأيت عمر بن الخطاب قبّله وسجد عليه ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا . وروينا عن ابن عباس فى مسند الإمام الشافعى : أنه قبل الركن وسجد عليه ثلاث مرات . وروينا ذلك أيضا عن طاوس فى تاريخ الأزرقى والبيهقى وغيرهما ، ولم ير الإمام مالك السجود على الحجر وهو بدعة ، وخالفه الجمهور فى ذلك ، والله أعلم .

ما جاء فى الإكثار من استلامه

روينا فى تاريخ الأزرقى بالسند المتقدم إليه : قال حدثنى جدى قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال أخبرنى زهير بن محمد عن منصور بن عبد الرحمن الحجبى عن أمه عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه ، بينما الناس يطوفون به ذات ليلة إذ أصبحوا وقد فقدوه ، إن الله تعالى لا يترك شيئا من الجنة فى الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة .

ما جاء فى مفاوضة الحجر الأسود

روينا عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن، أخرجه ابن ماجه . قال المحب الطبرى : وقوله فاوض أى لامس وخالط من مفاوضة الشريكين وتفويض كل منهما إلى صاحبه ، انتهى[1] .

ما جاء فى أنه الحجر الأسود يمين الله يصافح بها عباده[1] واستجابة الدعاء عنده

روينا فى تاريخ الأزرقى بالسند المتقدم اليه قال حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن أبى إسماعيل عن عبد الملك بن عبد الله بن أبى حسين عن ابن عباس قال الركن يمين الله عز وجل يصافح بها خلقه والذى نفس ابن عباس بيده ما من امرىء مسلم يسأل الله تعالى عنده شيئا إلا أعطاه إياه انتهى . وروى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم لأن أبى عبيد[2] القاسم بن سلام روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحجر الأسود يمين الله فى الأرض، ورواه أبو طاهر المخلص فى فوائده فى الجزء الثانى من التاسع وزاد : فمن لم يدرك بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح الحجر الأسود بيده فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال المحب الطبرى: ومعنى الحديث والله أعلم أن كل ملك إذا قدم عليه قبلت يمينه ولما كان الحاج والمعتمر أول ما يقدمان يسن لهما تقبيله نزل منزلة يمين الملك ويده ، ولله المثل الأعلى، وكذلك من صافحه كان له عند الله عهد كما أن الملوك تعطى العهد بالمصافحة والله أعلم : أنشدنى العلامة بدر الدين أحمد بن محمد بن الصاحب المصرى لنفسه إجازة قوله :

للحجر الأسود كم لاثم ... وساجد مرّغ فيه الجباه
تزدحم الأفواه فى ورده ... كأنه ينبع[3] ماء الحياه

وقوله فيما أنبأنا به فى الحجر الأسود :

كم أودعت أسرار أنس ... فى علوم الغيوب
يزدحم الأفواه فى لثمه ... كأنه يلفظ قوت القلوب

---

(١) هذه الروايات روايات آحاد ،ويمكن تأويلها على المعنى المجازى لا الحقيقى كما سيأتى .
(٢) هكذا بالأصل ، والصواب : لأن أبا عبيد .
(٣) كذا بالأصل ، ولعله ينبوع .

وقوله فيما أنبأنا به :

للحجر الأسود سر خفى وقد بدا للعين فيه [1] شهود
قد ضمت قلوب الورى كأنه قلب سواد الوجود

وقوله فيما أنبأنا به :

أقول وقد زوحمت عن لثم أسود من البيت إن تحجب فما السر يحجب
فإنك منى بالمحـــل الذى به محل سواد العين أو أنت أقرب

ذكر فضل الركن اليمانى وما جاء فى تقبيله ووضع الخد عليه

روينا فى سنن الدارقطنى عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الركن اليمانى ويضع خده عليه، وروينا فى تاريخ البخارى عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن اليمانى قبله، وروينا فى تاريخ الأزرقى عن مجاهد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الركن ويضع خده عليه ، قلت تقبيل النبى صلى الله عليه وسلم الركن اليمانى ووضع خده عليه الخ ، لا يثبت، وأما استلامه له فثابت .

ما جاء فى استلام النبى صلى الله عليه وسلم للركن اليمانى

روينا فى مسند أحمد بن حنبل وغيره عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أن يستلم الركن اليمانى والحجر الأسود فى كل طوافه وكان هو يفعله ، أخرجه أبو داود والنسائى وقال المحب الطبرى بعد إخراجه لهذا الحديث : وفيه دلالة على استحباب التقبيل والاستلام فى كل طواف واستحبه بعضهم فى كل وتر وروى ذلك عن الشافعى، انتهى . وقوله وفيه دلالة على استحباب التقبيل يعنى فى الحجر الأسود لا فى الركن اليمانى والاستلام فيها ، والله أعلم .

ما جاء فى المزاحمة على استلام الركن اليمانى والحجر الأسود وانه مسحهما كفارة للخطايا

روينا عن ابن عمر أنه كان يزاحم على الركنين، فقيل له فى ذلك ، فقال : إن أفعل فإنى سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) فى الأصل منه .

يقول : إن مسحهما كفارة للخطايا . أخرجه الترمذى . وروينا عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مسح الحجر الأسود والركن اليمانى يحط الخطايا حطًّا ، أخرجه أحمد بن حنبل وابن حبان فى صحيحه .

ما جاء فى عدم استحباب ذلك للنساء بحضرة الرجال

روينا عن عطاء عن عائشة أنها قالت لامرأة :لا تزاحمى على الحجر إن رأيت خلوة فاستلمى و إن رأيت زحاماً فكبرى وهللى إذا حاذيت ولا تؤذى أحدا، أخرجه سعيد بن منصور . وروينا عن عائشة بنت سعد أنها قالت : كان أبى يقول إذا وجدت فرجة من الناس فاستلمى و إلا فكبرى وامضى . أخرجه الإمام الشافعى وفى البخارى عن عطاء عن عائشة ما يقتضى ترك استلام الحجر للنساء وهو محمول على ما إذا حضر الرجال كما هو مقتضى الخبر الذى رواه سعيد بن منصور فى سننه ، والله أعلم .

ما جاء فى إكثار النبى صلى الله عليه وسلم من استلامه واستغفار الملائكة لمن استلمه

روينا فى تاريخ الأزرقى عن عطاء قال: قيل يارسول الله : نكثر من استلام الركن اليمانى ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ما أتيت عليه قط إلا وجبريل عليه الصلاة السلام قائم عنده يستغفر لمن استلمه .

ما جاء فى تأمين الملائكة على الدعاء عنده واستجابة الدعاء عنده

روينا عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : وُكل به سبعون ملكا، يعنى الركن اليمانى فمن قال اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ، اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قالوا : آمين ، أخرجه ابن ماجه وغيره وروينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن عمر قال : على الركن اليمانى ملكان يؤمّنان على دعاء من مر بهما وان على الحجر الأسود من الملائكة ما لا يحصى، وروينا فيه عن مجاهد قال : من وضع يده على الركن اليمانى ثم دعا استجيب له وسيأتى فى خبر المستجار وهو عند الركن اليمانى شىء من هذا المعنى .

ما جاء فى أن الركن اليمانى باب من أبواب الجنة

روينا فى تاريخ الأزرقى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : يابنى ادننى من الركن اليمانى فإنه كان يقال : إنه باب من أبواب الجنة . وروينا نحوه عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وذكر السهيلى شيئا فى سبب تسمية الركن اليمانى بالركن اليمانى لأنه قال : وأما الركن اليمانى فسمى باليمانى فيما ذكر العينى لأن رجلا من اليمن بناه اسمه أبى بن سالم وأنشد :

لنا الركن اليمانى من البيت الحرام وراثة بقية ما أبقى أبى بن سالم [1] انتهى .

(١) جاء هذا البيت فى بعض النسخ بحذف اليمانى ، وهو مضطرب الوزن .

الباب الثانى عشر

فى فضائل الأعمال المتعلقة بالكعبة

كالطواف بها والنظر إليها والحج والعمرة وغير ذلك

ذكر ماورد فى ثواب الطواف عموما من غير تقييد بزمن

أخبرنى ابن أبى المجد الخطيب عن الدشتى قال أخبرنا ابن خليل الحافظ قال أخبرنا الرازى قال أخبرنا الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أخبرنا ابن فارس قال أخبرنا يونس بن حبيب قال أخبرنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا همام عن عطاء بن السايب عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من طاف بهذا البيت سبعا يحصيه كتب له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ، ورفعت له درجة ، وكان له عدل رقبة ، أخرجه الترمذى وحسّنه، وأخرج النسائى بعضه ، ولفظه : من طاف بالبيت سبعا فهو كعدل رقبة . وكذلك أخرجه ابن ماجه، إلا أنه قال: من طاف بالبيت وصلى ركعتين وفى بعض طرق الحديث: خلف المقام، ومعنى يحصيه أى يتحفظ فيه لئلا يغلط قاله ابن وضاح وغيره، وروينا فى صحيح ابن حبان وغيره عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الخيف فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما عليه ودعوا له دعاء حسنا ثم قالا: جئناك يارسول الله نسألك ، الحديث بطوله ، وفيه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للأنصارى : وأما طوافك بالبيت فإنك لاتضع قدما ولا ترفعها إلا كتب الله تعالى لك بها حسنة ومحا بها عنك خطيئة ورفعك بها درجة وأما ركعتيك[1] بعد الطواف فكعتق رقبة وأما طوافك بالبيت بعد ذلك يعنى الحج فإنك تطوف ولا ذنب عليك ، وأنبأنى أبو بكر بن محمد بن عبد الرحمن المرى ابن أخى الحافظ أبى الحجاج المرى أن أحمد ابن أبى طالب الصالحى الحجار أخبره سماعا وأخبرنى المفتى أبو بكر بن الحسين الشافعى سماعا بطيبة عن أحمد بن أبى طالب إذنا قال أنبأنا أحمد بن يعقوب المارستانى قال أخبرنا بن اللحاس عن أبى القاسم بن اليسرى قال أخبرنا أبو طاهر قال حدثنا يحيى هو ابن جماعة قال حدثنا سفيان هو ابن وكيع قال حدثنا ابن يحيى بن يمان عن شريك عن أبى اسحق عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) هكذا وردت ، وفيها خطأ نحوى ، والصواب وأما ركعتاك

من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنو به كيوم ولدته أمه أخرجه الترمذى عن سفيان بن وكيع فوقع لنا موافقة له عليه، وقال حديث غريب انتهى . والمراد بالخمسين مرة خمسون أسبوعا لأنا روينا عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من طاف بالبيت خمسين أسبوعا خرج من ذنو به كيوم ولدته أمه، وهذه الرواية فى معجم الطبرانى وساقها منه المحب الطبرى بسنده وعزا ذلك أيضا لمصنف عبد الرزاق وقال : قال أهل العلم وليس المراد أن يأتى بها متوالية فى آن واحد و إنما المراد أن يوجد فى صحيفة حسناته ولو فى عمره كله انتهى ، وذكر المحب الطبرى أن بعض أهل العلم ذكر أن لعدد الطواف سبع مراتب الأول خمسون أسبوعا فى اليوم والليلة للحديث المتقدم، الثانى إحدى وعشرون فقد قيل سبعة أسابيع بعمرة وورد ثلاث عمر بحجة ، الثالث أربعة عشر فقد ورد عمرتان بحجة، وهذا فى غير رمضان لأن العمرة فيه كحجة ، الرابع اثنا عشر أسبوعا خمسة بالنهار وسبعة بالليل كما تقدم من فعل آدم وفعل ابن عمر . الخامس سبعة أسابيع، السادس ثلاثة أسابيع، السابع أسبوع واحد والله أعلم . نقل هذا عن المحب الطبرى القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه وهذا لفظه بحروفه والأحاديث الواردة فى فضل الطواف أكثر من هذا و إنما اقتصرنا على هذه الأحاديث الثلاثة لأنها أجود إسناداً من غيرها ، وفى أخبار مكة للأزرقى وأخبارها للفاكهى وفضائلها للجندى ورسالة الحسن البصرى جمل كثيرة من فضائل الطواف وقد ذكرنا بعض ذلك فى أصل هذا الكتاب وفيما ذكرناه هنا كفاية .

ما جاء فى فضل الطواف فى الحر

روينا فى أخبار مكة للجندى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من طاف حول البيت سبعا فى يوم صايف شديد حره وحسر عن رأسه وقارب بين خطاه وقل التفاته وغض بصره وقل كلامه إلا بذكر الله تعالى واستلم الحجر فى كل طواف من غير أن يؤذى أحدا كتب الله له بكل قدم يرفعها و يضعها سبعين ألف حسنة و يعتق عنه سبعين رقبة ثمن كل رقبة عشرة آلاف و يعطيه الله سبعين ألف شفاعة ان شاء فى أهل بيته من المسلمين و إن شاء فى العامة و إن شاء عجلت له فى الدنيا و إن شاء أخرت له فى الآخرة . هذا حديث ضعيف الإسناد جداً[1]

---

(١) لقد أحسن المؤلف حينما نبه القارىء بأن هذا الحديث ضعيف الاسناد جداً وان ضعفه أوضح من أن ينبه إليه لركاكة الحديث لفظا ومعنى . والنبى صلى الله عليه وسلم رؤوف بالمؤمنين رحيم بهم بذلك وصفه القرآن الكريم ، وفى الحديث حث المؤمن على أن لا يلقى بنفسه للتهلكة من التعرض للشمس وضربتها ، وربما أودت بحياة من فعل ذلك .

ما جاء فى الطواف فى المطر

أخبرنى ابن الذهبى قال أخبرنى المطعم حضورا و إجازة قال أخبرنا ابن التى قال أخبرنا أبو الوقت قال أخبرتنا لبنى قالت أخبرنا ابن أبى سريج قال حدثنا يحيى هو ابن صاعد قال حدثنا عبد الله بن عمران العايدى قال حدثنا داود بن عجلان عن أبى عقال قال طفت مع أنس بن مالك فى يوم مطير فقال أنس طفت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم مطير فقال ائتنفوا العمل فقد كفيتم ما مضى ، أخرجه ابن ماجه وأخرجه الأزرقى عن جده وابن أبى عمر عن داود فوقع لنا بدلاله عاليا بدرجتين وهو حديث ضعيف الاسناد جدا . لمكان أبى عقال وهو هلال بن يزيد .

ما جاء فى الطواف إذا وقع بعد صلاة الصبح أو العصر وانقضى مع طلوع الشمس أو غروبها

روينا فى تاريخ الأزرقى بالسند المتقدم إليه قال حدثنى جدى عن عبد العزيز [1] بن زيد العمرى عن أبيه عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كلها بالغة ما بلغت : طواف بعد صلاة الصبح وفراغه مع طلوع الشمس ، وطواف بعد صلاة العصر وفراغه مع غروب الشمس . قال المحب الطبرى بعد إخراجه لهذا الحديث ويحتمل أن يريد بالبعدية ما قبل الطلوع والغروب ولو بلحظة لِتَسَع أسبوعا ويحتمل أن يريد استيعاب الزمنين بالعبادة ولعله الأظهر وإلا لقال قبل الطلوع وقبل الغروب وعلى هذا فيكون حجة على من كرهه فى الوقتين انتهى .

وقال المحب الطبرى لما ترجم على هذا الحديث : ما جاء فى فضل الطواف عند طلوع الشمس وغروبها وهكذا ترجم عليه الأزرقى ما جاء فى تفضيل الطواف على الصلاة قال الفاكهى : حدثنا محمد بن نصر المصرى قال حدثنا أيوب بن سويد الرملى قال حدثنا محمد بن جابر عن عبد الله بن عمر قال كان أحب الأعمال إلى النبى صلى الله عليه وسلم إذا قدم مكة الطواف بالبيت انتهى . وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا يدل على تفضيل الطواف على الصلاة ولكن الحديث لا يقوم به حجة لضعف إسناده فإن فيه يوسف بن السفر وهو متروك وقد تقدم هذا الحديث فى الباب الحادى عشر وهو حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله عز وجل فى كل يوم وليله عشرين ومائة رحمة تنزل على أهل البيت ، فستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين

---

(١) فى الأصل (عبد الرحيم) .

وقد استدل به على تفضيل الطواف على الصلاة الماوردى وسليمان بن خليل وقال المحب الطبرى لما تكلم على هذا الحديث بعد أن ذكر كيفية قسمة الرحمات بين كل فريق إذا تقرر ذلك فالتفضيل فى الرحمات بين المتعبدين بأنواع العبادات الثلاث أول دليل على أفضلية الطواف على الصلاة والصلاة على النظر إذا تساووا فى الوصف هذا هو المتبادر إلى الفهم عند سماع ذلك فيختص به ، ومما ورد من الأحاديث المتقدمة فى ذكر فضل الطواف عموم قوله صلى الله عليه وسلم: واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة الصلاة غير موضوع أو يقول الطواف نوع من الصلاة بشهادة ما تقدم من الأحاديث فى أركان الشروط فيكون داخلا فى عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن ولا ينكر أن بعض الصلاة أفضل من بعض وأورد على ذلك سؤالا وأجاب عنه ثم قال ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة وهو الطواف على غيره من الأنواع بيوت الأحصية[1] له بمتعلق الثلاثة وهو البيت الحرام ولا خفاء بذلك ، و بذلك بدأ به فى الذكر هنا وفى قوله تعالى وطهر بَيْتِيَ للطائفين فى الآيتين ، ولما كانت الصلاة على تنويعها لم تشرع إلا عبادة والنظر قد يكون عبادة إذا قصد التعبد به وقد لا يكون وذلك إذا لم يقترن به قصد التعبد به تأخر فى الرتبة وقولنا إذا تساووا فى الوصف يحترز مما إذا اختلف وصف المتعبدين فكان الطائف ساهيا غافلاً والمصلى والناظر خاشعا يعبد الله كأنه يراه أو كأن الله يراه كان المتصف بذلك أفضل من غير المتصف به إذ ذلك الوصف لا يعد له عمل جارحة خاليا منه وهو المشار اليه والله أعلم فى قوله تعالى : « إنَّا لا نضيعُ أجرَ منْ أحسنَ عملاً » ، وسئل صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، و كثير من العلماء يذهب فى توجيه اختلاف القسم بين الطائفين والمصلين والناظرين بأن الرحمات المائة والعشرين قسمت ستة أجزاء فجعل جزء للناظرين وجزآن للمصلين لأن المصلى ناظر فى الغالب فجزء للنظر وجزء للصلاة والطائف لما اشتمل على المعانى الثلاثة ، كان له ثلاثة أجزاء : جزء للنظر وجزء للطواف ، وهذا القائل لا يثبت للطواف أفضلية على الصلاة و إنما يثبت بقوله كثرة الرحمات له بسبب اشتماله على الصلاة وما ذكرناه أولى وفيما ذكره نظر فإن الطائف الأعمى وكذلك المصلى ينالهما ما يثبت للطائف والمصلى و إن لم ينظرا و كذا المعتمد ترك النظر فيها لا ينقص قسم بسبب ذلك ، فدل ذلك على أن المراد صلاة غير ركعتى الطواف فإن كثرة الطواف منسوبة إليه إما وجوبا أو ندبا فهى منه وأما النظر فيه فإن لم يقترن بقصد التعبد فلا أثر له ، و إن قصد به التعبد فالظاهر أنه ينال به أجر الناظر زائدا على أجر الطواف والله أعلم ، انتهى كلام المحب الطبرى وهو كلام نفيس متجه شاف فى هذه المسألة ، وفرق فيها بعض العلماء بين الغرباء وأهل مكة فقال : إن الطواف للغرباء أفضل لعدم تأتيه لهم كل وقت والصلاة لأهل مكة أفضل لتمكنهم من الأمرين وهو مذهب مالك وأبى حنيفة وغير واحد من العلماء والله أعلم بالصواب .

---

(١) هكذا وردت بالأصل « بيوت الأحصبة » وهو خطأ من الناسخ ، والصواب « ثبوت الأخصية » .

ماجاء فى تفضيل الطواف على العمرة

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : حدثنا جدى ، قال حدثنا الزنجى عن ابن جريج قال أخبرنى قدامة بن موسى بن قدامة بن مظعون أن أنس بن مالك قدم المدينة فركب إليه عمر بن عبد العزيز فسأله عن الطواف للغرباء أفضل أم العمرة ؟ فقال بل الطواف ، قال المحب الطبرى بعد إخراجه لهذا الحديث ومراد أنس والله أعلم . أن تكرار الطواف أفضل من العمرة ولا يريد به طواف أسبوع واحد فإنه موجود فى العمرة ، وقد ذهب قوم من أهل عصرنا إلى تفضيل العمرة عليه و يرون الاشتغال بها أفضل من تكراره والاشتغال به و يستفرغون وسعهم فيها بحيث لا يبقى فى أحدهم منه يستعين بها على الطواف وذلك خطأ ظاهر ، وأول دليل على خطئه مخالفة السلف الصالح فى ذلك قولا وفعلا إذْ لم ينقل تكرارها والإكثار منها عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابع التابعين ، واستدل على ذلك المحب الطبرى ثم قال : وقد أفردنا الكلام فى هذه المسألة تأليفا و بسطنا القول فيه على أن لا يدعى كراهة تكرارها بل يقول إنها عبادة كثيرة الفضل عظيمة الخطر لكن الاشتغال بكثرة الطواف وتكرارها فى مثل مدتها أفضل من الاشتغال بها والله أعلم ، انتهى كلام المحب الطبرى وتأليفه المشار إليه هو المسمى [عواطف النصرة فى تفضيل الطواف على العمرة] وقال القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه بعد أن ذكر كلام المحب الطبرى هذا وهو حسن ثم قال : وكيف يكون حال من يجعل نفسه قصيا متعبدا لينال فضيلة القصد والزيارة أفضل من حال من هو بالحضرة مشاهد مقيم يتردد دخول المقصود والمزار بخطوات ترفع الدرجات وتكسب الحسنات وتمحو الأوزار ؟ ولهذا كان رأى السلف الصالح تعهد العمرة دون الاشتغال بها عن الطواف بحيث لا تصير مهجورة والله أعلم . والخير فى اتباعهم ، انتهى كلام ابن جماعة وقد أخبرنى عنه خالى سماعا وقد صنج إلى ذلك أيضا على ما بلغنى بعض العلماء المعاصرين لابن جماعة وهو العلامة شمس الدين أبو أمامة محمد بن على المعروف بابن النقاش الشافعى أو لقيت بخط بعض أصحابنا أن لأبى أمامة بن النقاش هذا تأليفا جليلا فى المنع من العمرة فإنه لا وجه لذلك ولعل تأليفه فى عدم استحباب تكرار العمرة والله أعلم ، وللإمام الكبير تقى الدين ابن تيمية[1] كلام يقتضى عدم استحباب تكرار العمرة من مكة و إنكاره لأنه قال : ولم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أحد يخرج من مكة ليعتمر إلا لعذر ولا فى رمضان ولا فى غيره والذين حجُّوا مع النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيهم من اعتمر بعد الحج إلا عائشة لعذر ولا كان هذا من فعل الخلفاء الراشدين انتهى . وخالف فى ذلك من أهل عصرها على ما بلغنى خطيب دمشق جمال الدين محمود بن جملة الشافعى والشيخ العلامة الولى العارف عبد الله اليافعى وصنف فى ذلك كتابا سماه [الدرة المستحسنة ، فى تكرار العمرة فى السنة] وسئل شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين

(١) هو شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وتوفى بدمشق سنة ٧٢٨ هـ وله مؤلفات قيمة استفاد منها طلاب العلم ، رحمه الله . (من كتاب الاعلام للزركلى ص ٤٣)

البلقينى عن العمرة والطواف أيهما أفضل ؟ وما الذى يفتى به فى ذلك ؟ فقال : والمفتى به فى ذلك أن تكرار العمرة أفضل ولا سيما فى رمضان انتهى، وكذلك قال تلميذه العلامة زين الدين الفارسكورى وصنف فى ذلك كتابا سماه [الانصاف فى تفضيل العمرة على الطواف] وسمعت بعض مشايخنا يحكى عن بعض العلماء أن المعتمر يمتاز عن الطائف بأمرين أحدهما الدخول فى دعوة النبى صلى الله عليه وسلم بالرحمة للمحلقين والمقصرين والآخر دعوته عليه الصلاة والسلام للحاج والمعتمر بزيادة التشريف والتكريم والتعظيم والبر ، هذا معنى ما سمعته من مشايخنا وهو كلام متجه لأنه كلما اعتمر فاز بذلك ومعظم الفوز بذلك بتكراره والله أعلم . ولعل محل الخلاف ما إذا اشتغل إنسان بالعمرة حتى فرغ منها ، وآخر بالطواف مدة اشتغال المعتمر بالعمرة وليس فى محل الخلاف الاشتغال عن الطواف بالعمرة فى جميع الزمن أو أكثره بأن يكرر الخروج للتنعيم للعمرة فى اليوم الواحد أو الليلة فلا يبقى فيه بعد ترويح بدنه للطواف إلا نشاط قليل ولا سيما إن كرّر ذلك فى الأيام والليالى كما يصنع كثير من الناس فى شهر رمضان حتى إن بعضهم يخرج إلى التنعيم للعمرة فى اليوم الواحد ثلاث مرات ، ويحكى عن بعضهم أكثر من ذلك وكل هذا لايعرف مثله عن السلف المقتدى بهم ، هذا سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وأصحابه أقاموا بمكة بعد أن فتح الله عليهم بضع عشرة ليلة أولها العشر الأخير من رمضان فما نقل اخبارى عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه أنه خرج فى هذه المدة إلى التنعيم للاعتمار ولو وقع ذلك لنقل كما نقل غيره من أفعالهم ولم ينقل عمن كان بمكة بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة والتابعين تكرار الخروج فى اليوم الواحد الى التنعيم ولا الخروج إليه للعمرة فى كل يوم إلا ما يروى عن على وابن عمر أنهما كانا يعتمران فى كل يوم وهذا عنهما فى بعض كتب الفقه فيما ذكره القاضى عز الدين ابن جماعة فى منسكه الكبير ، قال وليس لذلك أصل فى كتب الحديث انتهى . والذى صح عن بعض الصحابة والتابعين الخروج إلى التنعيم للعمرة من غير تكرار فالاقتصار على فعل مثل ما نقل عنهم أولى لأنهم أعز فى الناس بأفضل العبادات وأشدهم حرصا على فعل أفضلها والله أعلم بالصواب .

ماجاء فى فضل الطائفين

أخبرنى ابن الذهبى بقراءتى عليه قال أخبرنا الأمين بن النحاس حضورا وإجازة قال أخبرنا الساوى قال أخبرنا السلفى قال أخبرنا العلاف قال أخبرنا ابن بشران قال أخبرنا الآجرى قال حدثنا أبو جعفر احمد بن يحيى الحلوانى قال حدثنا يحيى بن أيوب العابد قال حدثنا محمد بن صبيح بن السماك عن عابد بن بشير عن عطاء قال : قالت عائشة : قال رسول الله صلى عليه وسلم : إن الله تعالى يباهى بالطائفين . وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أكرم سكان السماء على الله الذين يطوفون حول بيته وأكرم سكان الأرض الذين يطوفون حول بيته. ذكر هذا الحديث هكذا سليمان بن خليل فى منسكه ورويناه فى رسالة الحسن البصرى عن النبى صلى الله عليه

وسلم، وروينا فيها من قول الحسن: وإن الله عز وجل ليباهى بالطائفين ملائكته، ولو أن الملائكة صافحت أحداً لصافحت الطائفين حول بيت الله، انتهى باختصار. قلت إذا كان الطائف بهذه المزية فينبغى له إخلاص النية وحفظ اللسان عما يؤدى إلى النقصان، وما أحسن قول الشيخ محب الدين الطبرى: واعلم أن التحدث فى الطواف على غير النحو المتقدم فى الفصل قبله خطأ كبير وغفلة عظيمة ومن لابس ذلك فقد لابس ما يمقت عليه خصوصا أنه صدر ممن يطلب العلم[1] والدين، فإنه إذا أنكر على من دونه واحتج به فصار فتنة لكل مفتون ومن أمر محادثة المخلوق فى أمر الدنيا والإقبال عليه والإصغاء لحديثه على ذكر خالقه والإقبال عليه وعلى ما هو متلبس به من عبادته فهو عين الرأى لأن طوافه بجسده وقلبه لاهٍ ساهٍ وقد غلب عليه الخوض فيما لا يعنيه حتى استرسل فى عبادته كذلك فهو إلى الخسران أقرب منه إلى الربح ومثل هذا خليق بأن يشكوه البيت إلى الله عز وجل وإلى جبريل ولعل الملائكة تتأذى به وكثير من الطائفين متبرئون منه فعلى الطائف أن يبذل جهده فى مجانبة ذلك انتهى. وقال سليمان بن خليل: وليحذر أن يكون ممن وصفه بعض العلماء العاملين فقال:

يا من يطوف ببيت الله بالجسد ... والجسم فى بلد والروح فى بلد!
ماذا فعلت وماذا أنت فاعله ... مهرج فى اللقا للواحد الصمد
إن الطواف بلا قلب ولا بصر ... على الحقيقة لا يشفى من الكمد

ذكر بدء الطواف بهذا البيت العظيم وما ورد من طواف الملائكة

روينا فى تاريخ الأزرقى أن بعض أهل الشام سأل بمكة زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن بدء الطواف بهذا البيت فقال له على بن الحسين أما بدء الطواف بهذا البيت فإن الله تعالى قال للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالت الملائكة: يارب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون؟ أى رب اجعل ذلك الخليفة منا، فنحن لا نفسد فيها، ولا نسفك الدماء، ولا نتحاسد، ولا نتباغض ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، ونطيعك ولا نعصيك. قال الله تعالى: «إنى أعلم ما لا تعلمون» قال فظنّت الملائكة إنما قالوا ردا على ربهم عز وجل وأنه قد غضب من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقا لغضبه، وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله إليهم فنزلت الرحمة عليهم فوضع الله تعالى تحت العرش بيتا على أربعة أساطين من زبرجد وغشاهن بياقوته حمراء وسمى البيت الصراح

---

(١) فى النسخة «ك» ينسب إلى العلم.

ثم قال الله عز وجل للملائكة : طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش . قال فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش وصار أهون عليهم وهو البيت المعمور الذى ذكره الله عز وجل يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا ثم إن الله عز وجل بعث ملائكة فقال : ابنوا إلى بيتا فى الأرض بمثاله وقدره ، وأمر الله من فى الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور . فقال : الرجل بأبى أنت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى . وروينا نحوه بالمعنى مختصرا فى كتاب النسب للزبير بن بكار قاضى مكة وروينا فى تاريخ الأزرقى وغيره أخبارا أخر تدل على طواف الملائكة بالبيت . فهذا ما رواه الأزرقى بسنده إلى وهب بن منبه قال : وقرأت فى كتاب من الكتب الأولى ذكر فيه الكعبة فوجد فيه أنه ليس من ملك بعثه الله إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبيا حتى يستلم الحجر ثم يطوف سبعا ويركع فى جوفه ركعتين ثم يصعد . ومنها ما رواه بسنده إلى [1] محمد بن المنكدر قال كان أول شىء عمله آدم عليه السلام حين أهبط من السماء طاف بالبيت الحرام فلقيته الملائكة فقالوا يا آدم طفنا بهذا البيت قبلك بألفى سنة .

ذكر طواف بعض الجن والدواب والطير بالكعبة

روينا فى تاريخ الأزرقى أيضا خبرا فيه أن بعض الجن طاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ثم انقلب إلى أهله فقتله شاب من بنى سهم فثارت بمكة غيرة وفتنة بين الجن وبين بنى سهم . وروينا فى تاريخ الأزرقى أيضا خبرا فيه أن أثمار هو الحية الذكر طاف بالبيت سبعا وصلى ركعتين وراء المقام ثم كوم برأسه كومة بطحاء فوضع ذنبه عليها فسما إلى السماء ، وروينا فى تاريخ الأزرقى أن طيرا طاف على منكب بعض الحجاج أسابيع والناس ينظرون إليه وهو مستأنس منهم ثم طار وخرج من المسجد الحرام وذلك فى السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائتين .

ما جاء من أنه شرعية الطواف لإقامة ذكر الله

روينا فى مسند الدارمى بسند صحيح عن عائشة قالت : إنما جعل الطواف بالبيت ورمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله ، وروينا فيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ، وأخرجه المحب الطبرى فى القرى عنها مرفوعا وزاد بعد قوله ذكر الله تعالى وإن لم يقترن بها ذكر بالقول ثم قال وينبغى للذاكر فى الطواف والتالى

---

(١) فى الأصل: عن محمد. وكلاهما صحيح .

أن لا يزيد فى رفع صوته على إسماع نفسه لئلا يشوش على غيره واستدل على ذلك بما يقوم به الحجة ، ثم قال وفى معنى الطائف من كان فى المسجد قريبا من الطواف ينبغى له أن لا يرفع صوته بتلاوة ولا ذكر لئلا يشوش على الطائفين انتهى .

ذكر ثواب النظر إلى الكعبة

تقدم فى هذا المعنى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تنزل الرحمات وفيه عشرون للناظرين . وروينا فى تاريخ الأزرقى عن عطاء قال : سمعت ابن عباس يقول : النظر إلى الكعبة محض الإيمان . وروينا فيه عن ابراهيم النخعى : أن حماد بن أبى سلمة قال : النظر إلى الكعبة عبادة فيما سواها من الأرض عبادة الصائم القائم الدائم القانت . وروينا فيه عن مجاهد قال النظر إلى الكعبة عبادة . وروينا فيه عن سعيد بن المسيب قال من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه . وروينا فيه عن أبى السائب المدنى قال من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر، وروينا فيه عن زهير بن محمد قال : الجالس فى المسجد ينظر إلى بيت [1] لا يطوف به ولا يصلى أفضل من المصلى فى بيته لا ينظر إلى البيت وروينا فيه عن عطاء قال : النظر إلى البيت عبادة والنظر إلى البيت كمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد فى سبيل الله عز وجل .

ذكر ثواب الحج والعمرة

روينا فى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وغيرهم أخبارا كثيرة مشهورة ثابتة ، منها ما رواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من حج لله عز وجل فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه واللفظ للبخارى ، وفى رواية لمسلم «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » ورواه النسائى فقال : من حج أو اعتمر الحديث ، والرفث الجماع قاله ابن عمرو ابن عباس وقيل : إسم لكل لهو وخنا وزور وفجور بغير حق . والفسوق المعاصى قاله ابن عباس وابن عمر ومنها ما رويناه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » متفق عليه، ومعنى ليس له جزاء إلا الجنة

---

(١) هكذا وردت، والصحيح البيت بالألف واللام، وهو الكعبة .

أنه لا يقتصر فيه على تكفير الذنوب بل لابد أن يبلغ به الجنة . ومنها ما رويناه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «الحجة المبرورة تكفر خطايا سنة» . أخرجه ابن حبان فى صحيحه ومنها ما رويناه عن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم : «إن الحج يهدم ما قبله» . رواه مسلم ومنها ما رويناه عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» . رواه الترمذى وصححه النسائى وابن ماجه فى سننهما وفى رواية لابن أبى خيثمة والطبرانى: «تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة ما بينهما يزيد فى العمر والرزق» ومنها ما رويناه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « وفد الله تعالى ثلاثة الغازى والحاج والمعتمر » أخرجه النسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه وصححه على شرط مسلم وزاد ابن حبان فى بعض طرقه دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم وفى رواية لابن ماجه «والعُمَّار وفد الله إن دعوه أجابهم و إن استغفروه غفر لهم» ومنها ما رويناه فى سنن البيهقى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم: «اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج» صححه الحاكم ومنها ما رويناه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم «عمرة فى رمضان تعدل حجة معى» كذا رويناه عن الطبرانى وقال الحاكم : إن هذه الرواية صحيحة على شرط البخارى ومسلم والحديث فى الصحيحين بغير لفظة معى إلا أن فى طريق لمسلم «عمرة فى رمضان تقتضى حجة أو حجة معى» والأخبار الواردة فى فضل العمرة والحج كثيرة جدا فلا نطول عليها وفيما ذكرناه كفاية إذ القصد الاختصار .

الباب الثالث عشر

فى الآيات المتعلقة بالكعبة

للكعبة العظيمة آيات بينات منها بقاء بنائها الموجود الآن وهو لا يقتضى أن يبقى هذه المدة على ما بلغنى عن بعض مهندسى عصرنا قال و إنما بقاؤها آيات من آيات الله تعالى انتهى ولعمرى أنه لصادق فإن من المعلوم ضرورة أن الريح والمطر إذا تواليا أياما على بناء تخرب ومن المعلوم ضرورة أن الكعبة المعظمة مازالت الأرياح العاصفة والامطار الكثيرة المهولة تتوالى عليها منذ بنيت و إلى تاريخه وذلك سبعمائة سنة وخمسون سنة ولم يحدث فيها بحمد الله تغير أدى إلى خللها وغاية ما يحدث فيها انكسار فلقة من الركن اليمانى وتحرك الكعبة مرارا لأن الشيخ شهاب الدين أبا شامة المقدسى قال فى ذيل الروضتين له فى أخبار سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وفيها وقع من الركن اليمانى قطعة وتحرك البيت مرارا وهذا شىء لم يعهد انتهى وقال ابن الأثير فى اخبار سنة خمس عشر وخمسمائة فيها تضعضع الركن اليمانى من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلةٍ وانهدم بعضه انتهى وذكر مثل ذلك المؤيد صاحب حماه فى أخبار سنة خمس عشرة وخمسمائة وذكر صاحب مرآة الزمان فى سنة سبع عشرة وأربعمائة تشعب البيت الحرام انتهى وقال أبو عبيد البكرى فى كتابه المسالك والممالك وحدث جماعة أن فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة انكسرت من الركن اليمانى فلقة قدر أصبع وغفل الناس عن سدها فصارت عند قوم من أهل مكة من الحسنيين فوقع وباء عظيم بمكة عام وموت وكان لا يلبث المريض فوق ثلاثة أيام وهلك فى أهل الدار الذى اتهم أن الفلقة فيها ثمانية عشر انسانا فراى بعض الصالحين المجاورين من أهل خراسان فى نومه أن يفقد ما ذهب من الكعبة و يرد فيرفع الله عنهم الوباء فردت إلى موضعها فارتفع الوباء انتهى هذا ما علمته من التوهن الذى أصاب الكعبة ولا تزال إن شاء الله باقية إلى أن ينفذ فيها أمر الله من تخريب الحبش لها فى آخر الزمان كما سبق بيانه فى الباب الثامن ومن الآيات المتعلقة بالكعبة المعظمة على ماقال الحافظ أنه لا يرى البيت الحرام أحد ممن لم يكن يراه إلا ضحك أو بكى ومنها أن الفرقة من الطير من الحمام وغيره ليقبل حتى إذا كادت تبلغ الكعبة انفرقت فرقتين فلم يَعْلُ ظهرها شىء منها ذكر ذلك الحافظ وقال قالوا وذكر ذلك أبو عبيد البكرى جزما لأنه قال : ومن عجائب مكة أن الحمام وجميع الطير تمر فى طيرانها فإذا قارب أن تحاذى الكعبة أخذت يمينا وشمالا ومنها على ما قال الحافظ أنه لا يسقط على ظهر الكعبة من الحمام الذى قد أمن إلا وهو عليل او مريض انتهى وذكر ابن الحاج

معنى هذا لأنه قال لما ذكر الآيات المتعلقة بالبيت ومنها أن الطائر لا يعلو البيت صحيحا ويعلوه مريضا للشفاء وذكر ذلك أبو عبيد البكرى لأنه قال ومن عجائب مكة أن الحمام وجميع الطير لا يعلوها البتة ولا ينزل على جدرها إلا أن يكون مريضاً فيفعل ذلك مستشفيا والطير ينزل على سائر جدر المسجد وفيه زمزم وغيرها وذكر بعضهم أن الطير إذا نزل على الكعبة اما يشفى او يموت لحينه وذكر هذه الآية المحب الطبرى قال ولولا ذلك لكانت ستارته يعنى البيت الحرام مملوءة من قذر هذه كنحوها مما يتعذر الجلوس عليه ومنها على ما ذكر ابن الحاج عن بعض المفسرين ان الغيث إذا كان ناحية الركن اليمانى كان الخصب باليمن وإذا كان ناحية الشامى كان الخصب بالشام وإذ عم البيت كان الخصب بجميع البلدان وذكر ذلك أيضا المحب الطبرى بمعناه وذكر ذلك الجاحظ إلا أنه خالف فى بعض ذلك لأنه قال وإذا أصاب فى أول السنة المطر باب الكعبة من شق العراق كان الخصب تلك السنة بالعراق وإذا اصاب شق الشام كان الخصب فى تلك السنة فى الشام وإذا عم جوانب البيت عم الخصب الجميع ومنها أن مفتاح الكعبة إذا وضع فى فم الصغير الذى ثقل لسانه عن الكلام يتكلم سريعا ذكر ذلك الفاكهى من أخبار مكة لأنه قال ومن سنة المكيين وهم على ذلك إلى اليوم إذا ثقل لسان الصبى المولود وأبطأ كلامه عن وقته جاءوا به إلى حجبة الكعبة فسألوهم أن يدخلوا مفتاح الكعبة فى فمه فيأخذونه الحجبة [1] فيدخلونه خزانة الكعبة ثم يغطون وجهه ثم يدخل مفتاح الكعبة فى فمه فيتكلم وينطلق لسانه ويتكلم سريعا بإذن الله تعالى وذلك مجرب بمكة إلى يومنا هذا انتهى وأهل مكة يفعلون ذلك إلى الآن ومنها أنها تفتح بحضرة خلق كثير إلى الغاية ويدخلها الجميع متزاحمين ويصلون فيها أجمع وتسعهم بقدرة الله تعالى وما علمت أن أحداً مات من الزحام إلا خمسة وثلاثين نفراً ماتوا دفعة واحدة سنة احدى وثمانين وخمسمائة على ما ذكره أبو شامة فى الروضتين نقلا عن ابن القادسى عن الحجاج فى هذه السنة وذكر ذلك أيضا ابن البزورى من ذيل المنتظم وعزاه للحجاج ومنها على ما قيل إنها منذ خلقها الله تعالى لم تخل من طائف من الإنس والجن والملائكة ذكر ذلك المحب الطبرى وابن جماعة وسبقهما إلى مثل ذلك السهيلى وأفاد فى ذلك خبرا غريبا لأنه قال لما ذكر بناء ابن الزبير للكعبة وفى الخبر أنه سترها حتى وصل إلى القواعد فطاف الناس بتلك الأستار فلم تخلو قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا جمل يطوف بها انتهى ومنها ماقال ابن الحاج وذكر ابن أبى خيثمة قال حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا ثابت بن يزيد قال حدثنا هلال بن حبان عن عمرو بن ميمون قال رأيت دخان البيت لا يشد يمينا ولا شمالا ولا قدام ولا خلف يصعد فى السماء انتهى ولعل المراد بالدخان دخان مايجمر به الكعبة [2] ومنها وقع هيبتها فى القلوب ومنها حفظها من الجبابرة وتذللهم لها والانتقام

(١) هكذا وردت وهى لغة ردئية وتعرف بلغة أكلونى البراغيث ، والصحيح فيأخذه الحجبة ،

(٢) زاد فى الأصل بعد « الكعبة » كلمة والله أعلم ولا بأس بزيادتها .

ممن أرادها بسوء كما جرى لتبع والهذليين وأصحاب الفيل وغيرهم ممن أساء الأدب فيها ونشير هنا لشيء من ذلك على سبيل الاختصار .

ذكر خبر تبع والهذليين

لما أقبل تبع وهو معان أسعد الحميرى ملك اليمن من الشرق وجعل المدينة على طريقه لقضاء وطر له بها ثم توجه منها إلى مكة لأنها طريقه لبلده فلما كان بين امج [١] وعسفان لقيه نفر من هذيل من بنى لحيان فحسنوا له تخريب الكعبة وأن يبنى عنده بيتا يصرف إليه الحج فعزم على ذلك فدقت بهم دوابهم وغشيتهم ظلمة شديدة وريح فدعى أحبارا كانوا معه من أهل الكتاب فسألهم فقالوا هل هممت لهذا البيت بسوء ؟ فأخبرهم بما قال له الهذليون وما أراد أن يفعل فقالوا له ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك من معك هذا بيت الله لم يرده أحد بسوء إلا إلا هلك قال فما الحيلة ؟ قالوا تنوى له خيرا أن تعظمه وتكسوه وتنحر عنده وتحسن إلى أهله ففعل فانجلت عنهم الظلمة وسكنت عنهم الريح وانطلقت بهم دوابهم أياما ينحر كل يوم مائة بدنة وكسا البيت هذا ملخص بالمعنى مختصر من كتاب الأزرقى وذكر الفاكهى أخبارا من خبر تبع منها أنه قال : حدثنى حسن بن حسين الأزدى قال : حدثنا ابراهيم بن عبد الله عن هشام بن الكلبى قال : أخبرنى جرير بن يزيد البجلى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما أقبل تبع يريد هدم البيت وصرف وجوه العرب إلى اليمن فبات صحيحاً فأقبل وقد سالت عيناه على خديه فبعث إلى الأحبار والسحرة والكهان والمنجمين فقال : مالى فو الله لقد بت ليلتى وما أجد شيئاً ثم صرت إلى ما ترون فقالوا : لعلك حدثت نفسك لهذا البيت بسوء ؟ فقال : نعم قالوا : فحدث نفسك أن تصنع به و بأهله خيرا ففعل وقد رجعت عيناه فارتد بصيرا وكسى البيت الخصف انتهى . وقال السهيلى وروى نقله : الأخبار : أن تبعا لما عمد إلى البيت يريد تخريبه رمى بداء تمخَّض منه رأسه قيحا وصديداً يثج ثَجًّا ، وأنتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه قيد رمح وقيل بل أرسلنا عليه ريحا كنعت منه يديه ورجليه وجلده وأصابتهم ظلمة شديدة حتى دفت خيلهم فسمى ذلك المكان الدف [٢] فدعا بالحزاة والأطباء فسألهم عن ذلك [٣] فهالهم ما رأوا منه ولم يجد له

---

(١) لعلها الجحفة . والجحفة موضع مشهور بين مكة والمدينة وهى إلى مكة أقرب . أما عسفان فهو منهل بين الجحفة ومكة وهو أقرب إلى مكة من الجحفة . وهما موضعان مشهوران يعرفها أهل الحجاز والحجاج . إذ هما على طريق الذاهب إلى المدينة من مكة والآتى من المدينة إلى مكة .

(٢) الدف : موضع مشهور إلى الآن بهذا الاسم وهو فى طريق الذاهب من مكة إلى المدينة المنورة قريباً من عسفان

(٣) هكذا وردت بالأصل، وقد جاء فى الروض الأنف للسهيلى فسألهم عن دائه جـ١، ص ٢٧ .

عندهم فرجا ،فعند ذلك قال له الحبران : لعلك هممت بشيء فى أمر هذا البيت فقال : نعم ، أردت هدمه فقالا له : تب إلى الله مما نويت فإنه بيت الله وحرمه وأمر له بتعظيم حرمته ، ففعل ذلك فبرأ من دائه ، وصح من وجعه ، قال السهيلى : وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحا فإن الله سبحانه عز وجل يقول (ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بِظُلم نُذقه مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) أى ومن هم فيه بظلم ثم قال : وقال العتبى كانت قصة تبع قبل الاسلام بسبعمائة عام انتهى . وهذا الذى ذكره العتبى لعله أن يكون موافقا لما ذكره ابن اسحاق فى السيرة لأنه قال : فكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم انتهى . ووجه موافقته ذلك لما ذكره العتبى أن من ولاية جرهم إلى الإسلام المقدار الذى ذكر العتبى أو نحوه فإن خزاعة ولُوا البيت بعد جرهم خمسمائة سنة وقيل دون ذلك على مافى خبرهم وولاية قريش لأمر مكة قبل الإسلام ما يقصر عن مائة سنة وربما كانت أزيد من ذلك وإن كان ذلك فهو المقدار الذى ذكره العتبى أو نحوه ويعكر على ما فى السيرة لابن اسحاق من أن قصة تبع مع الهذليين كانت فى زمن جرهم على مانقله الأزرقى عن اسحاق لأنه قال فى خبر تبع : حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرنا ابن اسحاق قال : سار تبع الأول إلى الكعبة وأراد هدمها وتخريبها ، وخزاعة يومئذ تلى البيت وأمر مكة : فقامت خزاعة دونه فقاتلت عنه أشد القتال حتى رجع ثم تبع آخر فكذلك . ثم قال : فأما تبع الثالث الذى أراد هدم البيت فإنما كان فى أول زمان قريش ، قال : وكان سبب خروجه وسيره أن قوما من هذيل من بنى لحيان جاءوه فقالوا : إن بمكة بيتا تعظمه العرب جميعا فذكر القصة ونقل عن ابن جريج وابن إسحاق الثالث ما يوافق ذلك لأنه قال فى باب ولاية قصى بن كلاب البيت الحرام وأمر مكة بعد خزاعة بعد أن روى بسنده السابق عن ابن جريج وابن إسحاق وأما تبع الثالث الذى نحر له ، وكساه ، وجعل له غلقا ، وأقام عنده أياما ينحر كل يوم بدنة ، إلى أن قال : إنما كان فى عهد قريش انتهى . فبان بهذا الاختلاف كلام ابن إسحاق فى زمن قدوم تبع إلى مكة ، هل هو فى زمن جرهم أو فى أول زمن قريش ؟ وذكر السهيلى فوائد تتعلق بهذا الخبر يحسن ذكرها ههنا منها أن اسم أحد الحبرين المشار إليهما فى خبر تبع سحيت والآخر منبه، وعزا ذلك لقاسم ابن ثابت قال فى رواية يونس عن إسحاق قال واسم الحبر الذى كلم الملك بليامن ومنها أنه قال ومعنى تبع فى لغة اليمن الملك المتبوع وقال المسعودى : لايقال للملك تبع حتى يملك اليمن، والشحر ، وحضرموت . وأول التبابعة الحارث الراسى انتهى .

ذكر خبر أصحاب الفيل

ذكر هذا الخبر جماعة من العلماء مطولا ومختصرا كما ذكرته فى أصل هذا الكتاب واقتصرت هنا من ذلك على ما ذكرته من الإمام أبى القاسم الزمخشرى لحسن اختصاره مع مافيه من الفوائد ونص كلامه روى أن أبرهة ابن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك ،وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهد من الكعبة فخرج الحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان فيلاً عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه ألف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس [١] خرج إليه عبدالمطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبّى جيشه فقدم الفيل فكانوا إذا قدموه [٢] إلى الحرم برك [٣] ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله إليه طيرا سوداء وقيل خضراء وقيل بيضاء مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسه وأصغر من الحمصة ثم قال فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق وسهل وأما أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وأنفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع الحجر عليه فخر ميتا بين يديه وذكر أن أهل مكة احتووا على أموال الحبشة وأن عبد المطلب جمع من جواهرهم وذهبهم ما كان سبب يساره انتهى باختصار. وقال السهيلى : وكانت قصة الفيل فى أول المحرم سنة ثنتين وثمانين وثمانمائة سنة من تاريخ ذى القرنين وقال أبو عمر ابن عبد البر : وأما الخوارزمى محمد بن موسى فقال : كان قدوم الفيل مكة وأصحابه لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم قال وقد قال ذلك غير الخوارزمى ، وزاد يوم الأحد قال : وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة . ونقل الحافظ الدمياطى عن أبى جعفر محمد بن على أن قدوم الفيل كان فى النصف من المحرم انتهى . فيتحصل من هذا أنه فى تاريخ قدوم الفيل من شهر المحرم ثلاثة أقوال هل هو أوله أو نصفه أو لثلاث عشرة ليلة بقيت

---

(١) المغمس بفتح الميم الاولى وبضمها: واد قريب من مكة من ناحية الشرق .

(٢) فى النسخة (ك) وجهوه، وكلاهما صحيح

(٣) فى كلمة (برك) نظر لأن الفيل لا يبرك . وقد ذكر السهيلى هذا الاعتراض وأجاب عليه قائلا : يحتمل أن يكون بروكه سقوطه إلى الأرض لما جاءه من أمر الله تعالى ، ويحتمل أن يكون فعل فعل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك ، وقد سمعت من يقول : إن فى الفيلة صنفا يبرك كما يبرك الجمل فإن صح وإلا فتأويله ما قدمناه (الروض الأنف، ج ١، ص ٤٥)

منه والله أعلم بالصواب . وجاء فى هلاك من أراد الكعبة بسوء أخبار أخر منها ما رويناه عن أم المؤمنين أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليخسفن بقوم يؤمون البيت ببيداء من الأرض . ومن الأخبار الواردة فى الانتقام ممن أساء الأدب فى الكعبة أو حولها ما رويناه فى السيرة لابن إسحاق وغير ذلك عن عائشة أنها قالت : مازلنا نسمع أن إسافا ونايلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم . ومن ذلك ما رويناه فى معجم الطبرانى عن حويطب بن عبد العزى قال : كنا جلوسا بفناء الكعبة فى الجاهلية فأتت امرأة تعوذ به من زوجها فمد يده إليها فيبست فلقد رأيته فى الإسلام وأنه لأشل انتهى . ومن ذلك ما رويناه فى تاريخ الأزرقى فى ذكر خبره عن ابن جريج فيه شىء من خبر الحمس وغيرهم قال وجاءت امرأة أيضا تطوف عريانة وكان لها جمال فرآها رجل فأعجبته فدخل الطواف فطاف إلى جنبها لأن يمسها فأدنى عضده من عضدها فخرجا من المسجد من ناحية بنى سهم هار بين على وجوههما ، فزعين لما أصابهما من العقوبة فلقيهما شيخ من قريش خارجا من المسجد فسألهما عن شأنهما فأخبراه بقصتهما فأفتاهما أن يعودا إلى المكان الذى أصابهما فيه ما أصابهما فيه فيدعوان الله تعالى ويحلفان أن لا يعودا فرجعا إلى مكانهما فدعوا الله سبحانه وتعالى وأخلصا النية فى أن لا يعودا فافترقت أعضادها فذهب كل واحد منهما فى ناحية انتهى ، وذكر المحب الطبرى هذا الخبر مختصرا وعزاه لابن الجوزى وعزاه ابن الجوزى لغير ابن جريج فنذكر ذلك كما هو مذكور فى القرى ولفظه فيه : وعن مسعر عن علقمة بن مرثد قال : بينما رجل يطوف بالبيت إذ برق له ساعد امرأة فوضع ساعده على ساعدها متلذذا به ، فلصقت ساعداهما . فأتى بعض الشيوخ فقال : ارجع إلى المكان الذى فعلت فيه فعاهد رب البيت ألا تعود ففعل فخلى عنه . انتهى ، وذكر السهيلى هذا الخبر مختصرا وفيه ما يفهم منه غير ما سبق فاقتضى ذلك ما قاله لأنه قال بعد أن ذكر شيئا من خبر الحمس والحلة وطواف الحلة بالبيت عراة ومما ذكر عن نفر منهم فى الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك فانضم الرجل إلى المرأة تلذذا واستمتاعا فلصق عضده فى عضدها حتى قال لهما قائل : توبا مما كان فى ضمير كما ، وأخلصا لله التوبة . ففعلا فانحلا أحدهما عن الآخر انتهى .

◆◆◆◆◆◆◆

الباب الرابع عشر

فى ذكر شىء عن أخبار الحجر الأسود

روينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن عباس أن الله تعالى أنزل الركن يعنى الحجر الأسود والمقام مع آدم ليلة نزل ليستأنس بهما وأنه كان يأنس بالحجر وروينا فيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم : أكثروا استلام هذا الحجر فإنه يوشك أن يفقد . وفيه ما يقتضى أنه يرفع إلى الجنة وروينا فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أول ما يرفع الركن والمقام . وروينا فيه عن ابن اسحق وغيره أن الله عز وجل استودع الركن أبا قبيس حين غرّق الأرض زمن نوح عليه السلام . وقال : إذا رأيت خليلى يبنى بيته فأخرجه له فلما بنى الخليل البيت جاءه جبريل عليه السلام بالحجر الأسود فوضعه الخليل موضعه من البيت . انتهى ، وقيل : إن إلياس بن مضر أول من وضع الحجر للناس بعد الغرق ذكره الزبير بن بكار وهذا يخالف ما سبق والله أعلم ، قال ابن إسحق بعد أن ذكر إخراج بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان بن خزاعة لجرهم من مكة : فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى بغزالى الكعبة وبحجر الركن فدفنهما فى زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن، وذكر الزبير بن بكار معنى ذلك كما سيأتى وقال القطب : وقال أبو عبد الله محمد بن عابد الدمشقى فى مغازيه : عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها حدثت أن جرهما كانت أهل البيت وهم العرب الذين كانوا يتكلمون بالعربية ونكح إليهم إسمعيل عليه السلام فأحلوا حرم البيت واقتتلوا حتى كانوا يتفاوتون فسلط الله عليهم العرب فخرجوا من مكة إلى اليمن وكان حول البيت غيضة والسيل يدخله ولم يرفع البيت حينئذ فإذا قدم الحاج وظنوه حتى يذهب الغيضة فإذا كان خرجوا بثبت [1] فقدم قصى فقطع الغيضة وابتنى حول البيت دارا ، ونكح حبى بنت خليل ، فولدت له عبد الدار بن قصى أول ما ولدت فسماه عبد الدار بداره تلك وجعل الحجابة له لأنه أكبرهم وعبد مناف بمناف وجعل السقاية له والرفادة ودار الندوة لعبد العزى واللواء لعبد قصى ويقال عبد بن قصى . فقال قصى لامرأته قولى لجدتك تدل بنيك على الحجر فلم يزل بها حتى قالت : إنى أغفل : أنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه ، ونزلوا منزلا وهو معهم . فبرك الجمل الذى عليه فضربوه فقام ، ثم سار فبرك فضربوه فقام ، فبرك الثالثة فقالوا : ما برك إلا من أجل الحجر فدفنوه .

---

(١) الجملة مرتبكه وغير مفهومة .

وذلك فى أسفل مكة و إنى أعرف حيث برك ، فخرجوا بالحديد وخرجوا بها معهم . فأرتهم حيث برك أولاً وثانيا وثالثا ، فقالت احفروا ههنا فحفروا حتى يئسوا منه ثم ضربوا فأصابوه وأخرجوه فأتى به قصى فوضعه فى الأرض . وكانوا يتمسحون به وهو فى الأرض حتى بنى قصى البيت ومات قصى ودفن بالحجون انتهى ، وذكر هـذا الخبر الأمام الفاكهى و يبعد أن يكون صحيحا لأنه يقتضى أن جرهما دفنوا الحجر فى غير زمزم والمعروف فى دفنهم له أنه فى زمزم كما سبق قريبا عن ابن إسحق وغيره والمعروف أن القصة التى فى هذا الخبر فى دفن الحجر اتفقت لبنى أياد ابن نزار حين أخرجوا من مكة و إن الحجر لم يستمر مدفونا إلى عهد قصى لأن امراة من خزاعة أبصرته حين دفن وأخبرت بذلك قومها فأعلم قومهم بذلك مضر على أن تكون ولاية البيت لخزاعة وهـذا مذكور فى خبر ذكره الفاكهى عن الـكلبى والزبير بن بكار لأنه قال: فحدثنا الزبير بن بكار قال لما هلك وكيع الأيادى واتضعت أياد وهى إذ ذاك تلى أمر بيت الله الحرام قاتلوهم وأخرجوهم وأجلوهم ثلاثا غير جوز[1] عنهم لما كانت الليلة الثالثة حسدوا مضرا أن تلى الركن الأسود فحملوه على بعير فبرك فلم يقم فغيروه فلم يحملوه على شىء إلا درج وسقط فلما رأوا ذلك بحثوا له تحت شجرة فدفنوه ثم ارتحلوا من ليلتهم فلما كان بعـد يومين افتقدت مضر الركن فعظم فى أنفسها وقد كانت شرطت على أياد كل امرأة متزوجة فيهم فـكانت امرأة من خزاعة فيما يقولون يقال له[2] قدامة متزوجة فى أياد ثم قال فأبصرت أيادا حين دفنت الركن أجمع الزبير وابن الـكلبى فى حديثهما كل واحد منهم بنحو من حديث صاحبه فقالت لقومها حين رأت مشقة ذهاب الركن على مضر خذوا عليهم أن يولوكم حجابة البيت وأدلـكم على الركن فأخذوا بذلك عليهم ثم قال فدلتهم عليه فأبحثوه فأعادوه فى مكانه وولوه فلم يبرح فى أيدى خزاعة حتى قدم قصى بن كلاب فـكان من أمره الذى كان ، انتهى ، وهـذا الخبر أقرب إلى الصحة من الخبر الذى ذكره ابن عائذ لما تقدم من أن المعروف فى القصة التى ذكرها أنها اتفقت لأياد لا لجرهم والله أعلم .

ذكر ما أصاب الحجر الأسود فى زمن ابن الزبير وما صنع فيه

من القصة فى زمنه وزمن هرون الرشيد

روينا فى تاريخ الأزرقى خبرا طويلا فى خبر بناء الـكعبة لابن الزبير رواه الأزرقى عن جده عن سليمان بن سالم عن ابن جريج عن غير واحد من أهل العلم ممن حضر بناء ابن الزبير للـكعبة قال فيه: وكان الركن قد تصدع من الحريق بثلاث فرق فانشطت منه شظية كانت عند بعض آل بنى شيبة بعد ذلك بدهر طويل فشده ابن الزبير

---

(١) كذا بالأصل وهى عبارة غير مفهومة

(٢) كذا بالأصل، وهو خطأ والصواب يقال لها .

بالفضة إلى تلك الشظية من أعلاه بين موضعها من أعلا الركن ، انتهى ، وروينا فى تاريخ الأزرقى عن جده قال : كان ابن الزبير ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه من الحريق ثم كانت الفضة قد تزلزلت ونزعت وتعلقت حول الحجر حتى خافوا عليه أن ينقض فلما اعتمر هرون الرشيد وجاور فى سنة تسع وثمانين ومائة أمر بالحجارة التى بينها الحجر الأسود أن ينقب بالماس فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم افرغ فيها الفضة .

ذكر ما أصاب الحجر الأسود فى فتنة القرمطى وأخذهم له

ذكر أهل التاريخ أن عدو الله أباطاهر القرمطى وافى مكة فى سابع ذى الحجة وقيل فى ثامنه سنة تسع عشرة وثلاثمائة . . وفعل فيها هو وأصحابه أمورا منكرة منها أن بعضهم ضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم قلعه وقيل قلعه جعفر بن فلاح البناء بأمر أبى طاهر يوم الاثنين بعد الصلاة لأربع عشرة خلت من ذى الحجة وذهب به معه إلى بلاده هجر[1] وبقى موضعه من الكعبة المعظمة خاليا يضع الناس فيه أيديهم للتبرك إلى حين رد إلى موضعه من الكعبة المعظمة وذلك فى يوم الثلاثاء يوم النحر من سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة على ما ذكره المسبحى وذكر أن الذى وافى به مكة سنبر بن الحسن القرمطى وأن سنبرا لما صار بفناء الكعبة ومعه أمين مكة أظهر الحجر من سفط وعليه ضبار فضة قد عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقا حدثت عليه بعد انقلاعه وأحضر معه جصا يشد به فوضع سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالجص وقال سنبر لما رده أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله ونظر الناس إلى الحجر فتبينوه وقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وكان رد الحجر الأسود فى موضعه قبل حضور الناس لزيارة الكعبة يوم النحر وكان مدة كينونته عند القرمطى وأصحابه اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام هذا معنى كلام المسبحى وكان بحكم التركى مدبر الخلافة ببغداد بذل للقرامطة على رد الحجر الأسود خمسين ألف دينار فأبوا وقالوا : أخذناه بأمر ولا نرده إلا بأمر وقيل إن المطيع العباسى اشتراه بثلاثين ألف دينار من القرامطة ، وكلام القاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه صريح فى أن المطيع العباسى اشتراه بهذا القدر من أبى طاهر القرمطى وفيه نظر لأن أبا طاهر مات قبل خلافة المطيع فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة على ما ذكره ابن الأثير وغيره والله أعلم .

ذكر ما صنعه الحجبة فى الحجر الأسود بأثر رد القرامطة له

ذكر المسبحى أن فى سنة أربعين وثلاثمائة قلع الحجبة الحجر الأسود الذى نصبه سنبر وجعلوه فى الكعبة خوفا عليه وأحبوا أن يجعلوا له طوقا من فضة يشد به كما كان قديما حين عمله ابن الزبير فأخذ فى إصلاحه صانعان حاذقان

---

(١) هجر : الإحساء او كما نقول اليوم الحسا . وقد يشمل اسم هجر بلاد البحرين كلها وصوب ياقوت فى معجمه قول من قال ناحية البحرين كلها هجر .

فعملا له طوقا من فضة وأحكماه ، ونقل المسبحى عن محمد بن قانع الخزاعى أن مبلغ ما على الحجر الأسود من الطوق وغيره ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهما ونصف على ما قيل انتهى ، وهذه الحلية غير حلية الحجر لأن داود ابن عيسى بن فليسة الحسنى أمير مكة أخذ طوق الحجر الأسود قبيل عزله من مكة فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة على ما ذكر أبو شامة فى ذيل الروضتين وذكر ذلك غيره ولم أتحقق أن الحجر الأسود قلع من موضعه بعد ردّ القرامطة له إلى يومنا هذا غير أن بعض فقهاء المصريين أخبرنى أن الحجر الأسود قلع من موضعه فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة لتحليته فى هذه السنة من الحلية التى أبدلها الأمير سودون باشا ورأيت غير واحد من المكيين ينكر ما ذكر على هذا الفقيه المصرى وهو يثبت ذلك ويقول إنه شاهده مقلوعا وقد سمع ذلك منه قبلى غير واحد من فقهاء مكة وأخبرنى بعضهم بذلك عنه فسألت المخبر له فأخبرنى به وحقيقه وكان إخباره لنا بذلك فى موسم سنة أربع عشرة وثمانمائة لما ورد إلى مكة قاضيا للركب المصرى وهو الفقيه نور الدين المنوفى وله المام بالفقه ويستحضر فيه بعض المختصرات والله أعلم بصحة ذلك .

ذكر ما أصاب الحجر الأسود بعد فتنة القرامطة من بعض الملحدة مثارهم

ذكر أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الرحمن العلوى أنه فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة يوم النفر الأول قام رجل فقصد الحجر الأسود فضربه ثلاث ضربات . بدبوس وتبخش وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار . . وتشقق وخرج أسمر يضرب إلى صفرة محببا مثل الخشخاش فأقام الحجر على ذلك يومين ثم إن بنى شيبة جمعوا الفتات ومجنوه بالمسك واللك وحشوا الشقوق وطلوها بطلاء من ذلك . انتهى باختصار ، وذكر ابن الأثير هذه القصة (الحادثة) فى أخبار سنة أربع عشرة وأربعمائة والله أعلم بالصواب .

ذكر صفته وقدره وقدر ما بينه وبين الأرض

ذكر المسبحى أن أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعى دخل الكعبة فيمن دخلها للنظر إلى الحجر الأسود لما كان فى الكعبة بإثر رد القرامطة له وأنه تأمل الحجر الأسود فإذا السواد فى رأسه دون سائره وسائره أبيض قال وكان مقدار طوله مقدار عظم ذراع أو كان الذراع المقبوضة الأصابع والسواد فى وجهه غير ماض فى جميعه انتهى ، وما ذكره العلوى فى صفة الحجر يخالف هذا والله أعلم .

وذكر ابن عبد ربه فى العقد ما يوافق ما ذكره الخزاعى فى صفة الحجر الأسود وما يخالفه فى مقدار طوله لأنه

قال وذكر أيضا عن بعض المكيين حديثاً يرفعه إلى شيخه أنه نظر إلى الحجر الأسود بعد أن هدم ابن الزبير البيت وزاد فيه فقدروا طوله ثلاثة أذرع وهو ناصع البياض فيما ذكروا إلا وجهه الطاهر واسوداده فيما ذكروا والله أعلم لاستلام أهل الجاهلية له ولطخه بالدم انتهى ، بنصه وذكر الأزرقى أن ذرع ما بين الحجر الأسود إلى الأرض ذراعان وثلثا ذراع وذكر ابن جماعة فيما أخبرنى به عنه خالى أن ارتفاع الحجر من أرض المطاف ذراعان وربع وسدس ذراع بذراع القماش المستعمل بمصر فى زمنه .

ذكر شىء من الآيات المتعلقة بالحجر الأسود

للحجر الأسود آيات بينات منها حفظ الله تعالى له من الضياع منذ أهبط إلى الأرض مع ما وقع من الأمور المقتضية لذهابه كالطوفان ودفن بنى إياد وذكر ابن جماعة أن الحجر الأسود أزيل من موضعه غير مرة ثم رده الله إليه قال وقع ذلك من جرهم و إياد والعماليق والقرامطة ولم أر ما ذكره عن العماليق والله أعلم . ومنها أنه على ما قيل هلك تحته لما حمله القرامطة أربعون جملا فلما أعيد حمل على قعود هزيل فسمن ذكر هذا القول الذهبى وقيل هلك تحته لما حمل إلى هجر ثلاثمائة بعير وقيل خمسمائة بعير والله أعلم . ومنها أنه يطفو على الماء ومنها أنه لا يسخن من النار ذكر هذين القولين [1] ابن أبى الدم فى الفرق الإسلامية فيما حكاه عنه ابن شاكر الكتبى المؤرخ ونقل ذلك عن بعض المحدثين ورفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم وقد بسطنا ذلك فى أصل الكتاب .

(١) فى النسخة (ك) هاتين الآيتين

الباب الخامس عشر

فى الملتزم والمستجار والحطيم

وما جاء فى استجابة الدعاء فى هذه المواضع وغيرها من الأماكن بمكة المشرفة وحرمها

ذكر الملتزم

هو ما بين الحجر الأسود والباب على ما رويناه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تاريخه ، ويقال له : المدعا والمتعوذ على ما رويناه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تاريخ الأزرقى أيضا وروينا عنه حديثا مرفوعا فى استجابة الدعاء فيه ورويناه مسندا فى الأربعين المختارة لابن مسدى ولفظ الحديث على ما روينا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء وما دعا عبدٌ الله تعالى فيه إلا استجابها .

ذكر المستجار

هو ما بين الركن اليمانى إلى الباب المسدود فى دبر الكعبة هكذا سماه ابن جبير فى رحلته والمحب الطبرى فى القرى وسبقهما إلى تسميته بالمستجار الفقيه محمد بن سراقة فى كتابه دلائل القبلة لأنه قال و بين الركن اليمانى و بين الباب المسدود فى ظهر الكعبة أربعة أذرع ويسمى ذلك الموضع المستجار من الذنوب انتهى ، ويقال له المتعوذ ويقال له الملتزم على ما روى عن ابن الزبير ويقال ملتزم عجائز قريش على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما روينا ذلك عنهما فى تاريخ الأزرقى وروينا فيه عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما من قام عند ظهر البيت فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال المحب الطبرى ومثل هذا القول من معاوية رضى الله عنه لا يكون إلا عن تلق من لسان النبوة . انتهى ، وروينا فى مجاب الدعوة لابن أبى الدنيا عن الشعبى أن عبد الله ابن الزبير وأخاه مصعبا وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن عمر بن الخطاب دعوا فى هذا الموضع فلم يذهب الشعبى من الدنيا حتى رأى كلا منهم قد أعطى ما سأل و بشر عبد الله بن عمر بالجنة ورتب له وكان دعا بها وكان يقف للدعاء والمتعوذ فيه جماعة من كبار السلف منهم عمر بن عبد العزيز والقاسم بن محمد .

ذكر الحطيم

اختلف فى الحطيم وفى سبب تسميته بذلك فقيل إنه ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر اسماعيل وهو مقتضى ما حكاه الأزرقى عن ابن جريج وفى كتب الحنفية أن الحطيم الموضع الذى فيه الميزاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الحطيم الجدار قال المحب الطبرى يعنى جدار حجر الكعبة قال وقد قيل الحطيم هو الشاذروان سمى بذلك لأن البيت رفع وترك هو محطوماً فيكون فعيلا بمعنى مفعول قال : وقد قيل لأن العرب . كانت تطرح فيه ما طافت فيه من الثياب فيبقى حتى يتحطم من طول الزمان فيكون فعيلا بمعنى فاعل انتهى ، وقيل فى سبب تسميته أنه سمى بالحطيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان فقلّ من دعا هنالك على ظالم إلا هلك وقلّ من حلف هنالك آثما إلا عجلت له العقوبة ، روينا ذلك عنه فى تاريخ الأزرقى ومن فضائل الحطيم ما ذكره الفاكهى لأنه قال وحدثنى أحمد بن صالح قال حدثنا محمد بن عبد الله عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : أى البقاع خير ؟ قال قلت : الله ورسوله أعلم . قال قلت يا رسول الله كأنك تريد بين الركن والمقام ؟ قال صدقت ، إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله ما بين الركن والمقام ، وإن فيها بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة ، فمن صلى فيه أربع ركعات نودى من بطنان العرش أيها العبد غفر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل . انتهى ، ومن فضائل الحطيم أن فيه قبر تسعة وتسعين نبياً لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم حدثنى جدى قال حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم قال سمعت عبد الرحمن بن سابط يقول سمعت عبد الله بن حمزة السلولى يقول مابين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيا جاءوا حجاجا فقبضوا هنالك وحدثنى مهدى ابن أبى المهدسى قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم عن حماد بن مسلم عن عطاء بن السايب عن محمد بن سابط عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان النبى من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فيتعبد فيها النبىُّ ومن معه حتى يموت فمات بها نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وقبورهم بين زمزم ، والحجر ، وذكر الأزرقى خبرا يقتضى أن فى الحطيم قبر تسعين نبيا وسمى منهم فى هذا الخبر غير من لم يسم فى الخبر الذى رواه عن ابن سابط لأنه قال : وأخبرنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج فذكر أخبارا ثم قال قال عثمان وأخبرنى مقاتل قال فى المسجد الحرام بين زمزم والركن قبر تسعين نبيا منهم هود وصالح واسماعيل وقبر آدم وابراهيم و إسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام فى بيت المقدس ، انتهى ، وذكر الأزرقى خبرا يقتضى أن قبر اسماعيل فى الحجر وسنذكر هذا الخبر وغيره من الأخبار الموافقة له والمتخالفة له فى أخبار الحجر وذلك فى الباب السابع عشر من هذا الكتاب وذكر الأزرقى خبرا يوهم أن فى الحطيم قبور عذارى

بنات اسماعيل عليه السلام لأن الأزرقى قال فيما رويناه عنه حدثنى جدى قال حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى أنه سمع ابن الزبير على المنبر يقول إن هذا المحدود قبور عذارى بنات اسماعيل عليه السلام يعنى مما يلى الركن الشامى من المسجد الحرام قال وذلك الموضع تسوى بين المسجد فلا ينسب أن يعود محدودبا منذ كان . انتهى ، وإنما كان هذا الخبر موهما لما ذكرناه لأنه يحتمل أن تكون القبور المشار إليها مما يلى الركن الشامى من جهة الحجر الأسود وأن تكون مما يلى الركن الشامى مما يلى الحجْر بسكون الجيم فعلى الاحتمال الأول تكون القبور المشار إليها فى الحطيم وعلى الثانى لا تكون فيه وذلك على اعتبار بناء الكعبة على أساس ابراهيم من جهة الحجر وأما على اعتبار بنائها اليوم فقد تكون القبور المشار إليها فى الحطيم على كلا الاحتمالين ،والله أعلم .

وقد ذكر هذا الخبر الفاكهى فى أخبار مكة نحوه وذكر الخبر الذى رواه الأزرقى عن عبد الله بن ضمرة وفى خبر الفاكهى أن ابن ضمرة يرويه عن كعب يعنى كعب الأحبار وابن سابط راوى الخبر ليس بصحابى وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن فيما بين دار الندوة وباب بنى سهم . يعنى باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة قبور قوم صالح الذين آمنو به ورحلوا معه إلى مكة وأقاموا بها حتى ماتوا . قال : وكذلك فعل هود ومن آمن معه وشعيب ومن آمن معه وعزا هذا الخبر لوهب بن منبه وهو فى تاريخ الأزرقى إلا أن فى الخبر الذى ذكره الأزرقى فتلك قبورهم فى غربى الكعبة بيت دار الندوة وبين دار بنى هاشم كذا رأيته فى نسختين من تاريخ الأزرقى ودار بنى هاشم وصوبه وباب بنى سهم كما فى خبر الفاكهى لأن به يستقيم الكلام والله أعلم . وهذه القبور وان لم تكن فى الحطيم فذكرها فى أخباره لمناسبة وهى تكون الموطنين فى المطاف فيجتمع بذكر ذلك فى هذه الترجمة شىء من فضل المطاف .

ذكر بقية المواضع بمكة وحرمها التى قيل إنه الدعاء فيها مستجاب

روينا عن الحسن البصرى فى رسالته المشهورة أنه قال : ويقال يستجاب الدعاء بمكة فى خمسة عشر موضعا أولها عند الملتزم الدعاء فيه يستجاب وتحت الميزاب يستجاب وعند الركن اليمانى يستجاب وعلى الصفا يستجاب وعلى المروة يستجاب وبين الصفا والمروة يستجاب وبين الركن والمقام يستجاب وفى جوف الكعبة يستجاب وبمنى يستجاب وبجمع يستجاب وبعرفات يستجاب وعند الجمرات الثلاث يستجاب هكذا وجدت فى نسختى من هذه الرسالة وهى تقتضى أن المواضع المشار إليهما أربعة عشر موضعا والظاهر أنه سقط منها موضع يحتمل أن يكون خلف المقام ويحتمل أن يكون فى الطواف لأنه روى عن الحسن البصرى عد هذين [1] المواضع التى يستجاب فيها الدعاء بمكة وليس فى الرواية التى ذكر فيها هذين الموضعين ذكر الركن اليمانى وفيها لفظتان مخالفتان للرواية التى

(١) هكذا بالأصل وهو خطأ، وصحته هذه المواضع .

ذكرناها فى لفظ أحدهما وعند زمزم وذلك والله أعلم عوض قوله بين الركن والمقام واللفظة الأخرى ، وفى المزدلفة عوض قوله و بجمع وهذه الرواية ذكرها المحب الطبرى فى القرى وقال فيه وروى عن الحسن البصرى أن الحجر الأسود يستجاب عنده الدعاء فتصير المواضع ستة عشر وقال وسيأتى فى فضل التعوذ عند ظهر الكعبة موضع سابع عشر انتهى ، قلت الموضع الذى أشار إليه المحب هو المستجار الذى تقدم ذكره وقال المحب والظاهر من عموم هذا اللفظ تعميم الإجابة فى هذه الأماكن سواء كان متلبساً بنسك او لم يكن وهو كذلك إن شاء الله تعالى وتخصيص بعض دون بعض خلاف الظاهر و إذا ثبتت الخصوصية لذات المكان عمت جميع الأحوال والله أعلم ـ قلت فيما ذكره الحسن البصرى من استجابة الدعاء عند جمرة العقبة نظر لأن الانسان لا يقف عندها للدعاء فى زمن الرمى فكيف يستجاب للانسان فيما نهى عن فعله ؟ إلا أن يكون مراده بقوله إن الدعاء يستجاب عندها أى قربها ويدعو الداعى وهو مار وفيه بعدٌ والله أعلم ـ وذكر شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى أحسن الله إليه فى كتابه الوصل والمنى فى فضل منى مواضع أخر بمكة وحرمها يستجاب فيها الدعاء لأنه نقل عن النقاش المفسر أنه قال فى منسكه و يستجاب الدعاء فى ثبير يعنى ثبير الذى يلحقه مغارة الفتح لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة ولهذا جاورت به عائشة أم المؤمنين أيام إقامتها بمكة قال وفى مسجد الكبش زاد غيره وفى مسجد الحنيف زاد آخر وفى مسجد النحر بطن منى زاد ابن الجوزى وفى مسجد البيعة وهو من منى وغار المرسلات ومغارة الفتح لأنها من ثبير يعنى الموضع الذى يقال له صخرة عائشة بمنى قال وقال النقاش يستجاب الدعاء إذا دخل من باب بنى شيبة وفى دار خديجة بنت خويلد ليلة الجمعة وفى مولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال وفى دار الخيزران عند المختبى بين العشائين وتحت السدرة بعرفة وقت الزوال وفى مسجد الشجرة يوم الأربعاء وفى المتكأ غداة الاحد وفى جبل ثور عند الظهر وفى حراء وثبير مطلقا قيل وفى مسجد النحر . انتهى ، قلت وقع فيما ذكره شيخنا القاضى مجد الدين أن مسجد البيعة من منى وهو غير مسلم لأنه من وراء العقبة التى هى حد منى بمقدار غلوة أو أكثر ولعل من قال إن مسجد البيعة من منى يوهم أنه المسجد الذى عند جمرة العقبة الذى يكون على يسار الذاهب إلى منى و بينه و بين منى المقدار الذى ذكرناه وفى جداره القبلى حجران مكتوب فيهما أنه مسجد البيعة والله أعلم . ولم يبين شيخنا القاضى مجد الدين موضع السدرة بعرفة ولا مسجد الشجرة ولا المتكأ وما عرفت ذلك تحقيقا وأظن ان المتكأ المشار إليه هو الموضع الذى ذكره الأزرقى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله ذكر المواضع التى يستحب فيها الصلاة بمكة وما فيها من آثار النبى صلى الله عليه وسلم وما صح من ذلك ومسجد باجياد وهو موضع فيه يقال له المتكأ سمعت جدى أحمد بن محمد و يوسف

بن محمد بن إبراهيم يسألان عن المتكأ وهل صح عندهما أن النبى صلى الله عليه وسلم اتكى [١] فيه فرأيتهما ينكران ذلك ويقولان لم يسمع به من ثبت ، قال لى جدى سمعت الزنجى مسلم بن خالد وسعيد بن سالم القداح وغيرهما من أهل العلم أن أمر المتكأ ليس بالقوى عندهم بل يضعفونه غير أنهم يثبتون أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى باجياد الصغير لا يثبت ذلك الموضع ولا يقف عليه قال : ولم أسمع أحدا من أهل مكة يثبت أمر المتكأ (انتهى)، وباجياد الصغير موضع يقال له الآن المتكا وهو دكة مرتفعة متسعة منورة ملاصقة لدار ينسب للشيخ يحيى بن على بن بخير الحجبى شيخ الحجبة كان ويعرف هذا البيت الآن سعد الدويدار فتى الشريف احمد بن عجلان صاحب مكة ، وأخبرنى بعض فقهاء مكة أنه رأى الشريف عجلان صاحب مكة ينكر على جماعة رآهم يلعبون فى الموضع المشار إليه وأمر باحترام هذا الموضع ، وعلل ذلك بأن هذا الموضع ينسب للنبى صلى الله عليه وسلم وأخبرنى بعض الحجبة عن بعض أقاربه أن النبى صلى الله عليه وسلم رؤى بهذا الموضع وهو على يسار الذاهب إلى رباط ربيع قريبا منه وفى كون المتكأ المنسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم نظر ، لأن الأزرقى ذكر مايقتضى أن المتكأ فى الشعب الذى فيه بئر عكرمة بإجياد الصغير وإذا كان كذلك فليس المتكأ هذه الدكة والله أعلم وذكر الفاكهى المتكى الذى بإجياد لما يوافق ما ذكره الأزرقى وذكر فيه شيئا لم يذكره الأزرقى لأنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله ذكر الموضع التى يستحب فيها الصلاة بمكة ومنها الموضع الذى بإجياد الصغير وهو الذى يقال له المتكى [٢] وبعض الناس يقول أول ما نزل القرآن فى ذلك الموضع نزل فيه « إقْرَأ باسمِ ربِّكَ الذى خَلَقَ » وهى أول سورة نزلت من القرآن . انتهى ، وهذا غريب جدا [٣] ولذلك أوردناه والله أعلم بصحته وبقرب باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة موضع يقال له المتكأ ملاصق لبيت المرشدى قرب المدرسة الأرسوفية الآتى ذكرها وفى طريق التنعيم المعتادة موضع يقال له المتكأ وهذان الموضعان كلاهما غير المراد ولعلهما سميا بذلك للراحة بالإتكاء عندها من تعب السير إلى العمرة والله أعلم

وأما مسجد الشجرة المشار إليها فهو بالحديبية والشجرة المنسوب إليها هذا المسجد هى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان كما فى القرآن العظيم وكانت هذه الشجرة سمرة معروفة عند الناس ثم عينت لقطعها لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بقطعها حين بلغه أن الناس يأتون إليها ويصلون عندها ويعظمونها ورأى أن هذا الفعل حدث وهذا يروى عن ابن جريج فى كتاب الفاكهى وذكر الفاكهى شيئاً من خبر هذا المسجد لأنه قال لما ذكر

---

(١) فى النسخة (ك) اتكأ .

(٢) فى النسخة (ك) المتكا .

(٣) أجل إنه غريب جدا لأن الذى ثبت فى الصحيحين أن هذه الآية نزلت بغار حراء حيث كان يتعبد النبى حينما بدأ نزول الوحى .

مسجد الحديبية وهـذا المسجد عن يمين طريق جدة وهو المسجد الذى يزعم النـاس أنه الموضع الذى كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو مسجد[1] الركوز وثم مسجد آخر تصلى الناس فيه بناه يقطين بن موسى فى الشق الأيسر انتهى ، وهذان المسجدان والحديبية لا يعرفون اليوم، والله أعلم بذلك، ورأيت فى جزء مترجم بالثانى من فضائل مـكة للجندى من رواية أبى القاسم عبد الله بن على بن عبد الله الطوسى المعروف بكركان عن أبى منصور طاهر بن العباس بن منصور المروزى عن المغيرة بن عمرو بن الوليد العدنى عن الجندى وفى آخره سمعت أبا منصور يحكى عن أبى سهيل النيسابورى أن المواضع التى يرجى فيها استجابة الدعاء فى المسجد الحرام خمسة عشر موضعا وعد منها أربعة عشر : باب بنى شيبة وباب ابراهيم وباب النبى صلى الله عليه وسلم وباب الصفا وزمزم والمقام والركن الأسود والملتزم ومجاور المنبر حيث يقف المحمدون وعند الركن العراقى وتحت الميزاب والركن الشامى وما بين الركن الشامى واليمانى وهو المستجار وعند الركن اليمانى ، وقال غيره إن المواضع التى يرجى فيها استجابة الدعاء فى المسجد الحرام ثلاثون موضعا ولم يعدها ولم يذكر مواضعها . وانتهى ، وباب النبى صلى الله عليـه وسلم المشار إليه هو الباب المعروف الآن بباب الجنايز سماه بذلك الأزرقى فى تاريخه لأنه لما ذكر صفته القديمة قال وهو باب النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج منه ويدخل فيه من منزله الذى فى زقاق العطارين يقال له مسجد خديجة بنت خويلد رحمة الله تعالى ورضوانه عليها .انتهى ، وباب ابراهيم هو باب الزيارة التى بالجانب الغربى من المسجد الحرام .

(١) فى النسخة (ك) آل .

الباب السادس عشر

فى ذكر شىء من أخبار المقام

« مقام الخليل عليه السلام »

هذا المقام ، هو الحجر الندى وقف عليه الخليل عليه السلام ، حين بنى الكعبة ، وهذا يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وغيرهما وقيل : وقف عليه حين أذن للناس بالحج ، وقيل : وقف عليه حين غسلت زوجة ابنه اسماعيل رأسه لما جاء يسأل عن ولده اسماعيل وهو فى خبر طويل ضعفه سعيد بن جبير ، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يكون الخليل وقف على ذلك لهذه الأمور كلها والله أعلم .

وقد ذكر صفته وقدره الأزرقى وابن جبير وابن جماعة وذكرنا ذلك فى أصل هذا الكتاب واختصرنا هنا على ماذكره ابن جماعة لأنه أبلغ فى التحرير :

أخبرنى خالى قاضى الحرمين محب الدين النويرى قال : أخبرنا القاضى عز الدين بن جماعة قال : وقد ذكر الأزرقى أن ذرع المقام ذراع وأن القدمين داخلان فيه سبعة أصابع . وحررت لما كنت مجاوراً بمكة المشرفة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة مقدرا ارتفاعه من الأرض ، فكان نصف ذراع وربع ذراع وثمن ذراع بالذراع المستعمل فى زماننا بمصر فى القماش ، وأعلام المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع ذراع وموضع غوص القدمين ملبس بفضة وعمقه من فوق الفضة سبعة قراريط ونصف قيراط من ذراع القماش انتهى .

ذكر حلية المقام

أول من حلى المقام فى خلافة المهدى[1] العباسى لأنه رفع فانثلم لرخاوة حجره ، فكتب الحجبة إلى المهدى يعرفونه بذلك وأنهم يخشون عليه أن يتفتت ، فبعث المهدى بألف دينار أو أكثر فضببوا بذلك المقام من أعلاه وأسفله ،

---

(١) هو محمد المهدى بن المنصور تولى الخلافة بعد وفاة أبيه أبى جعفر المنصور سنة ١٥٨ هـ وظل فى الخلافة حتى توفى سنة ١٦٩ هـ .

فلما كان فى خلافة المتوكل[١] زيد فى تحليته بالذهب وجعل ذلك فوق حليته الأولى وذلك فى مصدر الحاج سنة ست وثلاثين ومائتين . ثم إن جعفر بن الفضل العباسى عامل مكة ، ومحمد بن حاتم قلعا حليته فى خلافة المتوكل وضربا ها دنانير ليستعينا بذلك على ما قيل فى حرب اسماعيل بن يوسف العلوى الذى خرج من مكة وأفسد بها وبالحجاز فى سنة إحدى وخمسين ومائتين .

ولم تزل حلية المهدى على المقام إلى أن قلعت عنه فى سنة ست وخمسين ومائتين فى المحرم لأجل إصلاحه، لأن الحجبة ذكروا لعامل مكة على بن الحسن العباسى أن المقام وهى وتسللت أحجاره ويخشى عليه ، وسألوه فى تجديد عمله وصبه حتى يشتد ، فأجابهم لسؤالهم وزادهم ذهبا وفضة على حليته الأولى ، فعمل له طوقان من ذهب فيهما الف مثقال الاثمانية مثاقيل وطوق من فضة . وأحضر المقام الى دار الإمارة وأذيبت له العقاقير بالزئبق ، وشد بها شدًّا جيداً حتى التصق ، وكان قبل ذلك سبع قطع قد زال عنها الإلصاق لما قلعت الحلية عنه فى سنة خمس وخمسين ومائتين لأجل إصلاحه ، وكان الذى شده بيده فى هذه السنة بشر الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد[٢] العباسى ، وحمل المقام بعد اشتداده بالإلصاق وتركيب الحلية التى عملت له بشده أيضا عليه إلى موضعه وذلك يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان عمل حليته فى المحرم وصفر من هذه السنة ، وفى أوائل شهر ربيع الاوّل وسع الطوقان الذهب المشار إليهما لضيقهما ، ثم عملا عليه ووضع فى موضعه فى التاريخ المتقدم ذكره ، هذا ملخص بالمعنى مما ذكره الفاكهى فى خبر حلية المقام ، وكلامه أبسط من هذا ، ويذكر كما ذكره فى أصل هذا الكتاب

وذكر الأزرقى حليته فى زمن المهدى والمتوكل ولم يذكر تاريخ حليته فى زمن المهدى وهى سنة إحدى وستين ومائة على ما ذكره الفاكهى .

---

(١) هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد تولى الخلافة بعد وفاة الواثق سنة ٢٣٢ هـ وقد ظل فى الخلافة حتى قتل سنة ٢٤٧ هـ.

(٢) هو أحمد المعتمد على الله بن المتوكل بويع له بالخلافة فى شهر رجب سنة ٢٥٦ هـ ولم يزل خليفة حتى توفى فى رجب سنة ٢٧٩ هـ وحينئذ يكون كلام المؤلف فيه نظر لأن هذا العمل وهو تركيب الحلية التى عملت لشد المقام كان فى ربيع الأول سنة ٢٥٦ هـ فيكون ذلك فى عهد الخليفة المهتدى وليس فى عهد المعتمد .

ذكر صفة الموضع الذى فيه المقام والمصلى خلفه

أما صفة الموضع المشار إليه فإنه الآن قبة عالية من خشب ثابتة قائمة على أربعة أعمدة دقاق حجارة منحوتة بينهما أربعة شبابيك من حديد من الجهات الأربعة ، ومن الجهة الشرقية يدخل إلى المقام والقبة مما يلى المقام منقوشة مزخرفة بالذهب ومما يلى السماء مبيضة بالنورة ، وأما موضع المصلى الآن فإنه ساباط مزخرف على أربعة أعمدة ، منها عمودان عليهما القبة وهو متصل بها وهو مما يلى الأرض منقوش مزخرف بالذهب ، ومما يلى السماء مبيض منور . وأحدث وقت صنع فيه ذلك فى شهر رجب سنة عشر وثمانمائة . واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه سبب هذه العمارة ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى صاحب مصر مكتوب فى الشباك الشرقى فى هذا الموضع بسبب عمارته له فى سنة ثمان وعشرين وسبعماية ، والمقام بين الشبابيك الأربعة الحديد فى قبة من حديد ثابت فى الأرض ، والقبة التى عليها ثابتة أيضاً فى الأرض برصاص مصبوب بحيث لا يستطاع قلع القبة الحديد التى فوقه إلا بالمعاول وشبهها ، ولعل القبة الحديد التى فى جوفها المقام الآن القبة الحديد التى كانت توضع عليه عند قدوم الحاج إلى مكة صونا لها لكونها أحمل للازدحام والاستلام على ماذكره ابن جبير . وذكر مايقتضى أن المقام كان عند رحلته إلى مكة غير ثابت وأنه يوضع ويرفع ، ويجعل حينا فى الكعبة فى البيت الذى فيه الدرجة التى يصعد منها إلى السطح أى سطح الكعبة ، ويجعل أيضا فى موضعه الذى هو به الآن فى قبة من خشب فإذا كان الموسم قلعت قبة الخشب وجعلت عليه القبة الحديد ذكر ذلك فى موضعين من رحلته ، ونص كلامه الدال على أن المقام غير مؤبد موضعه لأن قوله بعد أن ذكر اعتمار مكثر بن عيسى بن فليته أمير مكة فى شهر رجب من سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وهى السنة التى وصل فيها ابن جبير إلى مكة للحج . فلما فرغ يعنى مكثرا من الطواف صلى عند الملتزم ثم جاء إلى المقام وصلى خلفه وقد أخرج له من الكعبة ووضع فى قبته الخشبية التى يصلى خلفها ، فلما فرغ من صلاته رفعت له القبة عن المقام فاستلمه وتمسح به ثم أعيدت القبة عليه انتهى ، وما عرفت متى جعل المقام ثابتا فى القبة على صفته التى هو عليها الآن . وأما القبة التى فوق القبة الحديد المقام فى جوفها فأظن أن الملك المسعود صاحب اليمن ومكة أول من بناها والله أعلم .

ذكر ذرع مابين المقام والحجر الأسود وما بين المقام والركن الشامى الذى يقال له العراقى وما بين المقام و بين جدار الكعبة وشاذروانها المقابل للمقام وما بين المقام وحجرة زمزم وصرف بئر زمزم الطيبة المباركة

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم فى تاريخه أنه قال : وذرع مابين الركن الأسود إلى مقام ابراهيم عليه السلام تسعة وعشرون ذراعاً وتسعة أصابع ، وذرع مابين جدار الكعبة من وسطها إلى المقام سبع وعشرون ذراعاً ، وذرع مابين شاذروان الكعبة إلى المقام ست وعشرون ذراعاً ونصف ، ومن الركن الشامى إلى المقام ثمانية وعشرون ذراعاً[1] وسبع عشرة أصبعاً ، ثم قال : ومن المقام إلى صرف بئر زمزم أربع وعشرون ذراعاً وعشرون أصبعا انتهى .

ثم قال القاضى عز الدين بن جماعة فيما أخبرنى به عنه خالى : ومن صدر الشباك الذى داخله المقام إلى شاذروان الكعبة عشرون ذراعا وثلثا ذراع وثمن ذراع يعنى بذراع الحديد المتقدم ذكره ، وقد حررنا بعض ماحرره الأزرقى فى هذا المعنى فكان مابين ركن الكعبة الذى فيه الحجر الأسود و بين الركن اليمانى من أركان الصندوق الذى فيه المقام من داخل الشباك الذى فيه الصندوق أربعة وعشرون ذراعاً إلا سدس ذراع ، وكان ذرع مابين وسط جدار الكعبة الشرقى إلى وسط الصندوق المقابل له اثنين وعشرين ذراعاً إلا ربع ذراع ، وكان مابين ركن الكعبة الشامى الذى يلى الحجر بسكون الجيم وركن الصندوق الشامى ثلاثة وعشرون ذراعاً ، وكان مما بين ركن الصندوق الشرقى إلى ركن البيت الذى فيه بئر زمزم المقابل له خمسة عشر ذرراعاً إلا ثلث ذراع ، وكل ذلك بذراع الحديد المتقدم ذكره .

ذكر موضع المقام فى الجاهلية والاسلام

وما قيل فى ذلك ورد عمر بن الخطاب رضى الله عنه له إلى موضعه وهذا حين غيّره السيل عنه

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم إليه قال : حدثنى جدى قال حدثنا عبد الجبار بن الورد قال : سمعت ابن أبى مليكه يقول موضع المقام هو هذا الذى هو به اليوم هو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما إلا أن السيل ذهب به فى خلافة عمر فجعل فى وجه الكعبة حتى قدم عمر فرده

---

(١) فى تاريخ الأرزقى : تسع عشرة بدل سبع عشرة .

بمحضر من الناس ، وذكر الأزرقى مايوافق قول ابن أبى مليكة فى موضع المقام عن عمرو بن دينار وسفيان بن عُيَيْنة ، وروى الفاكهى عن عمرو بن دينار وسفيان بن عيينة مثل ما حكاه عنهما الأزرقى بالمعنى ، ونقل المحب الطبرى فى القرى عن مالك ما يخالف ذلك لأنه قال وقال مالك فى المدوّنة كان المقام فى عهد إبراهيم عليه السلام فى مكانه اليوم وكان أهل الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السيل ، فكان كذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر فلما ولى عمر رده بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حين أخروه انتهى ، ثم قال المحب وفى هذا مناقضة ظاهرة لما ذكره الأزرقى عن ابن أبى مليكة وسياق لفظ حديث جابر الصحيح الطويل وما روى نحوه شهد لترجيح قول ابن أبى مليكة وذلك قوله ثم تقدم إلى مقام إبراهيم وقرأ « واتَّخِذُوا مِنْ مقامِ إبراهيمَ مُصلًّى » فجعل المقام بينه و بين الكعبة والمتبادر إلى الفهم منه عند سماع هذا اللفظ أنه لم يكن حينئذ ملصقاً بالبيت لأنه لا يقال فى العرف تقدم إلى كذا فجعله بينه و بين كذا إلا فيما يمكن أن يقدمه أمامه وأن يخلفه خلفه وإن كان ملصقاً تعين التقديم لا غير انتهى باختصار .

وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب بقية كلام المحب وكلاماً لمالك فى المعنى و بينا مافيه الصواب والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة فى مغازيه . وأبو عروبة فى الأوائل له والفاكهى فى كتابه ما يوافق ما ذكره مالك فى أن المقام كان فى وجه الكعبة لا صقاً فى الجاهلية قال موسى بن عقبة فإن قال فيما رويناه عنه وكان زعموا أن المقام لا صق فى الكعبة فأخره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكانه هذا انتهى .

ذكر ذلك فى خبر فتح مكة وأما أبو عروبة فإنه قال فيما رويناه عنه حدثنا سلمة قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن حميد الأعرج عن مجاهد قال كان المقام إلى جنب البيت وكانوا يخافون عليه من السيول وكان الناس يصلون خلفه . انتهى باختصار لقصة رد عمر للمقام إلى موضعه الآن وما كان بينه و بين المطلب ابن أبى وداعة السهمى فى موضعه الذى حرره المطلب وقال أبو عروبة أيضاً حدثنا سلمة قال حدثنا عبد الرزاق قال إن ابن جريج قال : سمعت عطاء وغيره من أصحابنا يزعمون أن عمر رضى الله عنه أول من رفع المقام فوضعه فى موضعه الآن و إنما كان فى قبل الكعبة انتهى .

وأما الفاكهى فقال : حدثنا عبدالله بن أبى سلمة قال : حدثنا عبد الجبار بن سعيد عن ابن أبى سبرة عن موسى ابن سعيد عن نوفل بن معاوية الديلى قال رأيت المقام فى عهد عبد المطلب ملصقا بالبيت مثل البهاء ، وروى الفاكهى بسنده إلى عبد الله بن سلام خبراً فيه أذان إبراهيم على المقام للناس بالحج فلما فرغ أمر بالمقام فوضعه قبلته فكان يصلى إليه مستقبل الباب ، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم مكة من المدينة فكان يصلى إلى المقام وهو

ملصق بالكعبة حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الفاكهى حدثنا الزبير بن أبى بكر قال حدثنا يحيى ابن محمد بن ثوبان عن سليم عن ابن جريج عن عثمان بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير أنه كان قال المقام فى وجه الكعبة و إنما قام إبراهيم عليه حين ارتفع البنيان فأراد أن يشرف على البناء قال فلما كثر الناس خشى عمر ابن الخطاب أن يطئوه بأقدامهم فاخره إلى موضعه الذى هو به اليوم حذاء موضعه الذى كان قدام الكعبة وقال الفاكهى حدثنا يعقوب بن حميد ابن كاسب قال حدثنا عبدالعزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه قال عبد العزيز أراه عن عائشة أن المقام كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى سقع البيت قال الفاكهى وقال بعض المكيين كان بين المقام و بين الكعبة ممر العنز انتهى .

وليس فيما ذكره مالك وابن عقبة وأبو عروبة والفاكهى من كون المقام كان عند الكعبة بيان موضعه عند الكعبة إلا أن فى الخبر الذى رواه الفاكهى عن سعيد بن جبير مما يفهم منه تقريب بيان موضع المقام عند الكعبة لأن فيه مايقتضى أن موضعه الآن هذا[1] موضعه الذى كان به قدام الكعبة والمقام الآن فى جوف الصندوق الذى فى جوف الشبابيك الأربعة المتقدم ذكرها ويحاذى الصندوق الذى فيه المقام من وجه الكعبة ذراعان . بالحديد ونحو خمسة قراريط بذراع الحديد أيضاً المقدم ذكره والذراعان هما نصف الحفرة المرخمة الملاصقة لشاذروان الكعبة ونصف الحفره المشار إليه هنا هو النصف الذى يلى الحجر بسكون الجيم وما زاد على الذراعين من القراريط التى هى كمال ما يحاذى الصندوق الذى فيه المقام وهى إلى طرف الحفرة بما[2] يلى الحجر بسكون الجيم و إذا كان كذلك فيكون موضع المقام عند الكعبة تخميناً والله أعلم .

وفيما بين نصف الحفرة مما يلى الحجر بسكون الجيم والقراريط الزائدة على الذراعين لأن ذلك يحاذى الصندوق الذى فيه المقام الآن و إذا كان كذلك فهو يوافق قول من قال إن موضع المقام الآن حذاء موضعه عند الكعبة والله أعلم. وذكر الفقيه محمد بن سراقة العامرى فى كتابه دلائل القبلة فى موضع المقام عند الكعبة ما يخالف قول من قال : إن موضعه الذى بحذاء موضعه عند الكعبة ونص ما ذكره ابن سراقة ومن الباب يعنى باب البيت إلى مصلى آدم عليه السلام حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة وهو موضع الخلوق من إزار الكعبة أرجح من تسعة أذرع وهناك كان موضع مقام إبراهيم عليه السلام وصلى النبى صلى الله عليه وسلم عنده حين فرغ من طوافه ركعتين وأنزل الله عليه « واتَّخِذُوا منْ مَقامِ إبراهيمَ مُصلًّى » ثم نقله صلى الله عليه وسلم إلى الموضع الذى هو فيه الآن وذاك على عشرين ذراعاً من الكعبة لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه أو يترك الناس الصلاة خلفه لأجل

(١) فى النسخة (ك) حذاء .

(٢) فى النسخة (ك) مما .

الطواف حين كثر الناس وليدور الصف حول الكعبة ويروى الإمام من كل وجه . ثم حمله السيل فى أيام عمر وأخرجه من المسجد فأمر عمر رضى الله عنه بردّه إلى موضعه الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه و بين موضع الخلوق وهو مصلى آدم و بين الركن الشامى ثمانية أذرع انتهى .

وقد سبق بعض ما ذكرناه عن ابن سراقة فى الباب الثامن من هذا الكتاب عند بيان مصلى آدم عليه السلام وهذا يقتضى اتخاذ موضع مصلى آدم وموضع الخلوق وموضع المقام عند الكعبة وهو على مقتضى ما ذكر ابن سراقة فى ذرع ما بينه و بين ركن الكعبة الذى يلى الحجر بسكون الجيم يكون على ذراعين وثلثى ذراع بالحديد من طرف الحفرة إلى جهة الحجر بسكون الجيم وعلى هذا فيكون موضع المقام عند الكعبة خارجاً عن الحفرة فى مقدار ذراعين وثلثى ذراع وعلى مقتضى ما قيل من أن موضعه اليوم حذاء موضعه عند الكعبة يكون موضعه عند الكعبة فى مقدار نصف الحفرة التى تلى الحجر بسكون الجيم والله أعلم بالصواب .

وأما الموضع الذى ربط فيه المقام عند الكعبة لما ذهب به السيل فقد بينه الفاكهى لأنه قال : فصل وذكر عن بعض المكيين ، أن الموضع الذى ربط عنده المقام فى وجه [1] الكعبة بأستارها إلى أن حج عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرده وذلك أن يصد الطائف من الحجر الشامى فى حجارة شاذروان الكعبة إلى أن يبلغ الحجر السابع فإذا بلغ الحجر السابع فهو موضعه و إلا فهو التاسع من حجارة الشاذروان أيضاً انتهى .

وذكر الفاكهى فى موضع آخر من كتابه ما يقتضى أن هذا علامة للموضع الذى ذكر عبد الله بن السائب المخزومى أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى عنده يوم فتح مكة وذكر الأزرقى مثل ذلك والله أعلم .

وما ذكره ابن سراقة من أن النبى صلى الله عليه وسلم ردَّ المقام إلى موضعه الآن يشهد له ما ذكره ابن عقبة وما سأذكره مخالف لما ذكره سعيد بن جبير وعطاء وغيرهم من أن عمر رضى الله عنه أول من رده إلى موضعه الآن. وذكر الفاكهى خبراً يقتضى أن الولاة حولته إلى مكانه هذا وهذا يفهم أن الذى رده غير عمر رضى الله عنه فيتحصل فيمن رده إلى موضعه الآن ثلاثة أقوال أحدها أنه النبى صلى الله عليه وسلم والثانى أنه عمر والثالث غير عمر والله أعلم والمشهور أنه عمر ورد الخبر الذى ذكره الفاكهى عن سعيد بن جبير ما يفهم أن رد عمر للمقام إلى موضعه الآن لئلا تطئوه [2] الناس والمعروف أن رد عمر له إلى موضعه الآن لكون السيل المعروف بسيل أم نهشل . أزاله عن موضعه الأول والله أعلم وذكر الفاكهى خبراً يقتضى أن رجلاً من آل عابد بن عبدالله بن مخزوم قال: قال لعمر

---

(١) لا توجد هذه الكلمة فى النسخة (ك)

(٢) فى النسخة (ك) يظنه وهو تحريف عن كلمة يطئه وإن كانت قواعد الإملاء تقتضى أن تكون همزة يطأه المفتوحة على ألف لا على ياء .

أنه يعلم موضع المقام الأول والمعروف أن الذى قال ذلك لعمر هو المطلب بن أبى وداعة السهمى كما ذكر الأزرقى والفاكهى وغيرهما والله أعلم .

وما ذكره ابن سراقة فى ذرع ما بين موضع المقام الآن ووجه الكعبة لا [1] يستقيم لنقص ما ذكره ابن سراقة فى ذلك عما ذكره الأزرقى فيه نقصاً كثيراً، والذراع الذى حرّر به ابن سراقة ذراع اليد ، وكذلك الأزرقى وفيما ذكره ابن سراقة نظر من غير هذا الوجه ، وذكر ابن جبير فى أخبار رحلته ما يقتضى أن الحفرة المرخمة التى فى وجه الكعبة علامة موضع المقام فى عهد الخليل عليه السلام ، إلى أن رده النبى صلى الله عليه وسلم إلى الموضع الذى هو الآن مصلى وفى هذا نظر لأن موضع المقام الآن هو موضعه فى عهد الخليل عليه السلام من غير خلاف علم فى ذلك ، وأما الخلاف ففى موضعه اليوم هل هو موضعه فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن أبى مليكة أولا [2] كما قال مالك والله أعلم .

وفى كلام ابن جبير نظر من وجه آخر بيناه فى أصل هذا الكتاب والله أعلم ، ولم أر فى تاريخ الأزرقى ذكر السنة التى رد فيها عمر المقام إلى موضعه هذا لما غيّره عنه السيل، وهو سنة سبع عشرة من الهجرة على ما ذكره ابن جرير وكذا ابن الأثير فى كامله، وقيل سنة ثمان عشرة ذكره ابن حمدون فى تذكرته والله أعلم بالصواب .

ذكر شىء من فضل المقام

لاشك أن فضل المقام مشهور ثابت بنص القرآن العزيز والسنة الشريفة الصحيحة فأما القرآن فقوله تعالى :

« فيه آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيمَ » الآية . والمراد بالمقام فى هذه الآية هذا المقام على الصحيح المشهور ، وقيل: المراد مناسك الحج كلها . وقيل: عرفة وقيل : المزدلفة وقيل الحرم كله . وأما السنة فتقدم لنا فى فضل الحجر الأسود حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب ورو ينا فى تاريخ الأزرقى عن مجاهد قال يأتى الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أبى قبيس يشهد لمن وافاهما بالموافاة.

---

(١) فى النسخة (ك) لأنه يستقيم وهو خطأ ، لا يتمشى مع سياق الكلام .

(٢) فى النسخة (ك) أولى وهو خطأ كما يتبين فى الكلا بعده ،

ما جاء فى هلاك من تعرض له بسوء

قال الفاكهى : وقال بعض الناس : إن رجلاً كان بمكة يقال له جريج يهودى أو نصرانى ، فأسلم بمكة فقصد المقام ذات ليلة فطلب فوجد عنده أراد أن يخرجه إلى ملك الروم قال فاخذ منه وضربت عنق جريج انتهى .

وكان ابو طاهر القرمطى يريد أخذه فلم يظفر به لأن سدنة المسجد غيبوه فى بعض شعاب مكة ولا يزال هذا المقام محروساً بحراسة الله تعالى إلى حين رفعه إلى الجنة كما هو مقتضى حديث عائشة الذى رويناه فى تاريخ الأزرقى، وقد سبق فى فضل الحجر الأسود، وحكم المقام مخالف حكم الحجر الأسود فى التمسح به و استلامه وتقبيله فإن ذلك غير مطلوب فى المقام على ما ذكره العلماء ، وفى تاريخ الأزرقى ومنسك القاضى عز الدين بن جماعة ما يدل لذلك ، والخير فى إتباع قول العلماء .

الباب السابع عشر

فى ذكر شىء عن[1] أخبار الحجر المكرم حجر إسماعيل عليه السلام

وفيه بيان الموضع الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم حول الكعبة

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن ابن إسحاق قال فى أثناء خبر بناء الخليل عليه السلام للكعبة وجعل إبراهيم عليه السلام الحجر إلى جنب البيت عريشاً من أراك تقتحمه العنز وكان زربا لغنم إسماعيل ، انتهى .

وقد تقدم فى خبر عمارة الكعبة أن قريشا أدخلت فى الحجر أذرعاً من الكعبة حين بنتها لما قصرت عليهم النفقة الحلال التى أعدوها لعمارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها وأن عبد الله بن الزبير أدخل ذلك فى الكعبة حين عمرها وأن الحجاج أخرج ذلك منها ، ورده كما كان عليه فى عهد قريش والنبى صلى الله عليه وسلم ، واستمر الحال على ذلك إلى الآن وصار بعض الحجر من البيت[2] وبعضه ليس منه[3] . ويدل لذلك مارويناه فى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض ولجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربيا ، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشاً استقصرتها حين بنيت الكعبة، وفى رواية فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه ، فهلمى لأريك ماتركوا منه فأراها قريباً من سبعة أذرع . أخرجاه ، وفى مسلم عن عطاء فذكر شيئاً من حريق الكعبة وعمارة ابن الزبير لها ثم قال: قال ابن الزبير إنى سمعت عائشة تقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة مايقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع . قال عطاء وزاد فيه خمسة أذرع من الحجر حتى أبدى أساسها ونظر إليه الناس فبنى عليه البناء انتهى .

وذكر الفاكهى حديثاً فيه ما يقتضى : أن الذى تركته قريش من الكعبة فى الحجر أربعة أذرع لأنه روى حديثاً قال فيه : ولقد دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى بنيانه قال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة

---

(١) فى النسخة (ك) من ، وكلاهما صحيح .

(٢) فى النسخة (ك) من الكعبة .

(٣) فى النسخة (ك) منها .

لولا حداثة قومك بالكفر لهدمته و بنيته على بناء إبراهيم ، ولجعلت له بابين ولأدخلت أربعة أذرع من الحجر فيه وذلك أن أربعة أذرع من الحجر من البيت . انتهى . وفى اسناد هذا الحديث من لا أعرفه و إنما ذكرناه لغرابة ، وسيأتى فى مقدار ماتركته قريش من الكعبة فى الحجر غير ذلك . والأحاديث الصحيحة التى أشرنا إليها تقتضى أن بعض الحجر من البيت لا كله كما قال بعضهم فيما حكاه المحب الطبرى وتمسك قائل ذلك بما فى الصحيحين من حديث عائشة قالت : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الحجر أمن البيت ؟ قال : نعم . قلت : فما لهم لم يدخلوه فى البيت ؟ قال : إن قومك قصرت بهم النفقة ، الحديث انتهى . وحديثها هذا لا يعارض أحاديثها التى ذكرناها لأن حديثها هذا مطلق وأحاديثها الأخرى مقيدة ، والمطلق يحمل على المقيد ، وقد أشار إلى ذلك هنا الشيخ محب الدين الطبرى لأنه قال : والأصح أن القصر[1] الذى فيه من البيت سبعة أذرع وقد جاء مصرحاً به فى الحديث عن عائشة فذكر عنها ماسبق بالمعنى مختصراً . ثم قالت : فيحمل المطلق فيما تقدم على هذا و إطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز المستحسن ، ذكر ذلك فى شرحه للتنبيه وقال : فى القرى بعد أن ذكر ما استدل به : من يرى أن الحجر من البيت ، ومن يرى أن بعضه من البيت . وفى هذه الأحاديث دلالة على أن بعض الحجر من البيت ومن يرى حمل المطلق على المقيد يقول : مطلق هذه الأحاديث المتقدمة فى الفصل قبله منزلة على هذا ومن لا يراه عمل بها انتهى ، قلت : يدل لحمل حديث عائشة المطلق على أحاديثها المقيدة ، أن العلة فى حديثها المطلق هى العلة فى أحاديثها المقيدة . وهى ترك قريش بعض الكعبة فى الحجر حين قصرت بهم النفقة : وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عائشة المطلق ولولا أن قومك حديث عهد بجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الحجر فى البيت فإن حال من قال بأن الحجر كله من البيت لا يخلو من أمرين : إما أن يقول إن النبى صلى الله عليه وسلم أشار بقوله هذا إلى إدخال بعض الحجر فى البيت ، أو جميعه فإن قال بالأول فقد ناقض قوله إن الحجر كله من البيت و إن قال الثانى ففى صحة ذلك نظر لان فى رواية البخارى عن عائشة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم ، وأدخلت فيه ما أخرج منه ، وجعلت له باباً شرقياً ، و باباً غربياً ، و بلغت به أساس إبراهيم . وهذه الرواية تقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم يختار رد البيت إلى أساس إبراهيم . وأساس إبراهيم الذى أشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أدخلته قريش فى الحجر لقصور النفقة عليهم كما سبق بيانه لأنه لا خلاف بين أهل العلم بالتاريخ أن البيت كان مبنياً فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم على أساس إبراهيم من جميع جوانبه إلا من جهة الحجر كما سبق بيانه . فيكون

---

(١) فى النسخة « ك » : القدر ، وهو الصحيح .

صلى الله عليه وسلم أشار بقوله هذا إلى أساس إبراهيم الذى أدخلته قريش فى الحجر ، وهو الأساس الذى بنى عليه ابن الزبير كما تقدم فى حديث عطاء فى صحيح مسلم وذكره الأزرقى فى خبر بناء ابن الزبير للكعبة لان فيه : فلما هدم ابن الزبير الكعبة وسواها بالأرض كشف عن أساس إبراهيم عليه السلام فوجده داخلاً فى الحجر نحواً من ستة أذرع وشبر كأنها أعناق الإبل آخذ بضها بعضا كتشبيك الأصابع بعضها ببعض يتحرك [1] الحجر من القواعد بتحرك الأركان كلها فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم فأشهدهم على ذلك الأساس ثم قال : ثم وضع البناء على ذلك الأساس انتهى، «قلت» : ويدل لذلك أيضاً مافى بعض طرق الأحاديث أى أحاديث عائشة المطلقة من أن النبى صلى الله عليه وسلم أرى عائشة مقدار ما تركته قريش من الكعبة فى الحجر ولو كان كله من البيت لم يكن لإيرائه صلى الله عليه وسلم ذلك لعائشة فائدة والله أعلم . واختلاف الروايات عنها فى قدر مافى الحجر من الكعبة لا يقتضى ترك العمل بما روى عنها من أن بعض الحجر من البيت وإنما يقتضى أن يعمل فى مقدارها [2] فى الحجر من الكعبة فأكثروا الروايات فى ذلك وهى نحو سبعة أذرع كما فى الصحيحين والله أعلم . وإنما نبهنا على ذلك لأن كلام الشيخ تقى الدين ابن الصلاح يوهم خلاف ذلك على مانقله عنه النووى فى الإيضاح ، ونص كلامه : وأما حديث عائشة فقد قال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح قد اضطربت فيه الروايات ففى رواية فى الصحيحين الحجر من البيت وروى ستة أذرع من الحجر من البيت وروى ستة أذرع أو نحوها وروى خمسة أذرع وروى قريباً من سبع ، قال : وإذ اضطربت الروايات تعين الأخذ بأكثرها ليسقط الفرض بيقين انتهى .

وهذا من ابن الصلاح والنووى [3] (يدل) على أن الطواف لا يصح إلا من وراء الحجر جميعه وذكر النووى أن هذا المذهب هو الصحيح ، وعليه نص الشافعى قال : وبه قطع جماهير العلماء من أصحابنا وهذا هو الصواب ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف خارج الحجر، وهكذا الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة فمن بعدهم انتهى .

« قلت » ، يمكن الاستدلال عن استدلال النووى بطواف النبى صلى الله عليه وسلم خارج الحجر على وجوب الطواف من خارج الحجر ، وذلك أن الأفعال الصادرة من النبى صلى الله عليه وسلم فى حجه لا تخلو من أمرين : أحدهما أن يكون فعلها أجمع مطلوباً على سبيل الوجوب والإخلال بشىء منها مبطل للحج ، والآخر أن يكون

---

(١) فى النسخة (ك) يحرك

(٢) فى النسخة (ك) : ما .

(٣) بياض بالأصل . وكلمة « يدل » زيادة وضعناها لإكمال المعنى .

فعلها مطلوبًا ، ولكن بعضها يطلب وجوباً و بعضها يطلب ندبا وتمييز الواجب من المندوب دليل خارج . والأول لا سبيل إليه ، والثانى حق و إذا تقرر ذلك فطواف النبى صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر لا يكون دليلاً على وجوب الطواف هكذا لما وقع من التزام أن بعض أفعاله صلى عليه وسلم فى الحج واجب و بعضها ليس بواجب ولا يمكن أن يقوم دليل على وجوب الطواف خارج الحجر إذا قطع النظر عن الاستدلال بطواف النبى صلى الله عليه وسلم هكذا إلا أن يكون حديث عائشة : الحجر من البيت . وفى الاستدلال به نظر لما تقدم بيانه من أنه مطلق عمل على أحاديثها المقيدة التى بين النبى صلى الله عليه وسلم فيها مقدار مافى الحجر من البيت كما سبق بيانه فبان بهذا الانفصال عن استدلال النووى على وجوب الطواف من خارج الحجر بطواف النبى صلى الله عليه وسلم . هكذا لعدم نهوض الدلالة من فعله صلى الله عليه وسلم . هذا و يحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون طواف النبى صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر لأمرين : أحدهما أن فى ذلك حسما لمادة فساد يقع فى طواف كثير من الطائفين ، وذلك أن البيت من جهة الحجر لم يكن على قواعد إبراهيم عليه السلام لترك قريش جانباً من البيت فى الحجر والواجب على الطائف الخروج عنه فلو طاف النبى صلى الله عليه وسلم فى الحجر خارجاً عما فيه من البيت لاقتدى به فى ذلك من لا يعرف مقدار مافى البيت من الحجر فيفسد عليه لكونه طاف من البيت ولم يطف به . الأمر الثانى أنا لو جوزنا السلامة من هذا المحذور لمعرفة جميع الخلق بمقدار مافى الحجر من البيت لكان فى طوافه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر حكمة حسنة من وجهين : أحدهما الراحة من تسور الحجر فإن قريشاً أحاطت عليه جداراً كما فى خبر بنائهم للكعبة ، والآخر أن فى ذلك حسما لمادة فساد وهو أن النساء يتسوَّرْن الحجر فى الطواف كالرجال وفى تسورهن كشف لهن وهن مأمورات بالصيانة ، فرأى صلى الله عليه وسلم أن يطوف من وراء الحجر لما فى ذلك من الراحة لأمته ديناً ودنيا ، ومثل هذا يقال فى طواف الخلفاء وغيرهم من وراء الحجر ، و إذا تقرر أن طوافه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجر لهذا المعنى فيكون الطواف هكذا مطلوباً ندباً متأكداً لا وجوباً لعدم نهوض الدلالة على وجوبه هكذا فى[1] طوافه صلى الله عليه وسلم كما سبق بيانه، فإن خالف الإنسان وتسور جدار الحجر وطاف فى الحجر فيما ليس فيه من الكعبة خصوصاً على رواية سبعة أذرع أو نحوها أو ستة أذرع ففى الجزم بفساد طوافه نظر كثير لا ينهض عليه دليل، وقد قال بصحة طواف من طاف فى الحجر وجعل بينه و بين الكعبة ستة أذرع جماعة من كبار العلماء منهم أبو محمد الجوينى و ابنه إمام الحرمين والبغوى ، وذكر الرافعى أن هذا المذهب هو الصحيح وقال به اللخمى من أصحابنا المالكية وجزم به الشيخ خليل الجندى فى مختصره الذى صنفه لبيان ما به الفتوى وتلميذه شيخنا القاضى تاج الدين بهرام المالكى فى شامله و يدل

---

(١) فى النسخة (ك) : من

لذلك رواية عائشة التى فيهـا أن ستة أذرع من الحجر من البيت وهى فى الصحيحين كما سبق بيانه والله أعلم .

ذكر موضع الحجر وصفته وشىء من خبر عمارته وذرعه وذرع جداره من داخله وخارجه

وأما موضع الحجر فهو مابين الركن الشامى الذى يقال له العراقى والركن الغربى ، وأما صفته فهو عرضه من خمسة[1] لهـا جدار منقوش على صورة نصف دائرة . وأما خبر عمارته فذكر الأزرقى أن المنصور العباسى لما حج دعا زياد بن عبيد الله الحارثى أمير مكة فقال : إنى رأيت الحجر حجارته بادية فلا أصبحن حتى يستر جدار[2] الحجر بالرخام . فدعا زياد بالعمال فعملوه على السرج قبل أن يصبح وكان قبل ذلك مبنياً بحجارة بادية ليس عليه رخام قال : ثم كان المهدى بعد ذلك قد جدد رخامه وذكر الأزرقى أن رخام الحجر الذى عمل فى زمن المهدى لم يزل فيه حتى رث فى خلافة المتوكل ، فقلع وألبس رخاماً حسناً ، وذكر أن ذلك فى سنة إحدى وأربعين ومائتين وأن ترخيمه زمن المهدى فى سـنة إحدى وستين ومائة ولم يذكر السنة التى أمر المنصور بعمل رخامه فيها . وأرّخ ذلك السنة التى حج فيها المنصور وهذا لا يفيد معرفة السنة التى فعل فيها ذلك لأن المنصور حج وهو خليفة أربع حجات على ماذكره العتيقى فى تسمية أمراء الموسم فى سنة أربعين ومائة ثم فى سنة أربع وأربعين ومائة ثم فى سنة سبع وأربعين ومائة .

وتوجه إلى الحج فى سنة ثمان وخمسين فمـات قبل أن يدخل مكة بعد أن أشرف عليها . وإن كان حج بالناس فى الثلاث السنين المتقدمة : لم يكن تعريف عمارته بالسنة التى حج فيها تعريفاً تاماً والظاهر ـ والله أعلم ـ أن ذلك وقع فى سنة أربعين ومائة لأن فى هـذه السنة كان الفراغ من عمارة المسجد التى أمر بعملها المنصور على يدى زياد المذكور كما ذكره الأزرقى فى ذلك ، وعمّر المعتضد العباسى الحجر أيضاً فى خلافته فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين على ماذكره إسحاق بن احمد الخزاعى راوى تاريخ الأزرقى والحقه فيه وعمر أيضاً فى أول خلافة الناصر العباس وذلك فى سنة ست وسبعين وخمسمائة وعمره أيضاً المستنصر العباسى وكذلك الملك المظفر صاحب اليمن .

---

(١) الجملة مضطربة وبها نقص ـ كما يرى القارئ ـ وبالرجوع الى اخبار مكة للأزرقى تجده يتحدث عن ذلك بقوله : قال أبو الوليد (الحجر مدور وهو ما بين الركن الشامى والركن الغربى وأرضه مفروشة برخام وهو مستو بالشاذروان الذى تحت إزار الـكعبة ، وعرضه من جدر الكعبة من تحت المزاب إلى جدر الحجر سبعة عشر ذراعا وثمان اصابع الخ.) راجع أخبار مكة للأزرقى (ص ٢١٧ ج ١)

(٢) فى النسخة (ك) حتى تستر

وكذلك الملك الناصر محمد بن قلاوون و اسم هذين الملكين و اسم المستنصر العباسى مكتوب فى رخام فى أعلى الحجر وفى الرخامة التى فيها خبر عمارة الملك الناصر أن ذلك سنة عشرين وسبعمائة وعمر أيضاً فى دولة الملك المنصور على بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بأمر الأميرين : بركة ، و برقوق مدبرى دولته ، فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة ثم عمر فى سنة إحدى وثمانمائة فى العمارة التى أمر بعملها الملك الظاهر برقوق و اسمه مكتوب بسبب ذلك . وذلك فى رخامة فى أعلى الحجر وفى فتحة الحجر الشرقية وفى الفتحة الأخرى ذكر بعض العامة فى تاريخ العمارة وهو مستهل شهر رمضان سنة إحدى وثمانمائة وعمر فى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة كثير من رخامه عمارة جيدة بالجبس لتداعى ذلك إلى السقوط وذلك فى رجب وشعبان من هذه السنة وغالب ذلك فى جدر الحجر ثم عمر كثير من رخامه فى جداره فى ظاهره و باطنه وأعلاه وفى أرض الحجر وذلك من المحرم سنة ست وعشرين وثمانمائة عمارة حسنة بالجص بأمر متولى العمارة صاحبنا الأمير زين الدين مقبل القديدى أثابه الله تعالى، وقد خفى علينا شىء كثير من خبر عمارة الحجر من دولة المعتضد العباسى إلى خلافة الناصر فإنه لا[1] يبعد أن يخلو فى هذا الزمن الطويل من عمارة والله أعلم ، وممن عمره الوزير جمال الدين المعروف بالجواد وذلك فى عشر الخمسين وخمسمائة ظناً والله أعلم[2] .

وأما ذرعه فقد ذكر الأزرقى وابن جماعة فقال الأزرقى فيما رويناه عنه بالسند المتقدم عرضه من جدار الكعبة من تحت الميزاب إلى جدار الحجر سبعة عشر ذراعا وثمانية أصابع وذرع ما بين بابى الحجر عشرون ذراعاً وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً وذرع الجدار من داخله فى السماء ذراع وأربع عشرة أصبعا وذرعه مما يلى الباب الذى يلى المقام ذراع وعشر أصابع وذرع جدار الحجر الغربى فى السماء ذراع وعشرون أصبعاً وذرع طول الحجر من خارج مما يلى الركن الشامى ذراع وست عشرة أصبعاً وطوله من وسطه فى السماء ذراعان وثلاث أصابع وعرض الجدار ذراعان إلا أصبعين وذرع باب الحجر الذى يلى المشرق مما يلى المقام خمس أذرع وثلاث أصابع وذرع باب الحجر الذى يلى المغرب سبع أذرع وذرع تدوير الحجر من داخله ثمانية وثلاثون ذراعاً وذرع تدوير الحجر من خارج أربعون ذراعاً وست أصابع . انتهى كلام الأزرقى .

وأخبرنى خالى عن ابن جماعة قال : ذرع دائر الحجر من داخله إلى الفتحة إحدى وثلاثون وثلث . ومن خارجه من الفتحة إلى الفتحة سبع وثلاثون ونصف وربع وثمن . ومن الفتحة إلى الفتحة على الاستواء سبعة عشر ذراعاً . ومن صدر دائر الحجر من داخله إلى جدار حجر البيت تحت الميزاب خمسة عشر ذراعاً . وعرض جدار الحجر

---

(١) لا توجد (لا) فى النسخة (ك) ، وهو الذى يتمشى مع سياق الكلام .

(٢) وممن جدد الحجر السلطان مراد خان وهو أول من جدده من آل عثمان ،وممن عمره السلطان عبدالمجيدخان سنة ١٢٦٠ هـ ثم جدد فى عهد السلطان عبد العزيز خان سنة ١٢٨٣ هـ . وكان رغبة الملك عبد العزيز آل سعود فرش الحجر والمطاف والمسجد بالمرمر الأبيض فتم ذلك فى عهد الملك سعود بن عبد العزيز

ذراعان وثلث ذراع وثمن ذراع . وارتفاعه عن أرض المطاف مما يلى الفتحة التى من جهة المقام ذراع وثلثا ذراع وثمن ذراع . وارتفاعه مما يلى الفتحة الأخرى ذراع ونصف وثلث وثمن . وارتفاعه من وسطه ذراع وثلثا ذراع . وسعة ما بين جدار الحجر والشاذروان عند الفتحة التى من جهة المقام أربعة أذرع وثلث . والخارج من جدار الحجر فى هذه الجهة عن مسامتة الشاذروان نصف ذراع وثمن . وسعة الفتحة الأخرى أربعة أذرع ونصف . والخارج من جدار الحجر فى هذه الجهة عن مسامتة الشاذروان نصف ذراع وثلث ذراع . كل ذلك حرر بذراع القماش المستعمل فى زماننا بمصر . انتهى .

وقد حررنا أموراً تتعلق بالحجر ، فكان ما بين وسط جدار الكعبة الذى فيه الميزاب إلى مقابله من جدار الحجر خمسة عشر ذراعاً وكان عرض جدار الحجر من وسطه ذراعين وربع . وسعة فتحة الحجر الشرقية خمسة أذرع . وكذلك سعة الغربية بزيادة قيراط . وسعة ما بين الفتحتين من داخل الحجر سبعة عشر ذراعاً وقيراطان . وارتفاع جدار الحجر من داخله عند الفتحة الشرقية ذراعان إلا قيراطا . ومن خارجه عندها ذراعان وقيراطان . وارتفاع جدار الحجر من داخله ومن وسطه ذراعان إلا ثلث وفى [1] خارجه ذراعان وقيراطان . وارتفاع جدر الحجر من داخله عند الفتحة الغربية ذراعان إلا قيراطا . ومن خارجه عندها ذراعان وثمن ذراع ، كل ذلك بذراع الحديد . وذكر ابن خرداذبه فى ذرع دور الحجر ما يستغرب لأنه قال ذرع دور الحجر خمسون ذراعاً ، انتهى .

وإنما كان هذا مستغرباً لمخالفته ما ذكره الأزرقى فى ذلك ؛ فإن ما ذكره ابن خرداذبه يزيد على ما ذكره الأزرقى عشرة أذرع .

ذكر ما جاء فى الحجر والصلاة فيه

قال الفاكهى : حدثنا أحمد بن صالح قال : حدثنى محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة يا أبا هريرة إن على باب الحجر ملكاً يقول لمن دخل فصلى ركعتين : مغفوراً لك ما مضى . فاستأنف العمل . وعلى باب الحجر الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج : مرحوماً لك [2] إن كنت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تقياً . انتهى .

ورويناه فى تاريخ الأزرقى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، صلوا فى مصلى الأخيار ، وسئل عن ذلك ابن عباس

---

(١) فى النسخة (ك) : ومن .

(٢) فى النسخة (ك) لا توجد .

فقال : تحت الميزاب ، وحكم الصلاة فيما فى الحجر من الكعبة حكم الصلاة فى الكعبة فى كونه من الكعبة فلا تصح فيه على المشهور من مذهب مالك الفرض ولا النفل المؤكد كالسنن والوتر وركعتى الطواف والفجر وركعتى الطواف الواجب ، ويصح فيه النفل غير المؤكد ويستحب ذلك فيه كبقية الحجر ويصح فى بقية الحجر الفرض من غير كراهة . ومذهب الشافعى وأبى حنيفة جواز جميع الصلوات فى جميع الحجر .

ذكر ما جاء فى الدعاء فى الحجر تحت الميزاب

روينا فى تاريخ الأزرقى عن عطاء قال : من قام تحت الميزاب ، أى ميزاب الكعبة فدعا استجيب له ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وقد تقدم مثل ذلك عن الحسن البصرى فى الباب الخامس عشر وفى رواية عنه: من قام تحت مثغب الكعبة ، يعنى ميزابها . وروينا عن الحسن البصرى فى رسالته المشهورة قال : وسمعت أن عثمان بن عفان رضى الله عنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه : ألا تسألون من أين جئت ؟ قالوا : من أين جئت يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما زلت قائماً على باب الجنة ، وكان قائماً تحت الميزاب يدعو الله عنده[1] . انتهى .

ومن فضائل الحجر ، أن فيه قبر إسماعيل عليه السلام . روينا عن ابن إسحاق فى سيرته تهذيب ابن هشام وروايته عن زياد البكائى عن ابن إسحاق قال : وكان عمر إسماعيل عليه السلام فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين، ثم مات رحمة الله وبركاته عليه فدفن فى الحجر مع أمه هاجر رحمهما الله . انتهى .

وقال الأزرقى : حدثنى جدى قال : حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرنى ابن اسحاق فذكر شيئاً من خبر إسماعيل وذكر أولاده، ثم قال : وكان من حديث جرهم وبنى إسماعيل أن اسماعيل لما توفى دفن فى الحجر مع أمه وزعموا أنها دفنت فيه حين ماتت . وذكر صاحب الاكتفاء أن قبر إسماعيل فى الحجر ، وأن قبره مما يلى باب الحجر وقد اختلف فى خبر إسماعيل فقيل : إنه فى الحجر وهو قول ابن إسحاق وقيل : إنه فى الحطيم وقد سبق نقل الأزرقى له عن مقاتل فى أخبار الحطيم ونقله الفاكهى عن كعب الأحبار وعن ابن سابط ، وقال الفاكهى فى فضائل مكة : حدثنا موسى بن محمد قال حدثنا يزيد بن أبى حكيم عن سفيان الثورى عن عطاء ابن السائب عن ابن سابط أنه قال : بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً وإن قبر هود ،وشعيب، وصالح وإسماعيل ، عليهم السلام ، فى تلك البقعة، وقيل إنه حيال الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود . وهذا القول ذكره المسعودى لأنه قال : وقبض إسماعيل وله من العمر مائة وسبع وثلاثون سنة فدفن فى المسجد الحرام حيال الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود انتهى . كذا وجدت فى النسخة التى رأيتها من تاريخ المسعودى فى الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود وأظن أن لفظة كان زيادة من الناسخ لأن إثباتها لا يستقيم به معنى والله أعلم . وما ذكره

(١) والميزاب الموجود بالكعبة الآن من عمل السلطان عبد المجيد خان وقد صنع بالقسطنطينية سنة ١٢٧٦ هـ وهو مصفح بنحو خمسين رطلا من الذهب ، وكان والى مكة حينئذ الشريف عبد الله بن محمد بن عون (تحصيل المرام)

المسعودى فى قدر عمر إسماعيل يخالف ما ذكره فيه ابن إسحاق والله أعلم بالصواب، وينبغى توقى النوم فيه والاحتراز فيه من بدعتين أحدثهما الناس لا أصل لهما على ما ذكره ابن جماعة فيما أخبرنى به عنه خالى : احداهما [1] وقوفهم فى فتحتى الحجر للصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم، والأخرى استقبالهم جهة النبى صلى الله عليه وسلم فى فتحتى الحجر للدعاء و استدبارهم للكعبة والمعروف فى آداب الدعاء استقبالها ، هذا معنى كلامه قال : والله تعالى يوفقنا لاجتناب البدعة و إتباع السنة بمنه وكرمه انتهى .

ذكر المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم حول الكعبة

قد ذكر المحب الطبرى هذه الأماكن بدلائلها فى كتاب القرى وذكرنا ذلك بنصه فى أصل هذا الكتاب ونشير هنا لشىء من تلك المواضع : الأول خلف مقام إبراهيم عليه السلام . الثانى تلقاء الحجر الأسود على حاشية المطاف كما فى النسائى وابن حبان من حديث المطلب بن أبى وداعة السهمى . الثالث قريباً من الركن الشامى مما يلى الحجر بسكون الجيم كما فى مسند احمد بن حنبل وسنن أبى داود من حديث عبد الله ابن السائب . الرابع عند باب الكعبة كما فى تاريخ الأزرقى وفوائد تمام الرازى من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم : أمنى جبريل عليه السلام عند باب الكعبة مرتين . الخامس تلقاء الركن الذى يلى الحجر من جهة المغرب جانحاً إلى جهة المغرب قليلاً بحيث يكون باب المسجد الذى يقال له اليوم باب العمرة خلف ظهره كما فى مسند احمد بن حنبل وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه من حديث المطلب بن أبى وداعة أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى مما يلى باب بنى سهم والناس يمرون بين يديه وفى إسناده مجهول . و باب بنى سهم هو باب العمرة المشار إليه السادس ، فى وجه الكعبة كما فى الصحيحين ، من حديث أسامة بن زيد أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج فلما خرج ركع قبل البيت ركعتين وقال : هذه القبلة . أخرجاه وقال النسائى : سبح فى نواحيه كلها وكبّر ولم يصل ، ثم خرج وصلى خلف المقام ركعتين ثم قال : هذه القبلة. قال المحب الطبرى : وجه الكعبة يطلق على بابها ولهذا قيل للمحاذى له خلفها دبر الكعبة ثم قال : و يطلق على جميع الجانب الذى فيه الباب وهو المتعارف ثم قال : والظاهر أن هذا الموضع تلقاء المقام فى فناء الكعبة بحيث يكون المقام خلف المصلى فيه . وقال : و يحتمل على بعد أن يكون هذا الموضع هو الموضع الرابع (محل إمامة [2] جبريل) ، وجوز فيه المحب وجهاً آخر وهو أن يكون الموضع الأول هو خلف المقام لأنه يقال فيه وجه الكعبة ثم قال : وقد ورد

---

(١) فى النسخة (ك) : هما .

(٢) فى النسخة (ك) : لا يوجد هذا الكلام .

تفضيل وجه الكعبة على غيرها من الجهات، ثم قال ! الموضع السابع بين الركنين اليمانيين ذكره ابن إسحاق فى سيرته فى قصة طويلة . الثامن الحجر واستدلاله بحديث : خنق عقبة بن أبى معيط النبى صلى الله عليه وسلم فى الحجر كما فى الصحيحين [١] وذكر فى هذا الفصل صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ثم قال : وورد أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليمانى ركعتين وعزاه لليقين لابن أبى الدنيا وتاريخ الأزرقى ثم قال : فصارت المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم يقينا وتخمينا تسعة مواضع والعاشر مصلى آدم عليه السلام . انتهى كلام المحب الطبرى وفيه أمور : منها أن ذكره فى هذا الفصل صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الكعبة لا يلائم الترجمة التى ذكرها لأنه ترجم على هذا الفصل بقوله : ذكر مواضع حول البيت روى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيها وهذه الترجمة تقتضى أن يذكر فيها المواضع التى صلى النبى صلى الله عليه وسلم فيها حول البيت لا صلاته فى البيت والله أعلم ، ومنها أن ذكره فى هذه الترجمة مصلى آدم عليه السلام غير ملائم، ومنها أن ما ذكره من مصلى آدم فيه احتمال لأن آدم عليه السلام يحتمل [٢] أن يكون صلى عند الركن اليمانى مما يلى الحجر الأسود ويحتمل أن يكون صلى عند الركن اليمانى مما يلى الباب المسدود فى المستجار وهذا أقرب والله أعلم لما سبق من قول الفاكهى، وقال بعض الناس : إن الموضع الذى تاب الله فيه على آدم دبر الكعبة عند الباب الذى فتحه ابن الزبير من دبرها عند الركن اليمانى انتهى. ومنها أن ماذكره فى [٣] مصلى آدم عليه السلام عند الركن اليمانى يخالف ماذكره ابن سراقة وابن جماعة من أنه فى جهة الكعبة الشرقية وقد سبق فى الباب الثامن من هذا الكتاب أن مصلى آدم عليه السلام فى الجهة الشرقية وأن بينه وبين الحفرة المرخمة فى هذه الجهة ثلاثة أذرع إلا ثلث بالحديد والله أعلم بالصواب .

ومنها أن المحب لما بين الموضع الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم بين الركنين اليمانيين يحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم صلى إلى وسط الجدار ويحتمل أن يكون مائلاً عن الوسط إلى جهة الحجر الأسود ويحتمل أن يكون مائلاً عن الوسط إلى جهة الركن اليمانى ، وقد سبق أن ابن سراقة ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى

---

(١) روى البخارى فى صحيحه قال : بينما النبى يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله فخنقه خنقا شديداً . فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) ، وقد ذكر مسلم هذه الرواية فى صحيحه .

(٢) فى النسخة (ك) : احتمال .

(٣) فى النسخة (ك) من .

إلى وسط[١] الجدار وتحريره بالوسط من[٢] هذا الجدار بأنه الرخامة التى فى شاذروان الكعبة المكتوب فيها أن الملك لاجين[٣] أمر بعمارة المطاف ، ومنها أن المحب الطبرى لم يبين أيضاً الموضع الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم عند باب الكعبة . وهو يحتمل ثلاثة أوجه ، الأول : أن يكون صلى وجاه الباب ، والثانى : أن يكون صلى فى الحفرة المرخمة التى عند باب الكعبة على يمينه ، والثالث : أن يكون صلى فى الملتزم . وفى هذا الوجه بُعْدٌ والوجه الأول أقرب لأنه عند الباب حقيقة بخلاف الوجهين الأخيرين فإنه إنما يصدق عليهما عند باب الكعبة لقربهما منه والله أعلم . وإنما نبهنا على ذلك لأنه وقع لشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام الشافعى وشيخ اليمن أحمد بن موسى ابن العجيل ما يقتضى أن مصلى جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم هو الحفرة المرخمة ولم أقف على كلام ابن العجيل وإنما بلغنى أن الرضى الطبرى إمام المقام شيخ شيوخنا سأل الشيخ أحمد بن موسى بن عجيل عن تحقيق ذلك بطريق الكشف فأخبره أن الحفرة المشار إليها هى مصلى جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وأما كلام ابن عبد السلام فذكره عنه ابن جماعة فى منسكه لأنه قال : وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : إن الحفرة الملاصقة للكعبة بين الباب والحجر هى المكان الذى صلى فيه جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس حين فرضها الله تعالى على أمته ولم أر ذلك لغيره ، وفيه بعد لأنه لو كان صحيحاً لنبهوا عليه بالكتابة فى الحفرة ولما اقتصروا على من أمر بعمل المطاف والله أعلم . انتهى كلام ابن جماعة وقد أخبرنى بذلك عنه خالى رحمهما الله . وفى خبر المقام عن سعيد ابن جبير رحمه الله أن موضعه اليوم حذاء موضعه فى هذا الباب الصندوق الذى فيه المقام إلا أن يجاوز الحفرة مما يلى الحجر بسكون الجيم فعلى هذا يكون المقام عند الكعبة فى نصف الحفرة الملاصق[٤] للكعبة المشار إليها وإذا كان هذا موضع المقام عند الكعبة فيكون النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه بعد خروجه من الكعبة لأن النسائى روى عن أسامة بن زيد : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت ركع قبل البيت ركعتين . وفى رواية : أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين خلف المقام وهو وقبل البيت واحد إلا[٥] أن المقام كان عند الكعبة على ما قيل والله أعلم .

ومنها أن كلام المحب يقتضى أن المصلى الذى ذكره ابن السائب غير المصلى الذى ذكره أسامة لعده[٦] ذلك مصليين

---

(١) فى النسخة (ك) : هذا الجدار .

(٢) فى النسخة (ك) : لاتوجد من .

(٣) هو الملك المنصور حسام الدين لاجين وقد سبق ترجمة قصيرة له فى هامش ص ١٣٦ من الكتاب .

(٤) لا يوجد فى النسخة (ك) .

(٥) فى النسخة (ك) (لأن) وهو الذى يتناسب مع سياق الكلام .

(٦) فى النسخة (م) بعده .

وفى ذلك نظر لان حـديث ابن السائب فى المصلى الذى ذكره موافق لحديث أسامة فى المصلى الذى ذكره ويظهر ذلك بذكر حديثهما ، فلفظ[1] حديث ابن السائب عند الأزرقى حدثنى جدى حدثنا داود بن عبد الرحمن عن محمد بن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابن السائب أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح فى وجه الـكعبة حذو الطرقة البيضاء ثم رفع يديه فقال هـذه القبلة انتهى . ولفظ حديث أسامة أن النبى صلى الله عليه وسلم لمـا دخل البيت دعا فى نواحيه كلهـا ولم يصل حتى خرج فلمـا خرج ركع قبل البيت ركعتين وقال : هذه القبلة . أخرجاه وقال النسائى : سبّح فى نواحيه وكبّر ولم يصل ثم خرج وصلى خلف المقام ركعتين ، ثم قال : هذه القبلة ، ولا منافاة بين قولة أسامة فى الحديث الأول : ركع قبل البيت و بين قوله فى الحديث الثانى : وصلى خلف المقام ركعتين لأن المقام كان فى وجه الـكعبة على ماذكره ابن عقبة فى مغازيه وغيره ويكون قوله : صلى خلف المقام مفسرا لقوله: ركع قبل البيت لينتفى التعارض بين حديثه وهذا أولى من حمل قوله على أنه صلى خلف المقام فى موضعه اليوم لأنه إذا حمل على ذلك يفهم منه التناقض بين الحديثين والله أعلم و إذا كان حديث ابن السائب يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى عند الـكعبة فى يوم فتح مكة وقال : هذه القبلة واقتضى ذلك أيضاً حديث أسامة ففى ذلك دليل على اتحاد المصلى الذى ذكره أسامة وابن السائب ويتجه به النظر الذى أشرنا إليه فى ما ذكره المحب الطبرى من أن المصلى الذى ذكره أسامة غير المصلى الذى ذكره ابن السائب ولا يقال الحديث الذى استدل به المحب الطبرى على المصلى الذى ذكره ابن السائب ولا يقال الحـديث الذى ذكره الأزرقى لان المحب الطبرى قال فى القرى كما ذكره فى المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم حول الـكعبة، الثالث قريباً من الركن الشامى مما يلى الحجر عن عبدالله بن السائب أنه كان يقود ابن عباس[2] عند الشقة الثالثة مما يلى الركن الذى يلى الحجر مما يلى الباب فيقول له ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى ها هنا فيقول نعم فيقوم فيصلى أخرجه أحمـد وأبو داود انتهى . وقوله فى هـذا الحديث أثبت هو بنصب التاء لا برفعها لأنه يلزم على رفعها أن يكون الحديث من رواية ابن السائب عن ابن عباس ولا يعرف لابن عباس فى هذا المعنى حديث والله أعلم .

وقوله أثبت بألف يعنى (همزة الاستفهام[3]) ثم ثاء مثلثة ثم باء موحدة ثم تاء مثناة من الثبات الذى بمعنى التحقيق للشىء كأنه يقول له تحققت أن النبى صلى الله عليـه وسلم صلى فى الموضع المشار إليه فيقول نعم والله أعلم .

---

(١) فى النسخة (ك) : ولفظ .

(٢) فى النسخة (ك) : بعمه .

(٣) لم يوجد فى النسخة : (ك) .

وإنما لا يقال الحديث الذى استدل به المحب غير الحديث الذى ذكره الأزرقى لأن الحديث الذى ذكره المحب يقتضى أن ابن عباس رضى الله عنهما سأل ابن السائب عن موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى وجه الكعبة والحديث الذى ذكره الأزرقى يقتضى أخبار ابن السائب بأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى يوم فتح مكة فى وجه الكعبة وانه رفع يديه وقال هذه القبلة و بين المصلى بقوله عدد الطواف وذلك لا ينافى إثباته صلاة النبى صلى الله عليه وسلم عند الشقة الثالثة مقابلة الركن الشامى لإمكان أن يكون موضع النظر فيه موضع الشقة الثالثة فعرفه بالوجهين واختصر فى أخبار ابن[1] عباس بعض القصة والله أعلم .

ووجدت بخط مفتى الحرم رضى الدين محمد بن أبى بكر بن خليل العسقلانى ما يقتضى أن للنبى صلى الله عليه وسلم مصلى بين هذه الحفرة و بين الحجر بسكون الجيم لأنى وجدت بخط الرضى المذكور مانصه أخبرنى الشيخ عثمان ابن عبد الواحد العسقلانى المكى عن بعض مشيخه مكة المتقدمين أن المقام المحمدى الحجر المشوبر الذى عند الحفرة التى عند الكعبة على جانبها مما يلى حجر إسماعيل وهو الحجر الذى إلى جانب هذه الحفرة المذكورة الدعاء عنده مستجاب ، وأخبرنى المفتى عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد المذكور أن من يدعو خلفه بهذا الدعاء يا واجد ياواحد يا ماجد يابر يارحيم ياغنى يا كريم أتمم على نعمتك وألبسنى عافيتك استجيب له انتهى . والحفرة المشار اليها هى السابقة والحجر المشوبر الذى هو علامة هذا المصلى لا يعرف الآن ، وهو الموضع الثالث الذى ذكره المحب لأنه ليس بين الحفرة المشار إليها ، والركن الشامى مصلى للنبى صلى الله عليه وسلم غير المصلى الثالث والله أعلم والحفرة المشار إليها جدد رخامها الذى هو بها الآن فى سنة احدى وثمانمائة وقد حررنا أموراً تتعلق بزرعها فكان طولها من الجهة الشامية إلى الجهة اليمانية أربعة أذرع وعرضها من الجهة الشرقية إلى جدار الكعبة ذراعان وسدس وعمقها نصف ذراع كل ذلك بذراع الحديد والحفرة المشار اليها لم ترخم إلا بعد قدوم ابن جبير إلى مكة وكان قدومه فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة لأنه ذكر هذا الموضع فى أخبار رحلته وذكر أنه علامة موضع المقام فى عهد ابراهيم الى أن صرفه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الموضع الذى هو الآن مصلى وأنه مفروش برملة بيضاء انتهى بالمعنى . فدل ذلك على أنه لم يكن ترخيماً حين رآه[2] ابن جبير وقد نبهت فيما سبق على عدم استقامة قوله أن هذا الموضع موضع المقام فى عهد ابراهيم والله أعلم بالصواب .

---

(١) فى النسخة (ك) : لابن .

(٢) فى النسخة (ك) : رواه .

الباب الثامن عشر

فى ذكر شىء من أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته وذرعه

وذكر شىء مما ذكره الأزرقى فى خبر توسعته

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : حدثنى[1] جدى قال : أخبرنى مسلم بن خالد الزنجى عن ابن جريج قال: كان المسجد الحرام ليس عليه جدارات محاطة به إنما كانت الدور محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبواباً يدخل منها الناس فاشترى عمر بن الخطاب دوراً فهدمها وهدم على من قرب من المسجد دورهم وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وتمنع من البيع فوضعت أثمانها فى خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد ؛ ثم أحاط عليه جداراً قصيراً وقال لهم عمر : إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها ولم تنزل عليكم . ثم كثر الناس فى زمن عثمان فوسع المسجد فاشترى من قوم وأبى آخرون فهدم عليهم . انتهى باختصار ولم يذكر الأزرقى السنة التى وسع فيها عمر المسجد الحرام وهى سنة سبع عشرة من الهجرة ولا السنة التى وسعه فيها عثمان وهى سنة ست وعشرين من الهجرة على ما ذكره ابن جرير وابن الأثير فى تاريخ توسعتهما[2] .

وذكر الأزرقى أن عبد الله بن الزبير وسع المسجد من جانبه الشرقى وهو أعلاه مما يليه من جانبه الشامى ومن جانبه اليمانى وكان مما وسع به فى الجانب الشرقى نصف دار الأزرقى جد الأزرقى إشترى ذلك ببضعة عشر آلاف دينار ثم وسعه أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء من بنى العباس من جانبه الشامى ومن جانبه الغربى إلى أن أوصله إلى ما هو عليه اليوم إلا أنه بلغ فيما وسعه من الجانب الغربى إلى باب بنى جمح ... الذى هو[3] فيه الآن فى محاذاته فيما أحسب الزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقا واحداً ، وكان ابتداء عمل ذلك فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة والفراغ منه فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة وكان الذى زاد فيه المنصور الضعف مما كان عليه قبل ، ثم وسعه المهدى بن أبى جعفر المنصور من أعلاه ومن الجانب اليمانى ومن الموضع الذى

---

(١) فى النسخة (ك) : أخبرنى .

(٢) ابن جرير هو الطبرى وكتابه فى التاريخ اسمه تاريخ الأمم والملوك ، وقد توفى الطبرى سنة ٣١٠ هـ . وأما ابن الأثير فكتابه فى التاريخ اسمه الكامل وقد توفى ابن الأثير سنة ٦٣٠ هـ .

(٣) لا يوجد فى النسخة « ك » .

انتهى إليه أبوه فى الجانب الغربى حتى صار على ماهو عليه الآن خلا الزيادتين فإنهما أحدثتا بعده كما سيأتى فى خبرهما وكان توسعته له فى نوبتين : الأولى فى سنة إحدى وستين ومائة وفيها زيد فيما زاده أبوه فى المسجد رواقات، والثانية فى سنة سبع وستين وكان أمر بها لما حج حجته الثانية فى سنة أربع وستين ولم تكمل هذه الزيادة إلا فى زمن ابنه موسى الهادى لمعاجلة المنية للمهدى بالاخترام وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليمانى و بعض الغربى وذلك من الأساطين الحجارة فى الجانب اليمانى إلى الموضع الذى انتهى إليه عمل المنصور فى الجانب الغربى وأنفق المهدى فى توسعة المسجد الحرام وعمارته أموالا عظيمة المقدار لأن ثمن كل ذراع مكسر دخل فى المسجد خمسة وعشرون ديناراً وثمن كل ذراع مكسر دخل فى الوادى خمسة عشر ديناراً ونقل إليه أساطين الرخام من الشام وغيرها حتى أنزلت بجدة وحملت منها على العجل إلى مكة إلى غير ذلك من الأمور التى عظمت فيها نفقته ولم يكن له فى ذلك نظير ،أعظم الله له الأجر، واسمه الآن مكتوب فى مواضع من المسجد الحرام منها قرب المنارة المعروفة بمنارة باب على التى فيها الميل وما ذكرناه من حال المسجد فى ابتدائه وتوسعته حتى صار إلى ماهو عليه الآن خلا الزيادتين فهو ملخص بالمعنى مختصر مما ذكره الأزرقى فى هذا الأمر .

وذكر فى أخبار عمارته من غير توسعة فيه أن عبد الملك بن مروان رفع جدرانه وسقفه بالساج وجعل فى رأس كل اسطوانة خمسين مثقالاً ذهباً وعمّره عمارة حسنة وأن ابنه الوليد بن عبد الملك نقض عمل أبيه وعمله عملاً محكماً وسقفه بالساج المزخرف وأزر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفاً وجعل على رأس الأساطين الذهب على صفائح الشبه[1] من الصفر وجعل فى وجوه الطبقات من أعلاه السفيسفاء وهو أول من عمله فى المسجد الحرام وأول من نقل إليه اساطين الرخام. وذكر أنه عمر فى زمن المتوكل العباسى . هذا معنى ماذكره الأزرقى فى عمارة المسجد الحرام من غير توسعة وذكر السهيلى فى عمارة المسجد الحرام شيئاً يستغرب فنذكر ذلك ثم نبين مافيه ونص كلام السهيلى: فلما كان زمن[2] ابن الزبير زاد فى إتقانه لا فى سعته وجعل فيه عمداً من الرخام وزاد فى أبوابها وحسنها فلما كان عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السوارى فى البحر إلى جدة واحتملت من جدة على العجل إلى مكة انتهى وما ذكره السهيلى من أن الزبير لم يوسع المسجد الحرام فيه نظر لمخالفته ماهو المشهور فى ذلك ومن حفظ حجة على من لم يحفظ وما ذكره من أن ابن الزبير جعل فى المسجد عمداً من الرخام وأن عبد الملك حمل إليه السوارى يخالف إمضاء ماذكره الأزرقى من أن الوليد بن عبد الملك

---

(١) كذا بالاصل

(٢) «زمن» لا توجد فى النسخة « ك » .

أول من نقل إليه الأساطين الرخام لكن وقع للأزرقى ما يفهم خلاف ذلك لأنه قال حدثنى جدى قال حدثنا سفيان بن عينيه عن سعيد بن فروة عن أبيه قال كنت على عمل المسجد فى زمن عبد الملك بن مروان قال : فجعلوا فى رؤوس الأساطين خمسين مثقالاً من ذهب فى رأس كل اسطوانة انتهى ، ووجه مخالفة ذلك لما سبق أن عمل الذهب فى رءوس الأساطين يقتضى وجودها حين عمل فيها ذلك و إذا كانت موجودة فهى ماعمله عبد الله بن الزبير وأى الأمرين كان فهو يخالف ماذكره الأزرقى من أن الوليد بن عبد الملك أول من حمل إليه ذلك والله أعلم بالصواب[1] .

ذكر شىء من خبر توسعة المسجد الحرام بعد الأزرقى ومن خبر عمارته بعده

اعلم أنه لم يزد فى المسجد الحرام بعد الأزرقى إلا أن الزيادتين المعروفة أحدهما بزيادة دار الندوة بالجانب الشمالى والثانية الزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم بالجانب الغربى ولم يزد فيه بعد المهدى غير هاتين الزيادتين فأما قول الحافظ عماد الدين بن كثير فى تاريخه فى أخبار سنة إحدى وسبعين ومائة إن الخيزران أم المؤمنين خرجت إلى مكة فأقامت بها حتى شهدت الحج وقد اشترت الدار المشهورة لها بمكة المشرفة المعروفة بدار الخيزران فزادتها فى المسجد الحرام فهو غير مستقيم لأن الدار المشهورة بالخيزران بمكة إنما هى عند جبل الصفا و بينها و بين المسجد الحرام طريق مسلوك يزيد على مائة ذراع على مقتضى ما ذكره الأزرقى فى مقدار مابين باب المسجد المعروف بباب الصفا والصفا هو مبدأ السعى وهو قرب هذه الدار فدخولها فى المسجد الحرام غير ممكن وأيضاً قال إنه لو وقع منها ذلك لاشتهر كما اشتهر توسعة غيرها فى المسجد الحرام ولذكره الأزرقى فى تاريخه كما ذكر ما وقع من غيرها من[2] هذا الأمر والله أعلم . وأيضاً النقل فإن إسحاق بن احمد الخزاعى قال فى خبر زيادة دار الندوة ان الساعى فيها كتب إلى وزير[3] المعتضد العباسى يحسن له جعل مابقى من دار الندوة مسجدا و يقول له إن هذه مكرمة لم تتهيأ لأحد من الخلفاء بعد المهدى وذكر إسحاق الخزاعى شيئاً من خبر هذه الزيادة وملخص ذلك أن الساعى فيها سأل قاضى مكة محمد بن احمد المقدمى وأميرها عج بن حاج مولى أمير المؤمنين يعنى المعتضد العباسى أن يكتبا فيها بمثل ما كتب فكتبا فعرضت كتبهم على المعتضد فأمر المعتضد بعمارة دار الندوة مسجداً يوصل بالمسجد الكبير وأخرج لذلك مالاً عظيماً فحمل إلى قاضى بغداد يوسف بن يعقوب فأنفذ بعضه صفائح وأنفذ بعضه على يد ابنه عبد الله بن

---

(١) فى سنة ٨٨٢ هـ ـ عمل السلطان قايتباى عمارة فى المسجد الحرام ، وممن أقاموا بعض العمارات فى المسجد الحرام كذلك : السلطان سليمان العثمانى عام ٩٧٢ هـ ، والسلطان سليم عام ٩٧٩ هـ ، والسلطان مراد خان عام ٩٨٤هـ

(٢) فى النسخة (ك) : (فى) .

(٣) اسم هذا الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب وقد استمر وزيراً المعتضد حتى مات سنة ٢٨٨ هـ فاستوزر المعتضد بعده ابنه أبا الحسين القاسم بن عبيد الله ومات وهو وزيره .

يوسف فى وقت الحج وقدم معه برجل يقال له ابو الهياج الأسدى فوكله بالعمل وخلف معه عمالاً وأعواناً لذلك فأخرجت القمائم من دار الندوة وهدمت ثم أنشئت مسجداً من أساسها باساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المذهب المزخرف ثم فتح لها فى جدار المسجد الكبير اثنا عشر باباً ستة كبار سعة كل باب خمسة أذرع وارتفاعه إلى السماء أحد عشر ذراعاً وجعل بين الستة الأبواب الكبار ستة صغار سعة كل باب منها ذراعان ونصف وارتفاعه فى السماء ثمانية أذرع وثلثا ذراع وجعل لها سوى ذلك ثلاثة أبواب شارعة فى الطريق التى حولها منها بابان طاقان وباب طاق واحد وسوى جدرها وسقوفها بالمسجد الحرام وجعل لها منارة وشرفاً وفرغ منها فى ثلاث سنين ولم يبين إسحاق الخزاعى السنة التى فرغ منها من عمارة هذه الزيادة حين أنشئت ولعل ذلك فى سنة أربع وثمانين ومائتين على مقتضى ماذكره من أنه كتب إلى المعتضد سبب إنشائها فى سنة إحدى وثمانين ومائتين وذكر أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعى ابن أخى إسحاق الخزاعى أن القاضى محمد بن موسى لما كان إليه إمرة البلد غير الطاقات التى كانت فى جدر المسجد الكبير حين عمرت هذه الزيادة وقد تقدم ذكرها وجعل ذلك بأساطين حجارة مدورة عليها مصعد [1] من ساج بطاقات معقودة بالآجر الأبيض والجص ووصله بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من العمل الأول حتى صار من فى دار الندوة من مصلٍ ومستقبل يستقبل القبلة فيراها كلها عمل ذلك فى سنة ست وثلاثمائة : وأما الزيادة التى بالجانب الغربى المعروفة بزيادة باب إبراهيم فذكر أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعى شيئاً من خبرها عند ذكر الأزرقى لباب بنى جمح ونص كلامه قد كان هذا على ما ذكر الأزرقى حتى كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين العباسى . وكان يتولى الحكم بمكة محمد بن موسى فغير هذين البابين المعروف أحدهما بالخياطين والآخر ببنى جمح وجعل مابين دار زبيدة مسجداً أوصله بالمسجد الكبير وعمله بأروقة وطاقات وصحن وجعل شارعاً على الوادى الأعظم بمكة فانتفع الناس به وصلوا فيه وذلك كله فى سنة ست وسبع وثلاثمائة انتهى .

ذكر صفة هذه الزيادة

أما صفة هذه الزيادة فإنها تخالف الزيادة السابقة لأنه ليس لها رواق غربى وإنما لها رواق شرقى وشمالى وجنوبى وموضع الغربى أبواب وبينهما باب الزيادة وكل رواق منها شقة واحدة وغالب الجنوبى مما يلى الجهة الشرقية محوط ببيت فيه شبابيك من خشب وهو السبيل المنسوب للملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن

---

(١) كذا بالأصل .

قلاوون الصالحى وكانت عمارته فى آخر عشر السنين وسبع مائة على ما بلغنى ولها صحن . هذا ملخص مختصر من خبر ما زيد فى المسجد الحرام بعد الأزرقى.. وأما ما وقع فيه من العمارات بعده فكثيرة . وقد شرحنا فى أصل هذا الكتاب شيئاً من خبرها واقتصرنا هنا على أعظم ما وقع فيه من العمارة بعد الأزرقى وسببها أن[1] ذلك فى ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت بالجانب الغربى من المسجد الحرام ولم يكن غير لحظة حتى تعلقت بسقف المسجد وعمت بالحريق الجانب الغربى منه وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامى بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعاً وانتهى الحريق إلى محاذاة باب دار الصحابة وسبب ذلك أن النار لم تجد شيئاً تتعلق به بخلو ذلك الموضع ، وهو عمودان عليهما عقود وسقف بسبب سقوطه لتخربه فى السيل المهول الذى كان بمكة فى هذه السنة أيضاً فصار ما احترق من المسجد الحرام أكواماً عظاماً تمنع من الصلاة فى موضعها (ومن رؤية البيت[2] العظيم فلا حول ولا قوة بالا بالله) ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك فى مدة لطيفة على يد الأمير بيسق الظاهرى أعزه الله وكان قدومه لذلك فى موسم سنة ثلاث وثمانمائة فلما وصل[3] الحاج من مكة فى هذه السنة شرع فى شيل تلك الأكوام العظيمة حتى فرغت ثم أخذ فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان إلا أن الأساطين التى بالجانب الغربى حجارة منحوتة وكذلك الأساطين التى بالجانب الشامى خلا أساطين يسيرة فى مقدمة الجانب المذكور فإنها رخام مكسر ملصق بالحديد وكان الفراغ من عمارة ذلك فى العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة . وعجب الناس كثيراً من سرعة عمارة ذلك فى هذه المدة ، لأن من رأى ذلك قبل عمارته كان يقطع بأن هذه العمارة إنما تنهض فى مدة سنين باعتبار العادة فى العمارات فلله الحمد على نعمه التى لا تحصى ولم يبق من ذلك محتاجاً إلى العمارة إلا سقف الجانب الغربى والذى أوجب تركه أنه لم يوجد بمكة خشب ساج يسقف به ولو وجد بمكة لما جاء الموسم من سنة أربع وثمانمائة إلا وجميع ذلك فارغ بقدرة الله تعالى ولما كان المحرم مفتتح شهور سنة سبع وثمانمائة قدم إلى مكة الأمير بيسق المذكور أحسن الله إليه لعمارة هذا السقف وغيره مما تشقق من المسجد الحرام ونهض[4] فى مدة لطيفة بقدرة الله لأن الأمير بيسق المشار إليه جرى على عادته فى علو الهمة وعنى من حين وصوله بتحصل الأخشاب ثم بتهيئتها لعمل السقف ثم بتركيبها فى محلها والخشب الذى سقف به ذلك يقال له خشب المعرعر جىء به إلى مكة من جهة الطائف . وأصلح الأمير المذكور فى هذه السنة المواضع كلها التى كانت متشققة

---

(١) فى النسخة (ك) : و ـ بدل أن .

(٢) ما بين القوسين من زيادة النسخة (ك) .

(٣) فى النسخة (ك) : رحل .

(٤) فى النسخة « ك » : أيضا .

بالمسجد الحرام وسقوفاً فيه . فلله الحمد على ذلك ؛ ثم عمرت أماكن من المسجد الحرام فى سنة خمس عشرة وثمانمائة فمن ذلك عقدان على اسطوانة واحدة فى الصف الأول من الرواق اليمانى يقابل المدرسة البنجالية وأماكن فى سقف المسجد الحرام كثيرة وكان المتولى لأمر هذه العمارة شيخنا قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشى المخزومى المكى من مال تطوع به أهل الخير أثابهم الله ، ثم كثر الشعث والخراب بالمسجد الحرام بعد ذلك وسقط كثير من سقوطه[1] وكذلك أماكن بالجانب الغربى وموضع بالجانب اليمانى يقابل العقدين المشار إليهما ومن ذلك سقف بالجانب الشرقى فى موضع يقال[2] باب العباس قريباً من سقف عقدين . ومن ذلك فيما يقابل باب الجنائز ورباط المراغى والسدة نحو أربعة عقود ومن ذلك بالجانب الشامى سقف عقد[3] باب الدريبة وموضع آخر بهذا الجانب يقابل رباط أم الخليفة الناصر العباسى المعروف بالعطيفية ومن ذلك سقف ستة عقود فى محاذاة زيادة دار الندوة فى الرواق الذى يليها . ومن ذلك سقف عقد يقابل باب دار الصحابة ومن ذلك سقف عقدين بالرواق الغربى من زيادة دار الندوة ومن ذلك ما فوق أحد بابى الجنايز الذى يلى رباط المراغى المعروف بالقيلانى إلى آخر جدار المسجد الحرام الذى يلى رباط المراغى، وقد عمر من ذلك باب الجنائز عمارة حسنة مع جدار المسجد الحرام الذى يلى رباط القيلانى وكان ما بين بابى الجنائز[4] قائما لم يسقط قبل عمارته وإنما تخرب ـ فهدم ذلك حتى بلغ الأرض وأزيلت اسطوانتان من رخام كانتا متصلتان[5] بالبناء الذى بين البابين وبين بابى الجنائز تبرة كبيرة بحجر منحوت من ظاهرها فيما يبدو للناس وباطنها بحجر غشيم حتى ارتفعت عن الأرض نحو أربعة أذرع بالعمل وبنى فوقها عقدان عليها وعلى جدار المسجد الذى يلى المدرسة الأفضلية وجدار المسجد الذى يلى رباط القيلانى . وهذان العقدان مبنيان بحجارة منحوتة مما يلى المسعى ؛ وفيه رخام وشىء فوق أسقفة البابين مما يلى بطن المسجد وفوق الدرج عقدان من آجر بالنورة وفى كل عقد عقد لطيف واستحسنت عمارة ذلك . وكتب بسبب هذه العمارة فى لوح من رخام أن ذلك عمر فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة فى ذى القعدة بأمر صاحب مصر الملك الأشرف برسباى على يد الأمير زين الدين ، مقبل القديدى صاحبنا ، ونصبت الأخشاب فى المواضع الساقطة من هذا الجانب أعنى الشرقى ، وفى الجانب اليمانى ، وفى الجانب الغربى ، وفى الجانب الشامى بقرب باب الدريبة ، وقبالة العطيفية.. وبقى سقف ذلك

---

(١) كذا بالأصل ولعله سبق قلم وصوابه من سقوفه .

(٢) كذا بالأصل، والصواب: يقال له .

(٣) كذا وردت ، وقد حذفت منها كلمة بقرب ،

(٤) بياض بالأصل .

(٥) كذا بالأصل، وهو خطأ نحوى، والصواب : متصلتين .

الأعلى و اتقانه بالجص والدلك، وكان بالجانب الشامى فى محاذاة باب دار الصحابة فى الرواق الأوسط اسطوانة من رخام مشدودة بالحديد والرصاص فأزيلت وعوض عنها بأسطوانة صحيحة من رخام هى أحد الأسطوانتين اللتين كانتا بظاهر باب الجنائز و بنى فى هذا الجانب فى الصف الأول الذى يلى بطن المسجد سبعة عقود ، و بنى فى هذا الجانب عدة عقود فى مؤخره عقد فوق الدكة المنسو بة للفقيه ابى السعود بن ظهيرة وعقود أخر تلى ذلك إلى باب دار الصحابة وزيد بناء يشد العقود المذكورة فى عرض ما تحتها وطوله واستحسن جميع ذلك. ومما بنى فى هذا الجانب ثمانيـة عقود فى العقد الثانى وثلاثة عقود فى الصف الذى يليه بعد إحكام الأساطين الذى تحت ذلك الحملة المبنى من العقـود سبعة فى الصف الذى يلى بطن المسجد وثمانية فى التى تليه وثلاثة فى المؤخر و بنى عقدان قبالة باب الجنائز و بترة بين باب المجاهدية وجددت أبواب بالمسجد الحرام منها بابان لباب الجنـائز وثلاثة لباب العباس والبـاب الأوسط من باب الصفا و باب الصحابة و باب الزيادة المفرد وأصلحت مواضع فى أبواب المسجد وعمرت سقوفه ونورت أو أكثرها بالنورة وذلك فى سنة ست وعشرين وثمانمائة إلا قليلاً ففى سنة خمس وعشرين وذلك على يد الأمير زين الدين مقبل المذكور أثابه الله[1] .

ذكر ذرع المسجد الحرام غير الزيادتين

و بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : ذرع المسجد الحرام مكسراً مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع وذرع المسجد الحرام طولاً من باب بنى جمح إلى باب بنى هاشم الذى عنده العلم الأخضر بمقابل دار العباس عبد المطلب أربعمائة ذراع وأربعة أذرع مع جدر به تمر فى بطن الحجر لاصقة بجدر الكعبة وعرضه من باب دار الندوة إلى الجدار الذى يلى الوادى عند باب الصفا لاصقاً بوجه الكعبة ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع وذرع عرض المسجد الحرام من المنارة التى عند السعى إلى المنارة التى عند باب بنى شيبة الكبير مائتا ذراع وثمانية وسبعون ذراعاً وذرع عرض المسجد الحرام من منارة باب أجياد إلى منارة باب بنى سهم مائتا ذراع وثمانية وسبعون ذراعاً انتهى .

قلت باب بنى جمح لا أثر له الآن وموضعه فيما أظن بعض الأساطين المتقدمة فى زيادة باب إبراهيم التى فى وزان جدار المسجد من هـذا الجانب والله أعلم و باب بنى سهم هو باب المسجد المعروف الآن بباب العمرة وقد حررنا ذرع طول المسجد الحرام وعرضه فكان طوله من جداره الغربى إلى جداره الشرقى المقابل له ثلاثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعاً وثمن ذارع بذراع الحديد ويكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع وسبعة أذرع وذلك من وسط جداره الغربى الذى هو جدر رباط الخوزى إلى وسط جداره الشرقى عند باب المسجد المعروف بباب الجنائز يمر به

---

(١) وقد أمر الملك سعود الأول حفظه الله بتوسعة المسجد الحرام إلى ضعف مساحته الحالية ، وبتجميل الشوارع المؤدية إليه وتنظيم ميادين ضخمة حوله .

فى الحجر ملاصقاً لجدار الكعبة الشامى وكان عرضه من جداره الشامى إلى جداره اليمانى مائتى ذراع وستة وستين ذراعاً بذراع الحديد ويكون ذلك بذراع اليد ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع وذلك من وسط جداره القديم عند العقود التى يدخل منها إلى زيادة دار الندوة إلى وسط جداره اليمانى فيما بين باب المسجد المعروف بباب الصفا وبابه المعروف بباب أجياد ويمر به فيما بين مقام إبراهيم والكعبة وهو إلى المقام أقرب حرر لى ذلك جماعة معتمد عليهم من أصحابنا أثابهم الله وكان تحرير ذلك فى ليلة الخميس السابع عشر من ربيع الأول سنة أربع عشرة وثمانمائة وقد طابق ماحررناه فى ذرع عرض المسجد ماذكره الأزرقى فى ذرعه من وسطه ، وذكر ابن خرداذبة فى ذرع المسجد طولاً وعرضاً مايخالف ذلك لانه قال وطول المسجد الحرام ثلاثمائة وسبعون ذراعاً وعرضه ثلاثمائة وخمسة عشر ذراعاً انتهى وهذا غريب لذلك ذكرناه ، وذكر القاضى عز الدين بن جماعة فى مقدار المسجد الحرام وجهاً آخر لأنه قال ومساحة المسجد الحرام ستة أفدنة ونصف وربع والفدان عشرة آلاف ذراع بذراع العمل المستعمل فى البنيان بمصر وهو ثلاثة أشبار تقريباً انتهى أخبرنى بذلك عن ابن جماعة خالى رحمهما الله .

وذكر الأزرقى رحمه الله مقدار المسجد الحرام فى زمان ابن الزبير لأنه قال وحدثنى جدى قال حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زادان بن فروخ قال : مسجد الكوفة تسعة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة وشىء قال أبو الوليد حدثنى جدى وقال وذلك فى زمان ابن الزبير انتهى ونذكر مقدار الجريب لما فى ذلك من زيادة الفائدة فى بيان مقدار المسجد الحرام فى زمن ابن الزبير ، وقد ذكر ذلك الماوردى فى الأحكام السلطانية والنووى والقلعى وصاحب الوافى ؛ فأما الماوردى فقال إنه عشر قصبات فى عشر قصبات ذرع كل قصبة ستة أذرع ، قال ابن الرفعة بعد ذكره لكلام الماوردى فإذا ضربت ذلك بالتكسير بلغ ثلاثة آلاف ذراع وستمائة ، وأما النووى والقلعى وصاحب الوافى فقالوا إنه أرض مربعة كل قائمة منها ستون ذراعاً قال ابن الرفعة بعد ذكره لذلك:وأنت إذا ضربت ذلك فى مثله بلغ ثلاثة آلاف ذراع وستمائة ذراع، وقال ابن يونس: الجريب ستة آلاف ذراع وأربعمائة ذراع انتهى . وعلى ماذكره الماوردى : ومن وافقه فى مقدار الجريب يكون المسجد الحرام فى زمان ابن الزبير خمسة وعشرين ألف ذراع ومائتى ذراع لأن ذلك مقدار سبعة أجربة ويزيد مقداره على ذلك بزيادة على السبعة الأجربة التى قيلت فى مقداره وعلى ما ذكره ابن يونس فى مقدار الجريب يكون المسجد الحرام فى زمن ابن الزبير خمسة وأربعين ألف ذراع ينقص مائتى ذراع لأن ذلك مقدار السبعة الأجربة على هذا القول ويزيد مقدار المسجد على ذلك بزيادة على السبعة الأجربة وأظن أن ما قيل من أن مسجد مكة سبعة أجربة وشىء فى زمان ابن الزبير يكون مقداره هذا بعد أن وسّعه ابن الزبير لا قبل أن يوسعه والله أعلم وقد ذكر الازرقى فى حد المسجد الحرام وجهاً آخر لأنه قال فيما رويناه عنه حدثنى جدى قال : أخبرنا مسلم بن خالد قال :

سمعت محمد بن الحرث بن سفيان يحدث عن على الأزدى فال : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : إنا لنجد فى كتاب الله عز وجل أن حدّ المسجد الحرام من الحزورة إلى المسعى ، وحدثنى محمد بن يحيى قال حدثنا هشام بن سليمان عن عبد الله بن عكرمة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال: أساس المسجد الحرام الذى وضعه إبراهيم عليه السلام من الحزورة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد [1] ،وقال : والمهدى وضع المسجد على المسعى انتهى .

ذكر ذرع زيادة دار الندوة

ذرعها طولاً أربعة وسبعون ذراعاً بتقديم السين إلا ربع ذراع بذراع الحديد المقدم ذكره وذلك من جدار المسجد الكبير إلى الجدار المقابل له الشامى منها وعنده باب منارتها وذرعها عرضاً من وسط جدارها الشرقى إلى وسط جدارها الغربى سبعون ذراعاً بتقديم السين ونصف ذرع صحنها طولاً من الأساطين التى فى مقدم الجانب الجنوبى إلى الأساطين التى فى مقدم الجانب الشمالى سبعة وثلاثون ذراعاً وذرع عرض صحنها كذلك بزيادة سدس ذراع كل ذلك بذراع الحديد .

ذكر ذرع زيادة باب ابراهيم

أما ذرعها طولاً سبعة وخمسون ذراعاً إلا سدس ذراع وذلك من الأساطين التى فى وزان جدار المسجد الكبير إلى العتبة التى فيها باب هذه الزيادة وأما ذرعها عرضاً فاثنان وخمسون ذراعاً وربع وذلك من صدر حائط رباط الخوزى إلى جدار رباط رامشت المقابل له من جدار دار زبيدة إلى جدار رباط رامشت أيضاً إلا أنه ينقص من هنا عن الأول ربع ذراع وذرع صحنها طولاً ستة وثلاثون ذراعاً وربع وثمن وذلك من الأساطين الشرقية التى تلى صحنها إلى عتبة باب القبة وذرع صحنها إلى عتبة باب القبة وذرع صحنها عرضاً ثلاثة وثلاثون ذراعاً ونصف كل ذلك بذراع الحديد المشار إليه وكان تحرير ذرع مابين الزيادتين بحضورى .

---

(١) شعب من شعاب مكة فى جنوبها .

الباب التاسع عشر

فى عدد أساطين المسجد الحرام ، وصفتها ، وعدد عقوده ، وشرفاته وقناديله وأبوابه وأسمائهـــا ، ومنابره ، وفيما صنع فيه لمصلحة أو لنفع الناس به ، وفيما فيه الآن من المقامات وكيفية صلاة الأئمة بها وحكمها

ذكر عدد أساطين المسجد الحرام غير الزيادتين وصفتها

رينا عن الأزرقى بالسند المتقدم إليه أن عدد الأساطين التى بجوانب المسجد الحرام وأبوابه أربعمائة اسطوانة وأربعة وثمانون اسطوانة[1] ، منها على الأبواب عشرون اسطوانة . ووصف الأزرقى جميع هذه الأساطين والأساطين التى هى الآن فى جوانب المسجد الحرام وأبوابه على غير ماذكره الأزرقى فى العدد والصفة الآن لأن فى الجوانب الأربعة من المسجد الحرام غير الزيادتين أربعمائة اسطوانة وتسعة وستين اسطوانة وعلى أبواب المسجد من داخله وخارجه سبعة وعشرون اسطوانة فتصير جملة الأساطين بجوانب المسجد الحرام وما على أبوابه أربعمائة اسطوانة وستة وتسعين اسطوانة بتقديم التاء على السين غير مافى الزيادتين وذلك يزيد على ماذكره الأزرقى عشرة أساطين وجملة الأساطين التى بالجانب الشرقى ثمانية وثمانون اسطوانة كلها رخام خلا الواحدة[2] فى الصف الأوسط عند باب على فإنها آجر مجصص وجملة الأساطين التى فى هـذا الجانب الشمالى ويقال له الشامى الذى يلى دار الندوة ودار العجلة مائة اسطوانة وأربعة أساطين منها الاسطوانة الحمراء وهى الثانية والعشرون من عدد الصف المقدم من هذا الجانب وجميع الأساطين التى فى هذا الجانب رخام خلا الأربعة عشر أسطوانة من آخر الصف الأوسط مما يلى دار العجلة وباب السدرة فإنها حجارة منحوتة وجملة الأساطين التى فى الجانب الغربى سبعة وثمانون اسطوانة كلها حجارة منحوتة وهى مما عمل بعد الحريق للمسجد الحرام لتكسر أساطينه الرخام التى كانت فيه

---

(١) كان عددها عام ٩٨٤ هـ : ٤٩٦ أسطوانة (١٠١ تاريخ عمارة المسجد الحرام) .

(٢) فى النسخة (ك) : واحدة .

قبل الحريق وجملة الأساطين التى فى الجانب الجنوبى وهو اليمانى مائة وأربعون اسطوانة وجميعها رخام خلا خمسة وعشرين اسطوانة فإنها غير رخام وهى حجارة منحوتة خلا اثنين فآجر مجصص وجميع ما فى جوانب المسجد الحرام وأبوابه الآن من الأساطين الرخام ثلثمائة اسطوانة وأربعون أسطوانة وجميع مافيه من الأساطين غير الرخام مائة اسطوانة وسبعة وعشرون اسطوانة كلها حجارة منحوتة خلا الثلاثة أساطين فإنها آجر مجصص وقد تقدم بيان موضع هـذه الأساطين . والأساطين الحجارة المنحوتة وكذا[1] الأساطين الرخام فى جوانب المسجد الحرام وأبوابه .

ذكر عدد الأساطين التى بصحن المسجد الحرام وصفتها

فأما عددها فمائتين وثلاثون اسطوانه . وأما صفتها فاربعة عشرة منهـا حجارة منحوتة دقيقة ، والباقى آجر مجصص ، وبين كل من الأساطين خشبة ممدودة راكبة عليها ، وعلى المقابل لها لأجل القناديل التى تعلق فيها . وكان فى موضع هـذه الأساطين قبل ذلك أخشاب على صفة الأساطين وعمل ذلك للاستضاءة بالقناديل حول الكعبة . وكلام القاضى عز الدين بن جماعة يوهم أن ذلك وقع بعد العشرين وسبعمائة وأن الأساطين الحجارة جعلت فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ثم ثارت ريح عاصفة فى سنة إحدى وخمسين فألقتها ثم جددت فيهـا . وكلام ابن محفوظ المكى يوهم أن إحداث هذا الدائر للقناديل فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة والله أعلم ، وجدد بعض هذه الأساطين فى عصرنا وفيما قبله غير مرة . وذكر الأزرقى أنه كان حول الطواف عشرة أعمدة من صفر تستصبح بها على أهل الطواف بعث بها الواثق العباسى وأن أول من استصبح لأهل الطواف جده عقبة ابن الأزرقى الغسانى .

ذكر عدد أساطين زيادة دار الندوة

عدد أساطين هـذه الزيادة ستة وستون اسطوانة فى جميع جوانبها الأربعة ، منها فى الجهـة الشرقية اثنتا عشرة ، ومنها فى الجهة الشامية عشرون ، ومنها فى الجهة الغربية إحدى عشرة ، ومنهـا فى الجهة الجنوبية ثلاثة وعشرون .

---

(١) لا توجد فى النسخة (ك) .

ذكر عدد أساطين زيادة باب ابراهيم

عدد أساطين هذه الزيادة سبع وعشرون اسطوانة حجارة منحوتة، منها فى الرواق الشرقى الذى يلى المسجد الكبير سبعة عشر فى صفين ، وأربعة من هذه الأساطين السبعة عشر لاصقة بجدر رباط الخوزى ، ورباط رامشت بكل رباط ثنتان ، وفى الجانب الشمالى ستة أساطين ، واحدة منها لاصقة بجدر الإيوان الغربى ، وفى الجانب الجنوبى ستة أساطين ، واحدة منها لاصقة بالمنارة ، التى كانت بهذه الزيادة وسيأتى ذكر شىء من خبرها وليس بالجانب الغربى من هذه الزيادة أساطين كما قدمناه فى صفتها .

ذكر عدد طاقات المسجد الحرام وشرفاته وقناديله

أما عدد الطاقات التى بجوانب المسجد الحرام وهى العقود التى على الأساطين بجوانبه الأربعة غير الزيادتين فأربعمائة طاق ، وأربعة وثمانون طاقا ، من ذلك بالجانب الشرقى تسعة وتسعون طاقا فى ثلاثة صفوف . ومن الجانب الشامى مائة وستة وخمسون فى ثلاثة صفوف ، ومن ذلك بالجانب الغربى ثمانية وثمانون فى ثلاثة صفوف ، ومن ذلك بالجانب الجنوبى وهو اليمانى مائة وواحد وأربعون فى ثلاثة صفوف . وفيما ذكره الأزرقى فى عدد طاقات المسجد الحرام مخالفة لما ذكرناه . لأنه قال وعلى الأساطين أربعمائة طاقة وثمانية وتسعون طاقة، وبين ما فى كل جهة منها . وقد ذكرناها فى أصل هذا الكتاب .

ذكر طاقات زيادة دار الندوة

جملة هذه الطاقات التى على الأساطين بهذه الزيادة فى جوانبها الأربعة : ثمانية وستون طاقا . منها فى الجهة الشرقية الأربعة عشر فى صفين ، ومنها فى الجهة الشامية أربعة وعشرون فى صفين ، ومنها فى الجهة الغربية أربعة عشر . ومنها فى الجهة الجنوبية أربعة وعشرون فى صفين فى كل صف منها اثنا عشر . وذلك غير الطاقات التى فى جدار المسجد الكبير فى هذه الجهة وهى إحدى عشرة طاقة ، وغير ما على الأبواب من الطاقات ، والطاقات هى العقود .

ذكر عدد طاقات زيادة باب إبراهيم

عدد طاقات هذه الزيادة ستة وثلاثون طاقا : منها خمسة على جدر دار زبيدة ورباط الخوزى . ومنها خمسة على الجدر المقابل لهذه الجدار وهو جدر رباط رامشت والباقى على الأساطين ، منها ستة عشر على الأساطين التى

فى الجانب الشرقى ثمانيـة فى كل صف . ومنها خمسة على الأساطين التى فى الجانب الشمالى ، ومنها خمسة على الأساطين التى فى الجانب الغربى .

وأما عدد شرفاته التى تلى بطن المسجد الحرام فهى أربعة[1] وثلاثة عشر شرافة وسبعة أنصاف شرافات . منها فى الجانب الشرقى إحدى وثمانون شرافة ونصف . ومنها فى الجانب الشمالى مائة وخمسة وعشرون شرافة ونصفان . ومنها فى الجانب الغربى سبعة وتسعون شرافة وأربعة أنصاف . ومنها فى الجانب الجنوبى مائة وثمانيـة وعشرون شرافة . وفى نحو النصف من كل جهة من هذه الأربع جهات شباك كبير مخرم من آجر معقود بالنورة .

وأما الشرافات التى على جدر المسجد الحرام من خارجه فهى اثنان وخمسون شرافة ، منها خمس عشرة شرافة على باب المسجد المعروف بباب العباس . ومنها إحدى عشرة شرافة على باب المسجد المعروف بباب على . ومنها إحدى عشرة شرافة على باب المسجد المعروف بباب بازان بالجانب الجنوبى . ومنها ثلاث شرافات على باب أجياد بالجانب الجنوبى أيضا . ومنها ست شرافات على الباب الذى يليه . ومنهـا ست على الباب الذى يليه أيضا ، وما ذكرناه من عدد الشراريف مخالف لما ذكره الأزرقى فى ذلك لأنه قال الشرافات التى على جدران المسجد الحرام من خارجه مائتا شرافة واثنتان وسبعون شرافة . انتهى .

ذكر عدد الشرافات التى بزيادة دار الندوة

و بالجوانب الأربع من هذه الزيادة التى ببطنها اثنتان وسبعون شرافة فى كل جهة ثمانية عشر وكلها متساوية فى الشـكل إلا التى فى الأركان فإنها مخالفة لها فى الصفة .

ذكر عدد الشرافات التى بزيادة باب إبراهيم

عدد الشرافات التى بجوانب هذه الزيادة مما يلى بطنها ، بضع وأربعون . منها عشر فى الجهة الشرقية . ومنها اثنتا عشرة فى الجنوبية ، وكذلك فى الشمالية ، وفى الغربية فى محاذاة القبة ، و بقية الصف خال والظاهر أنه كان هنالك شرافات فتخربت والله أعلم .

وأما عدد قناديل المسجد الحرام الآن المرتبة فيه غالبا . فهى ثلاثة وتسعون قنديلا بتقديم التاء على السين ، منها فى الجانب الشرقى سبعة قناديل ، ومنها فى الجانب الشمالى أحد عشر قنديلا ، ومنها فى الجانب الغربى سبعة أيضا.

---

(١) كذا بالأصل ولعله أربعمائة وثلاثة عشر كما فى العقد الثمين للمؤلف وكما يفهم من التقسيم الذى ذكره بعد .

بتقديم السين على الباء كالجانب الشرقى . ومنها فى الجانب الجنوبى ثمانيـة قناديل . ومنها فى الدائرة التى حول المطاف ثلاثون قنديلا . ومنها فى مقام الخليل إبراهيم أربعة قناديل . ومنها فى كل مقام من المقامات الأربعة حول المطاف خمسة قناديل . ومنها قنديل على باب بنى شيبة من خارجه ، ومنها ثلاثة[1] بزيادة دار الندوة فى كل جانب منها قنديل خلا الجانب الشرقى منها فإنه لا قنديل فيه . ومنها قنديل على باب الزيادة بالجانب الغربى المعروف بباب إبراهيم ، من داخله فهـذه القناديل المرتبة فى المسجد الحرام غالباً . ويزاد فيه فى شهر رمضان من كل سـنة ثلاثون قنديلا فى الدايرالذى حول المطاف ويزاد فى هذا الدايرفى كل من المقامات الأربعـة ، وفى مقام إبراهيم عدة قناديل فى بعض ليـالى العشر الأخيرة من رمضان فى كل سنة عند ختم المصلين . فهذه الأماكن للقرآن الـكريم[2] ويزاد فى هذا الدائر فى زمن الموسم نظير ما يزاد فيه فى شهر رمضان ويزاد فى جوانب المسجد الحرام الأربعة فى زمن الموسم عدة قناديل فى سلاسل معلقة فى الرواق الأوسط من هـذه الجوانب . وهى التى فيها القناديل المرتبة المشار إليها إلا أن فى الرواق الثالث من الجانب الشمالى الذى يلى زيادة دار الندوة ست سلاسل مفرقة . وفى الرواق الأوسط من الجانب أيضا تسع سلاسل ـ بتقديم التاء على السين ـ وفى الرواق الأوسط من هذا الجانب الجنوبى عشر سلاسل ، وفيه من الجانب الشرقى والغربى سلاسل مقطعة وجميع هذه السلاسل لاقناديل فيها . وعدد قناديل المسجد الحرام وسلاسله الآن ينقص كثيراً عما ذكره الأزرقى فى قناديل المسجد لأنه ذكر أن فيه من القناديل أربعمائة قنديل وخمسة وستين قنديلا . انتهى .

ذكر عدد أبواب المسجد الحرام وأسمائها وصفاتها

للمسجد الحرام الآن تسعة عشر بابا ـ بتقديم التاء على السين ـ تفتح على ثمانية وثلاثين طاقا منها فى الجانب[3] الشرقى أربعة أبواب : الأول ثلاث طاقات وهو الباب المعروف بباب بنى شيبة ويقال له أيضا باب السلام . الثانى طاقان ـ ، ويعرف بباب الجنائز لأن الجنائز يخرج بها منه فى الغالب . وذكر الأزرقى أنه باب النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج منه ويدخل إلى منزله دار خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فى زقاق العطارين[4] وذكر

(١) قناديل : فى النسخة (ك) .

(٢) فى النسخة (ك): العظيم .

(٣) بالجانب : فى النسخة (ك) .

(٤) زقاق العطارين هو ما يقال له اليوم (زقاق الحجر او زقاق الصاغة) وموضع دار خديجة رضى الله عنها معروف فى هذا الزقاق . وقد بنيت فى هذا الموضع دار للـكتب حفظا وتخليدا لهذا الأثر الـكريم والذى أنشأها هو المرحوم الشيخ عباس قطان .

أنه كان طاقاً واحدا ولم أر متى جعل له طاقان إلا أنه كان على ذلك من سنة تسع وسبعين وخمسمائة لأن ابن جبير ذكره هكذا فى أخبار رحلته وكانت فى هذه السنة. الباب الثالث: ثلاث طاقات يعرف بباب العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه لأنه يقابل داره بالمسعى وعرفه بذلك أيضا الأزرقى وسماه ابن الحاج فى منسكه باب الجنائز لأنه قال لما ذكر صفة السعى ثم ينزل عن الصفا ماشيا حتى يحاذى العلم الأخضر وهو أول بطن الوادى يسعى سعيا فى الهرولة حتى يجاوز العلم الأخضر الذى عند باب الجنائز، وهو أخر بطن الوادى فيمشى على هينته حتى يأتى المروة انتهى. ولعل تسميته له بباب الجنائز لأن الجنائز كان يصلى عليها فيه كما ذكره الفاكهى. وذكر أيضا موضعين غيره من أبواب المسجد الحرام كان يصلى عندها على الجنائز وسيأتى قريبا إن شاء الله تعالى. الباب الرابع: ثلاث طاقات أيضا ويعرف بباب على وقد عرفه بذلك ابن جبير لأنه قال: وباب على رضى الله عنه، وعرّفه الأزرقى بباب بنى هاشم وبالجانب الجنوبى سبعة أبواب: الأول: طاقان. ويقال له باب بازان لأن عين مكة المعروفة ببازان قربه، وعرفه الأزرقى بباب ابن عايد. الثانى: طاقان ويعرف بباب البغلة بباء موحدة وغين معجمة ولم أدر ما سبب هذه التسمية والشهرة، وعرفه الأزرقى بباب بنى سفيان. الثالث: باب الصفا لأنه يليه وهو خمسة أبواب قال الأزرقى: ويقال له اليوم باب بنى مخزوم، الباب الرابع: طاقان، ويعرف بباب أجياد الصغير. وسماه بذلك ابن جبير وسماه أيضا بباب الخلفين، قال الأزرقى: ويقال له باب بنى مخزوم. الباب الخامس: طاقان أيضا ويعرف بباب المجاهدية لأن عنده مدرسة الملك المؤيد المجاهد صاحب اليمن ويقال له باب الرحمة. وما عرفت سبب هذه التسمية وهو من أبواب بنى مخزوم على ما ذكره الازرقى. الباب السادس: طاقان أيضا ويعرف الآن بباب مدرسة الشريف عجلان صاحب مكة لأنها عنده قال الأزرقى ويقال لهذا الباب باب بنى تيم. الباب السابع: طاقان ويعرف الآن بباب أم هانىء بنت أبى طالب وعرفه بذلك الأزرقى ويقال له الآن أيضا باب الملاعبة لأنه بحذاء دار تنسب للقواد تسمى الملاعبة ووجدت بخط الشيخ أبى طيبة محمد بن أحمد بن أمين الأقشهرى، نزيل الحرمين الشريفين تعريف هذا الباب بباب الفرج. وبالجانب الغربى: ثلاثة أبواب، الاول: طاقان ويعرف بباب عزوره وهى الجزورة التى صحفت بهذه اللفظة كما سبق بيانه، قال الأزرقى: ويقال له باب بنى حكيم بن حزام وبنى الزبير بن العوام والغالب عليه باب الحزامية. لأنه يلى الحزامية [1] الثانى: طاق واحد كبير يقال له باب ابراهيم فى الزيادة التى بهذا الجانب وابراهيم المنسوب اليه هذا الباب خياط كان عنده على ما قيل كما ذكر ذلك أبو عبيد البكرى فى كتابه المسالك والممالك وذكر أن العوام نسبوه إليه ووقع للحافظ أبى القاسم بن عساكر وابن جبير وغيرهما من أهل العلم ما يقتضى أن ابراهيم المنسوب اليه هذا الباب هو ابراهيم الخليل عليه السلام وذلك بعيد لأنه لا وجه لنسبته إليه والله أعلم؛ الباب الثالث: طاق

(١) فى النسخة ك: الباب.

واحد ويعرف بباب العمرة لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون ويدخلون منه فى الغالب . وذكر تسميته بباب العمرة ابن جبير فى رحلته والمحب الطبرى فى القرى وسماه الأزرقى بباب بنى سهم . و بالجانب الشمالى ويقال له الشامى خمسة أبواب الأول : طاق واحد ويعرف بباب السُّدة وسماه بذلك ابن جبير فى رحلته وغيره ويقال له على ما ذكر الأزرقى باب عمرو بن العاص رضى الله عنه . الثانى: طاق واحد ويعرف بباب العجلة لكونه عند دار العجلة . الثالث: طاق واحد بزيادة دار الندوة فى ركنها الغربى. الرابع: طاقان بالزيادة المذكورة فى جانبها الشامى . الخامس : طاق واحد يعرف بباب المدرسة عند المنارة التى عند باب بنى شيبة فهذه أبواب المسجد الحرام الآن وأسماؤها ... وقد ذكر الأزرقى رحمه الله عدد أبوابه وصفاتها وأسماءها ، وقد تغير بعده كثير من ذلك فى العدد والصفة والتسمية .

أما العدد فلأنه ذكر أنها ثلاثة وعشرون بابا فيها ثلاثة وأربعون طاقا وأما الصفة فلأن بعض الأبواب التى ذكرها زال عن مكانه . وذلك أربعة أبواب بالجانب الغربى وأربعة أبواب بالجانب الشامى وبعضها تغيرت صفته مع بقائه على مكانه وأما التسمية فلأنه لا يعرف منها الآن ماذكره الأزرقى إلا خمسة أبواب باب بنى شيبة وباب العباس وباب الصفا وباب أم هانئ وباب العجلة وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب كلامه بنصه وبينا ما فيه مع ما ذكره ابن جبير فى أبواب المسجد الحرام وأسمائها ولم يذكر ابن جبير فيها باب بنى سفيان. ولم أذكر فى أبواب المسجد الحرام أبواب الدور التى فى المسجد وإن كان الأزرقى ذكرها لأنها أبواب للدور لا للمسجد وفى غالب هذه الدور أبواب صغار يخرج منها إلى سطح المسجد وكانت سدت قبيل سنة ثمانمائة أو فيما بعدها حسما لمادة مفاسد تقع فى سطح المسجد ثم فتحت واستمرت إلى الآن فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ولنشر إلى أبواب المسجد الحرام التى ذكر الفاكهى أن فيها كان يصلى على الجنائز، وهى باب بنى شيبة وباب العباس وباب الصفا ، قال الفاكهى : وكان الناس فيما مضى من الزمان يصلون على الرجل المذكور فى المسجد الحرام انتهى . ومراده بالمذكور المشهور — والناس اليوم يصلون على الموتى جميعا داخل المسجد الحرام ، إلا أن المذكور من الناس يصلون عليه عند باب الكعبة . ويذكر أنهم كانوا إنما يصلون عند باب الكعبة على الأشراف وقريش وأدركناهم يصلون عند باب الكعبة على غيرهم من الأعيان ، وبعض الناس تشاحح فى ذلك بالنسبة لغير قريش والأشراف ، وتشاحح أيضا فى إخراج غيرهم وإن عظم قدره من باب بنى شيبة ولم أر فى الخروج بالموتى من باب بنى شيبة شيئا يستأنس به وعندى أن الخروج بالموتى من المسجد من الباب المعروف بباب الجنائز أولى لأنه كان طريق النبى صلى الله عليه وسلم من منزل زوجته أم المؤمنين خديجة إلى المسجد الحرام ، ولذلك قيل له باب النبى صلى الله عليه وسلم . وأما الصلاة على الموتى عند باب الكعبة فرأيت فيه خبرا ذكره الأزرقى يقتضى أن آدم صلى عليه

عند باب الكعبة والذين لا يصلى عليهم عند باب الكعبة يصلى عليهم خلف مقام إبراهيم عند مقام الشافعى و بعضهم يصلى عليه عند باب الحزورة وهم الفقراء الطرحاء وذلك داخل المسجد الحرام أمام الرواق لكون ذلك بالقرب من الموضع الذى يغسلونهم فيه ، وكونه إلى موضع دفنهم أقرب[1] .

ذكر منائر المسجد الحرام

للمسجد الحرام الآن خمس منائر ، منها أربعة فى أركانه واحدة فى زيادة دار الندوة وذكر ابن جبير أنه كان بالمسجد الحرام سبع منائر عدّ فيها هذه الخمسة ثم قال وأخرى على باب الصفا وهى أصغرها وهى علم لباب الصفا وليس يصعد عليها لضيقها قال وعلى باب إبراهيم صومعة انتهى . وهذه الصومعة هى التى يقال لها الآن: خزانة القاضى نور الدين على النويرى وأعلاها الآن منهدم ، هدمه بعض أمراء مكة لإشرافها على داره على ماقيل والله أعلم . وعمّر أبو جعفر المنصور من منائر المسجد الحرام منارة باب العمرة ، وعمر ابنه المهدى منها المنارة التى على باب بنى شيبة والمنارة التى على باب على والمنارة التى على باب الحزورة . وعمر الجواد جمال الدين محمد بن على ابن أبى منصور الأصفهانى وزير صاحب الموصل منائر المسجد الحرام على ماذكره بعض مشايخنا والله أعلم بحقيقة ذلك .

وأخبرنى من أعتمده أنه رأى اسمه مكتوباً فى منارة باب العمرة بما معناه أنه أمر بعمارتها فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وعمرت منارة باب الحزوزة فى زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل . وكانت سقطت فى سنة إحدى وسبعين وسبعمائة وسلم الناس منها فوصل المعمرون لعمارتها فى موسم هذه السنة ، وفرغ منها فى المحرم مفتتح شهور سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة ، وعمرت منارة باب بنى شيبة فى زمن مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق وذلك بعد أن سقطت فى آخر شعبان سنة تسع وثمانمائة ، وابتدأ فى عمارتها سنة عشر[2] ولم يكمل بناءها إلا فى آخر ذى القعدة من السنة التى بعدها واستحسنت عمارتها . وذكر الفاكهى منائر المسجد الحرام الأربعة التى بجوانبه الأربعة و بدأ بذكرها بمنارة باب بنى سهم . ثم بمنارة باب الحزوزة . ثم بالمنارة التى فيها النيل التى يهرول الساعى بين الصفا والمروة عنده . ثم بمنارة باب بنى شيبة ؛ وذكر الفاكهى أن فى منارة

---

(١) عدد أبواب المسجد الحرام تسعة عشر كما ذكره المؤلف معتمدا على ما ذكره كذلك ابن جبير فى رحلته ص ٨٣ طبعة عبد الحميد حنفى — وأما اليوم فعدد أبواب المسجد ٢٦ بابا منها فى الجانب الشرقى خمسة أبواب ، وفى الجهة الجنوبية سبعة أبواب ، وفى الجهة الغربية ستة ، وفى الجانب الشمالى ثمانية أبواب (١١٢ وما بعدها تاريخ عمارة المسجد الحرام لبا سلامة) .

(٢) أى سنة عشر وثمانمائة كما يفهم من سياق الكلام .

باب بنى سهم يؤذن صاحب الوقت بمكة ومراده بصاحب الوقت ، والله أعلم ، الذى يقال له فى هذا الزمان رئيس المؤذنين وهذا يخالف ما عليه الناس اليوم بمكة لأن منارة صاحب الوقت الآن هى منارة باب بنى شيبة[١] . وذكر الفاكهى أن فى منارة باب الحزورة يسحر المؤذن فى شهر رمضان ولم يذكر أن ذلك يصنع فى غيرها فدل ذلك على أن اختصاصها به ، والذى عليه المؤذنون الآن بمكة أنهم يسحرون فى جميع منائر المسجد الحرام الخمس و إنما لم يذكر الأزرقى والفاكهى المنارة الخامسة التى بزيادة دار الندوة لحدوثها بعدهما . ونختم هذه الترجمة بمنائر فى غير المسجد الحرام كان يؤذن فيها بمكة وظاهرها ذكرها الفاكهى ونص ماذكره الفاكهى ذكر عدد المنارات التى على رؤوس الجبال بمكة : وكان أهل مكة فيما مضى من الزمان لا يؤذنون على رؤوس الجبال و إنما كان الأذان فى المسجد الحرام وحده فكان الناس تفوتهم الصلاة من كان منهم فى فجاج مكة ونائيا عن المسجد حتى كان فى زمن أمير المؤمنين هارون [٢] فقدم عبد الله بن مالك أو غيره من نظرائه بمكة ففاته الصلاة ولم يسمع الأذان فأمر أن يتخذ على رؤوس الجبال منارات ليشرف على فجاج مكة وشعابها يؤذن فيها للصلوات وأجرى على المؤذنين فى ذلك أرزاقا ، ولعبد الله بن مالك الخزاعى على جبل أبى قبيس المشرف على المسجد الحرام منارة على القبلة بعينها ومنارة أخرى بحذائها مشرفة على أَجْيَاد ومنارة إلى جنب المنارة التى على القبلة وأخرى تحتها فتلك أربع منارات ، ولعبد الله بن مالك منارة على جبل مرازم المشرف على شعب ابن عامر وجبل الأعرج ثم أمر نغا مولى أمير المؤمنين الذى يكنى بأبى موسى بمنارة على رأس الفلق فبنيت به ولعبد الله بن مالك منارة منارة[٣] أيضا تشرف على المجزرة وله هناك منارتان على جبل تفاحة ولعبد الله بن مالك منارة على رأس الأحمر بناها على موضع منه يقال له الكبش مرتفع على جبل الأحمر ، (وعليه[٤]) منارة لبغا أيضاً .

ولعبد الله بن مالك منارة على باب الخليفة عمر [٥] ومعها منارة لبغا أيضاً ، ولعبد الله على كُدَىّ منارة تشرف على وادى مكة ولبغا منارة على جبل المقبرة وله أيضاً منارة على جبل الحزورة وله منارتان على جبل عمر بن الخطاب وعل جبل الأنصاب الذى يلى أجياد منارة وله منارة على ثنية أم الحارث تشرف على الحصحاص ولبغا منارة عل جبل معدان مشرفة على حائط خرمان، وله أيضاً منارة تشرف على الخضراء و بئر ميمون ولبغا منارة أيضاً بمنى عند مسجد الكبش فكانت هذه المنارات عليها قوم يؤذنون فيها للصلوات وتجرى عليهم الأرزاق فى كل شهر ثم قطع ذلك عنهم فترك ذلك بعضهم و بقى منها منارات يؤذن عليها يجرى على من يؤذن فيها عبد العزيز

---

(١) أنشأ السلطان قايتباى منارة سادسة خلف مدرسته من الجهة الشرقية بين باب النبى و باب السلام عام ٨٨٠ هـ، وأنشأ السلطان سليمان منارة سابعة بين مدارسه الأربعة .

(٢) هرون الرشيد الخليفة العباسى (١٧٠ - ١٩٣) هـ .

(٣) كذا بالأصل مكررة والصحيح حذف أحدهما .

(٤) هذه الكلمة من زيادتنا لتصحيح المعنى

(٥) فى الأصل : ابن عمر البكرى وهو تحريف .

ابن عبد الله السهمى اليوم انتهى . وقد ترك الأذان على جميع هـذه المنارات فى عصرنا إلا أن فى شهر رمضان يسحر جماعة من الناس على جبال بمكة فى كل جبل إنسان ويؤذن كل منهم فى الجبل الذى يسحر عليه وهى : جبل أبى قبيس والجبل الذى على القرارة المعروف بِلَعْلَعْ . وفى الجبل الأحمر ويقال له جبل الحارثى نسبة إلى مؤذن كان يسحر فيه ويؤذن، والمؤذنين على هذه الجبال جامكية يسيرة تصل من مصر مع مايصل لمؤذنى المسجد الحرام وأرباب الوظائف به .

ذكر ما صنع فى المسجد الحرام لمصلحة أو لنفع الناس به

مما صنع فى المسجد الحرام لمصلحته قبة كبيرة بين زمزم وسقاية العباس رضى الله عنه لحفظ الأشياء الموقوفة وما فيـه من الربعات والمصاحف الشريفة منها مصحف عثمان رضى الله عنه على ما يقال وفيها مايقتضى أنها عمرت فى زمن الناصر العباسى وكانت موجودة قبل ذلك على ماذكر ابن عبد ربه فى العقد وقد تقدم أنه توفى سنة ثمـان وعشرين وثلثمائة وذكرها ابن جبير فى أخبار رحلته وذكر أنها تنسب لليهودية ولم يبين سبب هـذه التسمية والنسبة، وعمر بعضها فى سنة إحدى وثمانمائة.. ومن ذلك المِزْوَلَةَ التى بصحن المسجد الحرام وهى من عمل الوزير الجواد واسمه مكتوب فى اللوح النحاسى المعمور لمعرفة الوقت وهو بأعلى هـذه المزولة ويقال لها أيضاً ميزان الشمس وبينها وبين ركن الـكعبة الشامى الذى يقال له العراقى ثلاثة وأربعون ذراعا بذراع الحديد وثمن ذراع.. ومنها ظلة للمؤذنين فى سطح المسجد تظلهم من الشمس ذكرها الأزرقى ولا أثر لها الآن : ومنها فسقية من رخام بين زمزم والركن والمقام عملها (خالدبن[1] عبد الله القسرى) فى ولايته لمـكة بأمر سليمان بن عبد الملك وساق إليها ماء عذبا ضاهى به زمزم وقيل إنه عمل ذلك بأمر الوليد بن عبد الملك ذكر هـذا القول السهيلى والأول ذكره الأزرقى ثم بطلت فلم يبق لهـا أثر ، وذلك فى سنة اثنين وثلاثين ومائة أبطلها داود بن على العباسى لمـا قدم مكة والياً عليها لابن أخيه أبى العباس السفاح ..ومما جعل فى المسجد الحرام لينتفع الناس بذلك المنابر التى يخطب عليها وأول من خطب على منبر مكة معاوية بن أبى سفيان وهو منبر صغير على ثلاث درجات قدم به من الشام لما حج وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعـة قياما على أرجلهم فى وجه الـكعبة وفى الحجر . وكان منبر معاوية يعمر إذا تخرب ولم يزل يخطب عليه حتى حج هارون الرشيد[2] وأهدى له منبر منقوش عظيم فى تسع درجات أهداه له عامله على مصر موسى بن عيسى فـكان منبر مكة . وجعل المنبر القديم بعرفة ثم أمر الواثق[3] العباسى بعمل منبر بمكة ،

(١) لا توجد فى النسخة (ك) .

(٢) تولى هارون الرشيد الخلافة سنة ١٧٠ ولم يزل خليفة إلى أن توفى سنة ١٩٣ هـ .

(٣) تولى الواثق الخلافة سنة ٢٢٧ وظل فى الخلافة إلى أن توفى سنة ٢٣٢ هـ .

ومنبر بمنى ومنبر بعرفة ، هذا ماذكره الأزرقى من خبر المنابر وذكر الفاكهى ذلك ، وزاد أن المنتصر بن المتوكل العباسى لما حج فى خلافة أبيه جعل له منبرا عظيما فخطب عليه بمكة ثم خرج وخلفه بها انتهى ، وجعل بعد ذلك عدة منابر للمسجد الحرام منها منبر عمله وزير المقتدر [١] العباسى .

وكان منبراً هائلا استقام بألف دينار ولما وصل إلى مكة أحرق لأنه كان بعث به ليخطب عليه للخليفة المقتدى فمنع من ذلك المصريون وخطبوا للمستنصر العبيدى صاحب مصر وأحرقوا المنبر المشار إليه ، ومنها منبر عمل فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر فى سنة ست وستين وسبعمائة ، ومنها منبر بعث به الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة وهو باق يخطب عليه الخطباء إلى تاريخه [٢] وأصلح بعد وصوله إلى مكة غير مرة ، ومنها منبر حسن أنفذه الملك المؤيد صاحب مصر [٣] فى موسم سنة ثمان عشرة وثمانمائة ؛ فخطب عليه فى سابع ذى الحجة وهجرت الخطبة على الذى قبله وأنفذ معه درجة حسنة للكعبة فنصبت للرقى عليها إلى الكعبة وأعرض عن التى قبلها وكانت عملت فى سنة ست وستين وسبعمائة من قبل الأشرف شعبان صاحب مصر وكان مدة الرقى عليها إلى الكعبة اثنتين وخمسين سنة أو تزيد قليلا وكان مدة الخطبة على المنبر الذى عمل فى دولة الأشرف إحدى وثلاثين سنة أو تزيد قليلا والله أعلم .

ذكر صفة المقامات التى هى الآن بالمسجد الحرام ومواضعها منه

أما صفة المقامات فإنها غير مقام الحنفى اسطوانتان من حجارة عليها عقد مشرف من أعلاه وفيه خشبة معترضة فيها خطاطيف للقناديل وما بين الأسطوانتين من مقام الشافعى لا بناء فيه وما بينهما من مقام المالكى والحنبلى مبنى بحجارة مبيضة بالنورة وفى وسط هذا البناء محراب وكان عمل هذه الثلاثة المقامات على هذه الصفة فى سنة سبع وثمانمائة رغبة فى بقائها فقد ذكرنا صفته [٤] القديمة فى أصل هذا الكتاب . وأما صفة مقام الحنفى الآن فأربع أساطين من حجارة منحوتة عليها سقف مدهون مزخرف وأعلا السقف مما يلى السماء مدكوك بالآجر مطلى بالنورة وبين الأسطوانتين المتقدمتين بناء فيه محراب مرخم وكان ابتداء عمله على هذه الصفة فى شوال وفى ذى القعدة من سنة إحدى وثمانمائة وفرغ منه فى أوائل سنة اثنتين وثمانمائة وأنكر عمله على هذه الصفة ، جماعة من العلماء من مشايخنا وغيرهم منهم العلامة زين الدين الفارسكورى الشافعى وألف فى ذلك تأليفا حسنا ثم أخبرنى بالقاهرة فى أوائل سنة اثنتين وثمانمائة أن

---

(١) بدأت خلافة المقتدر سنة ٢٩٥ هـ وانتهت بمقتله سنة ٣٢٠ هـ . (٢) يريد إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب

(٣) مصر : من زيادة النسخة « ك » وهو الذى يتناسب مع سياق الكلام .

(٤) فى النسخة « ك » : صفتها وهو الذى يتناسب مع سياق الكلام .

شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى وابنه سيدنا ومولانا قاضى القضـاة بالديار المصرية الآن شيخ الإسلام جلال الدين أبقاه الله ورحم سلفه وقضاة القضاء بالديار المصرية فى هذه السنة أفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة وأن ذلك جنحة فيه وأن ولى الأمر بمصر رسم بهدمه فعارض فى ذلك بعض ذوى الهدى فتوقف فى ذلك، وسبب الإنـكار فى بناء هذا المقام ما حصل فيه من كثرة شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه فى الليـالى الحارة لأجل سقفه إلا بمشقة فادحة وما يتوقع من إفساد أهل اللهو فيه لأجل سترته لهم وغير ذلك . وأما مواضعها فى المسجد الحرام فإن مقام الشافعى خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام والحنفى بين الركنين الشامى والغربى والمالـكى بين الركن الغربى واليمانى والحنبلى تجاه الحجر الأسود .

ذكر ذرع ما بين كل من هذه المقامات وبين الكعبة

أما مقام الشافعى فبينه وبين جدار الـكعبة الشرقى تسعة وثلاثون ذراعا ونصف ذراع بذراع الحديد وبينه بين الأسطوانتين المؤخرتين من ساباط مقام إبراهيم عليه السلام تسعة أذرع ونصف . وأما مقام الحنفى فإن من جدار محرابه إلى وسط جدار الحجر اثنين وثلاثين ذراعا إلا سدس ذراع . وقد تقدم فى الباب السابع فى أخبار الحجر مقدار ما بين جدر داير الحجر من داخله إلى جدار الـكعبة وعرض جدار الحجر فأغنى ذلك بما نذكره هنا ومن جدار محرابه إلى حاشية المطاف عشرة أذرع ونصف بالعتبة وعرض العتبة نصف ذراع وقيراطان . وأما مقام المالـكى فإن من جدار المحراب إلى حاشية المطاف بالعتبة عشرة أذرع وثلث ، وأما مقام الحنبلى فإن من جدار محرابه إلى الحجر الأسود ثمانية وعشرين ذراعا إلا ثلثا بعتبة الحاشية والذراع المحرر به هو ذراع الحديد وكان تحرير ذلك بحضورى وقد ذكرنا فى أصل هذا الـكتاب ارتفاع هذه المقامات وذرعها بزيادة فائدة فى ذلك .

ذكر كيفية صلاة الأئمة بهذه المقامات وحكم صلاتهم بها

أما كيفية صلاتهم فإنهم يصلون مرتين الشافعى ثم الحنفى ثم المالـكى ثم الحنبلى ، وذكر ابن جبير ما يقتضى أن المالـكى كان يصلى قبل الحنفى وأدركناه كذلك ثم تقدم عليه الحنفى بعد التسعين بتقديم التاء على السين وسبعمائة واضطرب كلام ابن جبير فى الحنفى والحنبلى لأنه ذكر[1] أن كلا منهما يصلى قبل الآخر وهذا كله فى غير صلاة المغرب ، وأما هى فإنهم يصلونها جميعاً فى وقت واحد؛ وسبب اجتماعهم فى هذه الصلاة أنه يحصل للمصلين لبس كثير بسبب التباس أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين وهذا الفعل ضلال فى الدين لما فيه من المنـكرات التى

(١) ذكر مايقتضى : فى النسخة (ك)

لا تخفى إلا على من غلب عليه الهوى . ولم يزل العلماء ينكرون ذلك قديما وحديثا ، نسأل الله زوال البدعة . ثم زالت هذه البدعة بسعى جماعة من أهل الخير فيها عند ولى الأمر أثابهم الله تعالى . وذلك أن فى موسم سنة إحدى عشرة وثمانمائة ورد أمر السلطان الملك الناصر فرج نصره الله تعالى بأن الإمام الشافعى بالمسجد الحرام يصلى المغرب بمفرده دون الأئمة الباقين فنفذ أمره الشريف بمكة كما رسم به . واستمر هذا الحال إلى أن ورد أمر الملك المؤيد أبى النصر شيخ صاحب مصر بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا يصلون قبل ذلك ففعلوا ذلك ، وأول وقت فعل فيه ذلك ليلة السادس من ذى الحجة من سنة ست عشرة وثمانمائة وكذلك تجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعى على صلاة العشاء فى رمضان ويجتمع أيضا هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة بالمسجد الحرام فى صلاة التراويح فى المسجد ويحصل بسبب اجتماعهم فى ذلك المنكر القبيح الذى كان يقع دائما فى صلاة المغرب وأعظم لكثرة الأئمة فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما حكم صلاة الأئمة الثلاثة الحنفى والمالكى والحنبلى فى الفرائض على الصفة التى يصفونها . فاختلف فيه آراء علماء المالكية لأن الشيخ الإمام أبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الحباب المالكى أفتى فى سنة خمسين وخمسمائة بمنع الصلاة بأئمة متعددة وجماعات مترتبة بحرم الله تعالى وعدم جوازها على مذاهب العلماء الأربعة .

ثم إن بعض الناس استفتى فى ذلك بعض علماء الإسكندرية فأفتوا بخلاف ما رآه ابن الحباب والذى أفتى بذلك شداد بن المقدم وعبد السلام بن عتيق والشيخ أبو الطاهر بن عوف بن الزهرى . ولما وقف ابن الحباب على فتاويهم أملى فى الرد عليهم أشياء كثيرة حسنة ونقل إنكار ذلك عن جماعة من العلماء الشافعية والحنفية والمالكية حضروا الموسم بمكة سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، فمن الشافعية أبو النجيب مدرس النظامية ويوسف الدمشقى صاحب أسعد البهتى ، ونقل عنهما أنهما قالا : وأما صلاة المغرب فهى أشنع وأبشع ، وحضره العطارى فى بعثة فقهاء نيسابور ، ومحمد بن جعفر الطائى يعنى صاحب الأربعين . ومن الحنفية الشريف الغزنوى ، ومن المالكية عمر المقدسى ؛ وأقام الدلالة على فسادها وأنها مخالفة لرأى مالك وأصحابه . وذكر ابن الحباب : أن أبا بكر الطرسوسى ويحيى الزياتى شيخ شداد ابن المقدم لم يصليا خلف إمام المالكية بالحرم الشريف ركعة مع كونه مغموضا عليه قال : ولا شىء أقبح من جهل الإنسان بحال شيوخه .

وأما وقت حدوثهم فلم أعرفه تحقيقا ورأيت ما يدل على أن الحنفى والمالكى كانا موجودين فى سنة سبع وتسعين وأربعمائة وأن الحنبلى لم يكن فيه موجودا ، وذلك لأن الحافظ أبا طاهر السلفى حج فى هذه السنة ورأى فيها

أبا محمد بن العرضى القروى المقرئ إمام مقام الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام وذكر أنه أول من يصلى من أئمة الحرم المقدس قبل : المالكية والحنفية والزيدية انتهى، ووجه الدلالة من هذا على ماذكرناه من أن الحنبلى لم يكن موجودا فى هذه السنة عدم ذكر السلفى له وذكره لأمام الزيدية ولو كان الحنبلى موجودا حينئذ لذكره السلفى فإنه أولى بالذكر من امام الزيدية والله أعلم . ورأيت مايدل على أنه كان موجودا فى عشر الأربعين وخمسمائة وقد ذكرت ذلك فى أصل هذا الكتاب والله أعلم . وكان بعض المتعصبين على الحنابلة قيطع حطمهم من مكة لأن أبا المظفر سبط أبى الفرج ابن الجوزى قال فى كتابه مرآة الزمان : إن مرجان خادم المقتفى العباسى [1] بعد أن ذكر عنه أنه قال قصدى أن أقلع مذهب الحنابلة لأنه لما حج قلع الحطيم [2] الذى كان لهم بمكة و بطل إمامتهم بها انتهى [3] .

(١) هو أبو عبد الله الحسينى المقتفى لأمر الله بويع بالخلافة سنة ٥٣٠ هـ واستمر فيها إلى أن توفى سنة ٥٥٥ هـ .

(٢) صفة الحطيم خشبتان موصول بينهما بأذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان على تلك الصفة قد عقدت هذه الخشب على رجلين من الجص غير بائنة الارتفاع ، واعترض فى أعلا الخشب خشبة فيها خطاطيف حديد فيها قناديل معلقة من الزجاج .

(٣) تعدد الجماعات مكروه وخاصة فى الحرم ، وقد ألغى الآن هذا التعدد ، وأصبح المصلون يصلون وراء إمام واحد فى الصلوات الخمس والتراويح ، والجمعة والعيدين .

ونلاحظ أنه فى عهد الأتراك أفتى بعض العلماء بجواز تعدد المقامات وتعدد الجماعات بتعددها ، ومن أجل ذلك جددوا مقام الحنفية على يد الأمير مصلح الدين ، ثم أعاد تجديده الأمير خوش كلاى أمير جدة فى عهد سليمان القانونى سنة ٩٤٧ هـ ، وفى ٩٧٤ هـ رخم مقام الحنفى بأمر السلطان أحمد خان ، ثم أعيد ترخيمه عام ١٠١٠ هـ بأمر السلطان مراد خان ؛ وجدد بناؤه سنة ١٠٧٢ هـ على عهد سليمان بك والى جدة ، ثم جدده السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٢ هـ . أما مقام الشافعية فلم يحدث فيه تغيير منذ أنشئ حتى عام ٩٣٠ هـ ، وأما مقام المالكى والحنبلى فقد جددا بعد سنة ٩٣٠ هـ ، وجدد السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٢ هـ مقام الحنبلى والمالكى ، ويظن أن مقام الشافعى مكانه الآن خلف مقام إبراهيم وهو فوق بئر زمزم ، وقد نقل مقام الحنبلى إلى مكانه الذى هو به الآن وذلك سنة ١٣٠١ هـ فى عهد السلطان عبد الحميد .

الباب العشرون

فى ذكر شىء من خبر زمزم وسقاية العباس رضى الله عنه

ذكر حفر بئر زمزم وعلاجها

أول من أظهر زمزم على وجه الأرض جبريل عليه السلام عند ظمإ اسماعيل عليه السلام سقيا من الله تعالى واختلفت الروايات فى كيفية صنع الأمين جبريل حين أخرج ماء زمزم ففى رواية بحث بعقبه وفى رواية همز بعقبه وهاتان الروايتان فى صحيح البخارى ، ولما أظهر الله ماء زمزم لإسماعيل حوضت عليه أمه هاجر خشية أن يفوتها قبل أن تملأ منه شنتها ولو تركته لكان عيناً تجرى على ما رويناه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيح وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن الخليل عليه السلام حفر زمزم . وقصته كانت بينه و بين ذى القرنين فى زمزم لأنه قال حدثنا عبدالله بن عمران المخزومى ، قال : حدثنا سعيد بن سالم قال : حدثنا عثمان بن ساج قال : بلغنا فى الحديث المأثور عن وهب بن منبه قال : كان بطن مكة ليس فيه ماء وليس لأحد فيه قرار حتى أنبط الله لاسماعيل زمزم فعمرت يومئذ مكة وسكنها من أجل الماء قبيلة من اليمن يقال لهم جرهم وليست من عاد كما يقال ولولا الماء الذى أنبطه الله تعالى لإسماعيل من عمارة لم يكن لأحد بها يومئذ مقام . قال عثمان وذكر غيره : أن زمزم تدعى سابق وكانت وطأة من جبريل . وكانت سقياها لإسماعيل يوم فرج له عنها جبريل وهو يومئذ وأمه عطشانان فحفر ابراهيم بعد ذلك البئر ثم غلبه عليها ذو القرنين ، واظن أن ذا القرنين كان سأل إبراهيم أن يدعو الله له فقال كيف وقد أفسدتم بئرى فقال ذو القرنين ليس عن أمرى كان ولم يخبر أحدا أن البئر بئر ابراهيم فوضع السلام وأهدى ابراهيم إلى ذى القرنين بقرا وغنما فأخذ ابراهيم سبعة أكبش فأقرنهم وحدهم فقال ذو القرنين : ماشأن هذه الأكبش باابراهيم فقال ابراهيم هؤلاء يشهدون فى يوم القيامة أن البئر بئر ابراهيم انتهى . وفى حاشية كتاب الفاكهى فى هذا الحديث مكتوب ما صورته عطاشا ما أقرأ عبد الله بن عمران عطاشا قال أبو عبد الله والصواب عطشانان انتهى ولم تزل ماء زمزم ظاهرا ينتفع به سكان مكة إلى أن استخفت جرهم بحرمة الكعبة والحرم فدرس موضعه ومرت عليه السنون عصرا بعد عصر إلى أن صار لا يعرف ، وقيل أن جرهما دفنتها حين نفت من مكة ذكره الزبير بن بكار وغيره والله أعلم ، ثم بوأه الله تعالى لعبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم لما خصه الله به من الكرامة

فأتى فى المنام وأمر بحفرها وأعلمت له بعلامات استبان بها موضع زمزم فحفرها وكان حفره لها قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم لأنا روينا من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه أن جده عبد المطلب حين حفر زمزم لم يكن له ولد سوى ابنه الحارث روينا ذلك عنه فى سيرة ابن اسحاق بسند رجاله ثقات . وروينا فى تاريخ الأزرقى عن الزهرى ما يقتضى أن حفر عبدالمطلب لزمزم كان بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم لأن الأزرقى روى بسنده إلى الزهرى أن حفر عبد المطلب لزمزم كان بعد الفيل والنبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل على الصحيح والله أعلم . وروينا فى مسند البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان أبو طالب يعالج زمزم وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام و إسناد هذا الحديث ضعيف و بتقدير صحته فعلاج أبى طالب غير علاج عبدالمطلب لأن حديث على رضى الله عنه يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا طالب لم يكونا موجودين حين حفر عبد المطلب زمزم لأنه ذكر فيه أنه لم يكن لعبد المطلب حين حفرها ابن غير ابنه الحارث والله أعلم .

ذكر علاج زمزم فى الاسلام

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم إليه أنه قال : ثم كان قد قل ماؤها جدا حتى كانت تجم فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين قال : وخرب فيها تسعة أذرع سحا فى الأرض فى تقرير جوانبها ثم قال وقد كان سالم بن الجراح قد خرب فيها فى خلافة الرشيد أذرعا . وكان قد ضرب فيها فى خلافة المهدى أيضاً ، وكان عمر بن ماهان وهو على البريد والصوافى فى خلافة الأمين محمد بن الرشيد قد خرب فيها وكان ماؤها قد قل حتى كان رجل يقال له محمد بن مسير من أهل الطائف يعمل فيها قال وأنا صليت فى قعرها انتهى باختصار .

ذكر ذرع بئر زمزم وما فيها من العيون وصفة الموضع الذى هى فيه الآن

وأما ذرعها فذكره الأزرقى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم كان ذرع غور زمزم من أعلاها إلى أعلاها[1] ستين ذراعا وفى قعرها ثلاث عيون حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبى قبيس والصفا وعين حذاء المروة وذكر ذلك الفاكهى وذكر الفاكهى خبرا فيه أن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال لكعب الأحبار: فأى عيونها أغزر ؟ قال العين التى تخرج من قبل الحجر قال صدقت انتهى . و به إلى الأزرقى قال : فغورها من من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعا كله[2] بنيان ، وما بقى فهو جبل منقور وهو تسعة وعشرون ذراعا قلت هذا

(١) فى النسخة (ك) إلى أسفلها وهو الصحيح .
(٢) فى النسخة (ك) : ذلك كله .

مخالف لما تقدم فى غورها والله أعلم بالصواب، و به إلى الأزرقى قال: وذرع حنك زمزم فى السماء ذراعان وشبر وذرع تدوير فم زمزم أحد عشر ذراعا وسعة فم زمزم ثلاثة أذرع وثلثا ذراع انتهى، وقد اعتبر بعض أصحابنا بحضورى ارتفاع فم زمزم عن الأرض وسعته وتدويره فكان ارتفاع فمها فى السماء ذراعين إلا ربعا وسعته أربعة أذرع ونصف وتدويره خمسة عشر ذراعاً إلا قيراطين كل ذلك بذراع الحديد المشار إليه .

وأما صفة الموضع الذى فيه زمزم فهو بيت مربع وفى جدرانه تسعة أحواض للماء يملأن من بئر زمزم فيتوضأ الناس منها إلا واحدا منها معطلا وفى الحائط الذى يلى الكعبة شبابيك وهذا البيت مسقوف بالساج ما خلا الموضع الذى يحاذى بئر زمزم فإنما عليه شباك خشب ولم أدر من عمل هذا الموضع على هذه الصفة وهى غير الصفة التى ذكرها الإمام الأزرقى فيه وكانت ظلة المؤذنين التى فوق البيت الذى فيه بئر زمزم قد خربت لأكل الأرضة لأساطينها الخشب والأرضة دابة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب وتفسده كثيرا فشدت الظلة المذكورة بأخشاب تمنعها من السقوط فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة فلما كان السابع من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة هدمت الظلة المذكورة وأزيل المقرنص الخشبى الذى كان تحتها ليصلح والدرابزين الذى كان يطيف بها وبسطح البيت الذى فيه بئر زمزم فوجد الخشب المقرنص مركبا خرابا لأكل الأرضة له فاقتضى الحال قلعه وأن يبنى فوق الجدار الذى يلى الكعبة والجدار الذى يلى مقام الشافعى والجدار الذى يلى الخلوة التى إلى جانب هذا البيت أساطين دقيقة من آجر بالنورة لئلا تفسدها الأرضة كما أفسدت الأساطين الخشب قبلها ليعمل عليها ظلة المؤذنين وأن يقوى الجدار الغربى من هذا البيت الذى فيه زمزم وهو الجدار الذى يلى الكعبة وأن يقوى الجدار الشامى من هذا البيت وهذا الجدار الذى يلى مقام الشافعى بزيادة ينافى عرضها فسلخ الجدران المشار إليها من أعلاها إلى الأرض وأوسعوا فى أساس الجدار الذى يلى الكعبة نحو ذراع باليد وذلك لإحكام البناء ونزلوا به فى الأرض نحو قامة وبنوا ذلك مخالطا للساس الأول ووجدوا الساس الذى يلى مقام الشافعى عريضا محكم البناء فبنوا عليه وأكملوا ماسلخ من الجدارين حتى اتصل ذلك بالسقف وعملوا فى كل من الجدارين ثلاثة عقود بالنورة وفيما بين كل عقد من العقود التى فى الجدار الذى يلى الكعبة اسطوانة دقيقة من رخام مشدودة بالرصاص وتركوا لها محلا خاليا من البناء فى الجدار المذكور وأوسعوا فى الشبابيك التى فى هذين الجدارين فى الأحواض التى تلى فى هذين الجدارين من داخل البيت لاتساع عرض الجدارين وبنوا أعاليها بحجارة منحوتة كبار يقال لها الفصوص وبنوا مافوق العقود بحجارة غير منحوتة وكل ذلك بالنورة وسلخوا من الجدار الشرقى من البيت الذى فيه زمزم أيضاً مافوق العتبة العليا من هذا الجدار إلى أعلاه وبنوا ذلك بالنورة والآجر وبنوا بهما اسطوانتين فوق هذا الجدار الشرقى يشدان الدرابزين الخشب المخروط الذى يكون فى ذلك ولم

يكونا قبل ذلك ، وكشفوا سقف هذا البيت وأخرجوا من ذلك ما كان متخربا من الخشب وعوضوا عنه بخشب جيد و بنوا فوق الجدار الغربى من هـذا البيت ثلاث أساطين دقيقة من آجر بالنورة و بنوا اسطوانتين مثـل ذلك إحـداهما فى الجدار الشامى والآخر فى الجدار اليمـانى من هـذا البيت ونصبوا اسطوانة من خشب بين هاتين الاسطوانتين تحاذى الاسطوانة الوسطى من الأساطين الآجر المشار إليهما وركبوا بين كل من الست الأساطين أخشابا وستروا جميع هـذه الأخشاب بألواح من خشب مدهونة وركبوا فيما بين الأساطين المشار إليهـا سقفا من خشب مدهون ساترا لمقدار مابين الست الأساطين إلا أنهم جعلوا بعض ما بين الاسطوانة الآجر الوسطى والاسطوانة الخشب المقابلة لها خاليـا من السقف وركبوا فى هـذا الموضع الخالى قبة من خشب مدهونة وجعلوا فوقها قبة ساترة لها من خشب وجريد وقصب وجعلوا رفرفاً من خشب مدهون يليق بهذا السقف الذى هو ظلة للمؤذنين وأتقنوا تسمير السقف والقبة والرفرف إتقانا كثيراً بمسامير زنة كل سبعة منها مَنٌّ[1] من حديد وزنة بعضها دون ذلك و بكلاليب من حديد وجعلوا فوق هـذا السقف المدهون سقفا من خشب غير مدهون ودكوا ما فوق السقف الأعلى بالآجر والنورة وطَلَوْا ما فوق الآجرة بالنورة وطَلَوْا مافوق القبة التى فى وسط هذا السقف بالجبس وأتقنوا ذلك وأصلحوا جميع سطح البيت الذى[2] فيه زمزم بالنورة والآجر وجعلوا درابزين من خشب مخروط يطيف بجميع جوانب البيت الذى فيه زمزم خلا الجانب اليمانى وجعلوا درابزين أيضاً يطيف بجانبى ظلة المؤذنين اليمانى والشرقى ولم يكن قبل ذلك درابزين فى هذين الجانبين وجعلوا شباكا من حديد فوق بئر زمزم ليمنع من السقوط فيها بعد أن ضيقوا سعة الفتحة التى كانت تحاذى بئر زمزم بأخشاب مسمرة جعلت هنالك ولم يكن هناك قبل ذلك شىء من حديد وجعلوا درابزين من خشب مخروط يطيف بجوانب هـذه الشبابيك الأربعة وكان قبل ذلك فى موضع هـذه الدرابزين أخشاب مرتفعة كالقامة يطيف بما يحاذى البئر من الجوانب الأربعة مطلية بالنورة وزنة الشباك الحـديدى الذى فوق بئر زمزم الآن اثنان وستون منا كل من مائتان وستون درهما ، وزادوا حديدا فى بعض الشبابيك التى فى الجدار الغربى من بيت زمزم ووسعوا الدرجة التى يصعد منها إلى سطح البيت الذى فيه بئر زمزم و إلى ظلة المؤذنين لضيق الدرجة حين عمرت فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة لما عمرت الخلوة التى إلى جانب هذا البيت سبيلاً وجعلوا لهذه الدرجة درابزين خشب غير مخروط واستحسنت توسعة هذه الدرجة وكذا جميع ماعمر من جدران بيت زمزم وماصنع فى سطحه من ظلة المؤذنين وغيرها استحساناً كثيراً وكان الفراغ من ذلك فى أثناء رجب سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وكان القائم بأمر مصروف هذه العمارة الجناب العـالى الـكبير العلائى خواجه شيخ على بن محمد بن عبد الـكريم الجيلانى نزيل مكة المشرفة

---

(١) المن : كيل أو ميزان ، وهو شرعا مائة وثمانون مثقالا ، وعرفا مائتان وثمانون مثقالا ، والجمع أمنان .

(٢) فى النسخة (م) : التى .

زاده الله رفعة وتوفيقاً وكان إلى جانب هذا البيت خلوة فيها بركة تملأ من زمزم ، ويشرب منها من دخل إلى الخلوة . وكان لها باب إلى جهة الصفا ثم سد وجعل فى موضع الخلوة بركة مقبوة وفى جدارها الذى يلى الصفا زبازيب يتوضأ الناس منها على أحجار نصبت عند الزبازيب وفوق البركة المقبوة خلوة فيها شباك إلى الكعبة وشباك إلى جهة الصفا وطابق صغير إلى البركة وكان عمل ذلك على هذه الصفة فى سنة سبع وثمانمائة ثم هدم ذلك حتى وقع الأرض فى العشر الأول من ذى الحجة سنة سبع عشرة وثمانمائة ، لما قيل من أن بعض الجهلة من العوام[1] يستنجى هناك . وعمر عوض ذلك سبيل لمولانا السلطان الملك المؤيد أبى النصر شيخ نصره الله ينتفع الناس بالشراب منه فتضاعف له الدعاء ولمن كان السبب فى ذلك . وصفة هذا السبيل بيت مربع مستطيل فيه ثلاثة شبابيك كبار من حديد فوق كل شباك لوح من خشب بصنعة حسنة : منها واحد إلى جهة الكعبة واثنان إلى جهة الصفا وتحت كل شباك حوض فى داخل البيت وفيه بركة حاملة للماء وله سقف مدهون يراه من دخل السبيل وبابه إلى جهة الصفا وله رفرف خشب من خارجه مدهون وفوق ذلك شرار يب من حجارة منحوتة وباطن السبيل منور وظاهره مرخم بحجارة ملونة وجاءت عمارته حسنة وفرغ منه فى شهر رجب سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، وابتدئ فى عمله بأثر سفر الحجاج وفى موضع هذه الخلوة كان مجلس عبد الله بن العباس رضى الله عنهما على مقتضى ما ذكره الأزرقى والفاكهى و بين الحجر الأسود إلى وسط جدرا البيت الذى فيه زمزم أحد وثلاثون ذراعا وسدس ذراع[2] الحديد[3] .

ذكر أسماء زمزم

قال الفاكهى : أعطانى أحمد بن محمد بن إبراهيم كتاباً ذكر أنه عن أشياخه من أهل مكة فكتبته من كتابه فقال : هذه هى تسمية أسماء زمزم وهى هزمة جبريل ، وسقيا الله إسمعيل ، لاشرق ، ولا تدم . وهى بركة ، وسيدة ، ونافعة ، ومضنونة ، وعونة ، و بشرى ، وصافية ، و برة ، وعصمة ، وسالمة ، وميمونة ، ومباركة ، وكافية ، وعافية ، ومغذية ، وطاهرة ، ومفداة ، وحرمية ، ومروية ، ومؤنسة ، وطعام طعم ، وشفاء سُقم ، انتهى .

ومن أسمائها على ما قيل : طيبة ، وتكتم ، وشباعة العيال ، وشراب الأبرار ، وقرية النمل ، ونقرة الغراب ،

---

(١) فى النسخة (ك) : لم يوجد . (٢) فى النسخة (ك) : بذراع .

(٣) فى سنة ٩٣٣ هـ عمل لدائر بيت زمزم طراز مذهب كتب فيه اسم السلطان سليمان سلالة آل عثمان ، وفى سنة ٩٤٨ هـ جدد بيت زمزم . وفى سنة ١٠٢٠ هـ وضع بأمر السلطان أحمد خان بداخل البئر شبكة من حديد ، ثم جددت قبة زمزم سنة ١٠٧٢ هـ ، وفى سنة ١٣٣٢ هـ أقيمت شبكة من حديد فوق الدربزين ، وقد بنى الملك عبد العزيز آل سعود سبيلين بجوار زمزم ومظلة للشاربين وجدد عمارة السبيل القديم .

هذا وقد سبق ذكر أنه كان بجوار زمزم مزولة من عمل الوزير الجواد سنة ٥٥١ هـ، وهو محمد بن على الأصفهانى وزير صاحب الموصل . وفى سنة ١٠٩٧هـ وضع الشيخ محمد بن سليمان المغربى مزولة تجاه باب السلام. وفى سنة ١٣٠١هـ وضع عثمان باشا نورى ساعتين فى المسجد الحرام ، وفى سنة ١٣٥٢هـ وضع عبد العزيز آل سعود ساعة كبيرة تجاه المسجد الحرام.

وهزمة إسمعيل ، وحفيرة العباس ، ذكر هذا الاسم ياقوت . لأنه ذكر أن الحفيرة عشرة مواضع ، وقال فى عددها : وحفيرة العباس من أسماء زمزم . انتهى من مختصر معجم البلدان لياقوت وهو غريب والله أعلم .

ومن أسماء زمزم همزة جبريل بتقديم الميم على الزاى ، ذكر هذا الاسم السهيلى لأنه قال : وذكر أن جبريل همز بعقبه فى موضع زمزم فنبع الماء . وكذلك تسمى زمزم همزة جبريل بتقديم الميم على الزاى ثم قال : وحكى فى أسماء زمزم : رمرم حكى ذلك عن المطرز ورأيت فى النسخة التى رأيتها من الروض الأنف ورمزم مضبوطة بالشكل على الزاى ضمة وعلى الميم الأولى شدة وفوق الشدة فتحة .

ومن أسماء زمزم « سابق » ذكر ذلك الفاكهى فى خبر رواه عن عثمان بن ساج وفيه قال عثمان وذكر غيره يعنى غير وهب بن منبه أن زمزم تدعى « سابق » انتهى .

وقد اختلف فى تسمية زمزم بزمزم فقيل : ماؤها[1] قال ابن هشام : والزمزمة عند العرب الكثرة ، والاجتماع. وقيل : إنها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا . ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شىء . وهذا يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فيما ذكر البرقى . وقيل : سميت زمزم لزمزمة الماء ، وهو صونه . قاله الحربى . وقيل سميت زمزم لأن الفرس كانت تحج إليها فى الزمن الأول فزمزمت عليها . قال المسعودى[2] : والزمزمة صوت يخرجه الفُرْس من خياشيمها عند شرب الماء . وقد كتب عمر رضى الله عنه إلى عماله أن انهوا الفرس عن الزمزمة وأنشد المسعودى :

زمزمت الفرس على زمزم وذلك فى سالفها الأقدم

وقيل إنها غير مشتقة والله أعلم . وقد ذكرنا بعض معانى بعض هذه الأسماء فى أصل هذا الكتاب .

ذكر فضائل زمزم وخواصه

روينا فى معجم الطبرانى بسند رجال ثقات فى صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم : خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم . وروينا معنى ذلك عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى تاريخ الأزرقى . وسمعت العلامة زين الدين الفارسكورى يقول : إن شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى قال : إن ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر . وعلل ذلك لكونه غسل به صدر النبى صلى الله عليه وسلم . ولم يكن ليغسل إلا بأفضل المياه[3] . انتهى بالمعنى . وذكر شيخنا الحافظ العراقى أن حكمة غسل صدر النبى صلى الله عليه وسلم بماء زمزم ليقوى به صلى الله عليه وسلم على رؤية ملكوت السموات والأرض ، والجنة والنار ، لأن من خواص ماء زمزم أنه يقوى القلب و يسكن الروع . انتهى .

---

(١) ذكرت هكذا بالأصل ولعله لكثرة مائها . (٢) فى النسخة (ك) : قاله . (٣) فى النسخة (ك) : الماء .

وروينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن عباس : اشربوا من شراب الأبرار وفسره بماء زمزم . وروينا فيه عن وهب ابن منبه معنى ذلك وروينا فى المعجم الكبير للطبرانى من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أن التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا و بين المنافقين .

وروينا من حديثه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم . أخرج هذه الأحاديث الحافظ شرف الدين الدمياطى ، وقال فيما أثبت به عنه : إسناد صحيح .

وروينا عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته تستشفى به شفاك الله . و إن شربته لقطع ظمئك قطعه الله [١] . هى هزمة جبريل وسقيا الله اسماعيل [٢] ، أخبرنى بهذا الحديث أحمد بن محمد بن عبدالله الحميرى وابراهيم بن خليل أخبره قال : أخبرنا أبو الفتح ناصر بن محمد الوبرج [٣] قال أخبرنا اسماعيل بن الفضل الأخشيد قال أخبرنا أبو طاهر بن عبد الرحيم قال أخبرنا الحافظ أبو الحسن الدارقطنى قال حدثنا عمر بن الحسن بن على قال حدثنا محمد بن هشام بن على المروزى قال حدثنا محمد بن حبيب الجاوردى قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ، أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجاروردى .

قال شيخنا العراقى الحافظ قد سلم منه فلله الحمد، فإن الخطيب ذكره فى تاريخ بغداد وقال : كان صدوقا وحسّن شيخنا الحافظ العراقى هذا الحديث من هذا الطريق ، وقال فى نكته على ابن الصلاح إن حديث ابن عباس أصح من حديث جابر انتهى . ولكن يعكر على ماذكره شيخنا العراقى ما ذكره الذهبى فى الميزان فى ترجمة عمر بن الحسن القاضى الإشنانى شيخ الدارقطنى فى هذا الحديث فإنه قال بعد أن ذكر هذا الحديث عن الدارقطنى عن

---

(١) لفظ الجلالة لايوجد فى النسخة (ك)

(٢) فى متن هذا الحديث سقط فقابلناه على سنن الدارقطنى وفيها الزيادة الآتية : وإذا شربته لشبعك أشبعك الله به. انظر السنن ج ٢ ص ٢٨٤

(٣) كذا بالأصل وفى مقدمة سنن الدارقطنى لشمس الحق ناصر بن محمد بن ابى الفتح الوبرى . وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ٦ ص ١٤٣ نقلا عن الذهبى فى وفيات سنة ٥٩٣ وابو الفتح الاصبهانى ناصر الدين بن محمد الوترح فى ذى الحجة اه وقال المصحح فى الحاشية كذا فى الاصل وفى شرح القصيدة اللامية فى التاريخ هكذا : ناصر الوتربح، وفى شذرات الذهب [ج ٤ ص ٣١٥] ابو الفتح ناصر بن محمد الاصبهانى القطان اه ، قلت وزاد قوله: روى الكثير عن جعفر الثقفى واسماعيل الاخشيد وخلق واكثر عنه الحافظ ابن خليل انتهى، هذا وقد صححنا سند الدارقطنى من سننه حيث انه محرف فى النسخة التى بيدنا من شفاء الغرام فجعل المروزى : المرورودى ، والجارودى الماوردى .

الإشنانى بسنده : فآفة[١] هذا هو عمر، فلقد أثم الدارقطنى بسكوته عنه فإنه بهذا الإسناد باطل ما رواه ابن عيينة[٢] قط ، هـذا والمعروف حديث عبد الله بن المؤمل عن أبى الزبير عن جابر مختصراً ، وقال الذهبى بعد أن ذكر أن الدارقطنى ضعف الإشنانى وكذبه[٣] وهذا الإشنانى صاحب بلايا فمن ذلك قال الدارقطنى وساق الحديث انتهى . وحديث جابر رواه الحافظ الدمياطى بسنده إلى سويد بن سعيد عن ابن المبارك عن ابن أبى الموالى عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وصحح الدمياطى هذا الحديث والإسناد وفى صحة الإسناد نظر على ماذكره الحافظ ابن حجر[٤] . وقد أخرجنا فى أصل هذا الكتاب حديث جابر من طرق وحديثا

(١) كان فى الاصل فأمه وصوبناه من ميزان الاعتدال للذهبى فى ترجمة عمر بن الحسن

(٢) قال الحافظ بن حجر فى لسان الميزان : والذى يغلب على الظن ان المؤلف هو الذى أثم بتأثيمه الدار قطنى فان الاشنانى لم ينفرد بهذا بل تابعه عليه فى مستدركه الحاكم ولقد عجبت من قول المؤلف مارواه ابن عيينة قط مع أنه رواه عنه الحميدى وابن ابى عمر وسعيد بن منصور وغيرهم من حفاظ اصحابه الا انهم وقفوه على مجاهد ولم يذكروا ابن عباس فيه فغايته ان يكون محمد بن حبيب وهم فى رفعه انتهى وقال فى تلخيص الجيد ج ١ ص ٢٢٢ : والجارودى صدوق إلا أن روايته شاذة فقد رواه حفاظ أصحاب ابن عيينة والحميدى وابن أبى عمر وغيرهما عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اه . قلت وقال ابن حجر ، فى لسان الميزان فى محمد بن هشام شيخ الاشنانى : قال ابن القطان لا يعرف حاله وكلام الحاكم يقتضى أنه ثقة عنده فانه قال عقب حديثه : صحيح الاسناد إن سلم من الجارودى قال قلت وقد قال الزكى المنذرى مثل ماقال ابن القطان اه وقول المنذرى هو فى الترغيب والترهيب له ج ٢ ص ١٣٣ منيرية .

(٣) قوله وكذبه ، كذا هنا والذى فى الميزان ولسانه ويروى عن الدارقطنى انه كذاب ولم يصح هذا اه وقد ترجم لعمر بن الحسن الخطيب البغدادى ونقل عن الدارقطنى انه قال ضعيف ـ انظر تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨

(٤) قال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الجيد ج ١ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ على حديث جابر : ورواه البيهقى فى شعب الايمان والخطيب فى تاريخ بغداد من حديث سويد بن سعيد عن ابن المبارك عن ابن أبى الموال عن محمد بن المنكدر عن جابر كذا أخرجه فى ترجمة عبدالله بن المبارك قال البيهقى غريب تفرد به سويد قال قلت وهو ضعيف جدا وان كان مسلم قد اخرج له فى المتابعات وايضا فكان اخذه عنه قبل ان يعمى ويفسد حديثه ، وكذلك امر احمد بن حنبل ابنه بالاخذ عنه كان قبل عماه ولما أن عمى صار يلقن فيتلقن حتى قال يحيى بن معين لو كان لى فرس ورمح لغزوت سويداً من شدة ما كان يذكر له عنه من المنكرات قال قلت وقد خلط فى هـذا الاسناد واخطأ فيه على بن المبارك وانما رواه ابن المبارك عن ابن المؤمل عن ابن الزبير كذلك رويناه فى فوائد ابى بكر بن المقبرى من طريق صحيحة فجعله سويد عن ابن أبى الموال عن ابن المنكدر واغتر الحافظ شرف الدين الدمياطى بظاهر هذا الاسناد فحكم بانه على رسم الصحيح لان ابن أبى الموال انفرد به البخارى وسويد انفرد به مسلم وغفل عن أن مسلما إنما أخرج لسويد ماتوبع عليه لاما انفرد به فضلا عما خولف فيه وله طريق أخرى من حديث أبى الزبير عن جابر أخرجها الطبرانى فى الأوسط فى ترجمة على بن سعيد الرازى انتهى قلت وحديث عبدالله بن المؤمل عن أبى الزبير عن جابر أخرجه أحمد وابن أبى شيبة وابن ماجه والبيهقى فى السنن وقال تفرد به عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف اه . انظر البيهقى ج ٥ ص ١٤٨ وتلخيص الجيد ص ١٦٠ و ٢٢١ .

لعبدالله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فى هذا المعنى و بينا مافى ذلك وذكرنا فيها أخباراً عمن شرب ماء زمزم لقصد له فناله فمن ذلك أن الإمام الشافعى رضى الله عنه شربه للعلم فكان فيه غايته وللرّمى فكان يصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة ومنها ماذكره الفاكهى لأنه قال وحدثنى احمد بن محمد بن حمزة بن واصل عن أبيه أو عن غيره من أهل مكة أنه ذكر أنه رأى بالمسجد الحرام مما يلى باب الصفا والناس مجتمعون عليه فدنوت منه فإذا برجل معكوم قد عكم نفسه بقطعة خشب فقلت ماله فقالوا هذا رجل شرب سويقا وكانت فى السويق ابرة فذهبت فى حلقه وقد اعترضت فى حلقه وقد بقى لا يقدر يطبق فمه و إذا الرجل فى مثل الموت فأتاه آت فقال له : اذهب إلى ماء زمزم فاشرب منه وجدد النية وسل الله عز وجل الشفاء فدخل زمزم فشرب بالجهد منه حتى أساغ منه شيئاً ثم رجع إلى موضعه وانصرفت فى حاجتى ثم لقيته بعد ذلك بأيام وليس به بأس فقلت له ماشأنك فقال شربت من ماء زمزم ثم خرجت على مثل حالى الأول حتى انتهيت إلى أسطوانة فأسندت ظهرى إليها فغلبتنى عينى فنمت فانتبهت من نومى وأنا لا أحس من الأثر شيئاً انتهى ، ومنها أن شيخنا الحافظ العراقى ذكر أنه شرب ماء زمزم لأمور منها الشفاء من داء معين بباطنه ، فشفى منه بغير دواء ، ومنها أن احمد بن عبدالله الشريفى الفراش بالمسجد الحرام بمكة شربه للشفاء من عماء حصل له فشفى منه على ما أخبرنى به عنه شيخنا العلامة تقى الدين عبد الرحمن بن أبى الخير الفاسى رحمهم الله ، ومنها أن الفقيه العلامة المدرس المفتى أبا بكر بن عمر بن منصور الأصبحى المعروف بالشنينى بشين معجمة ثم نون ثم ياء مثناة من تحت ونون وياء للنسبة أحد العلماء المعتبرين ببلاد اليمن شرب ماء زمزم لبغية الشفاء من استسقاء عظيم أصابه بمكة فشفى بأثر شربه له على ما أخبرنى عنه ولده الفقيه الصالح عفيف الدين عبد الله بمكة وأخبرنى عن أبيه أنه لما اشتد به الاستسقاء خرج يتعرض لطبيب بمكة فأعرض عنه الطبيب الذى قصده فانكسر خاطره لذلك وألقى الله تعالى بباله أن يشرب من ماء زمزم للحديث الوارد فى انه لما شرب له فقصد زمزم واستسقى بدلو فشرب منه حتى تضلع وأنه بعد أن تضلع منه أحس بانقطاع شىء فى جوفه فبادر حتى وصل إلى رباط السدرة ليستنجى به فما وصل إليه إلا وهو شديد الخوف من أن يلوث فى المسجد فألقى شيئاً كثيراً ثم عاد إلى زمزم فشرب منه ثانياً حتى تضلع واخرج شيئاً كثيرا ثم صح ، و بينما هو فى بعض الأيام برباط ربيع بمكة يغسل ثوباً له وهو يطؤه برجله و إذا بالطبيب الذى قد أعرض عن ملاطفته فقال له أنت صاحب تلك العلة ؟ قال نعم قال له بم تداويت ؟ قال بماء زمزم فقال الحكيم لطف بك . قال : و بلغنى عن ذلك الحكيم أنه قال حين رآه أولا : هذا ما يعيش ثلاثة أيام . هذا ما أخبرنى به الفقيه عبدالله بن الفقيه أبى بكر الشنينى المذكور عن أبيه فى خبر مرضه بالاستسقاء وخبر استشفائه بماء زمزم وهذه الأخبار مما تؤيد صحة حديث « ماءزمزم لما شرب له » مع أنه صحيح الإسناد كما سبق بيانه . ولم ينصف ابن الجوزى فى ذكره هذا الحديث فى كتاب « الموضوعات » لكونه صحيحاً أو حسناً كما سبق بيانه ، و يتعجب

من هـذا لأنه روى فى كتاب «الأذكياء» له باسناده إلى سفيان قصة فيها أنه قال: هـذا الحديث صحيح ولم يتعقب ذلك وليس بين هـذا الحديث وحديث الباذنجان لما أكل له تساو فى الثبوت لأن حديث ماء زمزم صحيح أو حسن وحـديث الباذنجان غير صحيح بل هو موضوع على مابلغنى عن العلامة الكبير شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلى ، وقال لى شيخنا الحافظ نور الدين الهيثمى إنه موضوع وصنعه بعض الزنادقة ليشين به الشريعة ، هـذا معنى كلام شيخنا نور الدين الهيثمى وأنبأنى شيخنا الحافظ العراقى قال : وأما مااشتهر على ألسنة الناس ، بل على ألسنة كثير من أهل العلم أن حـديث الباذنجان لما أكل له أصح من حديث ماء زمزم لما شرب له فلا يصح ذلك بوجه من الوجوه ولم نجد لحديث الباذنجان أصلا إلا فى أثناء حديث فى مسند الفردوس بإسناد مظلم وليس له أصل فى كتب الإسلام وذكر أن مؤلف مسند الفردوس كثير الأوهام انتهى ، (مختصرا[1]) ، ورويناه فى خبر ابن عكيك بإسناد ساقط :من خواص ماء زمزم أنه يبرد الحمى لأمر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك كما فى سنن النسائى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما وهو فى صحيح البخارى على على الشك ، ومنها على ماقال الضحاك بن مزاحم انه يذهب الصداع ، ومنها أن المياه العذبة ترفع وتغور قبل يوم القيامة إلا ماء زمزم قاله الضحاك أيضاً والله أعلم بذلك ؛ ومنها أنه يفضل مياه الأرض كلها طباً وشرعاً على ما ذكر شيخنا بالإجازة الإمام بدر الدين ابن الصاحب المصرى لأنه قال فيما أنبأنا به : وازنت ماء زمزم بماء عين مكة فوجدت زمزم أثقل من العين بنحو الربع ثم اعتبرتها بميزان الطب فوجدتها تفضل مياه الأرض كلها طباً وشرعاً، ورأيت لشيخنا بدر الدين ابن الصاحب هذا أبياتاً حسنة فى فضل زمزم رأيت أن أثبتها هنا منها قوله فيما أنبأنا به :

شفيت يازمزم داء السقيم ... فأنت أشفى ماتعاطى النديم
وكم رضيع لك أشواقه ... إليك بعد الشيب مثل الفطيم

ومنها قوله فيما أنبأنا به :

يازمزم الطيب فى المخبر ... يامن علت غوراً على المشرب
رضيع اخلافك لا يشتهى ... فطامه إلا لدى[2]

ومنها قوله فيما أنبأنا به :

---

(١) فى النسخة (ك) . باختصار .

(٢) هنا كلمات مطموسة لم تظهر ، وفى النسخة (ك) : إلا لدى الكوثر وهو لا يستقيم.

بالله قولوا لنيل مصر بأننى عنه فى غنى بزمزم العذب عند بيت مخلق[1] الشرب الوفا

ومنها قوله فيما أنبأنا به :

لزمزم نقع فى الفؤاد وقوة يزيد على ماء الشباب لذى فتك

وزمزم فاقت كل ماء بطيبها ولو أن ماء النيل يجرى على المسك

ومنها أن ماءها يحلو ليلة النصف من شعبان و يطيب ، ذكر ذلك ابن الحاج المالكى فى منسكه نقلا عن الشيخ مكى بن أبى طالب، ونص كلامه: قال الشيخ مكى بن أبى طالب وفى ليلة النصف من شعبان تحلى زمزم و يطيب ماؤها بقول أهل مكة إن عين سلوان تتصل بها تلك الليلة وتبذل على أخذ الماء فى تلك الليلة الأموال و يقع الزحام فلا يصل إلى الماء إلا ذو جاه وشرف ، قال : وعانيت هـذا ثلاث سنين انتهى . ومن خواص ماء زمزم أن يكثر فى ليلة النصف من شعبان فى كل سنة بحيث إن البئر تفيض بالماء على ما قيل لـكن لا يشاهد ذلك إلا العارفون وممن شاهد ذلك الشيخ العالمى[2] أبو الحسن المعروف بكرباج على ما وجدت بخط جد أبى الشريف أبى عبد الله الفاسى نقلاً عن الشيخ فخر الدين التوزرى عن الشيخ على كرباج ، ومن فضائل بئر زمزم أن الاطلاع فيها يجلو البصر قاله الضحاك بن مزاحم . ومن فضائلها أن الاطلاع فيها يحط الأوزار والخطايا لأن أبا الحسن محمد بن مرزوق الزعفرانى من الشافعية ذكر فى كتاب الإرشاد فى المناسك له أنه يستحب لمن جاء إلى زمزم الاطلاع فيها لأن النظر فيها عبادة وتحط الأوزار والخطايا . انتهى . ولم أقف على هذا الـكتاب و إنما نقل إلى ذلك عنه من اعتمده وذكر أنه رأى ذلك بخط من يعتمد عليه من حفاظ الحديث . وروى نحو ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلاً فى حديث الفاكهى لأنه قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الطبرى قال : حدثنا بقية بن الوليد عن ثور عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النظر فى زمزم عبادة وهى تحط الخطايا . ومنها أن من حثا على رأسه ثلاث حثيات من ماء زمزم لم تصبه ذلة . ذكر ذلك الفاكهى لأنه قال : وحدثنى قريش بن بشير التميمى قال : حدثنا إبراهيم بن بشير عن محمد بن حرب عمن حدثه أنه أسر فى بلاد الروم وأنه صار إلى الملك فقال له : من أى بلد أنت ؟ قال : من أهل مكة ، فقال : هل تعرف بمكة هزمة جبريل ؟ قال : نعم ، قال : فهل تعرف بها بوة[3] ؟ قال : نعم ، قال : فهل لها اسم غير هذا ؟ قال : نعم، هى اليوم تعرف بزمزم . قال : فذكر من جملة بركتها ثم قال: أما انك إن قلت هذا إنا نجد فى كتبنا أنه لا يحثو رجل على رأسه منها ثلاث حثيات فأصابته ذلة أبداً . انتهى .

---

(١) كذا بالاصل ولم يظهر معناه . والبيت ليس على الأوزان المعروفة فى الشعر

(٢) فى النسخة (ك) : الصالح . (٣) فى النسخة (ك) : بره .

ذكر آداب شربه

يستحب لشارب به أن يستقبل القبلة ، ويذكر اسم الله تعالى ، ويتنفس ثلاثا ، ويتضلع منه ، ويحمد الله تعالى ، ويدعو بما كان ابن عباس يدعو به إذا شرب ماء زمزم . لأن فى مستدرك الحاكم من حديث ابن عباس السابق وكان ابن عباس إذا شرب من[1] ماء زمزم قال : اللهم إنى أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء انتهى. ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدعو بما أحبه من أمر الآخرة فى الدعاء ويجتنب الدعاء بما فيه مأثمة .

ذكر حكمة التطهير بماء زمزم

أما حكم التطهير فإنه صحيح بالإجماع على ما ذكره الماوردى فى حاويه والنووى فى شرح المهذب . وينبغى توقى إزالة النجاسة به وخصوصاً مع وجود غيره ، وخصوصاً فى الاستنجاء به فقد قيل إنه يورث الباسور ويقال إن ذلك جرى لمن استنجى به وجزم المحب الطبرى بتحريم إزالة النجاسة به وإن حصل به التطهير وأخذ ذلك من كلام الماوردى ووافقه فى الجزم بذلك وأخذه من كلام الماوردى الشيخ كمال الدين النشائى فى كتابه جامع المختصرات وشرحه، ولابن شعبان من أصحابنا المالكية : ما يوافق ماذكره الماوردى فى منع التطهير بماء زمزم لأنه قال : لا يغسل بماء زمزم ميت ولا نجاسة انتهى . ومقتضى ما ذكره ابن حبيب من المالكية استحباب التوضؤ به ومذهب الشافعى رضى الله عنه استحباب الوضوء والغسل به ولم يكره الوضوء به إلا أحمد بن حنبل فى رواية عنه . وذكر الفاكهى أن أهل مكة يغسلون موتاهم بماء زمزم إذا فرغوا من غسل الميت وتنظيفه تبركا به وذكر أن أسماء بنت أبى بكر الصديق[2] غسلت ابنها عبد الله بن الزبير بماء زمزم .

ذكر نقل ماء زمزم إلى البلدان

أما نقله فإنه يجوز باتفاق المذاهب الأربعة بل هو مستحب عند المالكية والشافعية، والفرق عند الشافعية بينه وبين حجارة الحرم فى عدم جواز نقلها وجواز نقل ماء زمزم أن الماء ليس بشىء يزول فلا يعود ، أشار إلى هذه التفرقة الشافعى فيما حكاه عنه البيهقى والأصل فى جواز نقله مارويناه فى جامع الترمذى عن عائشة أنها حملت من ماء زمزم

---

(١) لا توجد فى النسخة (ك) .

(٢) لم تكتب فى النسخة (ك) .

فى القوارير ، وقالت : حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأداوى والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم ورويناه فى شعب الإيمان للبيهقى وفى سننه وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه انتهى . ويدل لذلك ما رويناه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم . أخرجه الطبرانى فى مسند رجاله ثقات ، ورويناه فى تاريخ الأزرقى أن النبى صلى الله عليه وسلم استعجل سهيلا فى إرسال ذلك إليه وأنه بعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم براويتين .

ذكر شىء من خبر سقاية العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه

صفة هذه السقاية الآن بيت مربع فى أعلاه قبة كبيرة ساترة لجميعه والقبة من آجر معقودة بالنورة ، وفى أسفل جدرانها خلا الجنوبى شبابيك من حديد تشرف على المسجد الحرام فى كل جهة شباكان من حديد . وفى جانبها الشمالى من خارجها حوضان من رخام مفردان[1] . وباب السقاية بينهما ، وفى هذا البيت بركة كبيرة تملأ من بئر زمزم يسكب الماء من البئر فى خشبة طويلة على صفة الميزاب ، متصلة بالجدر الشرقى من حجرة زمزم ، ويجرى الماء منها إلى إلى الجدار المشار إليه . ثم إلى قناة تحت الأرض حتى يخرج إلى البركة من فوارة فى وسطها . وأحدث وقت عمرت فيه هذه القبة سنة سبع وثمانمائة ، وسبب عمارتها فى هذه السنة أن القبة التى كانت فى سقف هذه السقاية أكلت الأرضة بعض الخشب الذى كان فيها فسقطت . والأرضة دويبة صغيرة تأكل الخشب . وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب شيئاً من خبر عمارة هذا المكان وما ذكره الأزرقى فى صفة هذه السقاية ، وهو يخالف هذه الصفة ولذلك تركنا ذكره هنا . وقد ذكر الأذرعى ذرع ما بين هذه السقاية وبين الحجر الأسود وذرع ما بينها وبين جدارات المسجد لأنه قال : ومن الركن الأسود إلى سقاية العباس وهو بيت الشراب خمسة وتسعون ذراعاً . ومن وسط سقاية العباس إلى جدر المسجد الذى بباب المسعى مائة ذراع . ومن وسط السقاية إلى الجدار الذى به باب بنى جمح مائتا ذراع ، وإحدى وتسعون ذراعاً . ومن وسط السقاية إلى الجدار الذى يلى دار الندوة مائتا ذراع . ومن وسط السقاية إلى الجدار الذى يلى الوادى خمس وثمانون ذراعاً انتهى . وقد حررنا مقدار ما بين هذه السقاية والحجر الأسود فكان ما بين ذلك ثمانون ذراعاً ونصف ذراع ، بذراع الحديد ، وذلك من الحجر الأسود إلى وسط جدار السقاية الغربى مارًّا من جانب زمزم اليمانى .

(١) وقد أزيل هذان الحوضان فى أوائل حكم المرحوم عبد العزيز آل سعود وأقام بدلا منهما سبيلين منظمين على أحدث طراز وكتب عليهما ما يفيد تاريخ عمارتهما .

الباب الحادى والعشرون

فى ذكر الأماكن المباركة التى ينبغى زيارتها الطائفة بمكة المشرفة وحرمها وقربه

هذه الأماكن مساجد ودور وجبال ومقابر، والمساجد أكثر من غيرها إلا أن بعض هذه المساجد مشتهر باسم المولد وبعضها باسم الدار وسيأتى ذكر هذين الأمرين قريباً والمقصود ذكره هنا ما اشتهر من ذلك بالمسجد الحرام[1]:

فمن ذلك مسجد بقرب المجزرة الكبيرة[2] من أعلاها على يمين الهابط إلى مكة ويسار الصاعد منها يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب على ما وجدت بحجرين فيه: أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبى حرمى وفيه أنه عمر فى رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وفى الآخر أنه عمر فى سنة سبع وأربعين وستمائة وطول هذا المسجد من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدار المقابل له سبعة أذرع إلا ربعا بذراع الحديد المستعمل فى القماش بديار مصر ومكة وعرضه خمسة أذرع وثمن وذلك من الجدار الذى فيه محرابه إلى الجدار المقابل له وكان تحرير ذلك بحضورى وبين باب هذا المسجد وجدار باب بنى شيبة أحد أبواب المسجد الحرام خمسمائة ذراع وعشرة أذرع ونصف ذراع بذراع اليد المقدم ذكره ويكون ذلك بذراع الحديد أربعمائة ذراع وستة وأربعين ذراعاً وخمسة أثمان ذراع ونصف ثمن وحدد ذلك بحضورى أيضاً ويوهم بعض أهل العصر أن هذا المسجد هو المسجد الذى ذكر الأزرقى أن عنده قرن مسفله عند موقف الغنم وأن النبى صلى الله عليه وسلم بايع الناس عنده يوم فتح مكة على ما يقال، وسبب هذا التوهم أن المسجد الذى ذكرنا ذرعه وشيئاً من خبره يلحق بجبل وعنده الآن سوق الغنم، وليس هذا التوهم صحيحاً لأن الجبل الذى عنده هذا المسجد هو المشرف على المروة ويسمى جبل الديلمى على ماذكره الأزرقى وهو فى شق معلى مكة الشامى وقرن مسفله الذى أشار إليه الأزرقى ذكره الأزرقى فى شق معلى مكة اليمانى، ونص كلامه فى أخبار هذه الجهة: وقرن مسفلة وهو قرن قد بقيت منه بقية بأعلى مكة فى دبر دار سمرة عند موقف الغنم بين شعب ابن عامر وحرف دار رابعة فى أصله انتهى. وشعب ابن عامر هو الذى تسميه العامة[3] اليوم شعب عامر بأعلى مكة بشقهما اليمانى وبين المكانين بعد كثير والله أعلم ـ ومن ذلك مسجد فوقه يقال له مسجد الراية وعرفه بذلك المحب الطبرى فى القرى وهو من المساجد التى صلى فيهما النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) بالأصل: الكبير وهو تحريف.

(٢) كذا بالأصل ولعلها المجزرة الكبيرة. (٣) نسخة (ع) الناس.

على ما يقال ، كما ذكر الأزرقى وذكر أن عبد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بناه ، وفيه الآن لوحان مكتوبان : أحدهما كوفى لا يعرف والآخر فيه أن المستعصم العباسى أمر بعمله فى شعبان سنة أربعين وستمائة وعمره فى أوائل سنة إحدى وثمانمائة الأمير قطلبك الحسامى المنجكى عمارته التى هو عليها الآن وطول هـذا المسجد من داخله ستة عشر ذراعاً بالحديد وذلك من الجدار الذى فيـه بابه إلى الجدار المقابل له وعرضه ستة أذرع إلا ثلث ذراع وذلك من الجدار الذى فيه محرابه إلى الجدار المقابل له وكان تحرير ذلك بحضورى و بين باب هـذا المسجد وجدار باب بنى شيبة أحد أبواب المسجد الحرام سبعمائة ذراع وأربعة وعشرون ذراعاً بذراع الحديد فيكون ذلك بذراع اليد ألف ذراع وستة وخمسون ذراعاً وكان تحرير ذلك بحضورى ـ ومن ذلك مسجد بسوق الليل قرب مولد النبى صلى الله عليه وسلم يقال له المختبا يزوره الناس كثيراً فى صبيحة اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة ولم أر من ذكره ولا عرفت شيئاً من خبره وطول هذا المسجد من وسط الجدار إلى وسط الجدار الذى فيه محرابه ثمانية أذرع إلا ثلثا وعرضه سبعة أذرع وثلث. الجميع بذراع الحديد وكان تحرير ذلك بحضورى ـ ومن ذلك مسجد بأسفل مكة ينسب لأبى بكر الصديق[1] رضى الله عنـه ويقال إنه من داره التى هاجر منها إلى المدينة والله أعلم . وقد ذكر ابن جبير هذا المسجد وذكرنا كلامه فى أصل هذا الـكتاب مع شىء من حال هذا المـكان الآن وهو مكان مشهور بالموضع المشهور بالحجارية براء مهملة بأسفل مكة بالقرب من باب الماجن ـ ومن ذلك مساجد خارج مكة من أعلاها : منها المسجد[2] الذى يقال له مسجد الإجابة على يسار الذاهب إلى منى فى شعب بقرب ثنية اذاخر وهو مسجد مشهور يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه وقد ذكره الأزرقى وذكر شيئاً من خبر الشعب الذى هو به لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: شعب آل قنفذ هو الشعب الذى فيـه دار آل خلف بن عبد ربه بن السايب مستقبل قصة محمد بن سليمان وكان يسمى شعب اللام وهو قنفذ بن زهير من بنى أسد بن خزيمة، وهو الشعب الذى على يسارك وأنت ذاهب إلى منى من مكة فوق حائط خرمان[3] وفيـه اليوم دار الخليفتين من بنى مخزوم وفى هذا الشعب مسجد مبنى يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه . وينزله اليوم فى الموسم الحضارمة انتهى . وهـذا المسجد الآن متخرب جداً وجدرانه ساقطة إلا القبلى وفيـه حجر مكتوب فيه أنه مسجد الإجابة وأن

---

(١) هذا المسجد ما زال معروفاً إلى الآن ببيت أبى بكر الصديق وهو بجوار (البازان) المسمى (بيازان القبة) بالمسفلة . ويقال إن آل البوقرى حينما بنوا دارهم الشامخة التى بجواره استولوا عليه . وإن كان لنا أن نقترح شيئاً فإننا نقترح المحافظة على هذا الأثر الـكريم، ومما نعرفه أن بيت السيد هاشم الشبلى كانوا محافظين على هذا الأثر إلى أن انتزع منهم . انتهى .

(٢) فى النسخة (ك) المسجد المشهور .

(٣) فى النسخة (ك) : حزمان بحاء فزاى .

عبد الله بن محمد عمره فى سنة عشرين وسبعمائة، وما عرفت عبد الله بن محمد المشار إليه،وطول هذا المسجد من الجدار الذى فيه محرابه إلى الجدار المقابل له ثمانية عشر ذراعاً بذراع الحديد وعرضه كذلك وحرر ذلك بحضورى وكثير من الناس يقصدون زيارة هذا المسجد فى بكرة أول سبت من شهر ذى القعدة الحرام كل سنة وما عرفت سبب مثابرتهم على زيارته فى هذا اليوم والله أعلم — ومن ذلك المسجد الذى يقال له مسجد البيعة وهى البيعة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه على ما ذكر أهل الأخبار[١] وهذا المسجد بقرب العقبة التى هى حد منى من جهة مكة وهو وراء العقبة بيسير إلى مكة فى شعب على يسار الداخل إلى منى وفيه حجران مكتوب فى أحدهما أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله ببنيان هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت أول بيعة بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد عقده له العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وفى الآخر تعريفه بمسجد البيعة وأنه بنى فى سنة أربع وأربعين ومائة وأمير المؤمنين المشار إليه هو أبو جعفر المنصور العباسى ، وعمره أيضاً المستنصر العباسى[٢] على ما وجدته مكتوباً فى حجر ملقى حول هذا المسجد لتخربه وفيه أن ذلك فى سنة تسع وعشرين وستمائة وقد ذكره الأزرقى ولم يذكر شيئاً من خبر عمارته فى زمن المنصور وصفة هذا المسجد رواقان كل منهما مسقوف بثلاث قبب على أربعة عقود وخلفها رحبة وله بابان فى الجهة الشامية وبابان فى الجهة اليمانية وطول الرواق المتقدم من الجهة الشامية إلى الجهة اليمانية ثلاثة وعشرون ذراعاً وعرضه أربعة عشر ذراعاً والرواق الثانى نحو ذلك وطول الرحبة من جدارها الشامى إلى اليمانى أربعة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع وطول المسجد من محرابه إلى آخر الرحبة ثمانية وثلاثون ذراعا وسدس ، الجميع بذراع الحديد،وأبواب كل رواق التى يدخل منها إلى الأرض ثلاثة، وأكثر هذا المسجد الآن متخرب وكان تحرير ما ذكرناه بحضورى — ومن ذلك مسجد بمنى عند الدار المعروفة بدار المنحر بين الجمرة الأولى والوسطى على يمين الصاعد إلى عرفة . وهذا المسجد ينسب إلى النبى[٣] صلى الله عليه وسلم على مايقال، لأن فيه حجراً مكتوباً فيه : هذا مسجد سيد الأولين والآخرين صلى فيه الضحى ونحر هديه . وفيه أن الملك قطب الدين أبا بكر بن الملك المنصور عمر بن على بن صاحب اليمن أمر بتجديد عمارته بعد زيارته فى سنة خمس وأربعين وستمائة . وهذا المسجد فى قبلته بابان وخلفه رحبة ولا حائط له من جهة المشرق وله أربعة أبواب باب فى الجهة الشامية وباب فى الجهة اليمانية وبابان فى حائطه القبلى:واحد[٤] عن يمين محرابه وآخر عن يساره وطول هذا المسجد من المحراب إلى مؤخره ثمانية أذرع، وعرضه سبعة أذرع ، الجميع بذراع الحديد وكان تحرير ذلك بحضورى — ومنها مسجد الكبش الذى

---

(١) وهى البيعة المعروفة ببيعة العقبة الثانية والتى كانت سبباً مباشراً للهجرة النبوية .

(٢) هو آخر خلفاء الدولة العباسية .

(٣) للنبى : فى النسخة (ك) .

(٤) فى النسخة (ك) : وآخر .

يقال له مسجد الكبش بمنى على يسار الذاهب إلى عرفة . وهو مشهور بمنى والكبش المشار إليه هو الذى فدى الله تعالى به نبيه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وقيل إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام حين أراد الخليل عليه السلام ذبحه . وفى تاريخ الأزرقى زيادة فى خبر هذا المكان وفيه القولان فى تعيين الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل قال المحب والأكثر على أنه إسحاق انتهى . وذكر الفاكهى ما يقتضى أن هذا الكبش نحر فى غير هذا الموضع لأنه روى حديثاً بسنده إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قصة ذبح إبراهيم لإسماعيل وفيه فنزل عليه كبش من ثبير فاضطره إلى الجبل ثم جاء به حتى نحره بين الجمرتين انتهى . وسيأتى هذا الخبر فى الباب السادس والعشرين من هذا الكتاب . وذكر المحب الطبرى ما يؤيد ذلك ، ونبين هذا المنحر الذى بين الجمرتين لأنه نقل عن أبى ذر الهروى خبراً لفظه: وعن ابن عباس قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منحر إبراهيم الذى نحر فيه الكبش . فاتخذوه منحراً وهو المنحر الذى ينحر فيه الخلفاء اليوم ، يُقال هذا منحر وكل منى منحر ، وقال ابن عباس رضى الله عنه تقول اليهود : إن المفدى إسحاق ، كذبت إنما هو إسماعيل . أخرجه أبو داود . ثم قال وعنه قال: الصخرة التى بمنى بأصل ثبير هى الصخرة التى ذبح عليها فداء إسماعيل أو إسحاق انتهى باختصار . ثم قال : أخرجه أبو سعيد فى شرف النبوة ثم قال : وهذان الحديثان بينهما تضاد لأن حديث أبى سعيد يتضمن أن مكان ذبح إبراهيم فى أصل ثبير ، وحديث أبى ذر يتضمن أنه منحر الخلفاء اليوم وذلك فى سفح الجبل المقابل له انتهى .

وهذا المنحر هو الدار المعروفة بدار المنحر[1] بمنى بين الجمرتين الأولى والوسطى بقرب المسجد الذى سبق ذكره قبل هذا المسجد وهى مشهورة بذلك عند الناس وعندها ينحر هدى صاحب اليمن . والمسجد المعروف بمسجد الكبش ثلاثة أروقة مكشوفة لا سقف لها وفى كل من المقدمين عقدان ، وله أبواب خمسة ، اثنان فى جداره القبلى ، عن يمين المحراب ويساره ، واثنان فى مؤخرى حائطه الشرقى والغربى ، وبابه الخامس خوخة فى جداره المؤخر . وفى الرواق الأوسط بابان يدخل منهما إلى الرواق المقدم وفى مؤخره عند بابه الذى يلى المشرق حفرة صغيرة فيها حجر مبنى فى الجدار فيه أنه يقال إنه أثر الكبش الذى فدى به الذبيح ابن إبراهيم ، وطول هذا المسجد من مؤخره إلى جداره القبلى تسعة عشر ذراعاً وربع ذراع ، وعرضه ثلاثة عشر ذراعاً وسدس الجميع بذراع الحديد ، وأكثر هذا المسجد الآن متخرب . وكان كل من رواقيه المقدمين مسقوفاً بثلاث قبب فسقط جميع ذلك . وكان تحرير ذرعه بحضورى. ومن ذلك مسجد الخيف بمنى وهو مسجد عظيم الفضل لأحاديث وأخبار وردت فى ذلك منها ما رويناه فى المعجم الأوسط للطبرانى من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد :

---

(١) النحر : فى النسخة (ك) .

مسجد الخيف ، والمسجد الحرام، ومسجدى هذا . وهذا الحديث إسناده ضعيف و إنما أوردناه لهذه الفائدة الغريبة ؛ ومنها ما رويناه فى معجم الطبرانى الكبير من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلى فى مسجد الخيف سبعون نبياً منهم موسى . رويناه فى تاريخ الأزرقى ورويناه عن مجاهد أنه صلى فى مسجدالخيف خمسة وسبعون نبياً . ورويناه فى مسند البزار من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فى مسجد الخيف قبر سبعين نبيا و إسناد رجاله ثقات . وذكر الفاكهى فيها رواية بسنده إلى عروة بن الزبير أن آدم عليه السلام دفن بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل بباب الكعبة .

ذكر ما جاء فى استحباب زيارة مسجد الخيف كل سبت

وبالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : حدثنى جدى عن عبدالمجيد عن ابن جريج عن عطاء قال: سمعت أبا هريرة يقول : لو كنت من أهل مكة لأتيت إلى مسجد الخيف كل سبت . وقال الجنيدى : حدثنا محمد بن يوسف حدثنا أبو قرة قال : ذكر ابن جريج عن عطاء ، أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : لو كنت امرأ من أهل مكة ما أتى علىّ سبت حتى آتى مسجد الخيف فأصلى فيه ركعتين .

ذكر تعيين مصلى النبى صلى الله عليه وسلم من مسجد الخيف

وبه إلى ابن جريج ، عن إسماعيل بن أمية ، أن خالد بن مضرس[1] أخبره أنه رأى أشياخاً من الأنصار يتحرون مصلى النبى صلى الله عليه وسلم أمام المنارة قريباً منها . وبه إلى الأزرقى قال : قال جدى : الأحجار التى بين يدى المنارة هو موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل الناس وأهل العلم يصلون هنالك .

ذكر صفة مسجد الخيف الآن وذرعه بذراع الحديد

ذكر الأزرقى ذرع مسجد الخيف بذراع اليد وصفته فى عصره وذكرنا ذلك فى أصل هذا الكتاب ، مع صفته الآن وذرعه بذراع الحديد المتقدم ذكره وشىء من خبر عمارته بعد الأزرقى رحمه الله واقتصرنا هنا على ذكر صفته الآن وذرعه بذراع الحديد لكونه أبلغ فى تعريفه مع ما علمناه من خبر عمارته .

ذكر صفته الآن

هو مسجد كبير مربع فى قبلته أربع محاريب غير محرابه الكبير . ثلاثة عن يساره ، وواحد عن يمينه ومنبره درج عالية وفى مقدمه أربعة أروقة مسقوفة بآجر معقودة بالنورة كالأطباق ، وله رواق آخر لاصق بجداره الذى يلى الطريق العظمى

(١) مطرس : فى النسخة (ك) .

غيرمسقوف ، وبابه الأعظم فى نحو وسط هذا الجدار وله باب آخر كبير فى جداره المؤخر الذى يلى عرفات وخوختان فى جداره الذى يلى الجبل ، وفى وسطه منارة مربعة بين يديها موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم . محوط بحجارة فيها محراب صغير وفى طول المسجد فيما بين بابه الكبير والمنارة سقاية كبيرة معقودة فى الأرض على أعمدة لها خمسة أبواب تسقى الناس منها وعن يمين القبلة من خارج الأروقة درجة لاصقة للرواق الذى يلى الطريق يصعد منه إلى أعلى سقف الأروقة المذكورة وجدرات المسجد عالية لها شرافات ، وعلى باب المسجد الكبير نصب عال قد سقط أكثره . وكذلك سقط جانب من المسجد مما بين بابه الكبير والقبلة وقبة كبيرة كانت على المحراب سقطت أيضاً مع جانب من وسط حائطه القبلى[1] .

ذكر ذرعه

طوله من وسط حائطه القبلى إلى مؤخره مائتا ذراع وعشرة أذرع وعرضه من الجدر الذى فيه بابه الكبير إلى الجدار المقابل له الذى يلى الجبل مائة ذراع وتسعة وتسعون ذراعا ونصف ذراع وذرع ارتفاع جداره القبلى من داخله من الأرض أحد عشر ذراعاً ومن خارجه تسعة أذرع ونصف وارتفاع جداره الذى يلى الجبل من داخله ثمانية أذرع إلا ثلث ومن خارجه أربعة أذرع وارتفاع جداره الذى يلى عرفة من داخله سبعة أذرع ومن خارجه خمسة أذرع إلا ثلث وارتفاع جدره الذى يلى الطريق من داخل المسجد ستة أذرع وربع ذراع . ومن خارجه تسعة أذرع إلا ثلث ، وارتفاع باب المسجد الكبير فى السماء سبعة أذرع وسدس ، وعرضه أربعة أذرع إلا سدس ، وارتفاع عتبته من خارج نصف ذراع ، وارتفاع بابه الذى فى مؤخره فى السماء أربعة أذرع وربع ، وعرضه ذراعان .

ذكر عدد أروقته

ذرع الأروقة التى فى مقدمه من حذو القبلى إلى مؤخرها التى هو طرف الصحن أحد وثلاثون ذراعاً وذرع كل رواق منها طولاً من الجدر الذى يلى الطريق إلى الجدار الذى يلى الجبل خمسة وثمانون ذراعاً وثلثا ذراع . وعرضه سبعة أذرع ونصف إلا الرواق الذى يلى الصحن فإنه سبعة فقط. وأما رواقه الملاصق لجدره الذى يلى الطريق فطوله من جدار القبلة إلى باب المسجد الكبير سبعون ذراعاً وسدس ذراع ، وعرضه سبعة أذرع ونصف ، وطول باقيه من باب المسجد الكبير إلى مؤخره مائة وأربعون ذراعاً وسدس ذراع ، وعرضه سبعة أذرع وربع ، وفى كل من جانبى هذا الرواق من الأبواب النافذة إلى صحن المسجد ثلاثة أبواب : اثنان متلاصقان ، وآخر مفرد يلى باب المسجد الكبير .

---

(١) وقد أصلح ورمم فى عهد الدولة العثمانية ، وكذلك فى عهد المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود على يد وزارة الأوقاف

ذكر عدد أساطينه وصفتها وذرع ما بينها

أما عددها فهو أربع وثمانون اسطوانة من أربعة صفوف الأربعة المقدمة منه ، منها فى كل صف إحدى وعشرون اسطوانة وهى حجارة مجصصة . وذرع ما بين كل اسطوانتين من كل صف خمسة أذرع وثلث ، وبعض ذلك يزيد قليلًا .

ذكر عدد عقوده

عدد العقود التى فى الأروقة المقدمة مائة وثمانية وستون عقداً ، منها فى كل رواق اثنان وعشرون فى عرضه وفى كل صف اثنان وعشرون فى طوله .

ذكر ذرع موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم أمام المنارة

ذرعه طولًا من جدار المنارة القبلى إلى أقصى محرابه ثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع وثمن ذراع ، وعرضه عن يمين المصلى ويساره أربعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع ، وفتحة محرابه ثمانية أذرع وثمن ، وطوله إلى جهة القبلة ذراعان ونصف ، وما بين هذا المحراب وطرف صحن المسجد مما يلى القبلة خمسة وثمانون ذراعاً .

ذكر عدد شرفات المسجد من داخله وخارجه

أما التى من خارجه ففى حائط مؤخره ، منها ستة وسبعون شرافة وفى حائطه الذى يلى الطريق العظمى من مؤخر المسجد إلى بابه الكبير اثنتان وسبعون شرافة ، منها ثلاثة مهدومة ، وتمام ما على هذا الحائط من الشرفات أكثر من عشرين لأنه سقط كثير منها مما يلى الباب . وعلى الحائط الذى يلى الجبل ستة وتسعون ، منها ست مهدومة . وأما الشرفات التى تلى باطن المسجد فعلى الرواق المؤخر من الأربعة الذى يلى صحن المسجد مائة وثلاث شرافات ، منها ثنتان وسبعون من مؤخر المسجد إلى بابه الأعظم ، وثلاثة وثلاثون تمام ذلك إلى جداره القبلى .

ذكر ذرع المنارة وصفتها وعدد درجها وما بين المنارة وبين نواصى المسجد

طولها فى المسجد أحد وعشرون ذراعاً وثمن ذراع ، وذرع تربيعها من جهة القبلة ستة أذرع إلا قيراط . ومن مؤخرها كذلك . ومما يلى الجبل إلى بابها ستة أذرع ونصف إلا قيراطين . والمقابل له الذى يلى باب المسجد

الأعظم كذلك ، وفيها من الطاقات إحدى عشرة طاقة فى كل جهة ثلاث خلا الجهة التى تلى مؤخر المسجد فاثنتان فقط . وعدد درجها أربعة وستون ، وبينها وبين جدر المسجد الذى يلى الجبل ثلاثة وثمانون ذراعاً وربع ذراع ، وبينها وبين الرواق الملاصق لجدار المسجد الذى يلى الطريق ثمانية وثمانون ذراعا وربع ذراع ، وبينها وبين المسجد المؤخر سبعة وتسعون ذراعاً ونصف . وقد تقدم ما بينها وبين طرف صحن المسجد مما يلى القبلة وما بين ذلك والجدار القبلى .

ذكر ذرع السقاية المذكورة

طولها تسع وثلاثون ذراعاً وربع ذراع ، وبينها وبين محاذاة المنارة ثلاثة وخمسون ذراعاً إلا ثمن ذراع ، وبينها وبين عتبة باب المسجد الكبير اثنان وأربعون ذراعاً وسدس ذراع . وكان تحرير ما ذكرناه كله من أمر هذا المسجد بحضورى . وأما خبر عمارة هذا المكان بعد الأزرقى فقد خفى علينا كثير من ذلك ، لعدم تدوين من قبلنا له فمن ذلك بعد الأزرقى — ما أحسب — عمارة فى زمن الخليفة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسى فى سنة ست وخمسين ومائتين . ومن ذلك بعد الأزرقى يقيناً أن الوزير الجواد الأصفهانى عمّره ، وأن أم الخليفة الناصر لدين الله العباسى عمّرته ، واسمها مكتوب على بابه الكبير ، وأن الملك المظفر صاحب اليمن عمّر ما تشعث منه فى سنة أربع وسبعين وستمائة . وفى هذه السنة أمر بإنشاء المنارة التى هى الآن فيه واسمه مكتوب فى لوح فيها إلى الآن . وأن أحمد بن عمر المعروف بابن المرجانى التاجر الدمشقى عمره لما كان مجاوراً بمكة فى سنة عشرين وسبعمائة بما زيد على عشرين ألف درهم ، وأصلح فيه بعد ذلك مواضع متشعثة فى عصرنا وفيما قبله ، وقد كثر تشعثه فى عصرنا ، وزال كثير من ذلك بعمارته فى سنة عشرين وثمانمائة والذى تطوع بمصروف هذه العمارة ما عرفته ، والمتولى لمصروفها الشيخ على البغدادى شيخ رباط موالينا جهة فرحان بمكة ولكن ضيق بابه الكبير الذى يلى الطريق العظمى إلى عرفة ومكة ولو لم يضيقه كان أحسن للحاجة إلى سعته فى أيام الحج[1] .

ومن ذلك المسجد الذى اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بعد حجها فى حجة الوداع . وهذا المسجد بالتنعيم[2] ، واختلف فيه . فقيل : هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة لشجرة هليلجة كانت فيه وسقطت من قريب . وهو المتعارف عند أهل مكة على ما ذكر سليمان بن خليل وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك ، والله أعلم .

وقيل : المسجد الذى بقربه بير وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذى يقال له مسجد على بطريق وادى مر الظهران وفى هذا أيضاً حجارة مكتوب فيها ما يشهد بذلك[3] . والخلاف فى ذلك من قديم ذكره الفاكهى وغيره . ورجح

---

(١) وعمره الملك الأشرف عام ٨٧٤ هـ ، والسلطان محمد قزلار الأغا عام ١٠٧٢ هـ ، وسليمان أغا عام ١٩٠٢ من قبل الخليفة محمد خان ، وجددت عمارته فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود .

(٢) ويعرف بمسجد التنعيم ، والتنعيم حد الحرم من جهة المدينة

(٣) لذلك : فى النسخة ك .

المحب الطبرى أن المسجد الذى بقر به البئر ، وهو الذى يقتضيه كلام إسحاق الخزاعى[١] ، والله أعلم . وعمره على ما ذكر إسحاق الخزاعى عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى العباسى أمير مكة . ثم العجوز والدة المقتدر العباسى على ما ذكره الخزاعى . ثم زوج الملك المنصور صاحب اليمن، وتاريخ عمارتها فى سنة خمس وأربعين وستمائة . أوفى سنة أربع وأربعين وستمائة على ماذكر المحب الطبرى فى تاريخ عمارتها . وممن عمر مسجد الهليلجة أبو النصر الاستراباذى عنه وعن أخيه فى سنة ست وستين وأربعمائة . ثم الملك المسعودى صاحب اليمن ومكة فى سنة تسع عشرة وستمائة وتاريخ عمارته وعمارة أبى النصر فى حجرين مكتوب فيهما ذلك بالمسجد المذكور[٢] . وقد حررنا ذرع هذين المسجدين فكان طول المسجد المعروف بمسجد الهليلجة من وسط المحراب إلى الجدر الذى فى آخر رحبته خمسة وعشرين ذراعاً، وطوله خارجاً عن الرحبة أحد عشر ذراعاً ، وعرضه ثلاثة وعشرون ذراعاً وربع ذراع ، وبين هذا المسجد وبين أول الأعلام التى فى الأرض لا التى فى الجبل بالتنعيم سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعاً. كل ذلك حرر بذراع الحديد. وكان طول المسجد الآخر المنسوب إلى عائشة الذى يلى مسجد الهليلجة المشار إليه من المحراب إلى جدر الرحبة المقابل له أربعة وعشرين ذراعاً وثلثى ذراع . وعرض الموضع المعبر منه من الجدار الذى فيه المحراب إلى طرف العقد مما يلى الرحبة عشرة أذرع وثلثا ذراع . وطول المعبر منه ثلاثة وعشرون ذراعاً وثلاثة أرباع الذراع بالذراع الحديد أيضاً . وذرع ما بين المسجدين المشار إليهما ثمانمائة ذراع ، واثنان وسبعون ذراعاً بالذراع المذكور .

ومنها مسجد يقال له : مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادى مر الظهران يقال : إنه من المساجد التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم، بين مكة والمدينة ، ذكره شيخنا القاضى زين الدين بن حسين المراغى المدنى فى تاريخه للمدينة المنورة فى المساجد التى نقل ان النبى صلى الله عليه وسلم ،صلى فيها بين مكة والمدينة . ونص كلامه : ومسجد فى المسيل الذى بوادى مر الظهران حين يهبط من الصفراوات عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، ومر الظهران هو بطن مر، المعروف الآن بمسجد الفتح ، انتهى .

وممن عمر هذا المسجد على ما بلغنى الشريف أبو نمى صاحب مكة . وبلغنى أنه سبق عمه الشريف إدريس ابن قتادة إلى عمارته لما بلغه أن عمه يريد أن يعمره . وممن عمره بعد ذلك الشريف وهاس[٣] بن راجح الحسنى، وبيضه فى عصرنا من نحو ثمان سنين صاحب مكة : الشريف حسن بن عجلان، بياضه الذى هو به الآن ورفع أبوابه لصونه عن الغنم وشبهها أثابهم الله تعالى ... فهذه الأماكن المباركة بمكة وحرمها وقربه المعروفة الآن بالمساجد وقد ذكر الأزرقى مساجد أخر لا يعرف موضعها الآن . وذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب .

---

(١) وغيره : فى النسخة ك . (٢) وعمره السلطان محمود عام ١٠١١ هـ ، ومحمود بك والى جدة عام ١٠١٢ هـ ، وأصلح بئرا بجواره الوزير سنان بك عام ٩٧٨ هـ ، وجددت عمارة المسجد فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود .
(٣) حناس : فى النسخة ك .

ذكر المواضع المباركة بمكة المشرفة المعروفة بالمواليد

هذه المواضع هى مساجد و إنما هى معروفة عند الناس بالمواليد ولذلك أفردناها عن المساجد بالذكر ، فمنها المولد الذى يقال له: مولد النبى صلى الله عليه وسلم بالموضع الذى يقال له سوق الليل ، وهو مشهور عند أهل مكة . وذكر الأزرقى أن عقيل بن أبى طالب أخذه لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يزل بيده و يد أولاده[1] حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف الثقفى فأدخله فى داره التى يقال لها دار البيضاء . ولم يزل هذا البيت فى هذه الدار حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون ، فجعلته مسجداً يصلى فيه وأخرجته من الدار وشرعته إلى الزقاق الذى فى أصل تلك الدار ، انتهى . وذكر السهيلى مايستغرب فى تعيين الموضع الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفيمن بناه لأنه قال : وولد بالشعب[2] وقيل بالدار التى عند الصفا وكانت بيد محمد بن يوسف أخى الحجاج . ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت، انتهى . وذكر الحافظ علاء الدين مغلطاى فى سيرته ما يستغرب أيضاً فى تعيين الموضع الذى ولد فيه النبى صل الله عليه وسلم لأنه قال فيما أنبئت به عنه : ولد بمكة ثم قال فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف . ويقال : بالشعب . ويقال : بالردم . ويقال : بعسفان ، انتهى . والمستغرب من ذلك ما قيل من أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد بالردم ، وقيل بعسفان. والقول بأنه ولد بالردم رواه أبو حفص بن شاهين فى الناسخ والمنسوخ لأنه قال: حدثنا أحمد بن عيسى بن السكن، حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا يعلى بن الأشدق ، عن عبد الله بن جراد ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالردم ، وختن بالردم ، واستبعث من الردم ، وحمل من الردم . قال البكرى: ردم بنى جمح بمكة كانت فيه حرب بينهم و بين بنى محارب بن فهر فقتلت بنو محارب من بنى جمح أشد القتل . فسمى ذلك الموضع بما ردم عليه من القتلى ، انتهى .

ذكر شىء مما ورد فى بركة الموضع الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم

روى الأزرقى بسنده[3] عن بعض من كان يسكن هذا الموضع قبل أن تخرجه الخيزران من الدار البيضاء أنهم قالوا : لا والله ما أصابنا فيه جائحة ولا حاجة، فأخرجنا منه فاشتد الزمان علينا ، انتهى .

---

(١) ولده : فى النسخة (ك) . (٢) فى الشعب : فى النسخة (ك) .
(٣) مسنده : فى النسخة (ك) ، والأول أصح .

ذكر صفة هذا المطاف

أما صفته التى أدركناه عليها فإنه بيت مربع وفيه اسطوانة عليها عقدان ، وفى ركنه الغربى مما يلى الجنوب زاوية كبيرة قبالة بابه الذى يلى الجبل وله باب آخر فى جانبه الشرقى أيضاً وفيه عشرة شبابيك أربعة فى حائطه الشرقى وهو الذى فيه باباه المتقدم ذكرهما، وفى حائطه الشمالى ثلاثة وفى الغربى واحد . وفى الزاوية اثنان ، واحد فى جانبها الشمالى وواحد فى جانبها اليمانى ، وفيه محراب . وبقرب المحراب حفرة عليها درابزين من خشب وذرع تربيع الحفرة من كل ناحية ذراع وسدس ، الجميع بذراع الحديد المتقدم ذكره، وفى وسط الحفرة رخامة خضراء وكانت هذه الرخامة مطوقة بالفضة على ماذكره ابن جبير وذكر أن سعتها مع الفضة ثلثا شبر انتهى ؛ وهذا الموضع جعل علامة للموضع الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم من هذا المكان، وذرع هذا المكان طولا أربعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع . وذلك من الجدار الشمالى إلى الجدار المقابل له وهو الجنوبى الذى يلى الجبل وذرعه عرضاً أحد عشر ذراعاً وثمن ذراع . وذلك من الشرقى الذى فيه بابه إلى جداره الغربى المقابل له ، وطولا الزاوية المشار إليها ثلاثة عشر ذراعاً ونصف ذراع وعرضها ثمانية ونصف، الجميع بذراع الحديد . وكان تحرير ذلك بحضورى ولم يذكر الأزرقى صفة هذا المكان ولا ذرعه وقد خفى علينا كثيراً من خبر عمارته . والذى علمته من ذلك أن الناصر العباسى عمره فى سنة ست وسبعين وخمسمائة . ثم الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة ست وستين وستمائة ثم حفيده المجاهد فى سنة أربعين وسبعمائة وفى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة من قبل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر وفى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر باشارة مدير دولته يلبغا الخاصكى سنة ست وستين وسبعمائة وفى آخر سنة احدى وثمانمائة أو فى التى بعدها من المال الذى أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة . وكانت عمارة هذا المولد بعد موته — ومنها الموضع الذى يقال له : مولد فاطمة رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم وهذا المكان من دار أمها خديجه بنت خويلد رضى الله عنها فى الزقاق المعروف بزقاق الحجر بمكة المشرفة ويقال الدار كلها مولد فاطمة رضى الله عنها والموضع الذى يقال إن فاطمة رضى الله عنها ولدت فيه مشهور فى هذه الدار وطوله خمسة أذرع إلا ثمنا وعرضه من وسط جداره ثلاثة أذرع وربع وثمن، الجميع بذراع الحديد. وفى هذا الموضع موضع صغير على صفة البركة مدورة وسعة فمها طولاً من داخل البناء المحوط عليه ذراع وعرضها كذلك وفى وسطها حجر أسود يقال إنه مسقط رأسها ولا ريب فى كون فاطمة رضى الله عنها ولدت فى هذه الدار وكان تحرير ماذكرناه من ذرعه بحضورى . ومنها الموضع الذى يقال له مولد على بن أبى طالب رضى الله عنه قريباً من مولد النبى صلى الله عليه وسلم من أعلاه مما يلى الجبل وهو مشهور عند أهل مكة بذلك لا اختلاف بينهم فيه ، ولم يذكره الأزرقى

وذكره ابن جبير. وعلى بابه مكتوب : هذا مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه وفيه ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمر بعمله سيدنا ومولانا الإمام أبو العباس أحمد بن الناصر لدين الله أمير المؤمنين فى سنة ثمان وستمائة .

ذكر صفة هذا المكان وذرعه

هـذا المكان رواقان بينهما عقدان كالبابين طول الرواق المقدم من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدار المقابل له الذى يلى الجبل أربعة وعشرون ذراعا ونصف[1] وثمن ذراع وطول الرواق المؤخر خمسة وعشرون ذراعاً ونصف وعرض الرواقين جميعاً خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع وفى الرواق المقدم ثلاثة محاريب . وفى طرف الرواق المؤخر درجة يصعد منه إلى أعلا هذا الموضع ، وهى الآن متخربة ، وفى طرف هذا الرواق مما يلى الشرق خوخة صغيرة يدخل منها إلى هذا المكان وفى طرف الرواق المقدم باب هذا المكان . وفى هذا المكان من العقود سبعة عقود . غير العقدين اللذين بين الرواقين، منها فى الرواق المقدم ثلاثة وفى المؤخر أربعة وفى طرف الرواق المقدم مما يلى الجبل حفرة صغيرة كالبركة يقال إنها الموضع الذى ولد فيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب وطولها نصف ذراع وكذلك عرضها والذراع المشار إليه هو ذراع الحديد وكان تحرير ذرع ذلك بحضورى ـ ومنها الموضع الذى يقال له مولد حمزة ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنه ، بأسفل مكة بقرب باب الماجن وعنده عين مكة المعروفة ببازان[2] ولم أر شيئاً يدل لصحة ذلك بل فى صحته نظر لأن هذا الموضع ليس محلا لبنى هاشم والله أعلم . وطول هذا الموضع خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع وعرضه سبعة أذرع وربع ذراع وثمن ذراع وذلك من الجدر الذى فيه بابه إلى الجدر المقابل له وهو القبلى، وبابه إلى جهة باب الماجن وهذا المكان الآن خراب جداً ولا سقف له وكان تحرير ماذكرناه من ذرعه بحضورى والذراع المحرر به هو ذراع الحديد ـ ومنها الموضع الذى يقال له مولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجبل الذى تسميه أهل مكة النوبى[3] وهو جبل مشهور بأسفل مكة ولا أعلم فى ذلك شيئاً يستأنس به إلا أن جدى لأمى القاضى أبو الفضل[4] النويرى كان يزور هذا الموضع فى جمع من أصحابه فى ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول من كل سنة فى الغالب والله أعلم بحقيقة ذلك ـ ومنها الموضع الذى يقال له مولد

(١) لم تكتب فى النسخة (ك) .

(٢) مازال هذا المكان معروفا بمسجد سيدنا حمزة وهو بقرب بازان المسفلة المسمى ببازان السبعة آبار وهو كما رأيته مسجدلا غير، وهو مستطيل البناء وأمامه رحبة صغيرة تحيط بها جدران قصيرة وبابها من جهة الجنوب .

(٣) اسم الجبل اليوم: جبل عمر .

(٤) فى النسخة (ك) : أبا ، وهو الصحيح .

جعفر الصادق بالدار المعروفة بدار أبى سعيد بقرب دار العجلة لأن على بابه حجراً مكتوباً فيه : هـذا مولد جعفر الصادق ودخله النبى صلى الله عليه وسلم . وفيـه أن بعض المجاورين أمر بعمارته فى صفر سنة ثلاث وعشرين وستمائة انتهى . ويقال لهذا الموضع مولد جعفر بن أبى طالب المعروف بالطيار والله أعلم بحقيقة ذلك . وطول هـذا الموضع من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدر المقابل له وهو القبلى ستة عشر ذراعاً وثلث ذراع وعرضه سبعة أذرع إلا ربع ذراع ، الجميع بذراع الحديد ، وكان تحرير ذلك بحضورى .

ذكر الدور المباركة بمكة المشرفة

بمكة دور مباركة معروفة عند الناس وغالبها مساجد ولـكنها مشهورة عند الناس بالدور ولذلك أفردناها بالذكر عن المساجد : منها دار خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله عنها بالزقاق المعروف بزقاق الحجر بمكة ويقال له أيضاً زقاق العطارين على ماذكره الأزرقى وتعترف [1] هذه الدار بمولد فاطمة رضى الله عنها لـكونها ولدت فيه هى واخوتها أولاد خديجة من النبى صلى الله عليه وسلم على ما ذكره الأزرقى ، وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم بنى بخديجة فيها وأنها توفيت فيها ولم يزل النبى صلى الله عليه وسلم ساكناً فيها حتى هاجر إلى المدينة فأخذها عقيل ابن أبى طالب ثم اشتراها من معاوية بن أبى سفيان وهو خليفة فجعلها مسجداً يصلى فيه انتهى المعنى باختصار .

وذكر فى موضع آخر أن معتب بن أبى لهب أخذ بيت خديجة بنت خويلد فباعه من معاوية بمائة ألف درهم انتهى . وهذا يخالف ما ذكره من أن عقيلاً أخذ بيت خديجة والله أعلم بالصواب . وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد لأن فيها رواقاً فيه سبعة عقود على ثمانية أساطين ، فى وسط جداره القبلى ثلاثة محاريب وفيه ست وعشرون سلسلة فى صفين وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس اسطوانات وبين هذين الرواقين صحن والرواق الثـانى أخصر من الرواق المتقدم لأن بقربه بعض المواضع التى يقصدها الناس بالزيارة فى هـذا الدار وهى ثلاثة مواضـع :

الأول الموضع الذى يقال له مولد فاطمة [2] رضى الله عنها .

والثانى الموضع الذى يقال له قبة الوحى وهو ملاصق لمولد فاطمة .

والثالث الموضع الذى يقال له المختبى [3] وهو ملاصق لقبة الوحى ، زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان

---

(١) ويعرف : فى النسخة (ك)

(٢) سمى بذلك لأن فيه كان مولد فاطمة عليها السلام بنت الرسول الأعظم صلى الله وسلم عليه .

(٣) هو أفضل المواضع بمكة بعد دار أم المؤمنين رضى الله عنها لـكثرة مكث النبى فيه يدعو الناس للإسلام مستخفيا .

يختبى فيه من الحجارة التى يرميه بها المشركون والله أعلم بحقيقة ذلك . وذرع الموضع الذى يقال له المختبى أربعة أذرع وثلث ذراع ، وذلك من الجدار الذى فيه المحراب إلى الجدار المقابل له وهو طرف جدار قبة الوحى الغربى هذا ذرعه طولاً ، وذرعه عرضاً ثلاثة أذرع وثلثا ذراع . وذلك من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدار المقابل له ، وذرع الموضع الذى يقال له قبة الوحى من الجدار الذى فيه بابه إلى الجدار المقابل له ثمانية أذرع وثلثا ذراع هذا ذرعه طولاً . وأما ذرعه عرضاً فثمانية أذرع ونصف بذراع الحديد المقدم ذكره وقد تقدم ذرع الموضع الذى يقال له مولد فاطمة رضى الله عنها من هذه الدار وذرع الرواق المقدم من هذه الدار من وسط جداريه على الاستواء ثمانية وثلاثون ذراعاً هذا ذرعه طولاً ، وذرعه عرضاً سبعة أذرع وربع ، وذرع ما بين كل اسطوانتين منه خمسة أذرع وربع ، وذرع الرواق المؤخر من هذه الدار من جدار قبة الوحى إلى الجدار المقابل له ثلاثة وعشرون ذراعاً هذا ذرعه طولاً وذرعه عرضاً عشرة أذرع ، وكان تحرير ما ذكرناه من ذرع هذه المواضع بذراع الحديد وحرر ذلك بحضورى ، وعلى باب هذه الدار مكتوب أنها عمرت فى خلافة الناصر العباسى وفى زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون [١] صاحب مصر وفى الرواق المقدم من هذه الدار أن المقتدى العباسى أمر بعمله وعمر بعض هذه الدار فى أول دولة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق [٢] من المال الذى أنفده أبوه لعمارة المسجد الحرام وغيره ولم يعمر ذلك إلا بعد موته فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها .

ومما عمر فى هذا التاريخ من هذه الدار الموضع المعروف بقبة الوحى بعد سقوطه ، و بلغنى أن القبة الساقطة كانت من عمارة الملك المظفر صاحب اليمن و إلى جانب هذه الدار حوش كبير على بابه حجر مكتوب فيه أن هذا الموضع مربد مولد فاطمة رضى الله عنها وأن الناصر العباسى عمره ووقفه على مصالح دار خديجة التى إلى جانبه انتهى بالمعنى. وحكى بعض الناس أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يكثر التردد إلى هذا الموضع وذكر المحب الطبرى أن دار خديجة أفضل الأماكن بمكة بعد المسجد الحرام ولا شك فى ذلك والله أعلم .

ومنها على ما يقال دار لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، بهذا الزقاق ، وهى مشهورة فيه ، وعلى بابها حجر مكتوب فيه : هذه الدار دار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار [٣] ورفيقه فى الأسفار — إلى أن قال

---

(١) الملك الناصر محمد بن قلاوون ، تولى عرش مصر ثمانية وأربعين عاما (٦٩٣ — ٧٤١ هـ : ١٢٩٣ — ١٣٤١ م) وقد هزم التتار قرب دمشق هزيمة ساحقة .

(٢) الملك الظاهر سيف الدين برقوق ، توفى عام ٨٠١ هـ — ١٣٩٩ م ، وخلف مدرسته العظيمة بين القصرين بالنحاسين الشهيرة بجامع برقوق .

(٣) الغال : فى النسخة « م » .

الكاتب ـ أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أمر بعمارته طلباً لثواب الله تعالى ، الأمير الكبير نور الدين عمر بن على بن رسول المالكى المسعودى فى نعمة السلطان الملك المسعودى ، وذكر الكاتب ألقابه وألقاب أبيه ثم قال : وذلك من المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة انتهى . والآمر بهذه العمارة هو الذى بنى المسجد الذى فيها والله اعلم . ولم يذكر الأزرقى هذه الدار للصديق رضى الله عنه وذكرها ابن جبير [1] فى مشاهد مكة لأنه قال : لما ذكر مشاهدها: ومن مشاهدها الكريمة دار لأبى بكر الصديق رضى الله عنه وهى اليوم دار سكة الأمير ويقابلها جدار فيه حجر مبارك يتبرك الناس بلمسه يقال إنه كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم حتى اجتاز عليه انتهى ، وذكر الخطيب الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رشيد بضم الراء المهملة الفهرى فى رحلته شيئا من خبر هذه الدار وهذا الحجر لأنه ذكر أن ممن لقى بمكة المشرفة فقيهى الحرم : الرضا محمد بن أبى بكر بن خليل وأخاه العلم أحمد، ثم قال فلما زرناهما جزنا بالطريق طريق دراهما بحجر يتبرك الناس بالتمسح به فسألت علم الدين عنه فقال : أخبرنى عمى سليمان قال : أخبرنى كل من لقيت بمكة أن هذا الحجر هو الذى كلم النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا الحجر الذى مررنا به هو الذى بجهة باب النبى صلى الله عليه وسلم أمام دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه بارزاً هنالك عن الحائط قليلاً انتهى ، وهذا الحجر إن صح كلامه للنبى صلى الله عليه وسلم فلعله الحجر الذى عناه النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ ليالى بعثت » انتهى ، بالمعنى . وقد اختلف فى هذا الحجر فقيل : هو الحجر الأسود ، وقيل حجر غيره بمكة لعله هذا والله أعلم .

وطول هذا المسجد الذى فى هذه الدار المذكورة ثمانية أذرع وعرضه ستة أذرع. وذلك من جدار المحراب إلى باب المسجد وكان تحرير ذرع ذلك بذراع الحديد وحرر بحضورى .

ومنها دار الأرقم المخزومى وهى الدار المعروفة بدار الخيزران [2] عند الصفا، والمقصود بالزيارة منها هو المسجد الذى فيها وهو مشهور وهو من المساجد التى ذكرها الأزرقى وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مختبئاً فيه وفيه أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه انتهى . ولعل هذا الموضع أفضل الأماكن بمكة بعد دار خديجة بنت خويلد لكثرة مكث النبى صلى الله عليه وسلم فيه يدعو الناس للإسلام مستخفيا وإقامته صلى الله عليه وسلم بهذا الموضع دون إقامته بدار خديجة ولذلك كانت أفضل من هذا الموضع والله أعلم .

---

(١) مؤرخ رحالة أندلسى مشهور وصاحب رحلة ابن جبير المعروفة ، وهو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى البلنسى (٥٤٠ هـ ـ ٦١٤ هـ) .

(٢) هى دار حول المختبى ، ملكتها الخيزران أم الرشيد شراء لما حجت وتنوقلت فى أيدى الملاك عصراً بعد عصر .

وطول هذا المسجد ثمانية أذرع إلا قيراطين وعرضه سبعة أذرع وثلث، الجميع بذراع الحديد. حرر ذلك بحضورى وفيه مكتوب : « فى بيوتٍ أَذن اللهُ أن تُرفعَ ويذكر فيها اسمُهُ يسبِّح له فيها بالغُدُوِّ والآصال » هذا مختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الخيزران، وفيه مبتدأ الإسلام أمرت بتجديده الفقيرة إلى الله تعالى مولاة أمير الملك مفلح سنة ست ، وذهب بقية التاريخ، وعمره أيضا الوزير الجواد ، وعمرته مجاورة يقال لها مرة العصماء، وعمر أيضاً فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة والذى أمر بهذه العمارة لا أعرفه ، والمتولى لصرف النفقة فيها علاء الدين على بن ناصر محمد بن الصارم المعروف بالقائد .

ومن الدور المباركة بمكة دار العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه بالمسعى، وفيها العلم الأخضر وهى الآن رباط للفقراء[1] . ومنها : الرباط المعروف برباط الموفق بأسفل مكة لأنى وجدت بخط جد أبى الشريف أبى عبد الله الفاسى أنه سمع الشيخ أبا عبدالله بن مطرف نزيل مكة الولى المشهور يقول: ما وضعت يدى فى حلقة باب الرباط. ـ قال جدى يريد رباط الموفق ـ إلا وقع فى نفسى كم ولى لله وضع يده فى هذه الحلقة انتهى ، وبلغنى أن الشيخ خليلا المالكى كان يقول : إن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه وانه كان يكثر إتيانه للدعاء والله أعلم . ومنها الموضع الذى يقال له: معبد الجنيد يلحف الجبل الذى يقال له الأحمر أحد أخشبى مكة ويقال له الآن قعيقعان ويسميه أهل مكة أيضاً جبل أبى الحارث والله أعلم . وهو مشهور بمكة المشرفة .

ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمها

بمكة وحرمها جبال مباركة :

منها الجبل المعروف بجبل أبى قبيس[2] لأن فيه قبر آدم عليه السلام على مايقال لأن صاحب المورد العذب البهى قال، قال وهب ، يعنى ابن منبه: حفر له يعنى آدم : فى موضع فى أبى قبيس فى غار يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح وجعله فى تابوت معه فى السفينة فلما نضب الماء رده نوح إلى مكانه انتهى ؛ وهذا الغار لا يعرف الآن وقد اختلف فى موضع قبر آدم على أربعة أقوال :

الأول أنه كان بأبى قبيس كما قال وهب .

---

(١) لعل القائمين على مشروع توسعة الحرم الشريف يعنون بحفظ هذا الأثر وغيره من المآثر النبوية الخالدة ولو بالإشارة إلى أماكنها وعلى الله تحقيق الرجاء . وقد اتخذت دار العباس رباطا يسكنه الفقراء فى القرن العاشر الهجرى .

(٢) جبل أبى قبيس هو الجبل المشرف على مكة من ناحية الجنوب الشرقى لها .

والثانى أنه بمسجد الخيف كما قال عروة بن الزبير فيما روى عنه الفاكهى بسنده وقد تقدم لنا ذلك فى أخبار مسجد الخيف وفيه أنه دفن به بعد أن صلى عليه جبريل بباب الكعبة .

والقول الثلث عند مسجد الخيف حكى هذا القول الذهبى فى تأليف له ترجم فيه[١] تاريخ مدة آدم و بنيه رأيته بخط الذهبى قال فيه بعدأن ذكر قول وهب السابق فى قبر آدم بالمعنى ،وقيل دفنه سام بن نوح عند مسجد الخيف ولم يحك هذا القول[٢] وهب إلا بصيغة التمريض[٣] .

والقول الرابع أنه ببلاد الهند فى الموضع الذى أهبط إليه من الجنة ،وصحح هذا القول الحافظ عماد الدين بن كثير فى تفسيره والله أعلم .

ووقع فى تاريخ الإمام الأزرقى ما لعله يوهم أن قبر آدم عليه السلام كان فى بيت المقدس ، وأخبرنى مقاتل قال : فى المسجد الحرام بين الركن وزمزم قبر سبعين نبياً ، منهم هود وصالح و إسماعيل وقبر آدم ،و إبراهيم واسحاق و يعقوب و يوسف فى بيت المقدس انتهى ، وفى أبى قبيس على مايقال قبر شيث بن آدم وأمه حواء لأن الذهبى قال فى الجزء الذى ألفه فى تاريخ مدة آدم و بنيه مانصه :وخلفه بعده شيث ابنه وأنزلت عليه خمسون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه فى غار أبى قبيس انتهى ، ومن خط الذهبى نقلت ذلك والله أعلم . وفى أعلا جبل أبى قبيس موضع يقول الناس فيه انشق القمر للنبى صلى عليه وسلم ولم أر مايدل لصحة هذه المقالة بل رأيت مايدل على أن الانشقاق وقع فى هذا الجبل فى غير هذا الموضع الذى يقوله الناس . لأن أبا نعيم روى بسنده إلى عطاء عن ابن عباس أن ذلك كان ـ انشقاق القمر ـ ليلة أربع عشرة فانشق القمر نصفين ، نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة انتهى ، والصفا من جبل أبى قبيس على ماقال العلماء وهو بأسفله ويروى من حديث ابن مسعود مايقتضى أن القمر انشق على أبى قبيس من غير بيان موضعه وهذا فى كتاب الفاكهى لأنه روى بسنده إلى ابن جريج عن مجاهد شيئاً فى انشقاق القمر ثم عقب ذلك بقوله قال : أخبرنى أبو معمر عن عبد الله ابن مسعود قال : رأيت القمر ينشق شقين قبل مخرج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ، شقة على أبى قبيس وشقة على كُدَىٍّ وكَداء[٤] انتهى باختصار وما عرفت المراد بكدى وكدا : هل الثنية السفلى[٥] لأبى قبيس أو مكان

---

(١) بالأصل ترجمة له .

(٢) هذا القول : من زيادة النسخة (م) .

(٣) فى النسخة (ك) : التمرين .

(٤) (كدى وكداء) جبلان بأعلى مكة بعرفهما المكيون وهما مقابلان لجبل الحجون .

(٥) فى النسخة « ك » : لمقابلتها لأبى قبيس .

آخر ، ويتأكد كون الثنية السفلى بأن القطب الحلبى ذكر شيئاً فى انشقاق القمر قال : كان يرى نصفه على قعيقعان ونصفه الآخر على أبى قبيس انتهى . وقعيقعان عنده الثنية السفلى وهى على مقتضى ماذكر المحب الطبرى الثنية التى بنى عليها باب مكة المعروف بباب الشبيكة ولعلها من قعيقعان[1] والله أعلم . وقوله نصفاً على الصفا فى الخبر الذى ذكره أبو نعيم لا يعارض قول ابن مسعود : شقة على أبى قبيس لما سبق من قول العلماء إن الصفاء من أبى قبيس وقوله ونصفا على المروة لا يوافق كون المراد بكدى وكداء فى حديث مسعود الثنية السفلى وما ذكرناه عن القطب الحلبى مذكور فى كتابه المورد العذب الهنى فى شرح سيرة عبد الغنى المقدسى وعليه اعتمدت فى نقل الحديث الذى نقلناه عن أبى نعيم لأنه فى كتابه المذكور ، وقال بعد ذكره له : فعلى هذا يكون الانشقاق بنفس بلد مكة انتهى ، ويدل على وقوع الانشقاق بمكة الحديث الذى رويناه فى سند عبد بن حميد ، ولفظه : أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال : سأل أهل مكة النبى صلى عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين ، فنزلت « اقتربت الساعة وانشق القمر » إلى قوله « سحر مستمر » يقول ذاهب : أخرجه الترمذى عن عبد بن حميد ، فوقع لنا موافقة له عالية بدرجتين بالنسبة إلى روايتنا المتصلة بالسماع ، وفى بعض طرق حديث أنس رضى الله عنه ، سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء[2] بينهما ، وذكر القاضى عياض فى الشفا : أن مسروقاً روى عن ابن مسعود أن الانشقاق كان بمكة ، وروى ذلك أبو يعلى فى مسنده من حديث ابن مسعود على مانقل بعض مشايخنا ، وروينا من حديث ابن مسعود أيضاً مايقتضى أن الانشقاق كان بمنى لأن مسلماً قال فى صحيحه : وحدثنا منجاب بن الحرب التميمى واللفظ له أخبرنا ابن مسهر عن الأعمش بن ابراهيم عن أبى معمر عن عبد الله بن مسعود قال : بينما نحن مع رسول الله صلى عليه وسلم بمنى إذ انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله صلى عليه وسلم : اشهدوا . ولا تعارض بين رواية من روى أن الانشقاق كان بمكة و بين رواية من روى أنه كان بمنى ؛ لأن سبب الانشقاق أن بعض المشركين سأل النبى صلى عليه وسلم بمنى أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر وأظهره الله تعالى هكذا ليراه من بمكة وحولها تصديقاً لنبيه صلى الله عليه وسلم من المعجزة التى طلبت منه فإن بعض المشركين تردد فى ذلك وعد ذلك سحراً ، وأحال بعضهم الأمر فى صحة ذلك على السفار ، فأخبر السفار

---

(١) جبل قعيقعان هو الجبل الممتد من حارة الباب إلى الشامية . ويقال لجزء منه جبل الترك وللجزء الآخر جبل هندى وفيه القلعة التى استحالت إلى مدرسة فى زمن الحسين بن على ثم إلى مدرسة تحضير البعثات ثم الى استديو للارسال لمحطة مكة .

(٢) حراء ، هو الجبل المسمى بجبل النور وهو على يسار الذهب إلى منى ، وفيه الغار الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه أول مانزل الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم فيه .

عند قومهم[١] برؤيتهم القمر منشقاً حتى إنه رؤى هكذا فى آفاق مكة على ماذكره القطب الحلبى، ونقل القاضى عياض عن السمرقندى عن الضحاك أن أبا جهل بن هشام هو القائل هذا سحر، وأنه قال فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً فقال لعين الكفار: هذا سحر مستمر انتهى، وروينا معنى ذلك فى مسند أبى داود الطيالسى لأن فيه من حديث ابن مسعود: وانشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبى كبشة، قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فقالوا ذلك، انتهى. وانشقاق القمر للنبى صلى الله عليه وسلم من معجزاته الباهرة المتواترة لثبوتها بنص القرآن العظيم، فى قوله: « اقتربت الساعة وانشق القمر »، وثبوتها فى السنة الصحيحة الشريفة من حديث أنس، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، رضى الله عنهم، وحديثهم فى صحيح مسلم. وروى من حديث على بن أبى طالب وجبير بن مطعم وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم أجمعين، ولا عبرة باستبعاد كثير من الملحدة الانشقاق؛ فإن ذلك شقاوة منهم وإنكار لأمر محسوس متواتر وقوعه فى النقل. ولم لا يستحل جوازه فى العقل[٢]. وفى الشفا للقاضى عياض ذكر حجتهم فى ذلك والرد عليهم بما فيه كفاية، ونشير هنا لشىء من ذلك، قال فيما رويناه عنه: ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شىء ظاهر لجميعهم إذ لم تنقل الناس لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق، ولو نقل إلينا عمن لايجوز غالبهم على الكذب لكثرتهم لما كانت به علينا حجة إذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الأرض، فيه يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين، وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلتهم من أقطار الأرض إلى آخر كلامه. وذكر القطب الحلبى وجهاً فى الرد على من استبعد ذلك فقال: ويحتمل أن يكون خرق العادة فى ذلك الوقت لصرف جميع أهل الأرض من الالتفات إليه فى تلك الساعة، ليخص أهل مكة بهذه المزية. والآية التى طلبوها انتهى. وفى فضائل جبل أبى قبيس أنه كان يدعى الأمين، لأن الحجر الأسود استودع فيه زمن الطوفان، فلما بنى الخليل عليه السلام البيت نادى أبو قبيس: الركن منى بمكان كذا وكذا. وجاء به جبريل عليه السلام فوضعه موضعه من الكعبة. ومن فضائله أن الدعاء فيه يستجاب؛ لأن الفاكهى ذكر فى خبر وفد عاد للاستسقاء لقومهم بسبب جدب بلادهم أنهم نزلوا على بكر بن معاوية سيد العماليق يومئذ بمكة فأقاموا عنده شهراً يسقيهم الخمر ويطعمهم اللحم وتغنيهم الجرادتان، فلهوا عما جاءوا له واستحيا بكر من مشافهتهم بذلك، فعمل

---

(١) كذا بالأصل، ولعله: عند قدومهم.

(٢) ليس انشقاق القمر بالشىء الذى يصعب تعقله، ولا بالمستحيل عادة، والعلم الحديث الذى جعل المستحيلات ممكنات فى لغة الحضارة، يقربنا من الإيمان بمعجزات رسولنا الأعظم. إن انشقاق القمر معجزة لمحمد عليه السلام، وليست هى بأول معجزاته ولا بآخرها، صلى الله عليه وسلم.

شعراً غنتهم به الجرادتان ، فأفاقوا من غفلتهم فنهضوا فلما رآهم بكر بن معاوية قال لهم : اعلوا هـذا الجبل ، يعنى أبا قبيس ، فإنه لم يعله خاطىء يعرف الله تعالى منه إلا أجابه إلى ما دعاه إليه[1] . وذكر بقية الخبر فى دعاء كل من الوفد واستجابة دعائه وما ذكرناه منه باللفظ و بعضه بالمعنى ، ومن فضائله أنه أول جبل وضعه الله تعالى فى الأرض على ما روينا عن ابن عباس ، وسمعت بعض علماء العصر يقول : إنه أفضل جبال مكة حتى إنه فضله على حراء ، وعلل ذلك بكونه أقرب الجبال إلى الكعبة ، وفى النفس شىء من تفضيله على حراء لكونه صلى الله عليه وسلم كان يكثر إتيانه للعبادة . ويقيم فيه لأجلها شهراً فى كل عام، وفيه أكرمه الله بالرسالة ولم يتفق له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فى جبل سواه ، وذلك مما يقتضى امتيازه بالفضل ، ويؤيد ذلك أن المحب الطبرى قال فى دار خديجة بنت خويلد بمكة إنها أفضل المواضع بمكة بعد المسجد الحرام، وليس لتفضيل دار خديجة على غيرها من دور الصحابة بمكة موجب سوى طول سكنى النبى صلى الله عليه وسلم ونزول الوحى عليه فيها ، ولو كانت الأفضلية تحصل بالقرب من الكعبة من غير نظر إلى شىء من المعانى التى ذكرناها فى تفضيل حراء[2] ودار خديجة ، لَفُضِّل على جبل حراء كل جبل كان أقرب منه إلى الكعبة ، ولَفُضِّل على دار خديجة ما هو أقرب منها إلى الكعبة كدار العباس رضى الله عنه بالمسعى ، ودار الأرقم المخزومى بالصفا المعروفة بدار الخيزران ، وأستبعد أن يقال ذلك ، والله أعلم . ومن خواص جبل أبى قبيس ما ذكره أبو عبد الله محمد بن محمد القزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات » ؛ لأنه قال: جبل أبى قبيس مطل على مكة يزعم الناس أن من أكل عليه الرأس المشوى يأمن أوجاع الرأس ، وكثير من الناس يفعل ذلك ، انتهى . وهذا عجيب والله أعلم بحقيقة ذلك .

ومنها جبل الخندمة لما روى فيها من الفضل لأن الفاكهى قال بعد تعريفه للخندمة : فحدثنى أبو بكر أحمد بن محمد بن إبراهيم المليكى قال : حدثنى عبدالله بن عمر بن أسامة الحميدى قال: حدثنا أبو صفوان المروانى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : ما مطرت مكة قط إلا كان الخندمة أمطرها ، وذلك أن فيها قبر سبعين نبياً ، انتهى ، والله أعلم بصحته . وقال الفاكهى فى تعريف جبل الخندمة : الخندمة ما بين حرف السويد إلى الثنية التى عليها بئر ابن أبى شمير فى شعب عمر ومشرفة على أجياد الصغير وعلى شعب ابن عامر وعلى دار محمد بن سليمان فى طريق منى، وهو جبل فى ظهر أبى قبيس ومن قافية الخندمة من ظهرها المشرف على دار ابن صيفى المخزومى بين الثنية التى يسلك منها من شعب ابن عامر إلى شعب آل سفيان دون شعب ابن عامر ، وعلى دار محمد بن سليمان فى طريق منى إذا

---

(١) جبل أبى قبيس إنما جاء شرفه من شرف الحرم ، ومن شرف الذكريات النبوية التى كانت لرسولنا صلى الله عليه وسلم فيه .

(٢) يقال لحراء: جبل النور لظهور أنوار النبوة فيه ولكثرة إقامة الرسول به وتعبده فى جوفه ، ونزول الوحى عليه فيه .

جاوزت المقبرة عن يمين الذاهب إلى منى ، انتهى . وذكر الأزرقى فى تعريف الخندمة نحو ما ذكره الفاكهى باختصار ، والخندمة الآن معروفة عند الناس بمكة ، وفيها يقول القائل :

* إنك لو شهدت يوم الخندمة *

الأبيات المشهورة فى خبر فتح مكة .

ومنها جبل حراء[1] بأعلى مكة لكثرة مجاورة النبى صلى الله عليه وسلم فيه وما خصه الله به فيه من الكرامة بالرسالة إليه ، ونزول الوحى فيه عليه ، وكان نزول الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم فى حراء فى غار فيه ؛ لأن فى بعض طرق الحديث : حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء ، وهذا الغار بأعلى حراء ، فى مؤخره ، وهو غار مشهور عند الناس نقله الخلف عن السلف ويقصدونه بالزيارة . وذكر الأزرقى موضع هذا الغار لأنه قال بعد ذكره الحائط : وهو مشرف[2] القلة مقابل لثبير عينا ، ومحجة العراق بينه وبينه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه واختبى فيه من المشركين من أهل مكة فى غار فى رأسه مشرف القلة مما يلى القبلة ، انتهى . وذكر الفاكهى خبراً يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم اختفى بحراء من أذى المشركين ، وهذا غريب وكذلك ما ذكره الأزرقى لأن المعروف فى الغار الذى اختبى فيه النبى صلى الله عليه وسلم من المشركين أنه غار ثور[3] لا غار حراء فإنه كان يأتيه للعبادة والله أعلم ، وإن صح اختفاء النبى صلى الله عليه وسلم بحراء فهو غير اختفائه بثور والله أعلم . وذكره أبو عبيدة البكرى مع شىء من خبره لأنه قال: حراء مشهور بينه وبين مكة ميل ونصف ، وهو جبل صعب المرتقى لا يصعد إلى أعلاه إلا من موضع واحد على رصفة ملساء ، وهو فى جميع جوانبه منقطع لا يرقاه راق ، والموضع الذى نزل جبريل فيه فى أعلاه من مؤخره فى شق مبارك ، انتهى . قلت: ما ذكره أبو عبيدة من أن بين حراء ومكة ميلًا ونصفاً فيه نظر، لمخالفته ما نقله صاحب المطالع لأنه قال : وهو على ثلاثة أميال من مكة ، وذكر ذلك غيره وهو ابن جبير لأنه قال : ومن جبال مكة المشهورة جبل حراء وهو فى الشرق منها على فرسخ أو نحوه ، وذكره فى موضع آخر من رحلته أنه فى مكة على ثلاثة أميال، انتهى . قلت: والعيان يشهد بخلاف ذلك مما ذكره البكرى فى مقدار مابين حراء ومكة، ولصحة ما ذكر ابن جبير وصاحب المطالع فى مقداره والله أعلم ، وقال ابن عطية : المفسر فى الكلام على قوله تعالى:

---

(١) بكسر الحاء وفتح الراء الممدودة ، وكانت الجاهلية تعظمه وتذكره فى أشعارها ، ويقال له : جبل النور ، وهو يقع فى شمالى مكة على يسار الذاهب إلى عرفات بعيداً عن جادة الطريق بنحو ميل ، ويقول ياقوت : إنه على ثلاثة أميال من مكة وانه جبل شامخ أعلى من ثبير وارتفاعه نحو ٢٠٠ متر .

(٢) يقول الأزرقى : والخندمة جبل فى ظهر أبى قبيس من ظهرها المشرف على دار أبى صيفى المخزومى فى شعب آل سفيان . (راجع ص ١٤٦) .

(٣) ارتفاعه نحو ٥٠٠ متر .

« وما كانَ صلاتهمْ عندَ البيتِ إلا مكاءً وتصديةً » : ورأيت عن بعض أقوياء العرب أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من حراء و بينهما أربعة أميال ، انتهى . وهذا قول ثالث فيما بين حراء ومكة والله أعلم ، والمكاء : الصفير . وذكر الخطابى أن أهل الحديث يخطؤون فيه فى ثلاثة مواضع يفتحون حاءه ويكسرون الراء وهما مفتوحان ويقصرونه وهو ممدود انتهى . وكانت أهل الجاهلية تعظمه وتذكره فى أشعارها فمن ذلك قول أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم :

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه * وراق ليرقى فى حراء ونازل

وذكره المسلمون فى أشعارهم .

ومنها جبل ثور[1] بأسفل مكة لاختفاء النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه فيه حين هاجر إلى المدينة ، وذلك فى غار مشهور فيه وهو الغار الذى ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز حيث قال سبحانه « ثانىَ اثنينِ إذْ هما فى الغارِ »[2] وقد جاء فى فضله ماروا أبو هريرة رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق قال لابنه : يابنى إن حدث فى الناس حدث فأت الغار الذى اختبأت فيه فإنه سيأتيك رزقك غدوة وعشية ، وهذا الحديث رواه البزار فى مسنده إلا أن فى سنده موسى بن مطير وهو كذاب ، ويروى أن هذا الجبل قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إلىّ يامحمد فقد آويت قبلك سبعين نبياً ، وهذا الغار مشهور فى هذا الجبل يأثره الخلف عن السلف ويقصدونه بالزيارة ، وقد ذكر ابن جبير فى رحلته أن طول الغار ثمانية عشر شبراً ، وطول فمه الضيق خمسة أشبار ، وسعته وارتفاعه عن الأرض مقدار شبر فى الوسط منه ، ومن جانبيه ثلثا شبر وعلى الوسط منه يكون الدخول ، وسعة الباب الثانى المتسع فى مدخله خمسة أشبار انتهى ، وقد وضع بابه فى عصرنا لأن بعض الناس ولج فيه فانحبس فيه فنحى عنه الحجر حتى اتسع عليه ، وذلك فى سنة ثمانمائة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل ، وذكر ابن جبير أن أكثر الناس يتجنبون دخوله من بابه الضيق لما فيه من المشقة التى يقاسيها الداخل ، ولما يقال من أن من لا يدخل منه ليس لأبيه ، وذكر أن بعض الناس يقولون ليس يصعد جبل أبى ثور أحد إلا شوى انتهى . قلت : اللهم غفرا . وذكر ابن جبير أنه من مكة على ثلاثة أميال ، وهكذا ذكر ابن الحاج فى منسكه وسماه بأبى ثور على مانقل عنه المحب الطبرى ، وقال المحب : والمعروف المشهور فيه ثور انتهى ، وسماه البكرى بأبى ثور وقال : إنه من مكة على ميلين ويكون ارتفاعه نحو الميل وفى أعلاه الغار الذى دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر رضى الله عنه ، وهو المذكور فى الكتاب العزيز ، والبحر يُرى من أعلا هذا الجبل وفيه من كل نبات الحجاز وشجره ، وفيه شجر

---

(١) راجع وصفه فى مرآة الحرمين ص ٦٠ ، وفى تاريخ القطبى ص ٣٦٣ . وللوصول إليه طريقان : طريق بين الخندمة وأبى قبيس وهو وعر ومسافته ثلاثة أميال ، وطريق المسفلة وهو أطول وأسهل .

(٢) من الآيه الكريمة : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا الخ » .

اللبان ، وفيه شجرة من حمل منها شيئاً لم تلدغه هامة انتهى ، وقال فى القاموس بعد ذكره لهـذا الجبل مانصه : ويقال : له ثور أطحل . واسم الجبل أطحل نزله ثور بن عبد مناف فنسب إليه انتهى ، وفيه فيما قيل قتل قابيل هابيل ، وهذا يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ذكر ذلك شيخنا الإمام كمال الدين الدميرى[1] فى تعاليقه ، ونص المكتوب بخطه عجيبة قتل قابيل هابيل ، قال ابن عباس فى بعض الروايات : إنه كان فى ثور جبل بقرب مكة ، انتهى . أفادنى ذلك عن خط شيخنا بعض أصحابنا المعتمدين ، قلت : وثور أيضاً جبل بالمدينة مذكور من حد حرمها كما فى صحيح مسلم من حديث على رضى الله عنه ، وهو جبل صغير جداً ، أُحُدٌ عن يساره ، ذكره العفيف بن مزروع ، ونقل ذلك عن طوائف من العرب عارفين بتلك المواضع ، وأنكر بعضهم أن يكون ثور بالمدينة . والله أعلم .

ومن الجبال المباركة بحرم مكة جبل ثبير لأنا روينا فى تاريخ الأزرقى قال : حدثنى محمد بن عيسى قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله الأردى عن معاوية بن قرة عن الخلد بن أيوب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى ، فطارت لطلعته ستة أجبل فوقعت بمكة ثلاثة وبالمدينة ثلاثة ، فوقع بمكة : حراء وثبير ، وثور ، ووقع بالمدينة : أحد وورقان ورضوى ، وقال أبو عبد الله محمد به محمد القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات : جبل ثبير بمكة يقرب منًى ، هو جبل مبارك يقصده الزوار وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى جعله الله فداء لإسماعيل عليه السلام ، ، والعرب تقول أشرق ثبير كيما نغير انتهى ، وقوله بمكة ، سبق إليه الجوهرى وهو تجوز لكونه بقرب مكة وقوله بقرب منى ينبئنى على قول من قال : إنه جبل بالمزدلفة وهو قول مرجوح ، ويؤيده ماذكره من أنه أهبط عليه الكبش الذى فدى به اسماعيل فلم يختلفوا فى أن هـذا الجبل بمنى ، وهو على يسار الذاهب إلى عرفة ، انتهى والله أعلم وقال شيخنا قاضى القضاة مجد الدين الشيرازى فى كتابه الوصل والمنى فى فضل منى : إن أبا بكر النقاش المفسر قال فى منسكه : إن الدعاء يستجاب فى ثبير[2] يعنى ثبير الأثبر الذى يلحقه مغارة الفتح ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة ، ولهذا جاورت به عائشة أم المؤمنين ، وذكر أن بقرب المغارة التى أنشأها يلحق ثبير معتكف عائشة انتهى بالمعنى . ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة والله أعلم بحقيقة ذلك .

---

(١) هو صاحب كتاب الحيوان المشهور ، وهو عالم مصرى ، توفى عام ٨٠٨ هـ .

(٢) هو على يسار الذاهب إلى عرفات ، وكانت العرب فى الجاهلية تقول : أشرق ثبير كيما نغير .

ومنها الجبل الذى يلحق مسجد الخيف ؛ لأن فيه غاراً يقال له غار المرسلات لأن فيه أثر رأس النبى صلى الله عليه وسلم على ما يقال ، ذكر ذلك ابن جبير لأنه قال بعد ذكر مسجد الخيف : وبقربه منه على يمين المار فى الطريق حجر كبير مستدير إلى سفح الجبل مرتفع على الأرض يظل ما تحته ، ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قعد تحته مستظلاً ومس رأسه المكرمة فيه ، فلان الحجر حتى أثر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس فتبادر الناس بوضع رءوسهم فى هذا الموضع تبركا واستجارة لها بموضع مس الرأس الكريم أن لا يمسه النار برحمة الله عز وجل انتهى ، وذكره ابن خليل لأنه قال ويستحب أن يزور مسجد المرسلات ، وفيه نزلت سورة والمرسلات وهو يمانى مسجد الخيف ، وذكر المحب الطبرى نحو ذلك لأنه قال فى كتابه القرى فى الباب الثلاثين : ما جاء فى الغار الذى أنزلت فيه سورة والمرسلات عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى إذ نزلت عليه والمرسلاتِ (١) عرفاً وإنه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اقتلوها ، فابتدرناها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وقيت شركم كما وقيتم شرها ، أخرجه البخارى وفى باب ما يقتل المحرم من الدواب ، وهذا الغار مشهور بمنى خلف مسجد الخيف نحو الجبل مما يلى اليمين كذلك يأثره الخلف عن السلف والله أعلم . انتهى ، وبلغنى عن شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى ما معناه أنه قرأ فى هذا الغار سورة المرسلات فى جماعة من أصحابه فخرجت عليهم منه حية فابتدروها ليقتلوها فهربت ، وهذا من غريب الاتفاق لموافقته القصة التى اتفقت للنبى صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح البخارى وغيره من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، ورأيت فى نسختى من مسند ابن مسعود رضى الله عنه من مسند ابن حنبل ما يقتضى أن هذه القصة اتفقت للنبى صلى الله عليه وسلم بحراء ، لأنه قال : حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال : حدثنا أبى عن بن اسحاق قال : وحدثنى عبد الرحمان بن الأسود بن يزيد النخعى عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم « والمرسلات عرفاً » ليلة الحية ، فقلنا : وما ليلة الحية ياأبا عبدالرحمن قال : « بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء ليلاً خرجت علينا حية من الجبل ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها ، فطلبناها فأعجزتنا ، فقال : دعوها فقد وقاها الله شركم كما وقيتم شرها » انتهى . فإن لم يكن قوله بحراء تصحيفاً فهو يخالف ما قيل إن الغار المعروف بغار المرسلات بمنى والله أعلم .

---

(١) والمرسلات عرفا : الرياح المرسلة للعذاب متتابعة ، أو الملائكة .

ذكر مقابر مكة المباركة

لمكة المشرفة مقابر مباركة منها المقبرة المعروفة بالمعلاة[١]، ويقال : المعلى بلام وياء وهى مشهورة روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : وأخبرنى جدى عن الزنجى قال : كان أهل مكة فى الجاهلية وفى صدر الإسلام يدفنون موتاهم فى شِعب أبى ذئب وبين الحجون إلى الشعب الصفى صفى الشباب وفى الشعب الملاصق لثنية المذنبين الذى هو اليوم مقبرة أهل مكة ثم تمضى المقبرة مصعدة لاصقة بالجبل إلى ثنيـة أذاخر بحائط خرمان ، ثم قال الأزرقى : وكان أهل مكة يدفنون موتاهم فى جنبتى الوادى يمنة وشأمة فى الجاهلية والإسلام ، ثم حول الناس جميعاً قبورهم فى الشعب الأيسر لما جاء من الرواية فيه ، ويقول رسول صلى الله عليه وسلم : نعم الشعب ونعم المقبرة ، وبالإسناد المتقدم إلى الأزرقى قال : قال جدى : لانعلم بمكة شعبا يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلا شعب المقبرة فإنه يستقبل وجه الكعبة كله ، وبه إليه قال :حدثنى جدى قال : أخبرنا الزنجى عن ابن جريج ابراهيم ابن أبى خراش عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : نعم المقبرة هذه مقبرة أهل مكة[٢] ، وبه إلى الأزرقى قال : أخبرنى جدى قال : أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال : أخبرنى اسماعيل بن الوليد بن هشام عن يحيى بن محمد بن عبدالله بن صيفى أنه قال : من قبر فى هذه المقبرة بعث آمناً يوم القيامة، يعنى مقبرة مكة انتهى، قلت حديث ابن عباس روينا أعلا من هذا فى معجم الطبرانى الكبير ، ورواه أحمد والبزار فى مسنديهما ورجال أحمد رجال الصحيح خلا ابن أبى خراش ، ولم يضعفه أحمد، وقال الجندى فيما روينا عنه فى فضائل مكة له : حدثنا عبدالله بن أبى غسان قال : حدثنا عبدالرحيم بن زيد العمرى عن شقيق بن سلمة بن وائل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية، ثنية المقبرة وليس بها يومئذ مقبرة فقال : يبعث الله من هذه البقعة ومن هـذا الحرم كله سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألف ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يارسول الله من هم:قال : الغرباء انتهى . هذا الإسناد فيه سقط بين عبدالرحيم وشقيق .

ومما ورد فى فضل هذه المقبرة ما وجدته بخط عبد الله بن المرجانى فى تاريخه للمدينة قال : سمعت والدى

---

(١) مقبرة أهل مكة وبها قبور كثير من الصحابة .

(٢) فى المعلاة آثار ذكريات إسلامية جليلة ، وتاريخ حافل بمثله من دفنوا فيها من أعلام الإسلام من الصحابة والتابعين .

يقول : سمعت الشيخ أبا عبد الله الدلاصى يقول : سمعت الشيخ أبا محمد الدبشى يقول : كشف لى عن أهل المعلاة فقلت : أتجدون نفعاً بما يهدى إليكم من قراءة أو نحوها ؟ فقالوا ليس نحن محتاجين إلى ذلك ، قال : فقلت لهم : مامنكم أحد واقف الحال ؟ قالوا : مايقف حال أحد فى هذا المكان انتهى ، ومن ذلك مارويناه فى تاريخ ابن السمعانى الحافظ أبى مسعد فى ترجمة أبى نصر محمد بن ابراهيم بن الفخار الأصبهانى لأنه ذكر : أن أبا زكريا بن منده الحافظ سمع محمد بن منصور بن عليك التاجر قال : سمعت من ثقات المجاورين بمكة قالوا : سمعنا أبا نصر ابن الفخار بمكة يحدث أنه رأى فى المنام كأن إنساناً مدفوناً بمقبرة المعلى استخرج ومروا به إلى موضع آخر قال : فسألت عن حاله لم استخرجتم هذا الميت ؟ قالوا : هذه المقبرة منزهة عن قبول أهل البدعة فلا تقبل أرضها مبتدعاً ، انتهى . وهذا إن صح فيستخرج منها من دفن فيها من أهل البدعة ، ويقرب من هذه الحكاية مايحكى : أن شخصاً يقال له الشريشير من كبار الرفضة بالمدينة المنورة النبوية توفى بها ودفن بالبقيع ، ثم بعد مدة رأى بعض أهل الخير الغرباء يقرأ على قبره ويلازم القراءة عليه فَلِيمَ على ذلك ، فقال لهم : كان لى شيخ توفى بغير المدينة فرأيته فى المنام ، فقال لى : أنا نقلت إلى قبر الشريشير بالمدينة ، ونقل الشريشير إلى قبرى ، فأنا ألازم القراءة على هذا القبر لهذا المعنى ، هذا معنى الحكاية وهى مشهورة عند أهل المدينة ، وغيرهم والله أعلم ، ومن ذلك ماسمعته من شيخنا المفتى تقى الدين عبد الرحمن بن أبى الخير الشريف الفاسى قال : سمعت الشيخ خليل المالكى يقول إن الدعاء مستجاب عند ثلاثة أماكن بالمعلاة منها القبور التى يقال لها قبور سماسرة الخير بقرب قبة الملك مسعود وعند قبر المتبولى ، وعند قبر إمام الحرمين[1] يعنى به عبد المحسن بن أبى العميد الحقيقى أمام مقام ابراهيم انتهى بالمعنى ، وزيارة هذه المقبرة مستحبة لما حوته من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين ، ولا يعرف فيها — تحقيقاً — قبر أحد من الصحابة ، وليس فى القبر الذى يقال له قبر خديجة بنت خويلد[2] أثر يعتمد والله أعلم — ومن مقابر مكة المشرفة المباركة ، المقبرة العليا وقد ذكرها الأزرقى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم : أخبرنى جدى عن الزنجى قال : وكان يدفن فى المقبرة التى عند ثنية أذاخر آل أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ، وفيها دفن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومات بمكة فى سنة أربع وسبعين وقد أتت له أربع وثمانون سنة ، وكان نازلا على عبد الله بن خالد بن أسيد فى داره وكان صديقاً له ، فلما حضرته الوفاة أوصاه أن لا يصلى عليه الحجاج وكان الحجاج بمكة والياً بعد مقتل ابن الزبير ، فصلى عليه عبد الله بن خالد بن أسيد ليلا على

---

(١) إمام الحرمين المشهور هو الجوينى الشافعى (٤١٩-٤٧٨ هـ) واسمه عبد الملك وكان منفرداً بالزعامة العلمية فى عصره ، ودرس فى النظامية ثلاثين عاما وكان استاذا للغزالى .

(٢) الحقيقة أنها مدفونة بالأبواء بين المدينة ومكة على نحو ١٣ ميلا من رابغ — وكان على قبر خديجة — رضوان الله عليها — قبة بنيت فى سنة ٩٥٠ هـ فى عهد سليمان القانونى (٩٢٦ — ٩٧٤ هـ) وقد جددت هذه القبة فى عصور مختلفة

ردم عبدالله على باب دارهم، ودفنه فى مقبرته هذه عند ثنية أذاخر بحائط خرمان ، و يدفن فى هذه المقبرة مع آل أسيد آل سفيان ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهم يدفنون فيها جميعاً موتاهم إلى اليوم ، انتهى. وقال الأزرقى فى موضع آخر : كان أهل مكة يدفنون موتاهم فى جنبتى الوادى يمنة وشأمة فى الجاهلية وفى صدر الإسلام ، ثم حول الناس قبورهم فى الشعب الأيسر لما جاء فيه من الرواية ، ثم قال : ففيه اليوم قبور أهل مكة إلا آل عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن عبد شمس ، وآل سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فهم يدفنون بالمقبرة العليا بحائط خرمان ، انتهى . قلت : حائط خرمان هو والله أعلم الموضع الذى يقال له : الخرمانية ، وهو أودان بأعلى الموضع المعروف بالمعابدة بظاهر مكة ، وثنية أذاخر فوق هذا المكان ، وهى ثنية مشهورة وكانت تنتهى المقبرة إليها فى الجاهلية ، ومنها دخل النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ما ذكر الأزرقى وغيره وما نقله الإمام الأزرقى عن جده عن الزنجى من أن عبد الله بن عمر مدفون فى هذه المقبرة، يرد مايقال إنه مدفون بالجبل الذى عند باب المعلاة على يسار الهابط إلى مكة و يمين الصاعد منها ، ولا أعلم ـ لما يقال من أن ابن عمر[1] مدفون فى هذا الجبل ـ دليلا وهو بعيد من الصواب والله أعلم ؛ ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة المهاجرين بالحصحاص روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : الحصحاص الجبل المشرف على ظهر ذى طوى إلى بطن مكة قال : و بطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلاة إلى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء يهبط إلى قبور المهاجرين دون فخ ، انتهى . قلت : مقتضى هذا أن يكون مقبرة المهاجرين عند الثنية التى يتوجه منها إلى المعلاة وتسميها الناس الحجون الأول والله أعلم . وذكر سليمان بن خليل ما يقتضى أن الحصحاص عند الجبل الذى تسميه أهل مكة البكاء ، وهو معروف بطريق العمرة ، لأنه قال لما تكلم على الإحرام من التنعيم قال الفاكهى فى كتابه : فى طريق هذه العمرة أيضاً جبل يسمى المقلع ، قال : والمقلع الجبل الذى بأسفل الحصحاص بين يديه حجارة كثيرة يقال : إنه بكى على النبى صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، وتسميه أهل مكة اليوم الجبل البكاء ، انتهى . وفخ هو وادى الزاهر على ما قال السيد على بن وهاس الحسينى فيما نقله عنه ياقوت فى مختصر معجم البلدان ، وذكر أن فخ اسم لمكانين هذا أحدهما وذكر الآخر ونذكر كلامه بنصه قال : باب فخ موضعان بفتح الفاء والخاء معجمة مشددة ، وفخ واد من نواحى مكة ، قال السيد على بن وهاس العلوى : فخ وادى الزاهر فيه قبور جماعة من العلويين قتلوا فيه فى واقعة كانت لهم مع أصحاب موسى الهادى بن المهدى بن المنصور العباسى[2]

---

(١) سيد من سادات الصحابة ، وعالم من أشهر العلماء والفقهاء ، مات بعد زمن معاوية عام ٧٤ هـ .

(٢) فى النسخة (ك) : سقطت كلمة العباسى .

فى سنة تسع وتسعين[١] ومائة فى ذى الحجة، وللشعراء فيهم مراثٍ كثيرة. وفخ : ما أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم بن الحرث المحازفى ذكره الحازمى ، انتهى .

ومن المقابر المباركة بمكة المشرفة المقبرة المعروفة بالشبيكة بأسفل مكة دون باب الشبيكة وهى مشهورة عند الناس لما حوته من أهل الخير الغرباء وغيرهم ، وذكر الفاكهى بعد ذكر مقبرة مكة التى بأعلاها وشيئاً من فضلها السابق وكانت مقبرة المطيبين بأعلى مكة ، ومقبرة الأحلاف بأسفل مكة ، انتهى . والظاهر أن مقبرة الأحلاف هى هذه المقبرة لأنه لا يعرف بأسفل مكة مقبرة سواها ودفن الناس بها إلى الآن مشعر بأن الناس كانوا يدفنون فيها فيما مضى والله أعلم[٢] ، والمطيبون هم بنو عبد مناف بن قصى و بنو أسد بن عبد العزى و بنو زهرة بن كلاب و بنو تيم بن مرة و بنو الحارث بن فهر ، والأحلاف بنو عبد الدار بن قصى و بنو مخزوم و بنو سهم و بنو جمح و بنو عدى بن كعب ، والتسمية هؤلاء بالأحلاف والآخرين بالمطيبين سبب مشهور ذكرناه فى أصل هذا الكتاب : ومن القبور التى ينبغى زيارتها قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها وهو معروف بطريق وادى مر ولا أعلم بمكة ولا فيما قرب منها قبور أحد ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر لأن الخلف يأثر ذلك عن السلف ، والموضع الذى فيه قبر ميمونة يقال له: سرف، بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء وذكر صاحب المطالع فى مقدار ما بينه و بين مكة أربعة أقوال ، ستة أميال وسبعة بتقديم السين وتسعة بتقديم التاء على السين واثنى عشر ميلا وهو الموضع الذى بنى بها النبى صلى الله عليه وسلم حين تزوجها .

---

(١) هكذا ورد فى النسختين، والصحيح أنه سنة تسع وستين ومائة ، وهو تاريخ خلافة الهادى التى امتدت إلى عام ١٧٠هـ ، أما عام ١٩٩هـ فقد كان فى خلافة المأمون .

(٢) وما زال الناس يدفنون موتاهم فيها إلى عهد قريب ،وقد منع الدفن فيها فى أواخر عهد الشريف عون الرفيق ـ على ما أظن ـ وما زال مكانها مشهورا معروفا فى الشبيكة عند جميع أهل مكة . وقد دثر كثير من معالمها . ولم يبق إلا آثار من الصور المحيط بها . والبناء الذى كان يغسل به الموتى والذى يقال له (الشرشورة القديمة) الملاصقة للسور ما زال على حاله . ولكنه مهجور ومتداع . وقد أمر الملك سعود أيده الله بعمل سور حولها لئلا يمشى المارة من خلالها .

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر أماكن بمكة المشرفة وحرمها التى لها تعلق بالمناسك وهى ستة وعشرون موضعا مرتبة على ترتيب حروف المعجم

الأول باب بنى شيبة[1] الذى يستحب للمحرم دخول المسجد الحرام منه وهو أول باب بالجانب الشرقى مما يلى الجانب الشامى بين رباط الشرابى ورباط السدرة وعليه منارة المسجد الحرام وأمامه فى خارجه بلاط مفروش من حجارة وفى عتبته حجارة طوال يقال إنها كانت أوثاناً تعبد فى الجاهلية وليس ذلك بصحيح على ما نقل الأزرقى عن جده، والأصل فى استحباب دخول المسجد الحرام من هذا الباب ما رويناه عن عطاء أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد من باب بنى شيبة وخرج من باب بنى مخزوم إلى الصفا رواه البيهقى وقال إنه مرسل جيد قال ورويناه عن ابن عمر مرفوعا فى دخوله من باب بنى شيبة وخروجه من باب الحناطين ، انتهى . والمراد بباب بنى شيبة فى هذا الخبر جهة هذا الباب لا هذا الباب نفسه فإنه لم يكن إلا فى عمارة المهدى[2] والمراد بباب بنى مخزوم باب الصفا فإنه ينسب لبنى مخزوم و باب الحناطين باب كان للمسجد فيما بين باب الحزورة و باب بنى جمح الذى فى وزانه الآن باب الزيادة بالجانب الغربى ولا أثر الآن لباب الحناطين والمراد به جهته لأنه لم يكن إلا عقب موت المهدى العباسى فيما أمر به من الزيادة الثانية فى المسجد الحرام فينبغى للخارج مسافراً أن يخرج من باب الحزورة وهى باب الزيادة المشار إليها لقربها من باب الحناطين وفى النوادر لابن أبى يزيد المالكى ما يقتضى أن الخارج من المسجد الحرام مسافراً يخرج من باب المسجد المعروف الآن بباب العمرة فى الجانب الغربى فينبغى للمسافر أن يخرج منه أو من باب زيادة إبراهيم أو من باب الحزورة والله أعلم ونص ما فى النوادر على ما نقل الأشنائى فى شرحه لمنهاج النووى بعد أن ذكر أن النوادر أهمل بيان الباب الذى يخرج منه المسافر من المسجد الحرام ففى النوادر عن ابن جبير أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد من باب بنى شيبة[3] وخرج إلى الصفا من باب بنى مخزوم و إلى المدينة من باب بنى سهم انتهى

---

(١) يعرف الآن بباب السلام وكان ينسب لآل شيبة سدنة الكعبة .

(٢) هو الخليفة العباسى المشهور الذى تولى الخلافة فى بغداد أكثر من عشر سنين (١٥٨-١٦٩هـ) .

(٣) يلاحظ أن باب بنى شيبة سمى كما ذكرنا بباب السلام ، وقد بناه المهدى العباسى فى توسعته للمسجد الحرام ، وكان حوله من قبل دور أهل مكة ، ثم جددت عمارته بأمر السلطان سليمان القانونى .

و باب بنى سهم هو باب المسجد الذى أشرنا إليه كما يقتضيه كلام الأزرقى وغيره كالأشنانى باستحباب الخروج منه للمسافر إلى بلده ، وذكر عن الرافعى أن الأصحاب أطلقوا استحباب دخول المسجد الحرام من باب بنى شيبة لمن كان فى طريقه ولمن لم يكن فى طريقه ، ولا كذلك الثنية العليا فإن الدخول منها إنما يستحب لمن كانت فى طريقه على خلاف فى ذلك ، والفرق بينها و بين باب بنى شيبة أن دوران المسجد لأجله لا عسر فيه ولا كذلك الدوران للدخول من الثنية العليا إذا لم يكن فى الطريق والله أعلم .

الثانى التنعيم المذكور فى حد الحرم من جهة المدينة النبوية وهو أمام أدنى الحل على ما ذكر المحب الطبرى قال : وليس بطرف الحل ومن فسره بذلك تجوز وأطلق اسم الشىء على ما قرب منه وأدنى الحل إنما هو من جهته ليس موضع فى الحل أقرب إلى الحرم منه وهو على ثلاثة أميال من مكة والتنعيم أمامه قليلًا فى صوب طريق وادى مر الظهران ، انتهى بنصه . وقال صاحب المطالع : التنعيم من الحل بين مكة وسَرِفٍ على فرسخين من مكة ، وقيل : على أربعة أميال وسميت بذلك لأن جبلا عن يمينها يقال له نعيم وآخر عن شمالها يقال له ناعم والوادى نعمان انتهى ، والإحرام من الحل الذى فى جهة التنعيم للمقيم بمكة أفضل من الإحرام من الحل الذى فى بقية جهات الحرم ما خلا الجعرانة[1] فإن الإحرام منها أفضل عند مالك والشافعى وابن حنبل وغيرهم من العلماء .

الثالث ثبير الذى يقولون فى الجاهلية إذا أرادو أن يدفعوا من المزدلفة : أشرق ثبير ، كيما نغير . ولا يدفعون حتى يروا الشمس عليه ، وهو جبل بالمزدلفة على ما ذكر الأزرقى ونص كلامه : ثبير الموضع الذى فيه شداد الحاج وهو جبل المزدلفة الذى هو على يسار الذاهب إلى منى وهو الذى كانوا يقولون فى الجاهلية إذا أرادو أن يدفعوا من المزدلفة : أشرق ثبير كيما نغير . ولا يدفعون حتى يروا الشمس عليه انتهى . وثبير الذى يستحب للحاج إذا طلعت 79
الشمس عليه سار إلى عرفة لينزل بنمرة ثم يذهب منها بعد صلاتى الظهر والعصر مع الإمام إلى موقف عرفة ، هو جبل كبير بمنى على يسار الذاهب إلى عرفة نص على ذلك الشيخ الإمام المحب الطبرى لأنه لما تكلم على قول صاحب التنبيه فى صفة «الحج ثم يخرج إلى منى فى اليوم الثامن فيصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويبيت بها ثم يصلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى الموقف» قال : ثبير بثاء مثلثة مفتوحة وباء موحدة مكسورة أعلى جبل بمنى

---

(١) الجعرانة : بئر شرقى مكة المكرمة ذات ماء عذب . وأهل مكة يكثرون الاعتمار منها فى رمضان . ويتخذون منها متنزهاً ، لما فى وادى الجعرانة من إشراق وبهجة ، ولما فى مائها من عذوبة ، ولما فى هوائها من نقاء ينعش الأبدان . وفوق ذلك كله لما شرفت به من ذكريات النبوة الخالدة . فإن النبى صلى الله عليه وسلم نزلها لما قسم غنائم هوازن على أصحابه بعد غزوة حنين . وينطقها أهل مكة بالتخفيف كما جاء فى شعر الأقدمين . وبها مسجد يقال إنه مسجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقال الجوهرى بمكة ولعله أراد بقرب مكة فتجوز وقال غيره بالمزدلفة، والمشهور الأول وهو يشرف على منى من جمرة العقبة إلى تلقاء مسجد الخيف وأمامه قليلا على يسار الذاهب إلى عرفة انتهى .

وممن ذكر أن ثبيرا بمنى الأزرقى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: اسم الجبل الذى مسجد الخيف بأصله الصفايح واسم الجبل الذى وجاهه على يسارك إذا أتيت من مكة المقابل ثبير وهو من الأثبرة انتهى .

وممن ذكر أن ثبيرا بمنى سليمان بن خليل لأنه قال وثبير جبل كبير بمنى وكذلك النووى فى التهذيب لأنه قال لما ذكر منى: وهو شعب ممدود بين جبلين أحدهما ثبير والآخر الصايح كذا رأيت فى نسخة من التهذيب ولعله الآخر الصفايح كما يقتضيه كلام الأزرقى والله أعلم . وإذا تقرر أن ثبيرا بمنى وثبيرا بمزدلفة فلا مانع أن يكون ثبير ـ الذى إذا طلعت عليه الشمس سار الحاج من مبيته بمنى إلى عرفة كما قال الفقهاء ـ ثبير بمنى لكونه إلى مبيت الحاج أقرب من ثبير الذى بالمزدلفة ولا مانع من أن يكون ثبير ـ الذى عناه المشركون بقولهم: أشرق ثبير كيما نغير ـ من المزدلفة لأنهم كانوا يقولون ذلك بالمزدلفة ولا يدفعون منها حتى تطلع الشمس على ثبير التى بها وهو إلى أبصارهم أقرب من ثبير الذى بمنى ، كيف وقد قال الأزرقى إن ثبيرا الذى عناه المشركون ثبير المزدلفة وأثبت أن بمنى ثبيرا سواه ، وأما قول النووى فى التهذيب وغيره أن ثبيرا جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى ويمين الذاهب من منى إلى عرفات وأنه المذكور فى صفة الحج والمراد فى مناسك الحج فقد اعترضه شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى وقال إنه قول فيه مقال ورجم بالغيب ومخالفة لإجماع أئمة اللغة والتواريخ ، ثم قال شيخنا : نعم فى المزدلفة جبل يسمى ثبيرا وليس هو المراد فى مناسك الحج . انتهى والله أعلم . وذكر ياقوت فى معجم البلدان أن ثبيرا اسم لثمانية مواضع فنذكر كلامه لإفادة ذلك ونص كلامه : باب ـ ثبير ثمانية مواضع بفتح أوله وكسر الباء الموحدة ثم ياء ساكنة وراء: الأول ثبير من أعظم جبال مكة بين مكة وعرفة وهو المراد بقولهم فى الجاهلية : أشرق ثبير ، كيما نغير . الثانى ثبير الزنج بمكة أيضاً قالوا : لأن الزنج كانوا يجتمعون عنده[1] للعب واللهو . الثالث ثبير الأعرج وثبير الأحدب ، الرابع ثبير الخضراء ، الخامس ثبير النَّصع وهو جبل المزدلفة ، السادس ثبير غينا، وهذه السبعة بمكة ويقال لها الأثبرة ، الثامن ثبير ماء فى بلاد مزينة أقطعه النبى صلى الله عليه وسلم شريح بن حمزة المزنى انتهى ، هكذا وجدت فى نسخة سقيمة من مختصر معجم البلدان لياقوت ولا يستقيم مافيها من أن بمكة سبعة أثبرة إلا بأن يكون سقط من النسخة ذكر ثبير

---

(١) لعله الجبل المسمى الآن بجبل الحفائر وهو بغربى مكة . أما ياقوت فقد ذكر فى معجمه كلاماً كثيراً عن ثبير نقتطف منه قوله رواية : الأثبرة الأربعة : ثبير غينى ، وثبير الأعرج ، وثبير آخر ذهب عنى اسمه ، وثبير منى . وقال : وثبير غينى وثبير الأعرج وهما حراء وثبير . ومضى يتكلم حتى قال : وبمكة أثبرة غير ما ذكرنا منها ثبير الزنج كانوا يلعبون عنده. وثبير الخضراء ، وثبير النصع وهو جبل المزدلفة . وثبير الأحدب كل هذه بمكة . إلى أن قال : وثبير أيضاً موضع فى ديار مزينة الخ (راجع ص ٦و٧و٨ ج١ لياقوت) .

السابع أو يكون ثبير الأعرج وثبير الأحدب اثنين فإن الموجود فى النسخة يوهم أنهما واحد ويكون سقط الرابع قبيل قوله وثبير الأحدب ويكون على هذا قوله الرابع والخامس والسادس سهواً فى العدد وهذا الاحتمال أظهر لأن الرضى الصاغانى قال : من الأثبرة ثبير غينا وثبير الأعرج وثبير الأحدب وسمعت أعراب هذيل يسمونه الأحيدب مصغرا انتهى ، وهذا يدل على أن ثبيرا الأعرج غير ثبير الأحدب ، وذكر الأزرقى من الأثبرة التى ذكرها ياقوت ثبيرا الأول وذكر أن اسمه القابل، وثبير النصع جبل المزدلفة وثبير الأعرج ونص ما ذكره فيه:وثبير الأعرج المشرف على حق الطارفين بين المغمس والنخيل انتهى ، وفى هذا إشارة إلى تعريف محله. وذكر الزمخشرى من هذه الأثبرة ثبير غينا وثبير الأعرج وأفاد فى كلامه ضبط غينا وأن ثبير غينا وثبير الأعرج متقاربان ولم أقف على المحل الذى ذكر فيه ذلك وإنما نقل عنه ذلك شيخنا القاضى مجد الدين اللغوى الشيرازى لأنه قال : وقال الزمخشرى وثبير غينا ـ بالغين المعجمة المفتوحة بعدها مثناة تحتية ثم نون وألف ـ وثبير الأعرج جبلان يصب بينهما أفاعية بضم الهمزة وبعدها فاء وألف وعين مهملة مكسورة ومثناة تحتية مفتوحة مخففة بعدها هاء وهى واد يصب من منى انتهى ، وثبير الزنج الذى ذكره ياقوت يقال إنه جبل بأسفل مكة تسميه أهلها النوبى والله أعلم ، وثبير الخضراء هو الجبل المشرف على الموضع الذى يقال له الخضير بطريق منى وهو مكان مشهور ، والنصع بكسر النون وسكون الصاد المهملة فهكذا ضبطه شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى ، وفى كلام ياقوت إشارة إلى أن ثبيرا الذى كانوا يقولون فيه ، أشرق ثبير كيما نغير هو ثبير منى الذى يقال له ثبير الأثبرة وذلك يخالف ما ذكره الأزرقى والله أعلم .

الرابع الجِعْرَانة الموضع الذى أحرم فيه النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف بعد فتح مكة وهو موضع مشهور بين الطائف ومكة وهو إلى مكة أقرب بكثير لأنه بينه وبين مكة نحو ثمانية عشر ميلا على ما ذكر الباجى المالكى ، وقال الفاكهى : والجعرانة حيث اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم على بريد من مكة انتهى باختصار ، وهذا يخالف ما ذكره الباجى والله أعلم بالصواب . وحد الحرم من جهته على تسعة أميال بتقديم التاء على السين وقيل : يزيد ، وهو اثنا عشر ميلا كما سبق فى حدود الحرم الشريف وذكر السهيلى أن هذا الموضع سمى باسم امرأة كانت تلقب بالجعرانة واسمها ريطة بنت سعد بن زيد مناة بن تميم وقيل هى من قريش انتهى، ذكر ذلك بالمعنى لما تكلم على قوله تعالى : «ولا تكونوا كالتى نَقَضَتْ غَزْلها من بعد قوةٍ » ـ الآية، ولم يبين السهيلى القائل بأنها من قريش وقد بين ذلك الفاكهى لأنه قال : حدثنا حسن بن حسين الأزدى عن رجلين عن ابن الكلبى عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى: ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة. نزلت فى امرأة من قريش من بنى تيم بن مرة يقال لها : ريطة بنت كعب ولقبها جعرانة وهى أم أسد بن عبد العزى التى قامت عنه وكانت حمقاء .

وروى الفاكهى بسنده عن السدى من تفسير هذه الآية قال : كانت امرأة تسمى حرفا بمكة كانت تغزل فإذا أبرمت غزلها نقضته . وقال : قال ابن جريج : قال أبو الهذيل : حرفا كانت بمكة تنقضه بعد ما تبرمه . وروى عن مجاهد من تفسير قوله تعالى : «ولا تكونوا كالتى نَقَضَتْ غَزْلها» قال : هن النساء[1] من أهل نجد ينقضن حبلهن وينفشنه ثم يخلطنه بالصوف فيغزلنه انتهى .

ذكر الموضع الذى أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة

روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : حدثنى جدى عن الزنجى عن ابن جريج قال : أخبرنى زياد بن محمد ابن طارق أخبره أنه اعتمر مع مجاهد من الجعرانة فأحرم من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة قال : ومن ههنا أحرم النبى صلى الله عليه وسلم وإنى لأعرف أول من اتخذ المسجد على الأكمة بناه رجل من قريش سماه واشترى بمال عنده نخلا فبنى هذا المسجد ، قال ابن جريج: فلقيت أبا محمد بن طارق فسألته فقال: اتفقت أنا ومجاهد بالجعرانة فأخبرنى أن المسجد الأقصى الذى من وراء الوادى بالعدوة القصوى، مصلى النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان بالجعرانة قال : وأما هـذا المسجد فإنما بناه رجل من قريش واتخذ ذلك الحائط انتهى . ونقل ابن خليل عن ابن جريج أن الرجل الذى بنى المسجد الأدنى هو عبد الله بن خالد الخزاعى . وذكر الواقدى أن النبى صلى الله عليـه وسلم أحرم من المسجد الأقصى الذى[2] تحت الوادى بالعدوة القصوى من الجعرانة وكان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان بالجعرانة ، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش واتخذ ذلك الحائط عنده ولم يجز رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادى
إلا محرما انتهى ، وكان إحرام النبى صلى الله عليـه وسلم ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة[3] 80
نقل ذلك عن الواقدى[4] المحب الطبرى قال : ومنها يحرم أهل مكة كل عام ليلة سبع عشرة من ذى القعدة وذلك خلاف ما ذكره الواقدى انتهى . وما ذكره المحب الطبرى يخالف ما أدركنا عليـه أهل مكة فإنهم يخرجون من مكة فى اليوم السادس عشر من ذى القعدة ويقيمون اليوم السابع عشر بالجعرانة ويصلون المغرب بها ليلة الثامن عشر ويحرمون ويتوجهون إلى مكة وهو يلائم ماذكره الواقدى إلا أن فى بعض السنين يحصل للناس خوف فيخرجون من الجعرانة محرمين قبـل الغروب من اليوم السابع عشر وربما خرجوا منها قبل صلاة العصر ، وما ذكره الواقدى فى تاريخ عمرة النبى صلى الله عليه وسلم من الجعرانة هو المعروف . وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدى خبراً ضعيفاً يخالف ذلك ونصه على ما ذكر الحافظ أبو الفتح بن سيد النـاس اليعمرى فى جوابه عن المسائل التى سأله عنها

---

(١) هن نساء : فى النسخة (ك) . (٢) فى النسخة (م) : التى ، وهو خطأ .

(٣) أى فى السنة التاسعة للهجرة النبوية الشريفة.

(٤) هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمى من أقدم المؤرخين فى الإسلام ، ولد بالمدينة المنورة سـنة ١٣٠ هـ ، وتوفى ببغداد سنة ٢٠٧ هـ ، ومن مؤلفاته تفسيره المشهور وكتابه المغازى إلخ (من الأعلام للزركلى) .

ابن أيبك الدمياطى ، وقد ذكر ابن سعد قال : أخبرنا محمد بن سابق قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبى الزبير عن عقبة مولى ابن عباس أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال، قال أبو الفتح المذكور : هذا الذى ذكر ضعيف والمعروف عند أهل السير أن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذى القعدة وأقام بها ثلاث عشرة ليلة فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا فأحرم بعمرة ودخل مكة انتهى . والجعرانة أفضل مواقيت العمرة من مكة لإحرام النبى صلى الله عليه وسلم من هذا المكان على مذهب مالك والشافعى وابن حنبل وغيرهم من العلماء . واختلف فى ضبط العين والراء من الجعرانة ، فقال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات : الجعرانة بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء هكذا صوابها عند إمامنا الشافعى والأصمعى وأهل اللغة ومحققى المحدثين وغيرهم ومنهم من يكسر العين ويشدد الراء وهو قول عبد الله بن وهب وأكثر المحدثين، قال صاحب مطالع الأنوار : أصحاب الحديث يشددونها وأهل الإتقان والأدب يخطئونهم ويخففونها وكلاهما صواب . حكى إسماعيل القاضى عن على بن المدينى قال : أهل المدينة يثقلونها ويثقلون الحديبية وأهل العراق يخففونها. انتهى باختصار .

ومن فضائل وادى الجعرانة ماذكره الجندى فى فضل مكة لأنه قال فيما رويناه عنه : حدثنا عبد الوهاب بن فليح حدثنى سعيد بن سالم الفلاح عن سعيد بن بشير عن عبد الكريم الجردى عن يوسف بن ماهك، قال : اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبى وصلى فى مسجد الخيف سبعون نبيا ، وبالجعرانة ماء شديد العذوبة يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم فحص موضع الماء بيده المباركة فانبجس فشرب منه النبى صلى الله عليه وسلم وسقى الناس ، ويقال : ان النبى صلى الله عليه وسلم غرز رمحه فنبع الماء موضعه وهذان الخبران فى كتاب الفاكهى .

الخامس الجمار المذكورة فى صفة الحج هى بمنى، ونقل عن ابن سيده[1] اللغوى صاحب المحكم ما يقتضى أنها بعرفة وهو وهم قطعا ذكرناه لغرابته وقد نقل ذلك عنه السهيلى فى كتابه الروض الأنف لأنه نقل عن ابن سيده شيئا قاله فى كتابه المحكم وخطأه فيه ثم قال السهيلى: فقال يعنى ابن سيده فى الجمار فى غير هذا الكتاب هى التى ترمى بعرفة وهذه هفوة لا تقال وعثرة لا لعا لها وكم له من هذا إذا تكلم فى النسب وغيره والله ولى التوفيق :

والأولى منها هى التى تلى مسجد الخيف ، والوسطى التى بينها وبين جمرة العقبة والأخيرة هى جمرة العقبة وهى أقرب الجمار إلى مكة ورميها على هذا الترتيب مطلوب على مذهب الإمام مالك ومتى وقع على غير هذه الصفة ولم

---

(١) هو الحافظ أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسى ، كان إماماً فى اللغة والعربية حافظاً لهما ، وكتابه « المحكم » كتاب جامع رتبه ترتيب كتاب « العين » ، وله كذلك كتاب « المخصص » وتوفى سنة ٤٥٨هـ .

يتدارك فى وقت الأداء وهو النهار على المشهور لزم فاعل ذلك الدم وقد ذكر الأزرقى فى ذرع ما بين هذه الجمار وما بين الجمرة الأولى وأوسط باب [١] مسجد الخيف بمنى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: ومن جمرة العقبة وهى أول الجمار مما يلى مكة إلى الجمرة الوسطى أربعمائة ذراع وسبعة وثمانون ذراعا واثنا [٢] عشر أصبعا، ومن الجمرة الوسطى الى الجمرة الثالثة وهى التى تلى مسجد منى ثلثمائة ذراع وخمسة أذرع، ومن التى تلى مسجد منى إلى أوسط باب مسجد الخيف ألف ذراع وثلثمائة ذراع وواحد وعشرون ذراعا انتهى . قلت : وقد حرر بعض أصحابنا ذرع ذلك وأنا معه فكان مقدار ما بين جمرة العقبة والجمرة الوسطى مائتى ذراع وثمانية أذرع بذراع الحديد وكان 81
مقدار ما بين جمرة الوسطى والجمرة الأولى مائتى ذراع وخمسة وسبعين ذراعا بذراع الحديد وكان مقدار ما بين الجمرة الأولى وهى التى تلى مسجد الخيف إلى باب مسجد الخيف الكبير على يمين الذاهب إلى عرفة ألف ذراع ومائتى ذراع وأربعة وخمسين ذراعا وسدس ذراع بذراع الحديد .

وقد ذكر الأزرقى شيئا من خبر جمرة العقبة فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة قال فى التى ترجم عليها بقوله «ذكر ما غير من فرش أرض الكعبة» : وكانت الجمرة زائلة عن غير موضعها أزالها جهال الناس برميهم الحصا وغفل عنها حتى أزيحت من موضعها شيئا يسيرا منها ومن فوقها فردها إلى موضعها الذى لم يزل عليه وبنى من ورائها جدارا أعلاه عليها ومسجدا متصلا بذلك الجدار لئلا يصل إليها من يريد الرمى من أعلاها وإنما السنة لمن أراد الرمى أن يقف من بطن الوادى فيجعل مكة عن يساره ومنى عن يمينه ويرمى كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا أصحابه من بعده انتهى . والذى أشار إليه الأزرقى بقوله : فردها ، وبقوله : وبنى: هو اسحاق بن سلمة الصائغ الذى أنفذه المتوكل العباسى لعمل أمور تتعلق بالكعبة وغير ذلك .

السادس الحجون المذكور فى حد المحصب [٣] جبل بالمعلاة مقبرة أهل مكة [٤] على يسار الداخل إلى مكة ويمين الخارج منها إلى جهة منى وغير ذلك وهو الجبل الذى يزعم الناس أن فيه قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب وليس لذلك حقيقة كما نبهنا عليه ويحتمل أن يكون الجبل المحاذى له الذى يكون على يسار الداخل إلى الشعب الذى تسميه الناس شعب العفاريت ، والجبلان مشرفان على هذا الشعب ولعله الشعب الذى يقال له شعب الصفا صفا

---

(١) فى النسخة (ك) : أبواب .

(٢) فى النسختين : واثنى ، وهو خطأ .

(٣) هو موضع الحجارة بمنى .

(٤) لا ننس أن نذكر انه فى يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الثانى ١٠٨٦ هـ شرع الشيخ محمد على بن سليمان الوزير الذى حضر من اليمن فى هدم قبور المعلاة وبنى مقبرة خاصة ذات جدر أربع وقسمها تقسيم الشطرنج وجعلها ذات بابين وهتك بذلك حرمة الأموات وكان محمد هذا مولعا بتنظيم مكة ومناسك الحج (راجع ص ٣٢ مرآة الحرمين) .

السباب والله أعلم . وما ذكرنا من تعيين كون الحجون فى هذه الجهة من المعلاة صريح من كلام أبى الوليد الأزرقى فى كتابه أخبار مكة ومن كلام اسحاق الخزاعى راوى كتاب الأزرقى وأدخل الخزاعى ذلك فى كتاب الأزرقى عند ذكر الأزرقى لحد المحصب وهذا ما ذكرناه من تعيين كون الحجون أحد الجبلين المشار إليهما يدل له كلام الأزرقى وما ذكره هو والخزاعى فى تعيين جهة الحجون يدفع ما يقوله الناس من أن الحجون هو الجبل الذى فيه ثنية كداء بفتح الكاف والمد التى يستحب للمحرم دخول مكة منها ووقع للمحب الطبرى فى القرى ما يوافق ذلك لأنه قال الحجون بفتح الحاء وضم الجيم مخففة الجبل المشرف عند المحصب وهو مقبرة أهل مكة قال الشاعر : 82

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وذكر أبو موسى المدينى فى يتيمته أنه الجبل المشرف مما يلى شعب الجزارين بمكة ، قلت : ويشبه أن يكون ما ذكره هو الجبل الذى على يمين المنهبط من الثنية العليا على المقبرة فإن إلى جانبه شعبا يقال له شعب الجزارين ويحتمل أن يكون الجبل المشرف على المقابر على يسار المنهبط من الثنية وتكون المقبرة بينه وبين الصفا على ما قال الشاعر . انتهى كلام المحب الطبرى . والشعب الذى ذكر أنه يقال له شعب الجزارين يقال له شعب النور وهو الذى قبر فيه الشيخ أبو لكوط[1] وفى كون هذا الشعب شعب الجزارين نظر وكذا فى الاحتمال الآخر الذى ذكره فى تفسير شعب الجزارين وكذا فيما يقوله الناس من أن الحجون هو الجبل الذى فيه الثنية المشار إليها وهو مقتضى كلام المحب الطبرى لكون ذلك مخالفا لما ذكره الأزرقى فى تفسير الحجون مع موافقة الخزاعى له على ما ذكره من أن الحجون فى الجهة المقابلة لجهته الثنية كما أشرنا إليه والأزرقى والخزاعى بذلك أدرى والتعويل عليهما فى ذلك اولى ، ونص ما ذكره الأزرقى فى الترجمة التى بين فيها مافى شتى معلاة مكة اليمانى من المواضع والجبال والشعاب وماأحاط به : الحجون الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة الذى يقال له مسجد الحرس وفيه ثنية يسلك إليها من حائط عوف عند الماجلين اللذين فوق دار مال الله إلى شعب الجزارين و بأصل شعب الجزارين كانت المقبرة فى الجاهلية انتهى ، ونص كلام الخزاعى : الحجون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد وهو أيضا مشرف على شعب الجزارين فى أصله فى دار أبى دُبّ إلى موضع القبة مسجد بسبيل أم زبيدة بنت جعفر بن أبى منصور انتهى ، ووجه الدلالة من كلام الخزاعى[2] على ما ذكرناه فى جهة تعيين الحجون ذكره للحجون من شق معلاة مكة اليمانى ولا ريب أن الجهة هى التى أشرنا إليها ووجه الدلالة من كلام الخزاعى قوله فى تعريف الحجون على يمينك وأنت مصعد ولا يكون الحجون على يمين المصعد من مكة إلا إذا كان فى الجهة التى أشرنا إليها وذكر النووى فى شرح مسلم فى تفسير الحجون نحو ما ذكره الخزاعى باختصار لأنه قال فى تفسير حديث قوله قرب

(١) هكذا فى الأصل وفى منتخب شفاء الغرام : ابن لكود .

(٢) : الأزرقى : فى النسخة (ك) .

الحجون هو بفتح الحاء وضم الجيم وهو من حرم مكة وهو الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد عند المحصب انتهى ، والدلالة من كلام النووى على ما ذكرناه فى تفسير الحجون كالدلالة على ذلك من كلام الخزاعى وقد سبق ذلك وذكر الفاكهى مايوافق ماذكره الأزرقى فى كون الحجون بشق معلاة مكة اليمانى وفى تعريفه له : والفاكهى من العارفين بأخبار مكة فيتأيد بما ذكره من الحجون ماقاله الأزرقى والخزاعى فى الحجون والله أعلم . وشعب الجزارين لايعرف الآن إلا أن بين سور مكة الآن و بين الجبل الذى يقال له جبل ابن عمر موضعا يشبه الشعب فلعله شعب الجزارين . وشعب الجزارين هو شعب أبى دب على ما ذكر الأزرقى وذكر أنه رجل من بنى سواد بن عامر، وحائط عوف الذى ذكره الأزرقى فى تعريف الحجون لا يعرف ولعله أحد البساتين التى فى الجبل الذى يقال له جبل ابن عمر فإن منها يتوصل إلى الجبل المذكور . ولعل هذا يؤيد أحد الاحتمالين اللذين ذكرناهما فى تعيين كون هذا الجبل الحجون و يتأيد ذلك أيضا بقربه من الأجلين اللذين ذكرهما الأزرقى وهما فى غالب الظن البركتان المنسوبتان للصارم التى إحداهما ملاصقة لسور مكة والله أعلم .وأغرب السهيلى فى تفسير الحجون لأنه قال فى الروض الأنف : والحجون على فرسخ وثلث من مكة انتهى ، وهذا مخالف للمحسوس والمعقول وما وما ذكره المحب من كون الحجون بفتح الحاء وضم الجيم سبقه إلى ذلك النووى فى شرح مسلم وضبطه أيضا بفتح الحاء صاحب المطالع وضبطه ابن ملكان بضم الحاء والمعروف فيه الفتح والله أعلم . وهذا الموضع من جملة المواضع التى أصلحتها فى هذا الكتاب بعد تأليفى له لأنى لم أكن نظرت فيما كتبته أولا إلا كلام المحب وتأيد عندى بما يقوله الناس فى تفسير الحجون فلما راجعت كلام الأزرقى والخزاعى ظهر لى أنه الصواب . فكتبت هذا الفصل على هذا الوجه والله أعلم . بالصواب . 83

السابع الحديبية الموضع الذى نزل عنده النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم من المدينة محرما يريد دخول مكة فعاقه حينئذ المشركون عن ذلك يقال له الموضع الذى فيه البئر المعروفة ببئر شميسى بطريق جدة والله أعلم — قال صاحب المطالع: إن الحديبية قرية ليست بالكبيرة وسميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة انتهى ، والشجرة والحديبية لايعرفان ، الآن وقد سبق فى حدود الحرم الخلاف فى الحديبية هل هى فى الحرم كما قال مالك أو فى طرف الحل كما قال الماوردى أو أن بعضها فى الحل و بعضها فى الحرم كما قال الشافعى وابن العطار والله أعلم — وليست الحديبية بالموضع الذى يقال له الحدة [1] فى طريق جدة بقرب هذا الموضع من جدة و بعده من مكة والحديبية دونه بكثير إلى مكة واختلف فى الياء الثانية من الحديبية هل هى مخففة أو مشددة والقولان مشهوران على ماذكر النووى فى التهذيب لأنه قال : الحديبية بضم الحاء وفتح الدال وتخفيف الياء كذا قاله الشافعى وأهل اللغة و بعض أهل الحديث

(١) فى الأصل الحدبة وليس بطريق جدة مكان يقال له الحدبة .

وقال أكثر المحدثين بتشديد الياء وهما وجهان مشهوران انتهى ، والحديبيـة أفضل مواقيت العمرة بعد الجعرانة والتنعيم عند الشافعية ما خلا الشيخ أبا حامد فإن الحديبية عنـده مقدم على التنعيم والله أعلم بالصواب .

الثامن ذو طوى الموضع الذى يستحب فيه الاغتسال للمحرم هو على مقتضى ما ذكره الأزرقى الموضع الذى يقال له بين الحجونين لأنه قال فيما رويناه بالسند المتقدم :بطن طوى مابين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلاة إلى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين انتهى ، وفى صحيح البخارى مايؤيد هذا وصرح به القاضى بدر الدين بن جماعة فيما نقله عنه ابنه القاضى عز الدين على ما أخبرنى عنه خالى وقال النووى إنه موضع بأسفل مكة فى طريق العمرة المعتادة و يعرف اليوم بآبار الزاهر [1] انتهى ، وقال الداودى فيما نقله عن صاحب المطالع أن ذاطوى هو الأبطح وهو بعيد والله أعلم بالصواب ، وطاؤه مثلثة وهو مقصور واستحباب الغسل بذى طوى للمحرم وهو مذهب الأئمة الأربعـة إلا أن أصحابنا لا يستحبونه للحائض والنفساء لأنهما لايؤمران بالطواف عند قدومها مـكة والغسل شرع لأجل الطواف والله أعلم. و إنما يطلب من المحرم الاغتسال فيه إذا كان فى طريقه .

84 التاسع الردم الذى ذكر بعض الشافعية أن المحرم يقف فيه للدعاء إذا قدم إلى مكة وهو ردم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأعلى مكة وهو معروف عند الناس وسبب ردم عمر له أنه جاء فى خلافته السيل المعروف بسيل أم نهشل فدخل المسجد الحرام وذهب بالمقام عن موضعه وأخفى موضعه فشق ذلك على عمر رضى عنه وعمل هـذا الردم صوناً للمسجد [2]

العاشر الصفا الذى هو مبدأ السعى وهوفى أصل جبل أبى قبيس على ماذكره غير واحـد من العلماء ومنهم أبو عبيدة البكرى والنووى وهو موضع مرتفع من جبل له درج وفيه ثلاثة عقود والدرج من أعلى العقود وأسفلها والدرج الذى يصعد من الأولى إلى الثانية منهن بثلاث درجات فى وسطها وتحت العقود درجة وتحتها فرشة كبيرة ويليها ثلاث درجات ثم فرشة مثل الفرشة السابقة تتصل بالأرض ور بما أهيل التراب عليها فغيب وعرض الفرشة السفلى ذراع ونصف ذراع وقيراطان وعرض الفرشة العليا التى تحت العقود ذراع وثلثا ذراع وعرض الثلاث الدرجات

---

(١) ان ذاطوى ـ كما هو معروف اليوم ـ غير آبار الزاهر فالزاهر هو فخ وهو المـكان المعروف الآن بالشهداء أو وادى الزاهر . وأما طوى فهى فى جدول، وما زال الحجاج المغاربة يغتسلون بمائه عند مقدمهم مكة ويقع طوى ـ أى البئر ـ فى جدول بقرب البيت المسمى (بيت أبو قبة) أمام بستان الشريف عون الرفيق المشهور بجدول وهو على يمين الذاهب من مكة إلى فخ وإلى عمرة التنعيم من جهة الشبيكة وحارة الباب ، وأما الذاهب من مكة إلى فخ والعمرة من جهة الحجون فإنها على يساره .

(٢) والردم هو مايسمى الآن بالمدعى .

التى بين الفرشتين ذراعان ونصف ذراع كل ذلك بذراع الحديد ، وتحت الفرشة السفلى التى تتصل بالأرض درج مدفون وهو ثمان درجات ، ثم فرشة مثل الفرشة السابقة ثم درجتان وتحت هاتين الدرجتين حجر كبير يشبه أن يكون من جبل وهذا الدرج المدفون لم نره إلا فى محاذاة العقد الأوسط من عقود الصفا . والظاهر والله أعلم أن فى مقابلة العقدين الأخيرين مثل ذلك . وذرع مابين وجه العقد الأوسط على الصفا إلى منتهى الدرج المدفون ثمانية عشر ذراعاً بالحديد وكان تحرير ذلك بحضورى بعد الأمر بالحفر عن الدرج المشار إليها فى سابع عشر شوال سنة أربع عشرة وثمانمائة وكان ابتداء حفرنا عن ذلك يوم السبت خامس عشر شوال المذكور وكان الناس يأتون لمشاهدة ماظهر من الدرج أفواجاً أفواجاً وحصل لهم بذلك غبطة وسرور لأن كثيرا من الساعين لا يرقون فى الدرج الظاهر الآن خصوصاً الساعى راكبا، وسبب حفرنا عن ذلك أنه حاك فى نفس بعض فقهاء مكة فى عصرنا عدم صحة سعى من لم يرق فى الدرج الظاهر لأن بعض[1] متأخرى الشافعية الفقهاء قد أشار إلى أن فى الصفا درجا مستحدثاً ينبغى للساعى الاحتياط بالرقى عليها إلى أن يستيقن انتهى بالمعنى ، وسيأتى ذكر ذلك بنصه وهذا الكلام يوهم أن بعض الدرج الموجود الآن محدث لأنه ليس هناك درج سواها حتى يحمل الكلام عليها وذاكرنى الفقيه المشار إليه بما[2] حاك فى نفسه فقلت له الظاهر والله أعلم أن المراد بالدرج المحدث غير الدرج الظاهر ويتحقق ذلك بالحفر عنه فحفرنا حتى ظهر لنا من الدرج ما ذكرناه وبعيد جداً أن يكون مجموع الدرج المدفون والظاهر محدثا فى غير محل السعى حتى لا يجزى الوقوف عليه فى السعى وإنما المحدث بعض الدرج المدفون لكونه فى غير محل السعى على مايقتضيه كلام الأزرقى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم : ذرع مابين الركن الأسود إلى الصفا مائتا ذراع واثنان وستون ذراعاً وثمانية عشر أصبعا انتهى ، والصفا الذى ذكر الأزرقى ذرع مابينه وبين الحجر الأسود هو محل السعى وما ذكره الأزرقى فى ذرع مابين الصفا والحجر الأسود إما أن يكون إلى مبدأ الدرج المدفون تحت العقود أو إلى العقود أو إلى ماوراء ذلك وفى كل الوجوه نظر غير الوجه الثانى : أما الأول فلأن من الحجر الأسود إلى مبدأ الدرج المدفون مائتى ذراع وأحدا وعشرين ذراعاً وربع ذراع وثمن ذراع بذراع الحديد ، يكون ذلك بذراع اليدين مائتى ذراع وثلاثة وخمسين ذراعاً بذراع اليد على ماحررناه وذلك دون ماذكره الأزرقى فى مقدار مابين الحجر الأسود والصفا بعشرة أذرع إلا ربع فدل ذلك على أنه لم يرده لمخالفته المقدار الذى ذكره والله أعلم . وأما الوجه الثالث فلأن[3] من هذا الحجر الأسود إلى العقد الوسط الذى بالصفا مائتى ذراع وتسعة وثلاثين ذراعاً

---

(١) فى النسخة (م): كلمة بعض محذوفة .

(٢) فى النسخة (م) : مما .

(٣) فلأن هذا : فى النسخة (ك) .

وربع ذراع وثمن ذراع بالحديد يكون ذلك باليد مائتى ذراع وثلاثة وسبعين ذراعاً بتقديم السين وأربعة أسباع ذراع على ما حررناه وذلك يزيد على مقدار ماذكره الأزرقى عشرة أذرع وخمسة أسباع ذراع وثلاثة أرباع خمس سبع ذراع فدل ذلك على أنه لم يرده لمخالفته القدر الذى ذكرناه ، وأما الوجه الرابع فالنظر فيه كالنظر فى الوجه الثالث لأنه إذا كان الوجه الثالث غير المراد لما فيه من المخالفة لما ذكره الإمام الأزرقى بسبب الزيادة فكذا الوجه الرابع غير المراد من باب أولى لكثرة الزيادة فيه على الزيادة التى فى الوجه الثالث خصوصاً إذا قيل إن المراد موضع جدار البيت المشرف على الصفا فإن من العقد الأوسط إليه سبعة عشر ذراعاً بتقديم السين بذراع الحديد يكون ذلك بذراع اليد تسعة عشر ذراعاً بتقديم التاء وثلاثة أسباع ذراع والله أعلم ، وإذا كان فى كل من هذه الوجوه نظر، تعين أن يكون المراد الوجه الثانى لموافقته كلام الأزرقى لأن من أول الفرشة التى تحت الدرجات الثلاث إلى آخر الفرشة التى فوقها تحت الدرجة التى تحت العقد الأوسط عشرة أذرع باليد وذلك هو العقد الزائد على ماذكره الأزرقى فى مقدار مابين الحجر الأسود والصفا، وإنما ذكر الأزرقى ذرع مابين الحجر الأسود والصفا ليبين أن ماوراء ذلك محل للسعى، والفرشة السفلى المشار إليها من وراء الذرع المذكور فتكون محلا للسعى على هذا ويصح إن شاء الله تعالى 85
سعى من وقف عليها فلا يقصر الساعى عنها ولا يجب عليه الرقى على ما وراءها والله أعلم ، والغرشة المشار إليها هى التى سبق أن التراب يعلو عليها فتغنى ، وأما الكلام الموهم بخلاف ذلك فهو ماذكره المحب الطبرى فى شرح التنبيه لأنه قال: وبنى فى ذيل الصفا درج ، فينبغى أن يحتاط مريد السعى بالرقى عليها فإن الأرض ربت بحيث يرى البيت من غير رقى انتهى ، ومن ذلك ما ذكره النووى فى الإيضاح لأنه قال: إن من واجبات السعى أن يقطع جميع المسافة بين الصفا والمروة فلو بقى منها بعض خطوة لم يصح سعيه حتى لو كان راكبا اشترط أن تسير دابته حتى تضع حافرها على الجبل أو إليه حتى لا يبقى من المسافة شىء ويجب على الماشى أن يلصق فى الابتداء والانتهاء رجله بالجبل بحيث لا يبقى بينهما فرجة فيلزمه أن يلصق العقب بأصل ما يذهب منه ويلصق رءوس أصابع رجليه بما يذهب إليه فيلصق فى الابتداء بالصفا عقبه وبالمروة أصابع رجليه فإذا عاد عكس ذلك ، هذا إن لم يصعد فإن صعد فهو الأكمل . وقد زاد خيرا وليس الصعود شرطا بل هو سنة متأكدة ولكن بعض الدرج مستحدث فليحذر أن يخلفها وراءه فلا يتم سعيه وليصعد بعد أن يستيقن، وقال بعض أصحابنا يجب الرقى على الصفا والمروة بقدر قامة وهذا ضعيف والصحيح المشهور لا يجب لكن الاحتياط أن يصعد للخروج من الخلاف انتهى ، وذكر الأزرقى ذرع ما بين الصفا والمروة لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم : ومن الصفا إلى المروة [1] طواف واحد سبعمائة ذراع وستة وستون ذراعا ونصف

---

(١) المروة: فى الشمال الشرقى للمسجد الحرام على بعد منه ، وهى منتهى السعى فى أصل جبل قعيقعان . وهى محل مرتفع كالصفا يصعد اليه بخمس درجات فقط . وأول من أحدث بناء فى الصفا والمروة عبد الصمد بن على فى خلافة أبى جعفر المنصور ثم كملت بالنورة فى عهد المأمون .

يكون السبع بينهما خمسة آلاف وثلاثمائة ذراع وخمسة وستين ذراعا ونصف ذراع انتهى ، وقد حررت أنا ذرع ذلك فجاء من وسط جدار الصفا وهو من محاذاة نصف العقد الوسط من عقود الصفا إلى الدرج الذى بالمروة من داخله ستمائة ذراع وثلاثة وسبعون ذراعا بالحديد بتقديم السين وسبعة أثمان ذراع يكون ذلك بذراع اليد سبعمائة وسبعين ذراعا وسبع ذراع بتقديم السين فى السبعمائة ذراع وفى السبعين وفى السبع ومن محاذاة نصف العقد الوسط من عقود الصفا إلى الدرجة العالية بالمروة التى كهيئة الدكة الكبيرة من داخل الدرج ستمائة ذراع وثمانون ذراعا إلا ثمن ذراع بذراع الحديد يكون ذلك باليد سبعمائة ذراع وسبعة وسبعين ذراعا بتقديم السين فى السبعمائة وفى السبعة وفى السبعين ، وما ذكره الأزرقى فى مقدار ما بين الصفا والمروة يدل [1] أنه لم يرد به الى ما وراء الدرج بالمروة وإنما مراده إليه أو ما قرب منه لأنه لو أراد إلى ماوراء الدرج لم يكن المقدار الذى ذكره موافقا لذلك لما فيه من النقص عن ذلك والله أعلم . وما ذكرناه فى مقدار ما بين وسط عقود الصفا والدرج الذى بالمروة فى اعتبار ذرع ذلك باليد يقرب مما ذكره الأزرقى فى ذرع ذلك لأن ما ذكرناه يزيد على ما ذكر الأزرقى ثلاثة أذرع ونصف ذراع وسبع ذراع، ولعل الأزرقى لم يعتبر ما ذكره من الموضع الذى اعتبرناه منه وإنما اعتبر ذلك من طرف العقد الذى يلى العقد الوسط والله أعلم ، وذرع عقود الصفا الثلاثة أحد وعشرون ذراعا بالحديد إلا ثمن ذراع بالحديد وطول الدرجة الأخيرة من درج الصفا السفلى التى تلى الأرض فى محاذاة الثلاثة العقود التى بالصفا اثنان وعشرون ذراعاً بالحديد، وذكر النووى أن عرض فتحة الدرج الذى كان على الصفا نحو خمسين قدما انتهى ، وذكر الأزرقى شيئا من خبر درج الصفا والمروة فنذكر ذلك لإفادته لأنه قال فيما رويناه عنه: حدثنى جدى احمد بن محمد قال كانت الصفا والمروة يشتد فيهما من سعى بينهما ولم يكن [2] بينهما بناء ولا درج حتى كان عبد الصمد بن على فى خلافة أبى جعفر المنصور فبنى درجهما التى هى اليوم درجهما فكان أول من أحدث بناءها ثم كمل بالنورة فى زمن مبارك الطبرى وذلك فى خلافة المأمون انتهى، وذكر الأزرقى أن درج الصفا أربع عشرة درجة وذكر ابن جبير أن درج الصفا أربع عشر درجة، وذكر النووى أن درج الصفا احدى عشرة درجة، وسبب هذا الاختلاف أن الدرج يعلو عليها التراب فينفخها وما أظن النووى شاهد ما ذكره من عدد درج الصفا وإنما قلد فى ذلك الأزرقى وغيره من المصنفين لأنه يبعد أن تعلو الأرض فى عهد النووى إلى اليوم علوا يغيب به من درج الصفا القدر الذى وجدناه مدفونا والله أعلم ، ويتأيد ذلك بأن سليمان بن خليل قال فى الرد على أبى حفص بن الوكيل من الشافعية فى إيجابه الرقى على الصفا والمروة وتعليله إيجاب ذلك بأنه لايمكن استيضاح ما بينهما إلا بالرقى عليهما، وقد كان هذا قبل أن يعلو الوادى لأن

---

(١) على: فى النسخة (ك) .

(٢) فى النسخة (ك) بدون « يكن »

الدرج كانت كثيرة وكان الوادى نازلا حتى إنه كان يصعد درجا كثيرا ليرى البيت حتى قيل: إنه كانت عير الفرسان فى المسعى والرماح قائمة معهم ولا يرى من فى المسجد إلا رءوس الرماح، فأما اليوم فانه يرى البيت من غير أن يرقى على شىء من الدرج انتهى ، ووجه الدلالة من هذا على ما أشرنا إليه أن عصر سليمان بن خليل وعصر النووى متقاربان، وسليمان مات قبل النووى بنحو خمسة عشر سنة، وإذا كان البيت يرى فى عصره من غير رقى على الصفا لعلو الأرض فيكون الحال هكذا فى عصر النووى والله أعلم .

الحادى عشر : طريق ضَبٍّ التى يستحب للحاج أن يسلكها إذا توجه إلى عرفة ، وهى طريق مختصر من المزدلفة إلى عرفة فى أصل الملازمين من يمينك وأنت ذاهب إلى عرفة هكذا عرفها الأزرقى وإنما يستحب للحاج سلوكها لأنه روى أنه صلى الله عليه وسلم سلكها حين غدا من منى إلى عرفة نقل ذلك الأزرقى عن بعض أهل مكة[1] وروى عن عطاء أنه سلكها وقال هى طريق موسى بن عمران .

الثانى عشر : عرفة موضع الوقوف هى خارج الحرم قريب منه روينا فى تاريخ الأزرقى، ووادى عُرنَة بالنون وفى بعض نسخة ووادى عرفة بالفاء ذكر ذلك المحب الطبرى فى شرحه للتنبيه ، وقال هكذا نقلته من نسخة معتنى بها، ووادى عرفة بالفاء وضبطها بفتح العين . وحكاه شيخنا أبو عمرو بن الصلاح إلا أنه قال إلى ملتقى وصيف[2]، ووادى عرنة بالنون وأكد ذلك فقال بعده و بطن عرنة ووادى عرنة مضافان إلى عرنة بضم العين وفتح الراء والنون ، قال المحب : قلت وفيما ذكره نظر لأنه أراد تحديد عرفة أولا وآخرا فجعله من الجبل المشرف على بطن عرنة بالنون فيكون آخره ملتقى وصيف و بطن عرفة بالفاء ولا يصح أن يكون وادى عرنة بالنون لأن وادى عرنة لا ينعطف على عرفة بل هو ممتد مما يلى مكة يميناً وشمالا فكان التقييد بوادى عرفة أصح والله أعلم ، قال : وهذا التحديد 86
يدخل عُرَنَة فى عَرَفَةَ انتهى ، وقال المحب الطبرى أيضا فى القرى : قال الشافعى فى الأوسط من مناسكه وعَرفَة ما جاور وادى عُرنة وليس الوادى ولا المسجد منها إلى الجبل المقابل مما يلى حائط ابن عامر وطريق الحصن وما جاور ذلك فليس من عرفة ، حكى ذلك صاحب الشامل وحكى الشيخ أبو حامد الأسفرائينى الشافعى : أن الشافعى قال فى القديم: وعرفة ما بين الجبل المشرف إلى الجبال المقابلة يميناً وشمالا ، ثم قال يعنى الشيخ : أباحامد: والجبل المشرف أظنه جبل الرحمة ، وقال فى البيان : حد عرفة ما بين الجبل المشرف على بطن عرنة إلى الجبال المقابلة يميناً وشمالا مما يلى حوائط ابن عامر . وطريق الحصن ، قال المحب الطبرى بعد حكايته لذلك قلت : وهذا موافق لما حكاه الشيخ أبو حامد إلا أنه أضاف الجبل المشرف إلى بطن عرنة فكأنه يشير إلى الجبل الطويل فى آخر عرفة حتى

---

(١) فى نسخة : عن بعض المكيين .

(٢) كذا فى الأصل .

يكون مشرفاً على أول عرفة وهذا مغاير لما ظنه الشيخ أبو حامد أنه جبل الرحمة وما ذكره فى البيان هو الصواب . والحمل على جبل الرحمة لا يصلح لأن عرفة يطيف بها ولو جعلنا الخندمة لخرج ما خلفه من عرفة ولاخلاف عند أهل الخبرة بها أنه منها ، ولذلك يقف فيما خلفه من السهل والجبل طوائف من أنواع العرب متطابقين على ذلك من غير إنكار ويكون ماذكره صاحب البيان من الإضافة إلى بطن عرفة بالفاء يريد به عرفة موضع الوقوف ولعله وسطها حتى يكون بطناً وربما صحف[1] قوله بطن عرفة بالفاء ؛ فقيل بطن عرنة بالنون وظن أن التقييد بالفاء غلط ، وليس كذلك بل هى بطن عرفة بالفاء واستدل على ذلك بما يؤيده . انتهى . قلت : وحد عرفة من جهة مكة الذى فيه هذا الاختلاف الآن بين ، وهو علمان بين العلمين اللذين هما حد الحرم إلى جهة عرفة وكان ثمة ثلاثة أعلام فسقط أحدهم وهو إلى جهة المغمس وأثره بين ، ورأيت عنده حجراً ملقى مكتوبا فيه : أمر الأمير الاصفهلار الكبير مظفر الدين بن زين الدين صاحب أربل حسام أمير المؤمنين بإنشاء هذه الأعلام الثلاثة بين منتهى أرض عرفة ووادى عرنة لا يجوز لحاج بيت الله العظيم أن يجاوز هذه الأعلام قبل غروب الشمس ، وفيه كان ذلك بتاريخ شعبان من شهور سنة خمس وستمائة . ورأيت مثل ذلك مكتوباً فى حجر ملقى فى أحد العلمين الباقيين، وفى هذين العلمين مكتوب :أمر بعمارة علمى عرفات وأضاف كاتب ذلك هذا الأمر للمستظهرى العباسى ، ثم قال : وذلك فى شهور سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ذكر مقدار ما بين باب بنى شيبة وهذين العلمين

من باب بنى شيبة إلى العلمين المشار إليهما أربعون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وأحد وثمانون ذراعا وستة أسباع ذراع بذراع اليد ، يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع :أحد عشر ميلا ونصف ميل وربع سبع يزيد ستة أذرع وستة أسباع ذراع. ومن باب المعلاة إلى العلمين المشار[2] إليهما ثمانية وثلاثون ألف ذراع ومائتا ذراع وأربعة وخمسون ذراعا وستة أسباع ذراع بذراع اليد أيضا ، يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع:عشرة أميال وأربعة أخماس ميل وعشر ميل وخمس سبع ميل يزيد أربعة أذرع وستة أسباع ذراع بالذراع المذكور ، وذكرنا فى أصل هذا الكتاب مقدار ذلك على مقتضى الأصول الثلاثة فى مقدار الميل فى اعتبار المسافة من باب المعلاة وفى اعتبار المسافة من باب بنى شيبة .

---

(١) فى النسخة (ك) : صف وهو خطأ .

(٢) فى نسخة : المذكورين ، بدل قوله : المشار إليهما .

ذكر تعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة

قد قام على تحريره جماعة من العلماء ولم أر لأحد منهم فى ذلك مثل ما رأيت للقاضى بدر الدين بن جماعة ولذلك اقتصرت هنا على ذكره فى ذلك : أخبرنى خالى قاضى الحرمين محب الدين النويرى ؛ قال : أخبرنى القاضى عز الدين بن جماعة قال فى منسكه : وينبغى تحرى موقف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجتهد والدى تغمده الله برحمته فى تعيينه وجمع فيه بين الروايات فقال : إنه الفجوة المستعلية المشرفة على الموقف وهى من وراء الموقف صاعدة فى الرابية وهى التى عن يمينها ووراءها صخرتان متصلتان بصخر الجبل المسمى بجبل الرحمة وهذه الفجوة بين الجبل المذكور والبناء المربع عن يساره وهى إلى الجبل أقرب بقليل بحيث يكون الجبل قبالة الواقف اذا استقبل القبلة ويكون طرف الجبل تلقاء وجهه والبناء المربع عن يساره بقليل . وقال : ذكر والدى رحمه الله أنه وافقه على ذلك من يعتمد عليه من محدثى مكة وعلمائها حتى حصل الظن بيقينه ، قال : فإن ظفر بموقف النبى صلى الله عليه وسلم فهو الغاية فى الفضل وإن خفى عليه وقف بين الجبل والبناء المربع على جميع الصخرات والأماكن التى بينها لعله أن يصادف الموقف الشريف النبوى فتفاض عليه بركاته انتهى ، . قلت البناء المربع المشار إليه فى هذا الكلام هو الذى يقال له بيت آدم بعرفة وكان سقاية للحاج أمرت بعملها العجوز والدة المقتدر العباسى على ما هو مكتوب فى حجر فى حائطها القبلى، ومن ركن هذه السقاية الذى يلى جبل الرحمة من جهة مكة إلى الموضع الذى فيه الآن المحامل بعرفة مائة ذراع وأحد عشر ذراعاً بالحديد يكون ذلك بذراع اليد مائة ذراع وستة وعشرين ذراعا وستة أسباع ذراع ، ومن موقف المحامل الآن بعرفة إلى ما يقابله من جهة جبل الرحمة 88
سبعة بتقديم السين وثلاثون ذراعاً بالحديد يكون ذلك بذراع اليد اثنين وأربعين ذراعا وسبعى ذراع . ومن موقف المحامل بعرفة إلى ركن مسجد نمرة الذى يلى عرفة والطريق ثلاثة آلاف وثلثمائة ذراع وخمسة وتسعون ذراعا بتقديم التاء وربع ذراع يكون ذلك بذراع اليد ثلاثة آلاف ذراع وثمانمائة ذراع وستة وسبعين ذراعا بتقديم السين، وذلك ميل وثلاثة أرباع سبع ميل يزيد ذراعا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع — ومن جدار باب بنى شيبة إلى الموضع الذى يقف فيه المحامل الآن بعرفة ثلاثة وأربعون ألف ذراع وثمانية وثمانون ذراعا وسبع ذراع بذراع اليد يكون ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ، اثنى عشر ميلا وخمس ميل وعشر ميل وعشر عشر ميل يزيد ثلاثة أذرع وسبع ذراع ، ومن عتبة باب المعلاة إلى موقف المحامل الآن بعرفة أربعون ألف ذراع وتسعمائة ذراع بتقديم التاء وإحدى وستون ذراعا وسبع ذراع بذراع اليد يكون ذلك على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع إحدى عشر ميلا وثلاثة أخماس ميل وعشر ميل وخمس سبع

عشر ميل يزيد ذراعا وسبع ذراع ولا فضيلة للوقوف على الجبل الذى يقال له جبل الرحمة بعرفة لأن مالكا كره الوقوف على جبل عرفة ، وكان هذا الجبل صعب المرقى فسهله الوزير الجواد الأصفهانى و بنى فيه مسجداً ومصنعاً للماء، والقبة التى فيه الآن جددت فى سنة تسع وتسعين وسبع مائة بعد سقوطها فى التى قبلها وعمارتها من مال أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر وما عرفت فى أى وقت عمرت هذه القبة بهذا الجبل وكانت موجودة فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة على ماذكر ابن جبير وذكر أنها تنسب لأم سلمة رضى الله عنها والله سبحانه وتعالى أعلم بصحة ذلك . 89

ذكر مسجد عرفة وحكم الوقوف فيه

مسجد عرفة هو الذى يصلى فيه الإمام بالناس يوم عرفة، وما ذكرناه من أنه مسجد عرفة يوافق ماذكره الأزرقى فى غير موضع من كتابه ، وذكر المحب الطبرى أن المتعارف فيه عند أهل مكة وتلك الأمكنة مسجد عرفة بالفاء وقيل إنه من عرنة بالنون وهو موافق لما ذكره الشافعى كما سبق فى حد عرفة وتقييد ابن صلاح[1] على مانقل عنه المحب الطبرى، لأنه قال و يقال له مسجد عرنة بالنون وضم العين كذلك قيده ابن الصلاح فى منسكه ثم عقب ذلك بقوله: والمتعارف فيه إلى آخر كلامه وجزم النووى فى كتابه الإيضاح بأنه مسجد عرنة بالنون وذكر ابن الجلاد من أصحابنا المالكية مايقتضى أنه ليس من عرفة بالفاء وذكر ابن المواز أن حائطه القبلى على حد عرفة ولو سقط لسقط فى عرفة انتهى ، وقيل مقدم هذا المسجد من عرنة بالنون ومؤخره من عرفة بالفاء ، ذكر ذلك جماعة من الأئمة الشافعية الخراسانيين ، منهم الشيخ أبو محمد الجوينى وابنه إمام الحرمين والقاضى الحسين فى تعليقه والرافعى، قال الشيخ أبو محمد : و يتميز ذلك بصخرات كبار فرشت فى ذلك الموضع انتهى . و تظهر ثمرة الخلاف فى رجل أخر الوقوف به وتوقف مالك فى إجزاء الوقوف بهذا المسجد وفيه لأصحابنا قولان المنع لأصبغ والإجزاء لمحمد بن المواز وهو مقتضى كلام الشيخ خليل الجندى فى مختصره الذى صنفه لبيان مابه الفتوى مع كراهة الوقوف بهذا المسجد وما قاله الفقهاء المشار إليهم من أن هذا المسجد كله من عرفة أو بعضه يخالف مقتضى رأى من جعل حد عرفة من جهة مكة الأعلام الثلاثة التى عمرها المظفر صاحب أربل وعمر منها المستنصر العباسى العلمين الموجودين الآن لأن فيهما مكتوبا أن صاحب أربل أمر بإنشائهما بين منتهى أرض عرفة بالفاء ووادى عرنة بالنون ووجه مخالفته ذلك لما ذكر الفقهاء فى هذا المسجد أن من ركن المسجد المشار إليه مما يلى عرفة إلى محاذاة العلمين الموجودين الآن سبعمائة ذراع بتقديم السين وأربعة وسبعين ذراعاً بتقديم السين أيضاً وربع ذراع وثمن ذراع كل ذلك بذراع

---

(١) فى النسخة (ك) : الصلاح .

الحديد ، يكون ذلك بذراع اليد ثمانمائة ذراع وخمسة وثمانين ذراعاً ، ومقتضى كون هذه الأعلام علامة لحد عرفة أن يكون المسجد المشار إليه ليس من عرفة وكذلك المسافة التى بين المسجد وبين الأعلام المشار إليها، وذلك يخالف ماذكره الفقهاء المشار إليهم والله أعلم بالصواب ، ويقال لهذا المسجد مسجد إبراهيم وإبراهيم المنسوب إليه هذا المسجد هو الخليل عليه السلام كما هو مقتضى كلام الأزرقى فى غير موضع وجزم به الرافعى والنووى وأنكر ذلك القاضى عز الدين بن جماعة ، قال وليس لذلك أصل وخطأ الشيخ جمال الدين الأستاذ الرافعى والنووى فيما ذكراه من نسبة هذا المسجد للخليل عليه السلام وذكر أن ابن سراقة سبقهما إلى هذا الخطأ فى كتابه الأعداد ، وفيما ذكره الأسنوى وابن جماعة نظر لمخالفته ما يقتضيه كلام الأزرقى وهو عمدة فى هذا الشأن كيف وقد وافقه عليه غير واحد من كبار العلماء ومنهم ابن المنذر فيما نقله عنه سليمان بن خليل والله أعلم ، ولم يذكر الأزرقى الوقت الذى بنى فيه هذا المسجد وذكر ابن عبد البر أنه بنى هذا المسجد بعد مصير الأمر لبنى هاشم بعشر سنين هكذا نقله عن ابن عبد البر الشيخ خليل فى توضيحه على مختصر ابن الحاجب وبه فسر قوله: وإنما حدث بعد بنى هاشم بعشر سنين لأنه يوهم أنه حدث بعد انقراضهم وعلى هذا يكون بنى هذا المسجد فى أوائل عشر الخمسين ومائة والله أعلم[1] .

ذكر هذا المسجد وشىء من صفته

طوله من بابه إلى جداره القبلى مائة ذراع وأحد وتسعون ذراعا وربع ذراع وعرضه من وسط جداريه مائة وأربعون ذراعا إلا ثلث ذراع وارتفاع محرابه ستة أذرع إلا ثلث ودخوله فى الجدار ذراعان وسعة فتحته ثلاثة أذرع إلا ثمن، والمنبر عشر درجات مبنية بالحجارة وارتفاعه إلى الدرجة العليا أربعة أذرع ونصف، والذراع المشار إليه فى هذا الاعتبار هو ذراع الحديد المتقدم ذكره وهذا المسجد جميعه مكشوف ليس فيه رواق، وقد ذكر الأزرقى فى تاريخه صفة هذا المسجد فى زمنه : وذرعه بذراع اليد ، وذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب واقتصرنا على ما ذكرناه هنا من ذرعه لأنه أبلغ فى التعريف وكان تحرير ما ذكرناه بحضورى .

---

(١) فى مرآة الحرمين : أن مسجد عرفة بناه الوزير محمد بن على بن المنصور المعروف بالجواد الأصفهانى ، فى سنة ٥٥٩ هـ كما جاء فى كتاب « منائح الكرم » (ص ٤٤ مرآة الحرمين) ، ولكن كلام الفاسى هنا يشعر بأنه يعنى مسجد نمرة الذى يرجع إنشاؤه إلى العقد الخامس بعد المائة وقد عمر فى عصور مختلفة فمن ذلك عمارة السلطان جقمق سنة ٨٤٣ هـ على يدى الأمير سيدون ، وعمارة السلطان قايتباى سنة ٨٧٤هـ ، وعمر سنة ١٠٧٢ هـ فى زمن السلطان محمد ، على يد سليمان بك والى جدة (راجع ص ٣٣٦ مرآة الحرمين) .

ذكر تسمية عرفة بعرفة وما يتعلق بجمعها وصرفها وحكم الإحياء بها

وأما سبب تسميتها عرفة فلتعارف آدم وحواء فيها لأن آدم أهبط بالهند وحواء بجدة فتعارفا بالموقف قاله الضحاك، وقيل: لأن جبريل عليه السلام عرف الخليل عليه السلام فيه المناسك يوم عرفة. وقيل: الناس يعترفون فيه بذنوبهم وقيل غير ذلك من الأقوال التى ذكرناها فى أصل هذا الكتاب، وهى تسعة أقوال والله أعلم بالصواب، وأما جمعها وصرفها فذكر جوازه جماعة من العلماء منهم النووى لأنه قال: وجمعت على عرفات[1] وإن كان موضعاً واحداً لأن كل جزء منه يسمى عرفة ولهذا كانت معروفة كقصبات، قال النحويون: ويجوز ترك الصرف كما يجوز ترك صرف غايات وأذرعات على أنها اسم مفرد لبقعة انتهى.

وأما حكم الإحياء بها فإنه لا يجوز ولا يملك على ما قال الحسين بن على الطبرى فيما نقله عنه ابن خليل وعلل ذلك بأنها متعبد ومنسك لعامة الناس فصارت كالمساجد، وحكى النووى فى ذلك ثلاثة أوجه، قال: والأصح المنع مطلقا، وهذا أشبه بالمذهب انتهى.

الثالث عشر: عُرنة بالنون، الموضع الذى يجتنب الحاج الوقوف فيه وهو من العلمين اللذين هما حد عرفة والعلمين اللذين هما حد الحرم من هذه الجهة، وذكر ابن حبيب المالكى أنها من الحرم وذلك لا يصح على ماذكر المحب الطبرى فى القرى وذكر أنها عند مالك من عرفة وحكاه ابن المنذر أيضاً عن مالك وفى صحة ذلك عنه نظر لأنه توقف فى إجزاء الوقوف بمسجد عرفة مع كونه مختلفاً فيه. هل هو من عَرفة أو من عُرنة؟ أو بعضه من عَرفة بالفاء وبعضه من عُرنة بالنون؟ فكيف تكون عُرنة بالنون كلها من عَرفة بالفاء عند مالك ولعل من نسبه إليه أنه يرى أن عُرنة بالنون من عَرفة بالفاء، أخذ ذلك مما وقع لمالك من إجزاء الوقوف بهذا المسجد لأن ابن الجلاد ذكر أن الوقوف ببطن عُرنة مكروه. قال: ومن وقف به أجزأه وقوفه. وبطن عُرنة[2] هو المسجد الذى يصلى فيه الإمام انتهى. ولا يلزم من كون مالك يرى إجزاء الوقوف بهذا المسجد أنه يرى عُرنة بالنون كلها من عَرفة بالفاء لاحتمال أنه يرى أن هذا المسجد من عَرفة بالفاء لما حصل له عنده من ضعف الشبهة التى توقف لأجلها فى إجزاء الوقوف بهذا المسجد والله أعلم. وذكر المحب الطبرى أن حد عَرفة الذى ذكره الأزرقى عن ابن عباس رضى الله عنهما يقتضى دخول

---

(١) وهى على بعد ٢١٤٧٦ متراً من باب المعلاة بمكة، ويوجد فى طريق الطائف علمان هما حدود عرفة من جهة مكة وعرفة ميدان واسع أرضه مستوية يبلغ نحو ميلين طولا فى مثلهما عرضا وتحيط به سلسلة جبال على شكل قوس كبير ويمر بطرفى القوس من جهة الجنوب الطريق إلى الطائف، وفى شماليه جبل الرحمة المعروف عند الناس بجبل عرفات وإنما جبل عرفات ما أطاف بهذا الميدان وجبل الرحمة أصغر جزء فيه.

(٢) سقطت هذه الكلمة فى النسخة (م).

عُرنة من عَرفة، وقد سبق فى ذكر عُرنة ماذكره الأزرقى فى حد عرفة واستدلال المحب الطبرى منه على دخول عُرنة فى عَرفة ، ثم قال تلو ذلك : ويؤيد ذلك ما استدل به أصحابنا على أنها ليست منها ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: وارتفعوا عن بطن عُرنة . ولا دلالة فيه على ما قالوه بل دليل على مذهب مالك فإن أمره بالارتفاع عنها يشعر بذلك وتؤيده الرواية الأخرى عَرفة كلها موقف إلا عُرنة ، والاستثناء دليل على دخول المستثنى فى المستثنى منه والاستثناء المنفصل على خلاف الأصل .

نعم فيه دليل على اختلاف حكم الوقوف فيه وفى عرفة وهو عند مالك كذلك وعلى المذهب فمتى وقف فى شىء من حدود عَرفة صح حجه . وإذا وقف فى غيره لايصح حجه انتهى . وعُرنة بضم العين وفتح الراء المهملة هذا هو المشهور فيها . وقيل أيضاً : بضم العين والراء . وقيل : بضم العين وسكون الراء ذكره ابن عبد السلام المالكى فى شرحه لابن الحاجب الفرعى[1] .

90 الرابع عشر : قُزَح، الموضع الذى يستحب فيه للحاج أن يقف عنده غداة يوم النحر، هومكان بالمزدلفة وهوالمكان الذى يجتمع الناس عنده للدعاء غداة يوم النحر ويعرف بالمشعر الحرام . أشار إلى ذلك المحب الطبرى وغيره ، قال فى شرح التنبيه : وقزح بقاف مضمومة ثم زاى مفتوحة ثم حاء مهملة فى وسطه مزدلفة وقد بنى عليها بناء من يمكنه من الوقوف عليه وقف ، وإلا وقف عنده مستقبل القبلة ويكثر من التلبية ، ويدعو بما تقدم ولا ينبغى أن يفعل ما تطابق الناس على فعله من النزول بعد الوقوف عليه من درج فى وسطه ضيقة يزدحم الناس فيها . وذلك بدعة . بل يكون نزوله من حيث رقيه من الدرج الظاهرة . وذكر الإمام أبو عمرو بن الصلاح: أن قزح جبل صغير فى آخر المزدلفة ثم قال : وقد استبدل الناس بالوقوف على الموضع الذى ذكرناه ببناء مستحدث فى وسط المزدلفة . ولا يتأدى به فى هذه السنة ، قال المحب : والظاهر ، أن البناء إنما هو على الجبل كما تقدم والمشاهدة تشهد بصحة ذلك ولم أر ماذكره لغيره انتهى ماذكره المحب الطبرى بنصه وذكر فى كتابه القِرى مثله . وذكر النووى فى الإيضاح أن الأظهر أن للحاج تحصيل السنة بالوقوف على البناء المستحدث، وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب صفة البناء الذى على قزح قديماً[2] وحديثاً وخبر الوقيد فيه، ونشير هنا إلى شىء من ذلك .

---

(١) ويقال لمسجد عرنة : مسجد نمرة . وعلى مسيرة ٢٠ دقيقة من جبل الرحمة علمان يمر بينهما الحجاج، وعلى مسيره ١٥ دقيقة جنوبى هذين العلمين يقع مسجد نمرة ويرجع إنشاؤه إلى العقد الخامس بعد المائة ، وقد عمر فى عصور مختلفة كما سبق .

(٢) يروى أنه لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع أتى قزح ووقف عليه وقال : هذا قزح وهو الموقف، وجمع كلها موقف .

أما صفة البناء الذى على قزح الآن[1] فإنه بناء مربع يشبه المنارة وفى أعلاه اثنتان وعشرون شرافة ، منها فى الجهة القبلية سبع شرافات ، وفى بقيـة الجهات خمس من كل جهة . وله درج من ظاهره و باطنه . وعدد الذى من ظاهره أربع وعشرون والذى من باطنه عشرون ، وارتفاعه فى السماء ثلاثة عشر ذراعاً بذراع الحديد المستعمل فى القماش بمصر ومكة . وذلك من الأرض إلى أعلى الشراريف ، وارتفاعه من الأرض إلى أعلى السطح بغير الشراريف ينقص عن ذلك ذراعين ونصف تقريباً . وذرع تربيعه من كل ناحية اثنا عشر ذراعاً ونصف ذراع بالذراع المشار إليه إلا أن الجهة الشرقية منه تنقص عن بقية الجهات ثلث ذراع ، وكان اعتبار ما ذكرناه من ذرعه وصفته فى ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثمانمائة بحضورى . وصفته هـذه تخالف صفته التى ذكرها الأزرقى واقتصرنا عليها لـكونها أبلغ فى تعريفه ولم أعرف متى بنى هكذا . و بناه فى الجاهلية قصى بن كلاب جد النبى صلى الله عليه وسلم على ما ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد .

وأما خبر الوقيد عليه فإنهم كانوا يوقدون فيه بالشمع فى خلافة الرشيد فلما مات كانوا يوقدون عليه بمصابيح كبار ثم صاروا يوقدون عليه بمصابيح صغار . هذا ملخص ما ذكره الأزرقى فى خبر الوقيد عليه وذكر أنه كان يوقد عليه فى خلافة الرشيد النار والحطب ولم أعرف هل أراد بذلك فى الجاهلية أو فى الإسلام والله أعلم .

وسيأتى ذرع مابين قزح و باب بنى شيبة وما بين قزح و بين باب المعلاة عنـد ذكر المشعر الحرام ، والأصل فى استحباب الوقوف على قزح ما رويناه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أصبح بجمع أتى قزح فوقف عليه وقال : هـذا قزح وهو الموقف ، وجَمْع كلها موقف ، أخرجه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح انتهى .

الخامس عشر : كَدَاء ، الموضع الذى يستحب للمحرم دخول مكة منه وهو الثنية التى بأعلا مكة التى يهبط منها إلى المقبرة المعروفة بالأبطح ويقال لها الحجون الثانى . وما ذكرناه فى تعريف كَدَاء هذا ، ذكر الفاكهى ما يوافقه لأنه قال فى تعريفه : لما فى شق معلاة مكة الشامى كَدَاء: الجبل الشارع على المقبرة والوادى ، وله يقول حسان بن ثابت يوم الفتح :

---

(١) أى سنة ٨١١ هـ وهى السنة التى ذرع الفاسى فيها هذا الموضع ـ راجع ص ٣٣٢ مرآة الحرمين ـ هذا، وفى المزدلفة مسجد صغير بجانب قزح جدده الأمير يلبغا الخاصكى عام ٧٦٠ هـ ، وفى سنة ٨٤٢ هـ أمر السلطان جقمق الأمير سيدون بتعمير هذا المـكان، وفى سنة ٨٧٤ هـ فى سلطنة قايتباى أمر أمير مكة الشريف محمد بن بركات بتبييضه ، وفى سنة ١٠٧٢ هـ عمره سليمان بك والى جدة من قبل السلطان محمد .

عدمت ثنيتى إن لم تروها * تثير النقع عن كتفى كداء[١]

وقال الفاكهى بعد أن ذكر شعب المقبرة فى هذه الجهة وشيئاً من خبره : ومن ثنية المقبرة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وقال بعضهم : قيل : إن ثنية المقبرة هو كَدَاء وهو مشعر بتضعيف هذه المقالة لكونها حكيت بصيغة التمريض لأن النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان دخل من هذه الثنية كَدَاء فلأن الأخبار وافرة صحيحة فى أن النبى صلى الله عليه وسلم حين حج من المدينة دخل إلى مكة من كداء ، وفى تاريخ الأزرقى ما يوافق ماذكره الفاكهى من دخول النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع من هذه الثنية وذلك يقتضى أن تكون أن هذه الثنية كداء المعنى السابق والله أعلم ، وفى كلام غير واحد من المتأخرين تسمية هذه الثنية بكداء . منهم سليمان بن خليل ، والمحب الطبرى ، والنووى ، وقال المحب : هى بالفتح والمد تصرف على إرادة الموضع و بتركه على إرادة البقعة انتهى ، وقد ذكر الأزرقى شيئاً من خبر هذه الثنية وهى الآن بحاميم الأحداث التى بين دار السرى إلى ثنية المقبرة وهى التى قبر أمير المؤمنين أبى جعفر بأصلها ، قال : يعرفها بالحاميم وأولها القرن التى ثنية الدمسين على رامسه بيوت ابن أبى حسين النوفلى والذى يليه القرن المشرف على دار منارة الحبشى فيما بين ثنية الدمسين وهى التى كان ابن الزبير مصلوبا عليها وكان أول من سهلها معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ثم عملها عبد الملك بن مروان ثم كان آخر من بنى ضفائرها ودرجها وجدرها المهدى انتهى ، وذكر ذلك الفاكهى لأنه لم يجزم بكون معاوية أول من سهل هذه الثنية وحكى بصيغة التمريض ، وقال أيضاً : ويقال إن ابن الزبير أول من سهلها انتهى ، فيستفاد مما ذكره الأزرقى والفاكهى قولان فى أول من سهل هذه الثنية والله أعلم بالصواب ، وفى سنة إحدى عشرة وثمانمائة سهل بعض المجاورين بمكة ، أثابه الله ، فى النصف الثانى من سنة سبع عشرة وثمانمائة طريقاً فى هذه الثنية غير الطريق المعتادة وهذه الطريق تكون على يسار الهابط من هذه الثنية إلى المقبرة والأبطح وكانت خرجة ضيقة جدا فتحت ما يليها من الجبل بالمعاول حتى اتسعت فصارت تسع أربع مقاطير من الجمال محملة وكانت قبل ذلك لا تسع إلا واحداً وسهلت أرضها بتراب ردم فيها حتى استوت وصار الناس يسلكونها أكثر من الطريق المعتادة[٢] وجعل بينهما حاجزاً من حجارة مرصوصة وكان فى بعض هذه الطريق قبور فأخفى أثرها[٣] .

---

(١) هكذا ورد البيت فى النسختين ، والصحيح أن روايته هكذا :

عدمنا خيلنا إن لم تروها * تثير النقع موعدها كداء

النقع : الغبار الساطع المرتفع . كداء : جبل بمكة .

(٢) يظهر لى من هذا الوصف أن هذه الثنية هى الثنية التى تؤدى من سوق المعلى أو مايسمى الآن بالحريق إلى المجزرة . فإن هذا الوصف ينطبق عليها تماما إذ أنها تخترق المقابر . وبهذه المناسبة يحسن أن نقول : إن هذه الثنية نحتت من جانبها الشمالى من الشرق إلى الغرب بقدر ما يسع مرور سيارتين إحداهما رواحا والأخرى مجيئا . ونحتها أهل مكة فى زمن الحسين بن على إذ كان أهل الحارة من جميع حوائر مكة يذهبون إليها — ليلا — وينحتونها حتى تم نحت الطريق الذى بها على ما هو عليه الآن ، وأدخلت عليه بعض التحسينات فى عهد الحكومة السعودية .

(٣) وقد جعل سودون المحمدى عام ٨٣٧ هـ هذين الطريقين طريقاً واحداً وردم الطريق الثانية بالحجارة والتراب

السادس عشر : كُدَى ، الموضع الذى يستحب الخروج منه لمن كان فى طريقه هو الثنية التى بأسفل مكة التى بنى عليها بابها المعروف بباب الشبيكة على مايقتضيه كلام المحب الطبرى فى شرح التنبيه لأنه قال فيه : وكدى التى يخرج منها الحاج مضمومة مقصورة وقد بنى عليها باب مكة الذى يتوجه منه إلى عمرة التنعيم انتهى ، و باب مكة الذى أشار إليه المحب هو باب الشبيكة لأن الناس تتوجه منه إلى عمرة التنعيم غالباً ، وذكر النووى ما يؤيد ما ذكره المحب الطبرى فى ضبطها ومكانها لأنه قال فى الإيضاح فى الباب الثالث : الرابعة : السنة أن يدخل مكة من ثنية كداء بفتح الكاف والمد وهى بأعلى مكة ينحدر منها إلى المقابر و إذا خرج راجعاً إلى بلده خرج من ثنية كُدًى بالضم والقصر والتنوين وهى بأسفل مكة بقرب جبل قعيقعان و إلى صوب ذى طوى انتهى ، وذكر القاضى بدر الدين بن جماعة فى منسكه ما يقتضى أن كُدى هـذه هى الثنية التى عندها الموضع المعروف بقرب أبى لهب بطريق العمرة ، ونص كلام ابن جماعة : و إذا خرج[1] من ثنية كُدى بالضم والقصر من أسفل مكة وهى الثنية التى يخرج إليها بباب مكة المعروف بباب الشبيكة وهى الثنية التى يخرج منها إلى المرجم المعروف بقبر أبى لهب يسلك منه إلى الزاهر المتقدم ذكره وغيره ومنه يخرج المعتمرون انتهى ، وكلام ابن جماعة ثم يخالف ما ذكره[2] المحب الطبرى الذى يعتد به فى معرفة ذلك والله أعلم بالصواب ، ومن هذه الثنية دخل قيس بن سعد بن عبادة يوم فتح مكة على ما ذكر الأزرقى ، وذكر ما يقتضى أن حسان بن ثابت عناها بقوله السابق فى كداء بالفتح وأنشد على غير ما أنشده الفاكهى لأنه قال :

عدمنا خيلنا إن لم تروها * تثير النقع موعدها كداء انتهى

92 و بأسفل مكة ثنية يقال لها : كدى ، بالضم وتشديد الياء وتنوينها يخرج منها إلى جهة اليمن ذكر ذلك المحب الطبرى قال : وقد بنى عليها باب مكة الذى يدخل منه أهل اليمن ويخرجون هكذا قال فى شرح التنبيه ، وقال فى القرى : والثالثة كدى ، بالضم وتشديد الياء مصغر موضع بأسفل مكة والأوليان هما المشهورتان ، وهـذه يخرج منها إلى جهة اليمن هكذا ضبط عن المحققين ومنهم أبو العباس أحمد بن أحمر العذرى فإنه كان يرويه على أهل المعرفة بمواضع مكة من أهلها حكاه عنه الحميدى انتهى ، وما ذكره من أنه بنى على الثنية التى يقال لها كدى بالتصغير باب مكة الذى يدخل منه أهل اليمن و يخرجون يخالف مايقوله الناس فيها لأنهم يذكرون أنها الثنية التى يهبط منها إلى خم ، وخم : شعب مشهور وليس هو خم الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم عند غديره : من كنت مولاه فعلى مولاه[3] الوارد فى فضل على بن أبى طالب فإنه موضع عند الجحفة و بينها و بين باب مكة الذى أشار إليه المحب الطبرى غلوتان والله أعلم .

---

(١) فى النسخة (م) : يخرج . (٢) فى النسخة (ك) : ماقاله . (٣) فى النسخة (ك) : بعد «مولاه» : الحديث .

وممن ذكر هذا الموضع سليمان بن خليل لأنه قال : وأما كدى بالتصغير بضم الكاف وفتح الدال فإنه جبل بأسفل مكة يخرج منها إلى اليمن انتهى ، وما ذكرناه فى ضبط كداء العليا وكدى السفلى التى بنى عليها باب الشبيكة هو الصواب وضبط بعضهم العليا بالضم وهذه السفلى بالفتح ونسب النووى قائل ذلك إلى الغلط والتصحيف وذكر صاحب المطالع ما يشهد لمن ضبط العليا بالضم ولكن المشهور فيها الفتح والله أعلم ، وذكر الفاكهى ما يقتضى أن بأعلى مكة موضعاً آخر يقال له كداء غير كداء الذى هو ثنية المقبرة لأنه قال : كداء : الجبل المشرف على الوادى مقابل مقبرة أهل مكة، اليوم تحته بيوت عبد الرحمن بن يزيد وابن خلف مولى العباس بن محمد وهو ممتد إلى دار الأراكة انتهى ، ذكر هذا فى تعريفه لما فى شق معلى مكة اليمانى وذكر ماسبق فى كداء الذى هو ثنية المقبرة فى شق معلاة مكة الشامى وتغاير الجهتين يقتضى مغايرة المكانين ، وذكر فى موضع آخر ما يقتضى أن كدا موضعاً بأعلى مكة غير كداء الذى هو ثنية المقبرة ولم يتعرض لضبط ذلك فبقى[1] المواضع أربعة، اثنان لا تعلق لهما بالمناسك واثنان لهما تعلق بالمناسك وهما كداء الذى هو ثنية المقبرة وكدى الذى هو فى طريق المدينة وإنما استحب الخروج منه والدخول إلى مكة من اذاخر لكون النبى صلى الله عليه وسلم فعل ذلك فى حجة الوداع وأما فى فتح مكة فدخل من ثنية أذاخر بأعلى مكة على ما ذكره ابن إسحاق فى سيرته والأزرقى ، وذكر موسى بن عقبة ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح من كداء بأعلى مكة وكذلك الزبير بن العوام رضى الله عنه والله أعلم بالصواب . وأما ما عمرته من الجعرانة فدخل صلى الله عليه وسلم مكة من أسفلها وخرج من أسفلها كذا فى خبر ذكره الفاكهى بإسناده وفيه من لم أعرفه والله أعلم[2] .

السابع عشر : المأزمان اللذان يستحب للحاج أن يسلك طريقهما إذا رجع من عرفة، هو الموضع الذى تسميه أهل مكة الآن المضيق بين مزدلفة وعرفة ، قال صاحب المطالع : المأزمان مهموز مثنى ، قال ابن شعبان : هما جبلا مكة وليسا من المزدلفة انتهى ، وقال النووى فى التهذيب : والمأزمان جبلان بين عرفات ومزدلفة بينهما طريق. هذا معناهما عند الفقهاء فقولهم : على طريق المأزمين أى الطريق التى بينهما ، وأما أهل اللغة فقالوا : المأزم الطريق الضيق بين جبلين انتهى باختصار، وذكر المحب معنى ذلك قال: وأنكر بعض الناس على الفقهاء ترك همز المأزمين وعده لحنا، وهذه عبارة غير محررة فإن ترك الهمز فى المثال جائز باتفاق أهل العربية فمن همز فهو الأصل ومن لم يهمز فعلى التخفيف

---

(١) فتصير المواضع : فى النسخة (ك) .

(٢) وعلى قول من قال : إن كدى هى الثنية التى كان عليها باب الشبيكة تكون هذه الثنية هى الثنية التى بين جرول وحارة الباب عند المكان الذى يقال له اليوم : ربع الرسان . وليس بأسفل مكة من ناحية اليمن ما يدل على أن هناك ثنية فى مدخل مكة ولكن أثر هاتين الثنيتين فى مدخلى مكة من أعلاها من جهة المقابر ومن أدناها من جهة جرول بين ظاهر .

فهما فصيحان انتهى ، وذكر الأزرقى أن ذرع مابين الجبلين[1] مائة ذراع واثنى عشر اصبعا ، وذكر ذلك
93 ابن خليل هكذا . قلت : ومن أول هذين المأزمين مما يلى المزدلفة إلى العلمين اللذين هما حد عرفة اثنا عشر ألف ذراع وثلاثة وتسعون[2] بتقديم التاء وثلاثة أسباع بذراع اليد المتقدم، وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب مقدار ذلك بالأميال على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقداره ، ومن أول هذين المأزمين مما يلى المزدلفة إلى العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع بتقديم التاء واثنان وعشرون ذراعا وذكرنا فى أصل هذا الكتاب مقدار ذلك بالأميال ولذلك تركنا ذكره هنا .

الثامن عشر : « مُحَسِّر » الموضع الذى يستحب للحاج الإسراع فيه هو واد بين منى والمزدلفة على حدهما وليس منهما أشار إلى ذلك النووى فى الإيضاح والمحب الطبرى فى القرى وذكر أن فى حديث الفضل بن عباس مايدل على أنه من منى والحديث فى الصحيحين . ونقل صاحب المطالع ما يدل على أن بعض « محسر » من منى وبعضه من المزدلفة وصوب ذلك ، وذكر سليمان بن خليل والمحب الطبرى ما يدل على أن « محسر » الموضع الذى يقال له وادى النار وهو مشهور بذلك إلى الآن ، ويقال ذلك أيضاً للموضع الذى ينزله الآن بنو حسن بمنى وبينه وبين محسر فلوات ، ولعل ذلك لقربه من محسر والله أعلم . ويقال لمحسر : المهلهل لأن الناس إذا وصلوا إليه فى حجهم هللوا فيه وأسرعوا السير فى الوادى المتصل به والمهلل المشار إليه مكان مرتفع عنده بركتان معطلتان بلحف قرن جبل عال ويتصل بهما آثار حائط ويكون ذلك كله على يمين الذاهب إلى عرفات ويسار الذاهب إلى منى . ولما عرفه ابن صلاح قال : وأول محسر من القرن المشرف من الجبل الذى على يسار الذاهب إلى منى ، ثم قال : وأهل مكة يسمونه وادى النار انتهى . وكون محسر عند الموضع الذى يقال له المهلهل أى مشهور عند الناس والله
94 أعلم . ويتأيد ذلك بأن من رأس المهلل إلى منتهى منى من جهة مكة وهو[3] العقبة التى هى حد منى تسعة آلاف ذراع ومائة ذراع وتسعة بتقديم التاء وثلاثين ذراعا وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد ، وذلك يقارب ماذكره الأزرقى فى قدر منى وهو على ما ذكر سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع ، وذكر المحب وابن خليل أنه سمى محسرا لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه أى أعيا . قلت : وفى ذلك نظر لأن ابن الأثير ذكر فى نهاية الغريب أن هذا الفيل لم يدخل الحرم ذكر ذلك فى مادة حبس عند قوله : حبسها حابس الفيل ، وذكر الأزرقى أن وادى محسر خمسمائة ذراع وخمسة وأربعون ذراعاً انتهى . واتفق الأئمة الأربعة على استحباب الإسراع فيه قدر رمية حجر للراكب والماشى ، وحكى الرافعى وجهاً ضعيفاً أن الماشى لا يستحب له الإسراع ، والأصل فى استحباب الإسراع فى هذا

---

(١) فى النسخة (ك) : مأزمى عرفات . (٢) فى النسخة (ك) : ذراعا .
(٣) فى النسخة (ك) : طرف .

المكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فيه ، وجاء فى بعض الأحاديث مايقتضى خلاف ذلك لكن الأحاديث فى الإسراع أكثر وأصح وقدمت على ما خالفها لأنها مثبتة ، واختلف فى تحريكه صلى الله عليه وسلم راحلته فى هذا الموضع فقيل : يجوز أنه فعل ذلك لسعة الموضع ، وقيل : إنه فعل ذلك لأجل أن مأوى الموضع للشياطين فاستحب صلى الله عليه وسلم الإسراع فيه ، ولعله المشار إليه بقول عمر بن الخطاب حين أفاض من عرفة إلى المزدلفة :

إليك تعدو قلقا وضينها * مخالفاً دين النصارى دينها

ومحسر بميم مضمومة ثم حاء مفتوحة ثم سين مشددة مكسورة ثم راء مهملات هكذا ضبطه النووى وغيره .

التاسع عشر : المحصب[1] الذى يستحب للحاج النزول فيه بعد انصرافه من منى وهو مسيل بين مكة ومنى وهو أقرب إلى مكة بكثير ، وقد صرح الأزرقى بحده من جهة مكة ووقع فى كلامه ما يوهم حده من جهة منى ، ونص كلامه : وحد المحصب من الحجون مصعداً فى الشق الأيسر وأنت ذاهب إلى منى إلى حائط خرمان مرتفع على بطن الوادى انتهى . والحجون المشار إليه فى هذا الحد هو الجبل المتقدم ذكره ، وقد تقدم لنا أنه أحد الجبلين اللذين بينهما الشعب الذى تسميه الناس شعب العفاريت بالمعلاة على يمين الذاهب إلى منى ويعرف أحد الجبلين بجبل ابن عمر لأن فيه ما يقال قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو الذى على يمين الداخل إلى الشعب المشار إليه ، وإذا تقرر أن الحجون بهذا المكان فيكون ذلك فيه حد المحصب من جهة مكة كما هو مقتضى[2] الأزرقى المتقدم ذكره ، ووقع للشيخ تقى الدين بن الصلاح فى منسكه ، والشيخ محيى الدين النووى فى إيضاحه وغيره ، والشيخ محب الدين الطبرى فى القرى ما يوهم أن حد المحصب من جهة مكة دون الموضع الذى أشرنا إليه فى تفسير الحجون. ونص كلام ابن الصلاح: والمحصب بالأبطح وهو ما بين الجبل الذى عنده مقبرة أهل مكة إلى الجبل الذى يقابله مصعداً فى الشق الأيسر وأنت ذاهب إلى منى مرتفعاً عن بطن الوادى وليست المقبرة منه وإنما سمى المحصب لأن السيل يجمع فيه الحصباء انتهى . وكلام النووى والمحب مثل هذا انتهى . وللقاضى عز الدين بن جماعة فى منسكه الكبير فى حد المحصب كلام مثل هذا ، ولا تضاد بين ما ذكرناه فى كون حد المحصب من جهة مكة الموضع الذى ذكرناه فى تفسير الحجون وبين ما قاله ابن الصلاح ومن ذكر من العلماء أن المقبرة ليست من المحصب

95

---

(١) هو جزء من الطريق إلى منى وهو مسيل للماء كان به سبيل يسمى « سبيل الست » ، وبالمحصب نزل النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من منى ، والمسافة بين باب بنى شيبة (باب السلام) إلى سبيل الست الذى هو حد المحصب من جهة منى ٧٥٠٠ ذراعاً بذراع اليد أى ٣٦٧٥ مترا ، والمسافة من باب بنى شيبة إلى مقبرة المعلاة ١٠٤٢ مترا فالمسافة بين باب المعلاة وسبيل الست ٢٣٨٧ مترا أى طول الوادى المسمى المحصب ، ويطلق المحصب على الموضع الذى ترمى فيه الجمار .

(٢) فى النسخة (ك) : مقتضى كلام .

لأن سواد هؤلاء العلماء المشار إليهم أجمعوا على التحديد بالجبل الذى عنده مقبرة أهل مكة فى تعريفهم المحصب : الجبل الذى على يسار الهابط من ثنية كداء بفتح الكاف والمد ، فإن مقبرة أهل مكة عنده أو الجبل الذى على يمين الهابط من الثنية المشار إليها فإن عنده أيضاً مقبرة لأهل مكة وأيهما كان المراد فهو يقابل الموضع الذى ذكرناه فى تفسير الحجون فيكون هذا الموضع حد المحصب من جهة[1] ويكون ماحاذاه من المقبرة مستثنى من أرض المحصب لا من طوله ويتفق كلام هؤلاء الأئمة وكلام الأزرقى فى حد المحصب من جهة مكة ولو كان حد المحصب طولا من جهة مكة عند ابن الصلاح ومن قال بقوله من الأئمة المشار إليهم دون الموضع الذى أشرنا إليه فى حد المحصب وأن المقبرة غير داخلة فى حده طولا لقالوا حده من جهة مكة طرف المقبرة من أعلاها ولم يحتاجوا إلى التنبيه على أن المقبرة لاتدخل فيه فإن هذه العبارة وما شابهها تقتضى ذلك ولكن لما كان المحصب من جهة مكة الموضع الذى أشرنا إليه ولم يكن فى محاذاته سوى أحد الجبلين اللذين بينهما الثنية المشار إليها قالوا فى تعريفه : هو مابين الجبل الذى عند مقبرة أهل مكة والجبل المقابل له يعنون الحجون واستثنوا المقبرة مما بين الجبلين لأن موضعها ليس محصبا لمزدلفة فإن المحصب هو ما سهل من الأرض لأن العلماء فسروا المحصب بأنه الموضع الذى يجتمع فيه حصب من السيل وموضع المقبرة ليس بهذه الصفة ويدل لصحة هذا التأويل أن المحصب هو الأبطح ، والبطحاء على ما قال المحب الطبرى ولا ريب فى كون الموضع الذى أشرنا إليه من الأبطح والله أعلم . وأما حد المحصب من جهة منى فوقع فى كلام الأزرقى مايوهم أنه إلى حائط خرمان وهو الأودان المعروفة بالخرمانية بأعلى المعابدة ولفظ الأزرقى الذى أوهم كون هذا الموضع حد المحصب قوله فى الحد السابق إلى حائط خرمان ويحتمل أن لا يكون تعرض لحده وإن أراد أن الموضع الذى ينزل من المحصب يكون على يسار الذاهب إلى منى وعلى يسار الذاهب إلى حائط خرمان ، وهو أقرب والله أعلم ، لأنى وجدت فى كلام منقول عن الشافعى ما يقتضى أن حد المحصب من جهة منى جبل العيرة وهو بقرب السبيل الذى يقال له سبيل الست وطريق منى إلى جهته لا إلى جهة منى . ونص الكلام الذى رأيته للشافعى فى ذلك على مانقل سليمان بن خليل فى منسكه قال الشافعى : المحصب مابين الجبلين جبل العيرة والجبل الآخر وهو على باب مكة بالأبطح هذا نقل الشيخ أبو حامد فى التعليق انتهى من منسك ابن خليل وهو يقتضى أن حد المحصب من جهة جبل المقبرة وجبل العيرة حد الميل الثانى من الأميال التى ذكرها الأزرقى فيما بين باب بنى شيبة وموقف الإمام بعرفة لأنه قال لما ذكر هذه الأميال والميل الثانى فى حد جبل العيرة قال : وفى موضع[2] العيرة الجبل الذى عند الميل على يمين الذاهب إلى منى انتهى ، وقد اعتبرنا من باب بنى شيبة إلى السبيل الذى يقال له سبيل الست فجاء ميلين كل

---

(١) فى النسخة (ك) : جهة مكة .

(٢) فى النسخة (ك) : وفى موضع آخر .

ميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع فاستفدنا من هذا أن جبل العيرة عند هذا السبيل وأنه حد المحصب من جهة منى والله أعلم . وأما قول صاحب المطالع : المحصب بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب فليس بظاهر وقد نبه على ذلك النووى والله أعلم ، والمحصب هو خيف بنى كنانة التى تقاسمت فيه قريش على الكفر .

العشرون : المروة الموضع الذى هو منتهى السعى هو فى أصل جبل قعيقعان على ماقال أبو عبد الله البكرى[1] وقال النووى : إنها أنف من جبل قعيقعان، وذكر سليمان بن خليل سبب تسمية الصفا والمروة وكذلك المحب الطبرى ونص ما ذكره سليمان بن خليل . وقال جعفر بن محمد : نزل آدم على الصفا وحواء على المروة فسمى الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة وهى الصخرة الملساء وجمع المروة المروات بمثل عشرة وعشرات[2] ونص ما ذكره المحب الطبرى فى شرح الأصل الحجر الأبيض البراق وقيل : الذى يقدح منه النار فسمى الجبلان بذلك لتضمنهما هذا المعنى والله أعلم . ثم قال : وقد بنى على الصفا والمروة أبنية حتى سترتهما بحيث لا يظهر منهما شىء غير يسير فى الصفا قال : والمروة أيضاً فى وجهها عقد كبير مشرف . والظاهر أنه جعل علما لحد المروة و إلا كان وضعه ذلك عبثا وقد تواتر كونه حدا بنقل الخلف عن السلف وتطابق الناسكون عليه فينبغى للساعى أن يمر تحته ويرقى على البناء المرتفع عن الأرض انتهى . قلت : البناء المرتفع الذى أشار إليه المحب كهيئة الدكة وله درجة وذكر الأزرقى والبكرى فى ذرع المروة ما يخالف حالها اليوم . أما الأزرقى فإنه قال فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله : ذكر ذرع مابين الركن الأسود إلى الصفا وذرع مابين الصفا والمروة وعلى المروة خمس عشرة درجة انتهى ، وذكر فى هذه الترجمة درج الصفا ونص كلامه على الصفا اثنتا عشرة درجة من حجارة انتهى ، وذكر البكرى فى درج المروة مثل ماذكره الأزرقى ، وذكر ابن جبير أن درج المروة خمس درجات، وذكر النووى أن فيها درجتين والذى فيها الآن واحدة ، والعقد الذى بالمروة جدد بعد سقوطه فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها وعمارته هذه من نقل الملك الظاهر برقوق[3] واسمه مكتوب بسبب هذه العمارة فى أعلى هذا العقد وفى الصفا أيضاً وما أظن أن عقد الصفا بنى و إنما أظن أنه نوّر وأصلح وسبب ترددى فى ذلك أنى رحلت من مكة فى آخر سنة إحدى وثمانمائة رحلتى الثانية إلى الديار المصرية والشامية ومن تحت هذا العقد (إلى أول درجه الدركة التى بالمروة داخل العقد)[4] سبعة أذرع ومن تحت العقد الذى بالمروة إلى الذى يستدبره مستقبل القبلة ثمانية عشر ذراعا وثلثا ذراع كل ذلك بذراع اليد واتساع هذا العقد ستة عشر ذراعا بذراع الحديد المصرى والمروة أفضل من الصفا على ماقال شيخ الإسلام عزالدين

96

---

(١) المروة فى الشمال الشرقى للمسجد الحرام على بعد منه وهى منتهى السعى فى أصل الجبل المذكور .

(٢) فى النسخة (ك) : نمرة ونمرات .

(٣) توفى برقوق عام ٨٠١هـ - ١٣٩٩م وخلف مدرسته العظيمة بالقاهرة بموضع النحاسين الشهيرة بجامع برقوق .

(٤) مابين القوسين من زيادة النسخة (ك) .

عبد العزيز بن عبد السلام وكذا تلميذه الشهاب القرافى لكونها تزاد من الصفا أربعا والصفا لا يزاد منها إلا ثلثا[1] وما كانت العبادة فيه أكثر فهو أفضل وذكر القاضى عز الدين بن جماعة أن فى ذلك نظرا وقال لو قيل بتفضيل الصفا لأن الله سبحانه وتعالى عز وجل بدأ به لكان أظهر ولو قيل بتفضيل المروة باختصاصها بالنحر والذبح دون الصفا لكان أظهر مما قالاه والله أعلم .

الحادى والعشرون : المزدلفة الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله والمبيت فيه بعد دفعه من عرفة ليلا هو مابين مأزمى عرفة ومحسر ومأزما عرفة هو الذى يقال له المضيق وقد ذكر حد المزدلفة بما ذكرناه جماعة من العلماء منهم عطاء كما فى تاريخ الأزرقى عنه والإمام الشافعى فى كتابه الأم لأنه قال المزدلفة حدها من حيث يفيض من مأزمى عرفات إلى أن يأتى قرن محسر هكذا على يمينك وشمالك من تلك المواطن العوالى والظواهر والنجاد والوادى كل ذلك من المزدلفة انتهى ، وسميت مزدلفة لازدلاف الناس إليها أى اقترابهم وقيل لمجىء الناس إليها فى زلف من الليل أى ساعات وقيل غير ذلك ويقال للمزدلفة جمع سميت بذلك لاجتماع الناس بها وقيل لاجتماع آدم وحواء فيها وقيل لجمع الصلاتين فيها وبها مسجد حول قزح وهو صغير مربع ليس بالطويل الحيطان طوله إلى جهة القبلة ستة وعشرون ذراعا إلا ثلث ذراع غير أن الجهة التى عن يسار المصلى تنقص فى الطول عن الجهة اليمنى خمسة أذرع إلا ثلث ذراع وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وفى قبلته محراب فيه حجر مكتوب فيه أن الأمير يلبغا الخاصكى جدد هذا المكان بتاريخ ذى القعدة سنة ستين وسبعمائة[2] وقد ذكر الأزرقى صفة مسجد المزدلفة وذرعه وذكرنا كلامه بنصه فى أصل هذا الكتاب وكان تحرير ماذكرناه من ذرع هذا المسجد بحضورى والذراع الذى حررناه هو ذراع الحديد المتقدم ذكره وطول المزدلفة من حدها الذى يلى منى وهو طرف وادى محسر إلى حد مزدلفة الذى يلى عرفة وهو أول المأزمين مما يلى المزدلفة سبعة آلاف ذراع وسبعمائة ذراع وثمانون ذارعا وأربعة أسباع ومن جدار باب بنى شيبة إلى حد مزدلفة من جهة منى ومكة عشرون ألف ذراع وخمسمائة ذراع وسبعة أذرع بتقديم السين وثلاثة أسباع ذراع يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع خمسة أميال وستة أسباع ميل يزيد سبعة أذرع بتقديم السين وثلاثة أسباع ذراع ومن باب المعلاة إلى حد المزدلفة المشار إليه ثمانية عشر ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمانون ذراعا وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع خمسة أميال وربع ميل يزيد خمسمائة أذرع وثلاثة أسباع ذراع والله أعلم .

---

(١) فى النسخة (ك) : ثلاثا .

(٢) وفى سنة ٨٤٢ هـ أمر السلطان جقمق الأمير سيدون بتعمير هذا المسجد وفى سنة ، ٨٧٤ هـ فى سلطنة قايتباى أمر أمير مكة الشريف محمد بن بركات بتبييضه وفى سنة ١٠٧٢ هـ عمره سليمان بك والى جدة من قبل السلطان محمد ، وكان المسجد مهدما بعض جدره عام ١٣٢٠ هـ .

الثانى والعشرون : المشعر الحرام الذى يستحب للحاج الوقوف عنده للدعاء والذكر غداة يوم النحر هوموضع معروف بالمزدلفة وهو قزح الذى تقدم ذكره وحديث جابر الطويل يدل على أن المشعر الحرام موضع من المزدلفة لا كلها لأنه قال فيه بعد أن ذكر نزول النبى صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة ومبيته بها وصلاته فيها الصبح ثم ركب القصوى حتى أتى المسجد [1] الحرام فاستقبل القبلة فدعا وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا ودفع قبل أن تطلع الشمس، وفى حديث على السابق عند ذكر قزح ما يؤيد ذلك لأن قزح هو المشعر الحرام والله أعلم . وأما قول ابن عمر المشعر الحرام المزدلفة كلها ومثله فى كثير من كتب التفسير فى تفسير قوله تعالى « فاذكروا الله عند المشعر الحرام » فهو محمول على المجاز أشار إلى ذلك المحب الطبرى والأفصح فى المشعر الحرام فتح الميم وكسرها لغة حكاه الجوهرى وغيره ولم ترد إلا بالفتح ومعنى المشعر الحرام أى الذى يحرم فيه الصيد وغيره ويجوز أن يكون معناه الحرمة والله أعلم ، وأحدث وقت بنى فيه المشعر الحرام فيما علمت سنة تسع وخمسين وسبعمائة أوفى التى بعدها ومن جدار باب بنى شيبة إلى جدار المشعر الحرام الذى يلى مكة المكرمة خمسة وعشرون ألف ذراع وسبعمائة ذراع بتقديم السين وثمانية أذرع وأربعة أسباع ذراع بذراع اليد يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف 98
وخمسمائة ذراع سبعة أميال بتقديم السين وخمس ميل وسبع ميل يزيد ثمانية أذرع وأربعة أتساع ذراع ومن عتبة باب المعلاة إلى جدار المشعر الحرام الذى يلى مكة ثلاثة وعشرون ألف ذراع وستمائة ذراع وواحد وثمانون ذراعا وأربعة أسباع ذراع يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع ستة أميال وخمسة أسباع ميل ونصف عشر ميل يزيد ستة أذرع وأربعة أسباع ذراع والله أعلم .

الثالث والعشرون : المطاف المذكور فى كتب الفقهاء وهو ما بين الكعبة ومقام ابراهيم الخليل عليه السلام وما يقارب ذلك من جميع جوانب الكعبة وقد أشار إلى تعريفه بما ذكرناه الشيخ أبو محمد الجوينى فيما نقله عنه ابن الصلاح فى منسكه لأنه قال : قال الشيخ أبو محمد : المطاف المعتاد الذى يستنكر ويستبعد مجاورته هوما بين الكعبة والمقام وفى كل جانب فى العادة أمارات منصوبة لا يكاد الناس يخرجون عنها انتهى ، قلت وهذا الموضع مفروش بالحجارة المنحوتة حول الكعبة من جوانبها وعمل ذلك دفعات حتى صار على ماهو عليه اليوم وكان مصيره هكذا فى سنة ست وستين وسبعمائة والمعمول منه فى هذه السنة جانب كبير جدا وهاتان العمارتان من جهة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر ، وعمر الطواف من ملوك مصر الملك المنصور لاجين المنصورى واسمه مكتوب بسبب ذلك فى رخامة بين الركن اليمانى والحجر الأسود وعمره من الخلفاء المستنصر العباسى فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة واسمه مكتوب بسبب ذلك فى الحفرة التى عند باب الكعبة وقد بين الفاكهى أول من فرش الحجارة فى

---

(١) فى النسخة (ك) المشعر وهو الصحيح

موضع الطواف ومقدار ذلك وما كان يضع فى موضعه لأنه قال ذكر فرش الطواف بأى شىء هو قال بعض المكيين إن عبد الله بن الزبير لما بنى الكعبة وفرغ من بنائها وخلقها وطلاها بالمسك وفرش أرضها من داخلها بقيت من الحجارة بقية ففرش بها حول الطواف كما يدور البيت نحوا من عشرة أذرع وذلك الفرش باق إلى اليوم إذا جاء الحاج فى الموسم جعل على تلك الحجارة رمل من رمل الكثيب الذى بأسفل مكة يدعى كثيب الرمضة وذلك أن الحجبة يشترون له رملا كثيرا فيجعل فى الطواف ويجعل الرمل فوقه ويرش بالماء حتى يتلبد ويؤخذ بقية ذلك الرمل فيجعل فى زاوية المسجد الذى يلى باب بنى سهم فإذا خف ذلك الرمل أعادوه عليه ويرشوا عليه الماء حتى يتلبد فيطوف الناس عليه فيكون ألين على أقدامهم فى الطواف فإذا كان الصيف وحمى ذلك الرمل من شدة الحر أمر غلمان زمزم وغلمان الكعبة أن يستقوا من ماء زمزم فى قرب ثم يحملونها على رقابهم حتى يرش به رمل الطواف فيتلبد ويسكن حره وكذلك أيضا يرشون الصف الأول وخلف المقام كما يدور الصف حول البيت انتهى، وقد اعتبر بعض أصحابنا بحضورى مقدار ما بين منتهى ذلك وبين الكعبة المعظمة من جميع جوانبها فكان مقدار ما بين الحجر الأسود وطرف البلاط المحاذى له على الاستواء فى الجهة اليمنية خمسة وعشرين ذراعاً إلا ثلث ذراع ، وما بين الحجر الأسود وطرف البلاط المحاذى لوسط مقام الحنابلة اثنين وعشرين ذراعاً وثلث ذراع ، وما بين الحجر وجدار زمزم ثلاثون ذراعاً وثلثى ذراع ، وما بين الركن الشامى الذى يقال له العراقى وآخر تدوير المطاف المسامت له إلى الجهة الشرقية أربعة وعشرون ذراعاً ونصف ومن الركن الشامى إلى آخر البلاط المحاذى له فى الجهة الشامية سبعة وثلاثون ذراعاً وربع ذراع ومن وسط جدار الحجر إلى آخر البلاط الذى أمام مقام الحنفية اثنان وعشرون ذراعاً ، وما بين الركن الغربى وآخر البلاط المحاذى له من الجهة الشامية والغربية ثلاثون ذراعاً ، وما بين نصف الجهة الغربية من الكعبة وآخر البلاط المقابل لذلك على الاستواء مثل ذلك ، وما بين الركن اليمانى وآخر البلاط المقابل له من الجهة الغربية تسعة وعشرون ذراعاً إلا ثلث ذراع ، وما بين الركن اليمانى وآخر البلاط المقابل له من جهته اليمنى سبعة وعشرون ذراعاً وثلث ذراع وكذلك ، ما بين وسط الجهة اليمانية من الكعبة وآخر البلاط المحاذى له والذراع المحرر به هو الذراع الحديد المتقدم ذكره. وينبغى للطائف أن لا يخرج عن هذا المكان فى طوافه لأن فى الجواهر لابن شاش على مذهب الإمام مالك : لا يطوف من وراء زمزم ولا من وراء السقائف فلو فعل مختارا أعاد مادام بمكة فإذا رجع إلى بلده فهل يجزيه الهدى أم يلزمه الرجوع المتأخرين قولان انتهى ، ونحوه لابن بشير وابن الحاجب فى مختصره وقد بسطنا هذه المسئلة فى أصل هذا الكتاب والسقائف أروقة المسجد الحرام وأما مقدار الطواف بالكعبة فذكره الأزرقى وسليمان ابن خليل وبينهما فى ذلك اختلاف لأن الأزرقى ذكر أن طواف سبع بالكعبة ثمانمائة ذراع وستة وثلاثون ذراعاً وعشرون اصبعا انتهى . وذكر سليمان بن خليل أن ذرع موضع الطواف مائة ذراع وسبعة أذرع انتهى ،

وما ذكره ابن خليل فى مقدار موضع الطواف يقتضى أن يكون سبعا بالكعبة سبعمائة ذراع وتسعة بتقديم التاء على السين وأربعين ذراعاً وذلك ينقص عما ذكره الأزرقى فى مقدار ذلك سبعة وثمانين ذراعاً وعشرين اصبعا والله أعلم بالصواب ، وذكر ابن خرداذبة ما يوافق ماذكره ابن خليل لأنه قال ودور البيت مائة ذراع وسبعة أذرع انتهى ، ولعل ابن خليل قلده فى ذلك والله أعلم ،

الرابع والعشرون : منى الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله والإقامة به حتى تطلع الشمس على ثبير فى يوم عرفة وفى يوم النحر وفيما بعده من أيام التشريق والمبيت به فى ليالى أيام التشريق لأن رمى الجمار هو من أعلى العقبة التى فيها الجمرة التى تلى مكة المعروفة بجمرة العقبة إلى واد محسر وقد حد منى بذلك عطاء بن أبى رباح فيما ذكره عنه الفاكهى لأنه قال : حدثنا الزبير بن أبى بكر قال : حدثنى يحيى بن محمد ثوبان عن رباح عن الزنجى بن خالد 100 عن ابن جريج عن عطاء قال : حد منى رأس العقبة مما يلى منى إلى النحر انتهى ؛ وقوله إلى النحر تصحيف صوابه إلى محسر لأنه حد منى من جهة المزدلفة على ما قال غير واحد من العلماء ولم يقل أحد إن النحر حد منى وما ذاك إلا لبعده حدا عن محسر وقربه إلى حد منى من جهة مكة وفى تاريخ الأزرقى عن عطاء مايوافق ماذكرنا أنه الصواب والله أعلم ، وما ذكرناه عن عطاء يعلم أن أعلى العقبة من منى وذكر الإمام الشافعى أن العقبة ليست من منى لأنه قال : وحد منى ، ما بين قرى وادى محسر إلى العقبة التى عندها الجمرة الدنيا إلى مكة وهى جمرة العقبة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار عندها وليست محسرا ولا العقبة من منى وسواء سهل ذلك وجبلها وعامرها وخرابها فأما الجبال المحيطة بجانبها مما أقبل منها على منى فهو منها وما أدبر من الجبال فليس منها انتهى . هكذا نقل عنه سليمان بن خليل فى منسكه ؛ وقال المحب بعد أن ذكر فى حد منى معنى هذا والعقبة التى ينسب إليها الجمرة منه ، قلت : كلام المحب الطبرى فى القرى صريح فى أن جمرة العقبة من منى . ونقل عنه ابن جماعة فى منسكه على ما أخبرنى عنه خالى أنه قال : إن العقبة من منى ولم ينقل عن أحد أن الجمرة ليست من منى انتهى . وهذا يخالف ما يقتضيه كلام الشافعى والنووى من أن العقبة ليست من منى والله أعلم بالصواب ، وقد ذكر الإمام الأزرقى ذرع منى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم وذرع منى من جمرة العقبة إلى وادى محسر سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع وعرض منى من مؤخر المسجد الذى يلى الجبل إلى الجبل بحذائه ألف ذراع وثلثمائة ذراع وذرع عرض طريق شعب على وهو على جبال جمرة العقبة ستة وعشرون ذراعا وعرض الطريق الأعظم جبال الجمرة الأولى وهى الطريق الوسطى ثمانية وثلاثون ذراعا ، ثم قال : وذرع الطريق طريق العقبة على الجدار إلى الجدار الذى بحذائه سبعة وستون ذراعاً ، وعرض الطريق الأعظم من العقبة المعروفة ستة وثلاثون ذراعاً ، وذكر الفاكهى فى ذرع طول منى وعرضها معنى ما ذكره الأزرقى . وذكر الأزرقى أن الطريق الوسطى طريق النبى صلى الله عليه وسلم التى سلكها النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر من قزح إلى جمرة العقبة

ولم تزل أئمة الحج تسلكها حتى تركت سنة المائتين انتهى باختصار . واختلف فى سبب تسمية منى بمنى فقيل لما من بها من الدماء المشروعة فى الحج يمنى أى يراق و يصب وهذا هو المشهور الذى قاله جمهور العلماء من أهل اللغة وغيرهم على ما قال النووى وقيل لتمنى آدم فيها الجنة ؛ وهذان القولان فى تاريخ الأزرقى وقيل لمن الله على الخليل بفداء ابنه فيها وقيل لمن الله فيها بالمغفرة على عباده ؛ وهذان القولان فى منسك ابن خليل وقيل لاجتماع الناس بها والعرب تقول لكل مكان يجتمع فيه الناس منى ؛ ذكره الفاكهى بهذا اللفظ وقيل غير ذلك من الأقوال التى ذكرناها فى أصل هذا الكتاب واختلف فى صرف منى واقتصر ابن قتيبة فى أدب الكاتب على أنها لاتصرف واقتصر الجوهرى فى الصحاح على أن منى مذكر مصروف والأجود فيه الصرف على ماذكر النووى وقال إنها بكسر الميم . وقد بسطنا هذه المسئلة فى أصل هذا الكتاب . ومنى علم لمكان آخر غير هذه كما ذكر أبو الفرج الأصبهانى صاحب الأغانى لأنه أنشد أبياتاً للبيد بن ربيعة أولها :

عَفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبَّدَ غولها فرجامها

ثم قال : عفت : درست ، ومنى : موضع فى بلاد بنى عامر ليست بمكة .

ذكر حكم البناء بمنى

أخبرنى إبراهيم ابن محمد الدمشقى سماعاً بالمسجد الحرام أن أحمد بن أبى طالب أخبره قال: أخبرنا ابن الليثى قال أخبرنا أبو الوقت قال أخبرنا الداوودى قال أخبرنا ابن حمويه قال أخبرنا عيسى بن عمر قال أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال أخبرنا إسحاق قال أخبرنا وكيع قال حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر بن يوسف بن ماهك عن أمه مسيكة وأثنى عليها خيراً عن عائشة رضى الله عنها ؛ قالت : قلت يارسول الله ألا نبنى لك بيتاً يظلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، إنما هو مناخ من سبق . أخرجه أحمد ابن حنبل فى مسنده بهذا الإسناد ولفظه : قال قلت يارسول الله ألا نبنى لك بمنى بيتاً أو بناء يظلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، إنما هو مناخ من سبق . أخرجه أبو دواد عن أحمد بن حنبل والترمذى : قال أبو اليمن بن عساكر بعد إخراجه لهذا الحديث ومفهوم هذا الخطاب يدل على أنه لا يجوز إحياء شىء من مواتها ولا تملك جهة من جهاتها فلا ينبغى لأحد أن يختص بمكان من أماكنها دون غيره فيحظر عليه حظاراً أو يتخذه داراً ، وأهل مكة وسواهم فى ذلك سواء قال الله سبحانه وتعالى : « سواءً العاكفُ فيهِ وَالبادِ » الضمير فى قوله فيه مختلف بين أهل العلم فمن قال أراد به جميع الحرم وهو الأكثر منع من جواز إحياء مواتها وتملكها ومن ملك منها شيئاً قبل ذلك كان هو وسواه فى منافعه سواء فلا يجوز له بيعه ولا كراؤه ؛ ثم قال : ومن تأول الآية على المسجد أجاز بيع دورها وكراءها و به قال أبو يوسف والشافعى وكره مالك على جميعهم البيع والكراء . وفى جواز إحياء موات عرفة ومزدلفة اختلاف

بين أهل العلم، وما ذكرناه فى منى أولى بالمنع، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما هو مناخ لمن سبق » و إنما فى كلام العرب لإثبات المذكور ولنفى ما سواه والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى باختصار من كلامه عن بعض ما استدل به على عدم الاختصاص فى ذلك . وقال المحب الطبرى فى القرى لما تكلم على هذا الحديث ، وقد احتج بهذا من لا يرى دور مكة مملوكة لأهلها ، ثم قال : قلت فيحتمل أن يكون ذلك مخصوصاً بمنى لمكان اشتراك الناس فى النسك المتعلق بها فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد اقتطاع موضع فيها لبناء ولا غيره ، بل الناس فيها سواء وللسابق حق السبق ، وكذلك الحكم فى عرفة ومزدلفة إلحاقاً بها انتهى . وجزم النووى فى المناهج من زوائده بأن منى ومزدلفة لا يجوز إحياء مواتها كعرفة والله أعلم، انتهى . ونقل عن الشافعى أنه بنى بمنى مضرباً ينزل فيه أصحابه إذا حجوا . روى ذلك عنه أبو ثور وهو أحد رواة القديم ، وتمسك به بعضهم على جواز البناء بمنى وفى العمل به على تقدير صحته عن الشافعى نظر لأمرين : أحدهما أن الشافعى قال: إذا صح الحديث فهو مذهبى. والحديث الوارد فى النهى عن البناء بمنى تقوم به الحجة لأن الترمذى حسنه وأبا داود سكت عنه فهو فى معنى الصحيح لقيام الحجة به على ما هو مقرر فى علم الحديث ، فالشافعى حينئذ يقول به و يصير ذلك مذهبه وصحبه ، ومثل هذا لا ينكر لأنه وقع للنووى مثله فى غير مسألة ، ولعل هذا فيما ذكره من عدم جواز إحياء موات منى ومزدلفة مع قياسهما على عرفة لمشاركتهما لعرفة فى علة الحكم والله أعلم . والأمر الثانى أنه لا ريب فى أن الشافعى على تقدير ثبوت بنائه بمنى لم يكن يحجر بناءه بمنى أحد ولا يأخذ على النزول فيه أجرا ، وأن بناءه بمنى لأجل الارتفاق به من جهة الظل وصيانة الأمتعة وشبه ذلك فلا يقاس عليه من لم يقصد ببنيانه إلا الاختصاص بنزوله وأخذ الأجرة على نزوله كما هو الغالب من أحوال أهل العصر ، و إلحاق من هو بهذه الصفة لمن حسنت نيته عند الشافعى لا يحسن والله أعلم . وسمعت قاضى الحرم جمال الدين أبا حامد بن ظهيرة أبقاه الله يقول : إن جدى لأمى قاضى مكة أبا الفضل النويرى كان ينكر على البناء بمنى و يشدد فيه و ينهى أشد النهى انتهى بالمعنى ، وأما ما أفتى به الشيخ نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف الأصفونى الشافعى مؤلف مختصر الروضة من أن منى كغيرها فى جواز بيع دورها و إجارتها فإن ذلك غير سديد نقلا ونظراً ، وأما النقل فلمخالفته مقتضى الحديث وكلام النووى وابن عساكر والمحب الطبرى وغيرهم ، وأما النظر فلأن أعظم ما يمكن أن يتمسك به فى ذلك كون موات الحرم يجوز إحياؤه، ومنى من الحرم فيملك ما أحيى فيها و يجرى فيه أحكام الملك وهذا لا يستقيم لأن فى منى أمراً زائداً يقتضى عدم إلحاقها بموات الحرم وهو كونها متعبداً ونسكا لعامة المسلمين فصارت كالمساجد وغيرها من المسبلات ، وماهذا شأنه لا اختصاص فيه لأحد إلا بالسبق فى النزول لا بالبناء إذ هو ممتنع فيه ، فالبناء بمنى ممتنع حينئذ ولا يملك ولا يكون كغيره مما يصح تملكه و يجرى

حكم البناء بمنى على حكم البناء بعرفة لمساواتها لعرفة فى السبب الذى لأجله امتنع البناء بعرفة على الأصح فمنى كذلك والله أعلم .

ما جاء فى فضل منى وما ذكر فيها من الآيات

أما فضل منى فمشهور ولم نذكره إلا للتبرك به وقد تقدم منه ما ذكرناه عند ذكر مسجد الخيف ، ومنه ما رويناه فى صحيح ابن حبان وغيره من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كنت بين الأخشبين من منى ونفخ بيده نحو المشرق فإن هناك وادياً يقال له وادى السرر به سرحة سر تحتها سبعون نبياً انتهى باختصار ، قال المحب الطبرى بعد أن أخرج هذا الحديث : شرح قوله سر تحتها أى قطعت سررهم ، والسرر ما تقطعه القابلة من المولود والباقى مع القطع يقال له السرة والمقطوع السَرر والسُرر ، والمراد أنهم ولدوا تحت تلك السرحة والموضع الذى هى فيه يسمى وادى السرر بضم السين ، وقيل بفتحها وقيل بكسرها ، والراء مفتوحة فى الأحوال الثلاثة انتهى ، ولم يبين المحب موضع هذا الوادى وما عرفته أنا أيضاً ، وأخشبا منى الجبلان اللذان هما بينهما وهما ثبير الذى على يسار الذاهب إلى عرفة وما يليها والصفائح وهو الذى بلحفة مسجد الخيف .

وأما الآيات التى بمنى[1] فخمس آيات: منها رفع مايقبل من حصى الجمار بمنى ، ولولا ذلك لسد مابين الجبلين وقد روينا فى رفع المتقبل من ذلك أخباراً ، منها مارويناه بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : حدثنى جدى قال : حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خيثم عن أبى الطفيل قال : قلت له ياأبا الطفيل هذه الجمار ترمى فى الجاهلية والإسلام كيف لا يكون هضابا يسد الطريق ، قال : سألت عنها ابن عباس فقال : إن الله عز وجل وكل بها ملكا فما يقبل منه رفع وما لم يتقبل منه ترك ، ورويناه فى تاريخ الأزرقى فى رفع مايقبل من حصى الجمار عن ابن عمر وابن سعيد الخدرى ، وقال المحب الطبرى فى شرح التنبيه : وقد أخبرنى شيخنا أبو النعمان بشير بن أبى بكر حامد التبريزى شيخ الحرم الشريف ومفتيه أنه شاهد ارتفاع الحجر عيانا ، واستدل المحب على صحة ذلك وذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب ، وذكر هذه الآية شيخنا القاضى مجد الدين قال : وقد خمنت مرة فاقتضى قياس العقل والحساب وعدد السنين الأعوام التى حج فيها البيت ورميت الجمار أن يكون المتراكم عند كل حجرة من الحصى مايوازى مساحة خمسين ذراعا فى مثلها فى وجه الأرض و يرتفع فى العلو ارتفاع جبل ثبير ، ولكن لله عز وجل فيها سر

---

(١) فى وسط منى يقع مسجد الكوثر على يمين القاصد إلى عرفات ، وفى منى على يسار الذاهب إلى عرفات يقع مسجد الكبش — وبقرب العقبة التى هى حد منى من جهة مكة يقع مسجد البيعة وقد بنى عام ٢٤٤ هـ وعمره المستنصر العباسى سنة ٦٢٩ هـ : وفى منى مسجد منى الذى عمره الملك المنصور عمر بن على ملك اليمن سنة ٦٤٥ هـ .

كريم من أسراره الخفيات لا إله سواه انتهى . ومن الآيات التى بمنى اتساعها للحجاج فى أيام الحج مع ضيقها فى الأعين عن ذلك ، روينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال : حدثنى محمد بن يحيى قال : أخبرنا سليم بن مسلم عن عبد الله بن أبى الزياد عن أبى الطفيل قال : سمعت ابن عباس يسأل عن منى ، ويقال له : عجباً لضيقه فى غير الحج فقال ابن عباس : إن منى تتسع بأهله كما يتسع الرحم للولد : ومنها كون الحدأة لا تخطف اللحم بمنى أيام التشريق ، ومنها أن الذباب لا يقع فى الطعام وإن كان لا ينفك عنه فى الغالب كالعسل وشبهه ، ذكر هاتين الآيتين المحب الطبرى مع آية الجمار ، ونص كلامه : الثانية أن الحدأة مع تولعها بخطف اللحم حيث رأته حتى لو رأت بيد إنسان خرقة حمراء انقضت عليه حتى تخطفها منه ، وفى منى اللحم مشرق على الجدارات والأسطحة والجبال ، والحدأة تحوم حوله ولا تستطيع أن ترزأ أصحابه منه شيئاً ، الثالثة أن الطعام الحلو المقتضى لاجتماع الذباب فى الأمكنة الخالية يكثر بمنى فى أيام منى ولا يقع الذباب على شىء منه فضلا عن غيره من الأطعمة ، ولو أكل فى غير هذه الأيام بمنى أو غيرها مايهنأ الإنسان لكثرة اجتماع الذباب عليه ، هذا مما شاهدناه مكرراً فى فى أعوام انتهى . ومن الآيات التى بمنى فى أيام الحج قلة البعوض بها على ماذكر أبو سعيد الملا فى شرف النبوة فيما حكى عنه شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى فى كتابه : الوصل[1] والمنى فى فضل منى . لأنه قال : وقال أبو سعيد فى الوفا بشرف المصطفى صلى الله عليه وسلم : كنت ليلا بمنى فى غير أيام الموسم وكنت ساهرا أكثر الليل أتأذى من البعوض ، فلما كان من الغد سألت بعض أهل الحرم عن البعوض فقال : جميع السنة يكون كثيراً إلا أيام منى فإنه يقل فيها انتهى بنصه .

---

(١) كانت منى فى الجاهلية منصوبة فيها الأصنام فنصب بها عمرو بن لحى سبعة أصنام منها واحد بين مسجد منى والجمرة الأولى على بعض الطريق ، وثان على الجمرة الأولى ، وثالث على المدعى ، ورابع على الجمرة الوسطى ، وخامس على شفير الوادى ، وسادس وسابع على الجمرة الكبرى (جمرة العقبة) وقسم على هذه الأصنام حصا الجمار ، وهى إحدى وعشرون حصاة فيرمى كل وثن منها بثلاث حصيات ؛ فلما جاء الإسلام قضى على عبادة الأصنام ونشر عقيدة التوحيد .

فصارت منى بقعة التوحيد الخالص يؤذن فيها بانتصار عقيدة التوحيد وتؤدى فيها مناسك الحج معلنة أن الله هو الواحد الأحد . وقد جعل الإسلام منى رمزا للتوحيد الخالص .

وبمنى مسجد الخيف من الجهة الجنوبية على يسار القادم من عرفات ويمين المقبل من مكة ، وهذا المسجد الأثرى نشأ فى أول نشأة الإسلام وقد عمره الخليفة العباسى المعتمد عام ٢٥٦ هـ ، وجدده الوزير محمد بن على المعروف بالجواد الأصفهانى عام ٥٥٩ هـ ، وكذلك ام الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، وأقام فيه عمارة الملك المظفر صاحب اليمن وهو الذى أقام المئذنة التى بجوار القبة ، وجدده كذلك احمد بن عمر المعروف بابن المرجانى التاجر الدمشقى عام =

ذكر مقدار ما بين منى ومكة

ذكر الرافعى أن بين مكة ومنى ستة أميال وتعقب ذلك النووى قال : إن بينهما ثلاثة أميال ، وجزم بذلك فى غير موضع من كتبه ، وذكر المحب الطبرى فى القرى أن منى من مكة على أربعة أميال ، ذكر ذلك فى الترجمة التى ذكر فيها اتساع منى وأسماءها ، وقد حررنا ذلك بالأذرع والأميال على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقدار الميل ، فأما مقدار ما بين باب بنى شيبة ومنى بالأذرع فإنه ثلاثة عشر الف ذراع وثلاثمائة ذراع وثمانية وستون ذراعا يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وأربعة أخماس ميل وخمس عشر ميل ينقص ذراعين ، وأما مقدار مابين باب المعلاة وحد منى من جهة مكة ؛ فهو أحد عشر ألف ذراع ومائتا ذراع ، وأحد وأربعون ذراعا وسبع ذراع يكون ذلك أميالا على القول بأن الميل ثلاثة آلاف ذراع ، وخمسمائة ذراع ثلاثة أميال وخمس ميل وخمسى خمس عشر ميل يزيد ذراعا وسبع ذراع وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب مقدار مابين باب بنى شيبة ومنى وما بين باب المعلاة ومنى بالأميال على مقتضى الأقوال الأربعة فى مقدار الميل . 101

الخامس والعشرون : الميلان الأخضران اللذان يهرول الساعى بينهما فى سعيه بين الصفا والمروة . هما العلمان اللذان أحدهما بركن المسجد الذى فيه المنارة التى يقال لها منارة باب على والآخر فى جدار المسجد الذى يقال له باب العباس ، والعلمان المقابلان لهذين العلمين أحدهما فى دار عباد بن جعفر ، ويعرف اليوم بسلمة بنت عقيل والآخر فى دار العباس ويقال لها اليوم رباط العباس ، ويسرع الساعى إذا توجه من الصفا إلى المروة إذا صار بينه وبين العلم الأخضر الذى بالمنارة المشار اليها والمحاذى له نحو ستة أذرع على ما ذكر صاحب التنبيه وغيره، قال المحب الطبرى فى شرحه للتنبيه : وذلك لأنه أول محل الأنصاب فى بطن الوادى ، وكان ذلك الميل موضوعا على بناء ثم على الأرض فى الموضع الذى شرع منه ابتداء السعى وكان السيل يهدمه ويحطمه فرفعوه إلى أعلى ركن المسجد ولم يجدوا على السنن أقرب من ذلك الركن ، فوقع متأخرا عن محل ابتداء السعى بستة أذرع انتهى ، وذكر سليمان بن خليل نحو ذلك بالمعنى وسبقهما إلى نحو ذلك إمام الحرمين أبو المعالى الجوينى ولم يذكر الأزرقى سبب

= ٧٢ هـ ، وفى عام ٨٢٠ عمر بمعرفة الشيخ على البغدادى ، وفى سنة ٨٧٤هـ أمر قايتباى ببنائه وأقام القبة وبنى إلى جانبها مئذنة ، وكذلك أقام المئذنة التى على باب المسجد الشمالى ، وفى سنة ١٠٧٢ هـ عمره السلطان محمد قزلار الأغا وكان القائم بالعمارة والى جدة وشيخ الحرم سليمان بك ، وفى سنة ١٠٩٢ هـ عمره سليمان أغا مرسلا من قبل السلطان محمد خان .

هذا التغيير مع كونه ذكر أن بالمنارة المشار إليها علم السعى ، وهذا يقتضى أن يكون التغيير المشار إليه وقع فى عصره 102
أو قبله ، و يبعد أن يكون لتغيير ذلك سبب ولايذكره الأزرقى كما يبعد خفاء سبب ذلك عليه إلا أنه كثير العناية
بهذا الشأن والله أعلم . ومقتضى ما ذكره من إسراع الآتى من الصفا إلى المروة قبل هذا العلم بستة أذرع أن الساعى
إذا قصد الصفا من المروة لا يزال يهرول حتى يجاوز هذين العلمين بنحو ستة أذرع لأجل العلة التى شرع لأجلها
الإسراع فى التوجه إلى المروة والله أعلم، وذكر الأزرقى صفة هذه الأعلام وأن ذرع مابين العلم الذى على باب المسجد
إلى العلم الذى بحذائه على باب دار العباس و بينهما عرض السعى خمسة وثلاثون ذراعا ونصف ، وقال : من العلم
الذى على باب دار العباس بن عبد المطلب إلى العلم الذى عند دار ابن عباد الذى بحذاء العلم الذى فى حد المنارة
و بينهما الوادى مائة ذراع وأحد وعشرون ذراعا يعنى طول مابين هذين العلمين لا عرض ما بينهما ، وقد حررنا
مقدار مابين هذه الأعلام طولا وعرضا ، وذلك أن من العلم الذى فى حد باب المسجد الحرام المعروف بباب العباس
عند المدرسة الأفضلية إلى العلم الذى يقابله فى الدار المعروفة بدار العباس ثمانية وعشرون ذراعا إلا ربع ذراع بذراع
الحديد ، يكون ذلك بذراع اليد إحدى وثلاثين ذراعا وخمسة أسباع ذراع ، وذلك ينقص عما ذكره الأزرقى فى
مقدار هذين العلمين ، ومن العلم الذى بالمنارة المعروفة بمنارة باب على إلى الميل المقابل له فى الدار المعروفة بدار سلمة
أربعة وثلاثون ذراعا ونصف ذراع وقيراطان بذراع الحديد يكون ذلك بذراع اليد سبعة بتقديم السين وثلاثين ذراعا
ونصف ذراع وسدس سبع ذراع ، ومن العلم الذى بباب المسجد المعروف بباب العباس إلى العلم الذى بمنارة باب على
مائة ذراع وثلاثة أذرع وربع ذراع بذراع الحديد يكون ذلك باليد مائة وثمانية عشر ذراعا ، ومن الميل الذى بدار
العباس إلى الميل الذى بالدار المعروفة الآن بدار سلمة ستة وتسعون ذراعا بتقديم التاء وثلث ذراع بالحديد يكون ذلك
باليد مائة ذراع وعشرة أذرع وثلثى سبع ذراع . وذكر الأزرقى أن من العلم الذى على باب المسجد إلى المروة خمسمائة
ذراع ونصف ذراع ، وقد حررنا مقدار مابين العلم المشار إليه والأزج الذى بالمروة فكان ذلك أربعمائة ذراع واثنين
وتسعين ذراعا بتقديم التاء وثلث ذراع بذراع اليد ، وحررنا ما بين العلم الذى بالمنارة ووسط عقد الصفا فكان من 103
سمت الميل الذى بالمنارة إلى عقود الصفا مائة ذراع وستين ذراعا بذراع اليد . وذكر الأزرقى ما يقتضى أن موضع
السعى فيما بين الميل الذى بالمنارة والميل المقابل له لم يكن مسعى إلا فى خلافة المهدى العباسى بتغيير موضع السعى قبله
فى هذه الجهة و إدخاله فى المسجد الحرام فى توسعة المهدى له ثانياً لأنه قال : حدثنى جدى قال : لما بنى المهدى
المسجد الحرام ، وزاد فيه الزيادة الأولى اتسع أعلاه وأسفله وشقه الذى يلى دار الندوة والشامى وضاق شقه اليمانى
الذى يلى الوادى والصفا فكانت الكعبة فى شق المسجد ، وذلك أن الوادى كان داخلا لاصقاً بالمسجد فى بطن
المسجد اليوم ، قال : وكانت الدور و بيوت من ورائه فى موضع الوادى اليوم إنما كان موضعه دور الناس و إنما كان

ذلك من المسجد إلى الصفا فى بطن الوادى ثم يسلك فى زقاق ضيق حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت فيما بين الوادى والصفا وكان السعى فى موضع المسجد الحرام اليوم ، وكان باب دار محمد بن عباد بن جعفر عند جدار ركن المسجد الحرام اليوم عند موضع المنارة الشارعة فى بحر الوادى فيها علم المسعى ، وكان الوادى يمر دونها فى موضع المسجد الحرام اليوم ، ثم قال الأزرقى بعد أن ذكر شيئاً يتعلق بالزيادة فى هذا الجانب : فابتدأوا عمل ذلك فى سنة سبع وستين ومائة ، واشتروا الدور وهدموها فهدموا أكثر دار ابن عباد بن جعفر العائذى، وجعلوا المسعى والوادى فيها انتهى ، والظاهر والله أعلم إجراء المسعى بموضع السعى اليوم و إن كان تغير بعضه عن موضع المسعى قبله لتوالى الناس من العلماء وغيرهم على السعى بموضع المسعى اليوم ولا خفاء فى تواليهم على ذلك ، كما لاخفاء فى شهرة كتاب الأزرقى شرقا وغربا و إحاطة العلماء المتأخرين بما فيه سيما علماء الحرم ولو سلم أن من تأخر عن الأزرقى لم يعلموا بما فى كتابه فهو معروف عند علماء الحرم وغيرهم ممن وقع ذلك التغيير فى زمنهم لمشاهدتهم له وما حفظ عن أحد منهم إنكار لذلك ، ولا أنه سعى فى غير المسعى اليوم وحال من بعض هؤلاء العلماء كحالهم إلا فى عدم مشاهدتهم لتغيير ذلك فيكون أجرى السعى بمحل المسعى اليوم مجمعاً عليه عند من وقع التغيير فى زمنهم وعند من بعدهم والله أعلم .

السادس والعشرون : نَمِرة ، الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله إذا توجه من منى فى يوم عرفة وهو بطن عُرنة بالنون على ما ذكره ابن خليل فى منسكه . وقال المحب الطبرى فى القرى : ونمرة[1]، بفتح النون وكسر الميم وبراء مهملة موضع بعرفة ، وهو الجبل الذى عليه أنصاب الحرم على يمين الخارج من المأزمين أى الموقف ، وقد كانت عائشة تنزل بها ثم تحولت إلى الأراك ، قاله ابن المنذر ، وقال فى شرح التنبيه : ونمرة ، بفتح النون وكسر الميم ، موضع عند الجبل الذى عليه أنصاب الحرم على يمينك إذا خرجت من مأزمى عرفة تريد الوقوف ، وتحت جبل نمرة غار أربعة أذرع أو خمسة ، ذكروا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينزله يوم عرفة حتى يروح إلى الموقف ، ومن الغار إلى مسجد عرفة ألفا ذراع وأحد عشر ذراعا . وقال البغوى وغيره : وهى موضع قريب من عرفة . وقال ابن الصباغ : هى من عرفة والمشهور أنها ليست منها ، وعليه الأكثر انتهى . وقال النووى : ونمرة موضع معروف بقرب عرفات خارج الحرم بين طرف الحرم وطرف عرفات ، وقال : وهو بفتح النون وكسر الميم ويجوز إسكان الميم مع فتح النون وكسرها فتبقى ثلاثة أوجه فى نظائرها انتهى ، وقيل : إن نمرة هذه من الحرم ، روى عن سفيان بن عيينة حكاه عنه الماوردى فى حاويه على ما ذكر المحب الطبرى فى القرى ، لأنه قال : وذكر الماوردى

---

(١) فى هذا الموضع مسجد نمرة ، الذى يرجع إنشاؤه إلى العقد الخامس بعد المائة ، وعمر فى عصور مختلفة ، فعمره السلطان جقمق سنة ٨٤٣هـ على يد الأمير سيدون، وعمره السلطان قايتباى سنة ٧٤ هـ ، وعمر فى سنة١٠٧٢هـ فى زمن السلطان محمد على يد سليمان بك والى جدة .

فى كتابه الحاوى عن سفيان بن عيينة أن قريشاً كانوا لا يخرجون من الحرم فى يوم عرفة ، ويقفون بنمرة دون عرفة فى الحرم انتهى باختصار ، ذكر ذلك المحب الطبرى فى كتابه القرى فى الباب العاشر ، وقال بعد أن حكى عن سفيان بن عيينة ما ذكرناه ، ثم قوله : إن نمرة من الحرم فيه نظر ، وكلام الجمهور يدل أنها ليست منه انتهى ، وذكر الأزرقى ما يوافق ما ذكره سفيان فى نمرة ، لأنه روى عن ابن عباس خبراً فيه ذكر الحمس وشىء من خبرهم ، وفيه : يقصرون عن مناسك الحج والموقف من عرفة وهو من الحل فلم يكونوا يقفون به ولا يفيضون منه ، وجعلوا موقفهم فى طرف الحرم من نمرة بمفضى المأزمين يقفون به عشية عرفة ويظلون به يوم عرفة فى الأراك من نمرة انتهى ، ونمرة أيضاً موضع آخر بقديد ذكره المحب الطبرى فى القرى والله أعلم .

١٥٤

الباب الثالث والعشرون

فيما بمكة من المدارس ، والربط ، والسقايات ، والبرك المسبلة ، والآبار ، والعيون ، والمطاهر ، وغير ذلك من المآثر وما فى حرمها من ذلك

ذكر المدارس بمكة المشرفة

المدارس الموقوفة بمكة إحدى عشرة مدرسة فيما علمت :

منها ـ بالجانب الشرقى من المسجد الحرام مدرسة الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد صاحب اليمن ، على فقهاء الشافعية وقفت قبيل سنة سبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما وفى هذه السنة ابتدأ التدريس بها .

ومنها بالجانب الشامى منه مدرسة بدار العجلة ، وهى التى على يمين الخارج من باب المسجد المعروف بباب العجلة ، ولم أدر من وقفها ولا متى وقفت ؟ ثم عمل فيها الأمير أَرْغُون النائب درساً للحنفية قبيل العشرين وسبعمائة أو بعدها بيسير فى أوائل عشر الثلاثين وسبعمائة .

ومنها بالجانب الغربى منه ثلاث مدارس ، وهى مدرسة الأمير فخر الدين الشلاج أمير مكة من قبل واقفها ولابيه الملكى[1] المظفر عليها وقف جيد ور بما نسبت إليه وهى على الفقهاء الشافعية والمحدثين . 105

ومنها بالجانب الجنوبى منه مدرسة الملكى[2] المجاهد صاحب اليمن على الفقهاء الشافعية وتاريخ وقفها فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة[3] .

ومنها بالجانب اليمانى أيضاً مدرسة الملك الممدوح جميل الصفات مغيث أهل الحرمين الشريفين بجزيل الصلات ، مولانا السلطان الملك المنصور غياث الدين أبى المظفر أعظم شاه بن السلطان السعيد الشهيد إسكندر شاه ابن السلطان شمس الدين المعقود صاحب بنجالة بلغه الله آماله . وهى على الفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة فكان المتولى لشراء عرصتها وعمارتها ووقفها من ندبه لذلك وغيره من مصالحها التى تذكر وفوض إليه هذا النظر : خادمه المكين

---

(١) فى النسخة (ك) : الملك . (٢) فى النسخة (ك) : الملك . (٣) فى منتخب شفاء الغرام ص ١٠٤ تعريف بالثلاث المدارس خلاف ماهنا ، وهى كما ذكرها : مدرسة الأمير فخر الدين عثمان بن على الزنجبيلى نائب عدن وقفها على الحنفية سنة ٥٧٩ هـ ، ومدرسة طاب الزمان الحبشية عشيقة المستنصر العباسى وقفتها عام ٥٨٠ هـ على فقهاء الشافعية ، ومدرسة الملك المنصور صاحب اليمن عمرها سنة ٦٤١ هـ على يد الأمير فخر الدين الشلاج أمير مكة الخ ، ويبدوا أنه وقع فى النسخة الخطية هنا سقط . وأغلب هذه المدارس الملاصقة للمسجد الحرام قد هدمت بسبب توسعة المسجد التى أمر بها جلالة الملك سعود أيده الله .

ونعته الأمين الجناب العالى الافتخارى ياقوت السلطانى الغياثى لازالت الخيرات على يديه جارية والنعم عليه متوالية وكان الشراء لعرصتها والنخيل وسقيه توقف عليها يأتى ذكرها باثنى عشر ألف مثقال فى أول شهر رمضان من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ثم أعيد عقد البيع على ذلك فى شهر شوال من السنة المذكورة لموجب اقتضاه الحال ، وفى شهر رمضان المذكور ابتدئ فى هدم ما كان فى موضعها من الأبنية ، وفيه أيضاً ابتدئ فى بنائها وفرغ من ذلك فى آخر صفر سنة أربع عشرة وثمانمائة . وفى شهر ربيع من هذه السنة وجمادى الأولى منها بيض باطنها والصهريج الذى فى جوفها ، وغالب ظاهرها ، وعمل فيه أيضاً كثيراً مما يطلب عمله فى العمائر وأحكمت منها العمارة ، فاستحسنها ذوو البصائر ، وكان وقفها فى سابع عشر المحرم سنة أربع عشرة بعد الفراغ من عمارة سفلها وغالب علوها وقرروا فقهاء فيها . أربعة من المدرسين ، وهم قضاة مكة الأربعة يومئذ ، وستين نفراً من المتفقهين ، عشرين من الشافعية ، وعشرين من الحنفية ، وعشرة من المالكية ، وعشرة[1] من الحنابلة . وجعل الإيوان الشرقى منها محل تدريس الشافعية والحنفية ، والإيوان الغربى منها محل تدريس المالكية والحنابلة ، وجعل لوقف المنازل التى تعلوها وهى إحدى عشرة خلوة محلا لسكنى جماعة من الفقراء خلاف[2] واحدة منها فإنه جعلها خاصا للمدرسة المذكورة . وكان ابتداء التدريس فيها فى يوم السبت سابع جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وثمانمائة على الحالة التى قدرت حين الوقت فى تعيين أوقات التدريس بها فى أيام الأسبوع فكان تدريس الشافعى ضحوة يوم السبت وضحوة يوم الاثنين، وكان تدريس الحنفى من ضحوة يوم الأحد وضحوة يوم الأربعاء وضحوة يوم الخميس، وكان تدريس المالكى فيما بين الظهر والعصر يوم السبت والأحد والاثنين ، وباشرت ذلك من حين ابتدائه ، وكان تدريس الحنبلى فيما بين الظهر والعصر من يومى الأربعاء والخميس . ووقف الواقف المتقدم ذكره على المدرسين والفقهاء والسكان بالمدرسة المذكورة وعلى مصالحها ما اشتراه لذلك وذلك حديقتان وسقية[3] ماء ، فأما الحديقتان فتعرف أحدهما بسلمة والأخرى بالحل وهما بالضيعة المعروفة بالرُّكانى بوادى مر من أعمال مكة المشرفة . 106

وأما السقية فأربع وجاب من قرار عين الضيعة المذكورة وجبتان منها يصرفان بحسين[4] منصور ليله ونهاره . وجعل الواقف المذكور ريع ما يتحصل من ذلك من كل سنة يقسم خمسة أقسام : قسم للمدرسين الأربعة بالسوية بينهم ، وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية بينهم، وقسم منه يقسم ثلاثة أقسام قسم منه يصرف فى مصالح المدرسة المذكورة من الزيت والماء وغير ذلك والقسمان الآخران من هذا القسم يصرفان للسكان بالمدرسة المذكورة بالسوية بينهم ،وكان وقفه لذلك فى اليوم التاسع عشر من المحرم سنة أربع عشرة وثمانمائة وفى النصف الأخير من ذى الحجة من السنة المذكورة وقف الواقف المذكور على المدرسة المذكورة دارا تقابلها تعرف بدار أم هانىء اشتراها الواقف بخمسمائة مثقال وعمرها فى السنة المذكورة وأوقفها على مصالح المدرسة المذكورة . وسافر الواقف من مكة بعد حجه فى هذه 107

---

(١) فى نسخة : وغيره (٢) فى النسخة (ك) : خلا (٣) فى النسخة (ك) : وسقبة . (٤) فى المنتخب : بحسن

السنة لإعلام مخدومه السلطان غياث الدين بذلك فلم يقدر اجتماعهما لأن ياقوت مات فى شهر ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة بجزيرة موهوز[١] ، ومات السلطان غياث الدين فى آخر سنة أربع عشرة أو فى أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة والأولى أقرب للصواب، لأنه أشيع موته بمكة فى موسم سنة أربع عشرة ولم يصح ذلك ثم جاء الخبر بصحة وفاته فى سنة خمس عشرة تغمدهم الله برحمته آمين .

ومنها : مدرسة أبى على بن أبى زكريا[٢] قرب المدرسة المجاهدية وتعرف بأبى طاهر المؤذن . وتاريخ وقفها سنة خمس وثلاثين وستمائة على ما فى حجرها ، وواقفها فيه مترجم بالإمام الشهيد وما عرفت حاله .

ومنها مدرسة الأُرْسُوفى بقرب باب العمرة، وهو العفيف عبد الله بن محمد الأرسوفى وهى معروفة به وما عرفت متى وقفت ؟ إلا أن لها أزيد من مائتى سنة ، ولعله وقفها فى تاريخ وقف رباطه الذى بقربها المعروف برباط أبى رُقَيبة لسكناه به ، وسيأتى تاريخه .

ومنها مدرسة ابن الحداد المهدوى بقرب هذه المدرسة ، وتعرف الآن بمدرسة الأشراف الأدارسة لاستيلائهم عليها ، وتاريخ وقفها شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة وهى على المالكة .

ومنها مدرسة النهاوندى بقرب الموضع الذى يقال له الدريبة ولها[٣] نحو مائتى سنة فيما أحسب والله أعلم .

ذكر الربط بمكة المشرفة

١٥٨

بمكة ربط موقوفة على الفقراء :

منها الرباط المعروف برباط السِّدْرَة بالجانب الشرقى من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب بنى شيبة ، لا أدرى من وقفه ولا متى وقف إلا أنه كان موقوفا فى سنة أربعمائة ، وموضعه هو دار القوارير التى بنيت فى زمن الرشيد على ما ذكر الأزرقى .

ومنها رباط قاضى القضاة أبى بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المَراغى الملاصق لهذا الرباط ، ورباط عند باب المسجد المعروف بباب الجنائز ويعرف الآن بالقيلانى لسكناه به ، وتاريخ وقفه سنة خمس وسبعين وخمسمائة، كذا فى الحجر الذى على بابه ، وفيه أن واقفه وقفه على الصوفية الواصلين إلى مكة المقيمين والمجتازين من العرب والعجم .

---

(١) فى النسخة (ك) : هرموز . ولعلها مهروذ ، أو هوزن . فإن كانت الأولى ، قال ياقوت فى معجمه : نهر عليه قرى فى طريق خراسان . وإن كانت الثانية قال ياقوت فى معجمه : هوزن، حى من اليمن يضاف إليه مخلاف باليمن .

(٢) فى المنتخب : زكرى (٣) فى النسخة (ك) : ولد .

ومنها رباط الأمير إقبال الشَّرابى المستنصرى العباسى عند باب بنى شيبة على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام ، وتاريخ عمارته له فى سنة إحدى وأربعين وستمائة ، وللشرابى عليه أوقاف كثيرة من الكتب والمياه وغير ذلك بوادى مر ونخلة .

ومنها رباط أم الخليفة الناصر العباسى ، ويعرف بالعُطيفية لأن الشريف عُطَيفة صاحب مكة كان يسكنه ، وتاريخ وقفه سنة تسع وسبعين[1] وخمسمائة . كذا فى الخشب الذى على بابه ، وفيه أنه وقفه على الفقراء والصوفية ذوى التقى والعبادة والعفاف والزهادة والصلاح والرشاد والتجريد والانفراد .

ومنها رباط الحافظ أبى عبد الله بن مَنْدَه[2] ملاصق لزيادة دار الندوة ، وبابه على بابها الذى يخرج منه إلى السويقة ويعرف الآن بالبرهان الطبرى ، وعلى بابه الذى عند باب زيادة دار الندوة حجر مكتوب فيه : أنه وقفه على القادمين من أصبهان أربعين يوما وعلى سائر الناس عشرة أشهر وعشرين يوما .

ومنها رباط الشيخ أبى حفص عمر بن عبدالمجيد المَيانشى قرب هـذا الرباط ومنه داران فى شارع السويقة ، وما عرفت نسبته للميانشى هل هو لأجل وقفه أو لسكناه فيه ؟ ومقتضى ماذكر من نسبة الميانشى أن يكون له أزيد من مائتى سنة وثلاثين سنة .

ومنها رباط عند الباب المنفرد فى هذه الزيادة يقال له رباط الفُقَّاعية ، وتاريخ وقفه سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . كذا فى الحجر الذى على بابه ، وفيه أن قهرمانة[3] المقتدى الخليفة العباسى وقفته على المنقطعات الأرامل .

ومنها رباط قربه ، يقال له : رباط صالحة ، لا أعرف من وقفه ولا متى وقف ؟

ومنها بالجانب الشمالى أيضاً رباط يعرف برباط القزوينى ، وما عرفت واقفه ولا من وقفه إلا أنه كان موجوداً فى أثناء القرن السابع ، وبابه عند باب السدّة من خارج المسجد .

ومنها رباط قبالته يقال له : رباط الخاتون ، ويعرف الآن بابن محمود ، وتاريخ وقفه سنة سبع وسبعين وخمسمائة كذا فى الحجر الذى على بابه ، وفيه أنه وقف على الصوفية الرجال الصالحين من العرب والعجم ، وأن الذى وقفته الشريفة فاطمة بنت الأمير أبى ليلى محمد بن أنوشروان الحسنى .

ومنها رباط الزنجبيلى قبالة مدرسته عند باب العمرة من خارج المسجد بينه وبين المسجد دار وتاريخهما واحد.

---

(١) هكذا فى النسختين : وسبعين ، وفى منتخب شفاء الغرام المطبوع فى أوربا ص ١٠٨ : وتسعين .

(٢) فى منتخب شفاء الغرام ص ١٠٨ طبع أوربا بعد كلمة « منده » : الأصبهانى .

(٣) فى النسخة (ك) : قهرمان .

ومنها الرباط المعروف برباط الخوزى بخاء وزاى معجمتين بزيادة باب إبراهيم، وقفه الأمير قَرَامر[١] بن محمود ابن قرامر الأقدرى[٢] الفارسى على الصوفية الغرباء والمتجردين . كذا فى الحجر الذى على بابه ، وتاريخه فيما أظن سنة سبع عشرة وستمائة .

ومنها رباط رَامُشْت عند باب الحَزْوَرَة ، ورَامُشْت هو الشيخ أبوالقاسم واسمه إبراهيم بن الحسين الفارسى، وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب المرقعة من سائر العراق، وتاريخه سنة تسع وعشرين وخمسمائة. 110
وظفرت بنسخة كتاب وقفه ، وكان قد احترق جانب كبير من هذا الرباط فى الليلة التى احترق فيها المسجد الحرام وهى ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ، وأول ما كان الحريق فى البيت الذى على بابه الذى بالمسجد ، ثم خرجت النار من شباكه حتى تعلقت بسطح المسجد ، ثم وفق الله غير واحد للتقرب بعمارته فعمر منه جانب كبير من سفله الذى يلى المسجد وبعض المجمع الذى فوقه ، ثم صرف الشريف حسن بن عجلان أمير مكة مائتى مثقال ذهبا لعمارته فى أوائل سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، فعمر بها جميع ما كان محترقاً[٣] من الرباط المذكور من البيوت العلوية وغير ذلك مما يحتاج إلى العمارة علوا وسفلا ، وصرف من ذلك جانباً فيما يحتاج إليه من أبواب بيوت الرباط وغير ذلك من مصالحه وجاءت عمارته حسنة .

ومنها رباط السيد الشريف بدر الدين حسن بن عجلان الحسنى نائب السلطنة بمكة وجميع الأقطار الحجازية زاده الله رفعة، وهو الذى أنشأه ، وهذه منقبة ما عرفت مثلها لأحد ممن تقدم من أمراء مكة ، وتاريخه سنة ثلاث وثمانمائة وهو مقابل المدرسة المقابلة للمدرسة المجاهدية ، وله عليه أوقاف بمكة ومنى ووادى مر .

ومنها رباط الجمال محمد بن فرج المعروف بابن بعلْجد[٤] قريباً من هذا الرباط وباب الحزورة ، وتاريخه سنة سبع وثمانين وسبعمائة ، وهو وقف على الفقراء المنقطعين بمكة .

ومنها رباط قبالة باب المسجد الحرام المعروف بباب أجياد ، أمر بإنشائه وزير مصر تقى الدين عبد الوهاب بن عبد الله المعروف بابن أبى شاكر قبل أن يلى الوزارة فى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ومات قبل كمال عمارته وبعد عمارة غالب سفله فاستصاره الأمير عز الدين[٥] عبد الغنى بن أبى الفرج الأستادار الكبير المؤيدى الملكى فيما ذكره بوجه شرعى وأمر أمير مكة الشريف حسن بن عجلان بتكميل عمارته فبنى بأمره جانب كبير من علوه ومن سفله فى سنة عشرين وثمانمائة ، وفى ذى القعدة من السنة قبلها مات ابن أبى شاكر ومات ابن أبى الفرج فى نصف شوال 111

---

(١) فى النسخة (ك) : قرامز . (٢) فى منتخب شفاء الغرام طبع أوربا : الأفزرى (٣) فى المنتخب : تخربها
(٤) هذه الكلمة من زيادة كتاب منتخب شفاء الغرام طبع أوربا ص ١١٠ .
(٥) فى النسخة (ك) : نخر ، وهو الموافق لما فى منتخب شفاء الغرام طبع أوربا .

سنة إحدى وعشرين وثمانمائة قبل كمال عمارته ، والفقراء الآن فيه ساكنون ، وله باب فى باب أجياد الصغير غير بابه الذى بالشارع الأعظم .

ومنها رباط السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس قبالة باب الصفا ، ويقال له رباط الشيخ غياث الدين الأبرقوهى الطبيب لتوليه أمره وعمارته، وله فيه سعى مشكور أعظم الله له فيه الأجور ، وتاريخه سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ، وهو وقف على الأعاجم من بلاد فارس المجردين المتقين دون الهنود .

ومنها قربه رباط يقال له رباط البانياسى على يسار[1] الذاهب إلى الصفا ، وتاريخه سنة خمس وعشرين وستمائة ، وقفه الأمير فخر الدين أبار بن عبدالله البانياسى على الفقراء المعروفين بالتدين والصلاح فى التاريخ المذكور .

ومنها الدار المعروفة بدار الخيزران قرب الصفا مبدأ المسعى ، ولا أعرف واقفها ولا متى وقفت .

ومنها الرباط المعروف برباط العباس بالمسعى وفيه العلم الأخضر وكان مطهرة ثم جعل رباطاً والذى عمله مطهرة الملك المنصور لاجين المنصورى ، والذى عمله رباطا ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفى أعظم الله أجرهما، واسمهما مكتوب فيه على ما بلغنى .

ومنها رباط الشيخ أبى القاسم بن كُلالة الطيبى بالمسعى قرب هذا الرباط وتاريخه سنة أربع وأربعين وستمائة .

ومنها بالمسعى أيضا رباط بالمروة على يسار الذاهب إليها ، يقال له رباط التميمى ، والذى وقفه هو الشيخ أبو العباس ويقال أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمى المرينى الفنجيرى ، وقفه على الفقراء 1112
من أهل الخير والدين والفضل من العرب والعجم المتأهلين وغيرهم على ما يليق بكل واحد منهم من المنازل فى العشر الأوسط من شوال سنة عشرين وستمائة ووقف عليه الحمام الذى بأجياد ، وقد ظفرت بكتاب وقف الحمام ثم ذهب منى .

وبأعلى مكة عدة ربط :

منها رباط على بن أبى بكر بن عمران العطار المكى ولم يثبت وقفه إلا بعد موته فى سنة موته وهى سنة إحدى وثمانمائة .

ومنها رباط يعرف بأبى سماحة لسكناه به قرب المجزرة الكبيرة من أعلاها على يمين الذاهب إلى المعلاة وقفه الأمير قايماز بن عبدالله السلطانى سلطان الروم والأرمن، أبى الفتح قليج بن أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان السلجوقى على المجاورين والمقيمين والمنقطعين بمكة من أصحاب الإمام أبى حنيفة فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . هذا معنى مافى الحجر الذى على بابه .

---

(١) فى منتخب شفاء الغرام ص ١١١ : بمين .

ومنها بأعلى مكة أيضاً ثلاثة ربط يقال لها ربط الأخلاطى بعضها وقف على النساء الحنفية من المجاورات والقادمات و بعضها وقف على أهل مدينة أخلاط الصالحين القاصدين لبيت الله الحرام و بعضها وقف فى سنة تسعين وخمسمائة و بعضها فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

ومنها رباط يقال له رباط الوَتْش بتاء مثناة من فوق وشين معجمة قرب هذه الربط .

ومنها رباط لعطية بن خليفة المطيرن[1] أحد تجار مكة فى عصرنا .

و بزقاق الحجر بمكة رباطان :

أحدهما رباط المقر إبراهيم بن محمد الأصبهانى سبط الشيخ قطب الدين العسقلانى[2] وقفه على الفقراء والمساكين المجاورين بمكة من أهل الخير والديانه من أى صنف كان من العرب والعجم فى سلخ رجب سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

113 والثانى رباط السيدة أم الحسين بنت قاضى مكة شهاب الدين الطبرى وقفته على الفقراء والمساكين فى شعبان سنة أربع وثمانين وسبعمائة .

و بسوق الليل عدة ربط :

منها رباط يقال له رباط سعيد الهندى لسكناه فيه وما عرفت واقفه ولا تاريخه .

ومنها الموضع الذى يقال له : بيت المؤذنين وواقفه هو واقف رباط الخوزى على شرطه ، وتاريخ وقفه سنة سبع عشرة وستمائة .

ومنها الموضع الذى يقال له : زواية أم سليمان وتاريخها سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .

و بأجياد عدة ربط :

منها الموضع الذى يقال له رباط الزيت لا أعرف واقفه ولا متى وقف .

ومنها رباط يقال له : رباط غزى بغين وزاى معجمتين وقفه على بن محمد المصرى على الفقراء والمساكين المجردين من أى جنس كان من المسلمين سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

ومنها رباط يعرف برباط الساحة وكان موجوداً فى أثناء القرن السابع ووقفه جماعه من النسوة منهن والدة الشيخ قطب الدين القسطلانى على الفقراء والغريبات المتدينات .

---

(١) فى المنتخب ص ١١٢ : المطيبز . (٢) فى المنتخب ص ١١٢ القسطلانى .

ومنها الرباط المعروف برباط ربيع وهو واقفه عن موكله فى ذلك السلطان الملك الأفضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وتاريخ وقفه فى العشر الأواسط من ذى الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة وهو وقف على الفقراء المسلمين الغرباء .

ومنهـا رباط بقرب رباط ربيع أمر بإنشائه أمير مكة السيد حسن بن عجلان وهو ملاصق لحوبة داره التى أنشأها بأجياد . وقد عمر غالب سفله إلا قليلا منه وجانب من علوه، وفى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة استؤجر بعض البناة بمكة على تكميل عمـارته وشرع فى ذلك وكان أمر الشريف حسن بإنشائه فى سنة ست عشرة وثمانمة وادخلت فيه البئر المعروفة ببئر عفراء .

ومنها رباط يعرف برباط بنت التاج ولا أعرف واقفه فى الابتداء وله أزيد من مائتى سنة وعلى بابه حجر 114 مكتوب فيه أنه وقف على النساء الصوفيات الأخيار والمجاورات .

ومنها رباط يعرف برباط المسيكينة .

ومنها بالحِزَامية بزاى معجمة الرباط المعروف برباط الدمشقية وقف على الصوفية والعلماء والقراء والفقراء من أهل دمشق والعراقيين العرب والعجم فى رجب سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

ومنها الرباط المعروف برباط الزرندى[1] وقفه الشيخ نجيب الدين أبو الحسن بن محمد بن جبريل الزرندى على أهل سادة وزرند القادمين إلى حج بيت الله الحرام وله أزيد من ثلاثمائة سنة .

ومنها رباط يعرف برباط السبتية بسين مهملة وباء موحدة ثم تاء مثناة من فوق ثم ياء مثناة من تحت كان موجوداً فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

ومنها رباط خلف رباط الزرندى للنسوة وكان موجوداً فى أثناء القرن السابع .

ومنها رباط بقرب هذه الربط يقال له رباط بنت الحرابى بحاء وراء مهملتين وألف وباء موحدة لسكناها به وبلغنى أنها وقفته .

ومنها رباط يعرف برباط الوراق بقرب باب ابراهيم لا أعرف واقفه ولا متى وقف ؟

ومنها رباط القاضى الموفق جمال الدين على بن عبد الوهاب الأسكندرى وقفه على فقراء العرب الغرباء ذوى الحاجات المتجردين ليس للمتأهلين فيه حظ ولا نصيب فى سنة أربع وستمائة كذا هو مكتوب فى الحجر الذى على بابه وفيه العرب مضبوط بفتح العين والراء المهملتين وهذا الرباط بأسفل مكة .

---

(١) فى منتخب شفاء الغرام : الدورى .

وفى جهة الشبيكة بالمسفلة عدة ربط :

منها الرباط الذى يقال له رباط أبى قتيبة[1] لسكناه به ويقال له رباط العفيف ، والعفيف المشار إليه هو الأُرْسوفى صاحب المدرسة التى بقربه وقفه عن نفسه وعن موكل شريكه فيه القاضى الفاضل عبدالرحيم بن على البيسانى سنة إحدى وسبعين[2] وخمسمائة على مافى الحجر الذى على بابه وفيه أنه وقف على الفقراء والمساكين العرب والعجم الرجال دون النساء القادمين إلى مكة والمجاورين على أن لا يزيد الساكن فى السكنى على ثلاث سنين إلا أن تقطع أقدامه، وسكناه فى السفر إلى مسافة القصر . ٣٣٥

ومنها رباط به بقربه يعرف برباط الطويل ، بنى فى عشر السبعين وسبعمائة فيما أحسب .

ومنها رباط الجهة وهى الآدر الكريمة جهة الطواشى فرحات زوج الملك الأشرف إسماعيل بن الفضل صاحب اليمن وأم أولاده ضاعف الله أجرها وأعلى قدرها ، ويقال له رباط الشيخ على السعدانى لتوليته لأمره وعمارته ، وتاريخ وقفه سنة ست وثمانمائة ، وهو وقف على الفقراء الأفاقيين المجردين عن النساء المستحقين للسكنى .

ومنها رباطان قرب الموضع الذى يقال له الدريبة :

أحدهما يعرف برباط ابن السوداء لسكناه به ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه : ان أم خليل خديجة وأم عيسى مريم ابنتى القائد أبى ثامر المبارك بن عبد الله القاسمى وقفتاه على الصوفيات المتدينات الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب فى العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة ، ويقال له أيضا : رباط الهرّيش بتشديد الراء المهملة . والآخر يعرف بابن غنايم ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه مامعناه : وقفه السلطان الملك العادل ملك الجبال والغور والهند محمد بن أبى على على الصوفية الرجال العرب والعجم ، على أن يكون عدد الساكنين فيه عشرة لا غير سواء كانوا مجاورين أو مجتازين وبعضهم مقيم وبعضهم مجتاز وذلك سنة ستمائة انتهى .

فهذه الربط المعروفة الآن بمكة أجزل الله ثواب واقفيها ومن أحسن النظر فيها[3] .

* * *

(١) فى المنتخب : رقيبة (٢) فى المنتخب : وتسعين .

(٣) وقد جدت مع الأيام أربطة كثيرة فى مكة، منها رباط الشحومى بالشبيكة. ورباط السيد باجنيد بحارة الباب . ورباط البوقرى بالمسفلة . ورباط الهنود الاسماعيلية بأجياد . ورباطان أحدهما للرجال والآخر للنساء بباب العمرة . ورباط الفلالى بزقاق الحفرة وغير ذلك من الأربطة المنتشرة بمكة وحول الحرم. والذى يهمه الاطلاع والإحاطة بجميع الأربطة فى مكة فليرجع إلى سجلات مديرية الأوقاف العامة فإن أغلب هذه الربط تشرف عليه إدارة الأوقاف بمكة المكرمة . وفى منتخب شفاء الغرام ص ١١١ ذكر لرباط قديم قبالة رباط البانياسى وهو على يمين الذاهب إلى الصفا أمرت بإنشائه خوند بنت ابن خصبك زوجة الملك الأشرف إينال فى سنة ٨٦٥ هـ ولم يكمل لأن ولدها المؤيد بن الأشرف إينال خلعه عن الملك بالقاهرة فبطلت عمارته .

و بمكة أوقاف كثيرة على جهات من القربات غالبها الآن غير معروف لتوالى الأيدى عليها، ومن المعروف منها
البيمارستان[1] للمستنصر العباسى بالجانب الشمالى من المسجد الحرام ، وتاريخ وقفه سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وعمره 116
فى عصرنا هذا الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة عمارته التى هو عليها الآن ، وزاد فيه على ما كان عليه أولا
إيوانين : أحدهما فى جهة الشامية ، والأخرى فى جهته الغربية ، وأحدث فيه صهريجا ورواقا فوق الإيوانين اللذين
أحدثهما وفوق الإيوان الشرقى الذى كان فيه من قبل وجدد هو عمارته، وفوق الموضع الذى فيه الشبا كان المشرفان
على المسجد الحرام ، وأدخل فيه البئر التى كانت يستقى منها للميضأة الصرغتمشية ووقف جميع ما بناه وما يستحق منافعه
فى الموضع المذكور للمدة التى يستحقها المدة على الضعفاء والمجانين ، ووقف عليه منافع الدار المعروفة بدار الإمارة عند باب
بنى شيبة بعد عمارته لها حين تخربت بالحريق الذى وقع فى آخر ذى القعدة من سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وذلك
بعد استئجاره لها واستئجاره للبيمارستان المذكور لتخربهما من القاضى الشافعى بمكة لمدة مائة سنة وأذن له فى صرف
أجرة الموضعين فى عمارتها ، وكان استئجاره لذلك فى صفر سنة ست عشرة وثمانمائة[2] .

ووقف المنافع يتمشى على رأى البعض من متأخرى المالكية وحكم به بعض طلبة المالكية ليثبت أمره ، و إن
كان بعض المعتبرين من المالكية لا يرى جوازه كما هو مقتضى مذهب الشافعى وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل
رحمهم الله ، والله يوفقنا أجمعين للخير آمين .

ذكر السقايات والبرك بمكة المشرفة وحرمها وعرفة

بمكة وحرمها عدة سقايات ، وتسمى أيضاً السبل بسين مهملة وباء موحدة مضمومتين جمع سبيل ، وشهرتها
عند الناس بالسبل أكثر ، وهى كثيرة إلا أن بعضها صار لا يعرف لخرابه و بعضها معروف مع الخراب . 117

فمن ذلك سبيل عطية بن ظهيرة بأعلى مكة[3] ، وسبيل قاسم الرنكى عند مسجد الراية ، وسبيل السيدة
أم الحسين بنت القاضى شهاب الدين الطبرى بالمسعى عند موضع الجزارين والخرازين ، وسبيل لابن بعلْجد عند
عين بازان التى بالمسعى قرب الميل الأخضر الذى بمنارة باب على والمقابل له ، وسبيل السيد الشريف حسن بن عجلان
سلطان الحجاز فى عصرنا برباطه الذى أنشأه ، بلغه الله مناه .

ومنها بأعلى مكة سبيل لأم سليمان المتصوفة عند تربتها بالمعلاة قرب درب المعلاة .

---

(١) كان هذا البيمارستان (الخاص بالرجال) والآخر (الخاص بالنساء) موجودين بأجياد — بمكة — حتى تولية
الأمير عبد الله الفيصل وزارة الصحة فأمر حفظه الله بإقامة مستشفى حديث للمجاذيب بالطائف حيث الجفاف والمناخ الصحى

(٢) فى المنتخب ص ١١٦ : فى شهر ربيع الأول سنة ٨١٥ هـ وفيه شرع فى عمارتهما وكان دفعه لذلك فى صفر الخ .

(٣) جده القاضى أبو السعادات ابن ظهيرة فى أوائل سنة ست وخمسين وثمانمائة .

ومنها سبيل أنشأه القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة فى سنة ست وعشرين وثمانمائة بالمعلاة على يمين النازل من الحجون .

ومنها سبيل لعطية المطير[١] فى طرف المقبرة من أعلاها عند البئر التى يقال لها بئر الطواشى .

ومنها السبيل الذى أنشأه القائد سعد الدين جبروة .

ومنها السبيل المعروف بسبيل ابن صنداد ، وليس هو المتبكر له لأن بعض أمراء الملك الكامل ولد الملك المسعود صاحب مكة عمر ذلك .

ومنها سبيل فوق هذا السبيل إلى جهة منى للسيد الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة أمر بعمارته فى سنة اثنى عشرة وثمانمائة وعنده مسجد .

ومنها السبيل الذى يقال له سبيل الست ، وهو مشهور بطريق منى . والست المنسوبة إليها عمارته هى أخت الملك الناصر حسن صاحب مصر ، وتاريخ عمارتها سنة إحدى وستين وسبعمائة .

ومنها سبيل المعلم عبد الرحمن بن عقبة المكى بقرب منى[٢] .

ومنها سبيل بمنى لعطية المطير .

118 وبمنى عدة سبل عامرة وبمزدلفة وعرفة .

وطريقهم سبل متخربة معطلة ، وبعضها لا يعرف ، وقد أشرنا إليها فى أصل هذا الكتاب .

وبأسفل مكة مما يلى التنعيم عدة سقايات :

منها سبيل الزنجبيلى ، ويقال له سبيل أبى راشد لتجديده له ، ويقال له سبيل المكين[٣] لتجديده له أيضاً ، وتاريخ عمارة الزنجبيلى له سنة عشرين وستمائة . كذا فى حجر فيه ، وهى عمارة تجديد لأن الزنجيلى توفى قبل ذلك على ما ذكر ابن شاكر الكتبى بسبع وثلاثين سنة ، وتاريخ عمارة أبى راشد سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وتاريخ عمارة المكين سنة ثمان وثمانمائة .

ومنها السبيل الذى يقال له سبيل بنت القاضى عبد الرحمن بن عقبة المكى ، وسبيل آخر أنشأته السيدة زينب بنت القاضى شهاب الدين الطبرى صدقة عن أخيها القاضى نجم الدين محمد بن القاضى شهاب الدين الطبرى سنة خمس وستين وسبعمائة ، وهو الآن معطل لخرابه .

---

(١) فى المنتخب ص ١١٧ : المطيبز . والسبيل الذى بمنى هدمه ناظر الحرم سودون عام ٨٤٣ هـ لاعتراضه وسط الطريق

(٢) بعض هذه الأسبلة أصبحت مهجورة وغير مستعملة بسبب الإهمال وعدم موالاة تعميرها . ولم يبق منها إلا الأثر فقط

(٣) فى النسخة (م) السكين بدل المكين . وفى المنتخب ص ١١٨ : المكينى .

ومنها سبيل الملك المنصور صاحب اليمن ، وهو مشهور .

ومنها السبيل المعروف بسبيل الجوخى ، وهو الآن معطل لخرابه . ورأيت فيه حجراً ملقى مكتوبا فيه : إن المقتدر العباسى ووالدته أمرا بعمارة هذه السقاية والآبار التى وراءها وتصدقا بها، وفيه: إن ذلك سنة اثنتين وثمانمائة[١] .

ومنها سبيل دون هـذا السبيل إلى مكة عمره الشهاب المكين السابق أجزل الله ثوابه فى سنة ثمان وثمانمائة ، و إلى جانب ذلك حوض للبهائم[٢] .

وكان بمكة سقايات أكثر مما ذكرنا بكثير ؛ لأن الفاكهى قال ، لما ذكر السقايات : و بمكة فى فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منى ونواحيها ومسجد التنعيم نحو من مائة سقاية انتهى .

ذكر البرك بمكة وحرمها

119

بمكة وحرمها عدة برك لا أدرى من أنشأها ، و يقال لها : المصانع .

منها بركتان عند باب المعلاة متلاصقتان جددتا فى دولة الملك الناصر حسن صاحب مصر ، وذلك فى ولايته الأولى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، وعمرتا بعد ذلك غير مرة ، منها فى سـنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وعمارتها فى هـذه السنة لإصلاحهم بالنورة ما يحتاج إلى الإصـلاح فيهما ، ونوروا فى بعض الجدران ما لم يكن منورا قبل ذلك ، ورفعوا جميع جوانبها عن الأرض ، والذى رفعوه من ذلك نحو ذراع وفى بعض المواضع أكثر ، وعمدوا إلى الحاجز الذى بين البركتين فهدموا الجدار الذى يليه إلى صوب الطريق العظمى ، و بنوا هناك ثبرتين وعملوا عليهما عقدا مشرفا ، وعملوا فى موضع العقد باباً (شَبَجًا) من عرعر يغلق دون الصغار ومن يريد النزول إلى الماء خوفاً على الماء من تغيره بالنزول فيه ، وعملوا تحت الباب درجا . والآمر بهذه العمارة علاء الدين القائد (المدينى من حال البركة الصغرى التى تلى المسجد الحرام فى الجانب الشرقى ، وغالب الجانب اليمانى على يدى ناظر المسجد الحرام قاضى القضاة أبى اليمن النويرى ، وقد أجرى سفل البركة الصغرى حردا ، ويجرى مع جوانبها فى رجب وشعبان سنة سبعين وثمانمائة)[٣] .

ومنها بركتان متلاصقتان إحداهما تلصق سور باب المعلاة ببستان الصارم ، وكانتا معطلتين فعمرت إحداهما فى النصف الثانى من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وملئت من عين بازان بعد جريها . والذى أمر بعمارتها و إجراء الماء الشهاب بركوت المكين[٤] .

---

(١) كذا بالأصل وصوابه : وثلاثمائة . لأن المقتدر ولى الخلافة من ٢٩٥هـ حتى عام ٣١٨ هـ

(٢) خرب ذلك قبيل عام ٨٥٠ هـ

(٣) ما بين القوسين وارد فى المنتخب ص ١١٩ ويبدو أنه كان بهامش بعض النسخ وليس من أصل الكتاب .

(٤) فى المنتخب : المكى .

ومنها بركتان عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسوق الليل تنسبان للمسلمانى على ما بلغنى .

120 ومنها بأسفل مكة بركة يقال لها : بركة باب الماجن لأنها عند باب مكة المعروف بباب الماجن [1] .

ومنها بحرم مكة مما يلى منى وعرفة عدة برك ، منها البركة المعروفة ببركة السَّلَم ، لا أدرى من أنشأها ، وجددها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر ، وعمر القُنَى التى تصل إليها من منى ، وذلك فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

وبطرف منى مما يلى المزدلفة فى طريق عرفة برك أخر معطلة أيضاً لخرابها، أشرنا إليها فى أصل هذا الكتاب .

وبعرفة عدة برك [2] ، وغالبها الآن ممتلىء بالتراب حتى صار ذلك مساوياً للأرض ، وبعضها من عمارة العجوز والدة المقتدر ، وعدا ذلك خمس برك ، وتاريخ عمارتها سنة خمس عشرة وثلاثمائة . وبعضها عمره المظفر صاحب أربل فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وفيما بعدها . وبعضها عمره إقبال الشرابى المستنصرى العباسى فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وعمارتهما للبرك المكتنفة بعين عرفة أيضاً . واسم إقبال باق على بعض البرك التى حول جبل الرحمة وعمر بعضها الملك نائب السلطنة بمصر ، ثم عمر بعضها فى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر .

ذكر الآبار التى بمكة وحرمها

ذكر الأزرقى شيئاً من خبر الآبار الجاهلية والإسلامية بمكة وحرمها وبعرفة، وليس يعرف ههنا الآن مما ذكره الأزرقى إلا القليل كما سنبينه ، ولذلك اقتصرنا هنا على تعريف هذه الآبار بما يعرف به الآن ، وجملة الآبار التى يحتوى عليها سور مكة ثمانية وخمسون بئراً .

121 منها بئر برباط السِّدْرَة ، وهى سَجْلَة بسين مهملة وجيم ، حفرها هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ، وقيل : حفرها قصى ووهبها عبدالمطلب بن هاشم للمطعم بن عدى، وقيل : إن جبير بن مطعم ابتاعها من ولد هاشم .

ومنها بئر برباط الشرابى .

ومنها بئر بالمدرسة الأفضلية .

ومنها بئر بالميضأة الصرغتمشية .

ومنها بئر برباط أم الخليفة ، وهو العُطَيْفية .

ومنها بئر برباط القاعية .

ومنها بئر بالمدرسة المنصورية .

---

(١) هذه البركة موجودة حتى الآن ومعروفة ويسقى منها بعض (أحواض الزراعة الصغيرة) الموجودة بالمسفلة ، كما ينتفع بها بعض أصحاب مصانع الطوب بالمسفلة . (٢) هذه البرك موجودة حتى الآن لأن إدارة (عين زبيدة) قائمة على الدوام بإصلاحها وتعمير المتداعى منها لانتفاع الحجاج بالشرب والاستحمام منها . وقد كانت مكشوفة ومعرضة للتلوث فرئى أن تغطى ويعمل بدلا منها حنفيات متعددة فى جميع أنحاء عرفات لتعميم المنفعة .

ومنها بئر عند باب الحزورة ، عليها جميزة كبيرة حفرها المهدى العباسى .

ومنها بئر فى الدار المعروفة بالملاعنة .

ومنها بئر بالمدرسة المجاهدية .

ومنها بئر برباط كُلالة بالمسعى .

ومنها بئر بالمطهرة الناصرية عند باب بنى شيبة .

ومنها بئر بميضأة الملك الأشرف شعبان ، عمرها جده الملك الناصر سنة ست وسبعمائة لأجل رباط العباس فيما أحسب فإن منها إليه قناة ليسكب فيها الماء .

ومنها بئر الحمام الذى بسوق الليل .

ومنها بئر بقرب مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسوق الليل، تعرف بالسماطية، لعلها بئر عبد شمس بن عبدمناف ابن قصى المعروفة بالطُّوَى التى ذكرها الأزرقى ، والله أعلم .

ومنها بئر بقربها ينسب لأبى مُغَامس أحد تجار مكة لأنه عمرها وعندها مسجد .

ومنها بقرب ذلك بئر[1] فى دار عطية المطيبيز .

ومنها بئران فى المعلا بالشعب الذى تسميه الناس شعب عامر ، وهو شعب عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، إحداهما فى بستان فى هذا الشعب ، والأخرى بفم الشعب[2] .

ومنها بئر فى البستان الذى عند باب المعلاة ، ويقال لها : المنقوس .

ومنها بئر تعرف بأم الفاغية عند سبيل ابن ظهيرة .

ومنها بئر عند مسجد الراية ، وهى بئر جبير بن مطعم التى ذكرها الأزرقى ، والله أعلم .

وبأجياد عدة آبار :

منها بئر برباط الزيت . ومنها بئر برباط غزى . ومنها بئر برباط ربيع . ومنها بئر ممايلى هذا الرباط فى جانب الوادى . ومنها بئر يقال لها: أم الزين، عند بيت الشريفة فاطمة بنت ثقبة صاحب مكة . ومنها بئر يقال لها الوردية . ومنها بئر يقال لها بئر عكرمة ، ذكرها الأزرقى . ومنها بئر يقال لها الواسعة . ومنها بئر فى حوش الرباع . ومنها 122
بئر يقال لها بئر عفراء . ومنها بئر يقال لها بئر مسعود ، ويقال لها أيضاً أم الفاغية . ومنها بئر يقال لها بئر المعلم . ومنها بئر عند بيوت الداجوة يقال لها: أم حجر . ومنها بئر برباط بنت التاج . ومنها بئر عند حمام أجياد .

---

(١) فى النسخة (م) : البئر بدل بئر ، وهو الصحيح . ومعظم هذه الآبار موجودة ومعروفة حتى الآن لاعتماد أهالى مكة فى الشرب والسقاية عليها (٢) يوجد بفم الشعب الآن بئر يقال لها : (بئر أبو دية) لعلها هى .

و بالحزامية بأسفل مكة ، بالحاء المهملة وزاى معجمة ، عدة آبار :

منها بئر بر باط الدمشقية ، عمرتها فيما أحسب زوجة تقى الدين بن صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة تسع وثمانين وخمسمائة . ومنها بئر بر باط الدورى . ومنها بئر بر باط السبتية . ومنها بئر يقال لها بئر النبى صلى الله عليه وسلم ، والناس يستشفون بماء هذه البئر ، ولعلها والله أعلم السنبلة ، بئر خلف بن وهب الجمحى التى ذكرها الأزرقى وقال : يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم : بصق فيها و إن ماءها جيد[1] من الصداع ، والله أعلم .

و بالحجارية من المسفلة عدة آبار :

منها بئر عند بيوت عرفطة ، يقال لها أم الحمرة بحاء مهملة مضمومة وميم وراء مفتوحتين[2] . ومنها بئر عند البيوت المعروفة بالأشراف ذوى على ، مما يلى باب الماجن ، وهما بقرب الموضع الذى يقال له : بيت أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ومنها بئر فى زقاق ضيق نافذ بقرب أم الحمرة[3] . ومنها بئر فى بستان على بن يوسف بن أبى الأصبع عند باب الماجن . ومنها بئر قبالة هذه البئر فى الوَدْنة .

و بمسيل وادى إبراهيم بالمسفلة وما يليه من البيوت عدة آبار :

منها البئر المعروفة بباب إبراهيم[4] . ومنها بئر بر باط الموفق . ومنها بئر ينسب للقائد زين الدين شُكْر مولى الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة . ومنها بئر بجنبها إلى أسفل مكة فى البيت المعروف بأحمد بن عبدالله الدورى الفراش بالحرم الشريف . ومنها بئر بقربها فى بيت يعرف ببيت اليَنْبُعِى على يسار الذاهب إلى باب الماجن[5] . ومنها بئر فى جهة الشُّبَيْكَة يقال لها بئر النَّشْو . ومنها بئر فى الشبيكة أيضاً بقرب المقبرة عند بيوت رقية ، يقال لها : مجنة ، ولها قرنان . ومنها بئر قرب باب الشبيكة عمرها العفيف الهِبى وبُنِى عندها سبيل[6] هو الآن خراب . ومنها بأسفل مكة بئر أيضاً بالموضع الذى يقال لها خرابة قريش التى عمرها الشهاب بركوت بن عبد الله المكينى . ومنها

123

---

(١) كذا بالأصل ، ولعله جيد يشفى من الصداع .

(٢) مازال ذلك الزقاق يسمى باسم (زقاق الحمرة) ولكن البئر التى هناك ، وهى موجودة إلى الآن اسمها (بئر المدعون) .

(٣) المعروف الآن عند بيت أبى بكر الصديق (البازان المسمى بازان القبة) وفى أول زقاق القبة ذلك الزقاق الضيق بئر مهجورة اسمها بئر زقاق القبة ، ومن الجهة الجنوبية لبرحة الصديق بئر أخرى ما زالت باقية إلى الآن ، وإذا شح الماء بمكة يستقى منهما الناس ، ولكن ماءهما مالح غير مستساغ . وأغلب هذه الآبار أصلحت وجددت عمارتها على يد إدارة عين زبيدة

(٤) هذه البئر مازالت موجودة يستقى منها الناس ، وهى فى دهليز المدرسة المسماة بالمدرسة الفخرية فى باب إبراهيم.

(٥) لعلها البئر الموجودة حتى الآن بين بيت الشريف العمرى ، وبيت السيد الفلالى على ناصية زقاق المسفلة وهى مازالت موجودة إلى الآن .

(٦) فى الأصل : وبنى عندها سبيلا

بئر فى وسط السويقة عليها بيت ينسب للبلينى ، يقال: إنها من عمارة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ، والله أعلم . ومنها بئر فى الموضع المعروف بدار الحفرة بالسويقة . ومنها بئر بقعيقعان عند وقف على بن أبى بكر بن عمر العطار . فهذه التى حواها سور مكة فيما علمت ، ولم أذكر فيها الآبار التى لا ماء فيها ، وجميعها مسبلة إلا البئر التى فى بيت المطيبيز بأعلى مكة ، والبئر التى فى بيت القائد زين الدين شكر ، والبئر التى فى بيت أحمد الدورى ، والبئر التى فى بيت الينبعى .

ذكر الآبار التى بين باب المعلاة ومنى

بين باب المعلاة ومنى سبع عشرة بئراً بتقديم السين : منها بئر قرب باب المعلاة تنسب لأم سليمان المتصوفة عند تربتها ، وتنسب أيضاً للملك المسعود صاحب مكة . ومنها بئر يقال لها : بئر الطواشى عند طرف المقبرة من أعلاها . ومنها بئر بالبستان الذى أنشأه القائد سعد الدين جَبْرَوَة . ومنها بئر ببستانه الذى أمامه إلى جهة منى . ومنها بئر ببستان له بين البستانين إلى جهة شعب البياضية . ومنها بئر خلف سبيل ابن شداد[1] السابق ذكره . ومنها بئر فى بستان ينسب لابن فطيس أمام هذا السبيل . ومنها بئر فى محاذاة المعابدة فيها المعابدة[2] ، ويقال لها : أم قرنين . ومنها بئر لا ماء فيها فى الموضع الذى يقال لها الخرمانية وهو أودان برأس المعابدة على جادة الطريق على يمين الهابط إلى مكة . ومنها البئر التى يقال لها بئر آدم على يمين التى إلى منى ، وليست على جادة الطريق وممن عمرها الأمير شيخون العمرى الناصرى فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة . ومنها بئر يقال لها البياضية . ومنها بئر ميمون بن الحضرمى أخى العلاء بن الحضرمى ، وهى التى الآن بالسبيل المعروف بسبيل الست بطريق منى ، وممن عمرها المظفر صاحب أربل فى سنة أربع وستمائة على ما وجدت بخط عبد الرحمن بن أبى حرمى المكى فى حجر بهذه البئر يتضمن عمارة صاحب أربل لها وعرفها ببئر ميمون الحضرمى ، ورأيت لبعضهم ما يقتضى أن بئر ميمون بطريق وادى مر الظهران وهو وهم ، والله أعلم .

124

ومنها بئر محاذية لبركة السَّلَم على يسار الذاهب إلى منى .

ومنها بئر يقال لها: بئر النجار، وتعرف بالمعلم عبد الرحمن بن عقبة المكى على يسار الذاهب إلى منى أيضا ، وممن عمرها الأمير شيخون فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، وعمرها بعده الأمير جركتمر الماردينى صاحب الحُجّاب بالقاهرة ، ومقدم العساكر بمكة ، فى سنة إحدى وستين وسبعمائة .

---

(١) فى الأصل : صنداد ، وما هنا عن المنتخب .

(٢) فى النسخة (ك) : الماء ، بدل المعابدة .

ومنها بئر أمام هذه البئر إلى منى فى وجهتها إلى جهة منى عند رأس الشعب الذى يقال له شعب البيعة الذى فيه مسجد البيعة السابق ذكره و تعرف هذه البئر ببركة مسهر .

ومنها البئر المعروفة بصَلَاصِل وهى من الآبار الإسلامية على ما ذكره الأزرقى .

ومنها بئر بقرب هذه البئر يقال لها الجُنَينة بجيم مضمومة ونون مفتوحة وياء مثناة من تحت ونون، وهى وصلاصل فى الجانب الذى يكون على يمين الذاهب إلى منى ، وكلام الأزرقى يقتضى أن البئر المعروفة ببركة مسهر فى صلاصل لأنه قال : و بئر الصلاصل بفم شعب البيعة عند العقبة عقبة منى اه . والله أعلم ، ولم يبين الأزرقى 125 سبب تسميتها بصلاصل ، ولعل ذلك نسبتها إلى صلصل بن أوس بن مخامس[1] بن معاوية بن شريف من بنى عمرو ابن تميم . لأن الفاكهى روى بسنده عن هشام بن الكلبى عن أبيه قال : كانت العرب فى أشهر الحج على ثلاثة أهواء ، منهم من يفعل المنكر وهم المحلون الذين يحلون الأشهر الحرم فيغتالون فيها و يسرقون ، ومنهم من كان يكف عن ذلك ، ومنهم أهل هوى ، شرعه صلصل بن أوس بن مجاسر بن معاوية بن شريف من بنى عمرو بن تميم فى قتال المحلين ، ثم قال بعد أن ذكر المحرمين : وكانوا يسمونهم الصلاصل ؛ لأن صلصلاً شرع ذلك ، وكانوا ينزلون على بئر قريبة من مكة ، ثم يتفرقون فى الناس منها ، وكانت البئر تسمى ببئر صلاصل اه . ولكن يعكر على نسبة هذه البئر لصلاصل المشار إليه ما ذكره الأزرقى من أن صلاصل البئر التى ذكرها من الآبار الإسلامية ، فإن مقتضى ما ذكره الكلبى أن تكون من الآبار الجاهلية ، والله أعلم .

وذكر الأزرقى ما يخالف ما ذكره من أن صلاصل من الآبار الإسلامية وهى التى ذكر منها ماسبق ذكره عنه فى صلاصل تلو قوله : عقبة منى ، وفيها يقول أبو طالب :

ونُسْلمه حتى يُصَرَّع حوله ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم فى الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل انتهى

اه و إذا كان أبو طالب ذكر هذه البئر فهى جاهلية .

ذكر الآبار التى بمنى وهى خمس عشرة بئرا

منها بئر تعرف بالحجامية بقرب جمرة العقبة فى بستان عندها . ومنها بئر يقال لها : كدّانة ، بدال مهملة مشددة 126 ونون بعد الألف فى منزلة المحمل المصرى . ومنها بئر يقال لها: عمارة ، بفتح العين وتشديد الميم فى الشعب الذى يلى

(١) فى النسخة (ك): محاسن، بدل مخامس ، والصحيح مجاسر .

ذلك،وهى حلوة . ومنها بئر يقال لها : الـكُلَيْبِيَّة ؛ حلوة أيضا . ومنها بئر يقال لها الشَّعْبانية فى بستان شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى . ومنها بئر يقال لها : بئر إسماعيل و يقال لها : دَغْبَح . ومنها بئر فى بيت الجعافرة عند بيت أبى مغامس فى الطريق السفلى . ومنها بئر بقرب الشعب الذى يقال له : سمير ، ينسب لموسى بن غصون . ومنها بئر بقربها تنسب لابن فطيس . ومنها بئر بقربهايقال لهـا : أم النخلة ، وتنسب لابن معيوف ، ومنها بئر يقال لها : أم الحمام ، حلوة . وهى بقرب أم النخلة ، عمرتها زوجة الملك المنصور صاحب اليمن ، فى سنة خمس وأربعين وستمائة . ومنها بئر يقال لها : العسيلة فى منزلة بنى حسن بمنى . ومنها بئر فى الشعب الذى يقال له : سمير . ومنها بئر يقال لها : العراقيب ، حلوة ، فى الشعب الذى يقال له : شعب عمرو على يسار الذاهب إلى عرفة .

و بمنى آبار أخر فى بعض بيوتها لا تعرف على ما بلغنى[1] .

ذكر الآبار التى بمزدلفة

بمزدلفة ثلاث آبار : منها بئر قبالة المشعر الحرام على يمين الذاهب إلى عرفة ، ومنها بئر بقربها فى الجهة اليمنى يقال لها : بئر البقر ، ومنها بئر فى الجهة اليسرى محاذية للمشعر الحرام فى منزلة الركب العراقى، وفيما بين مزدلفة وعرفة : يقال لها : السقيا على يسار الذاهب إلى عرفة .

ذكر الآبار التى بعرفة

بعرفة آبار ، فيها الآن المـاء ، فمنها بئر يقال لها : الزيادية الـكبرى ، ومنها بئر يقال لها : الزيادية الصغرى ، ومنها بئر يقال لها : الشمردقية ، وفيها عدة آبار أخر لا ماء فيها عمرها المظفر صاحب اربل . وقد ذكرناها مع تاريخ عمارة المظفر لها فى أصل هذا الـكتاب والله أعلم .

ذكر الآبار التى بظاهر مكة من أعلامها

فيما بين بئر ميمون بن الحضرمى والأعلام التى هى حد الحرم فى طريق جادة وادى نخلة ، وفيما بين بئر ميمون والأعلام المشار إليها خمس عشرة بئراً : 127

منها أربعـة آبار تعرف بآبار العُسيلة، وفى رأس طى بعضها ما يقتضى أن المقتدر العباسى أمر بحفر بئرين منها ، وفى طى بعضها ما يقتضى أن العجوز والدة المقتدر عمرتها مع سقايات هناك ومسجد لا يعرف الآن منه شىء ، وقد

---

(١) وبمنى سبيلان معروفان أنشئا حديثاً أحدهما من عمل الحـكومة السعودية والآخر من عمل الحـكومة المصرية وكلاهما ينتفع به الحجاج وهما بالشارع العام .

ذكرنا نص المكتوب فى أصل هذا الكتاب . والبئر الرابعة من آبار العسيلة جددها بعد دثورها بعض الأمراء المصريين فى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة . وبقية الآبار لا ماء فيها إلا بئر لأبى بكر الحصار ، وهى تلى آبار العسيلة .

ذكر الآبار التى بأسفل مكة فى جهة التنعيم

فيما بين باب مكة المعروف بباب الشبيكة والتنعيم ثلاث وعشرون بئراً بجادة الطريق .

منها : بئر الملك المنصور صاحب اليمن عند سبيله، وتعرف بالزاكية . وقد ذكرنا هذه الآبار فى أول هذا الكتاب أوضح من هذا . ومنها الآبار المعروفة بآبار الزاهر الكبير ، وبعض هذه الآبار من عمارة المقتدر العباسى . وبقرب الشبيكة آبار أخر يقال لها : الزاهر الصغير ، وهى ثلاثة آبار ، منها واحدة لا ماء فيها ولها قرنان فى أحدهما حجر مكتوب فيه تاريخ عمارتها . وبقرب هذه الآبار بئر ببطن ذى طوى على مقتضى ماذكره الأزرقى فى تعريف ذى طوى . وبأسفل مكة أيضاً بئر يقال لها الطُّنْبُدَاوِيَّة[1] وبأسفل مكة مما يلى بابها المعروف بباب الماجن عدة آبار ، منها بئر بقرب به من خارجه ، وبئر بالشعب الذى يقال له « خم » بخاء معجمة[2] .

ذكر عيون مكة المشرفة

رو ينا بالسند المتقدم إلى الأزرقى قال فى العيون التى أجريت فى الحرم : كان معاوية[3] قد أجرى فى الحرم عيونا ، واتخذ له أخيافا ، وكان حوائط وفيها الزرع والنخل ، وسردها الأزرقى وذكرنا كلامه فى أصل هذا الكتاب . قال : وقد كانت عيون معاوية تلك قد انقطعت وذهبت ، فأمر أمير المؤمنين الرشيد بتجديدها ، فعملت وأحييت وصرفت من عين واحدة، ثم قال : ثم كان الناس بعد تقطع هذه العيون فى شدة الحاجة إلى الماء . وكان أهل مكة مكة والحجاج يلقون فى ذلك المشقة حتى إن الراوية لتبلغ فى الموسم عشرة دراهم ، وأقل وأكثر ، فبلغ ذلك أم جعفر بنت أبى الفضل جعفر بن أمير المؤمنين المنصور ، فأمرت فى سنة أربع وسبعين ومائة بعمل بركتها التى بمكة فأجرت لها عينا من الحرم فجرت بماء قليل . فلم يكن فيه رى لأهل مكة ، وقد عزمت فى ذلك عزما عظيما ، فأمرت المهندسين أن يجروا لها عيناً من الحل . ثم أمرت من يزن عينها الأولى فوجدوا فيها فساداً فأنشأت

---

(١) هى الطنبداوية ، وبها سمى الطنبداوى . وهو حى من أحياء مكة معروف، وهو خلف جبل عمر وجبل الحفائر، ويمتد من هناك إلى جرول ، ومن الجهة الجنوبية يمتد إلى قوز النكاسة المؤدى الى بركة ماجن بالمسفلة .

(٢) وهو غير خم الذى يروى أن الرسول قال عند غديره : من كنت مولاه فعلىٌ مولاه لأن خما هذا عند الجحفة

(٣) هو معاوية بن أبى سفيان رأس الدولة الأموية ، ولى الخلافة تسعة عشر عاما (٤١ — ٦٠ هـ) .

عينا أخرى إلى جنبها وأبطلت تلك العيون ، فعملت عينها هـذه بأحكم مايكون من العمل ، وعظمت فى ذلك رغبتها ، وحسنت نيتها ، فلم تزل تعمل فيها حتى بلغت ثنية خل فإذا الماء لا يظهر فى ذلك الجبل ، فأمرت بالجبل فضرب فيه فأنفقت فى ذلك من الأموال مالم تكن تطيب به نفس كثير من الناس ، حتى أجراها الله على يديها وأجرت فيها عيونا من الحل ، منها عين المشاش ، واتخذت له بركا تكوّن فيه السيول إذا جاءت تجتمع فيها ثم أجرت لهـا عيونا من حنين واشترت حائط حنين فصرفت عينه إلى البركة وجعلت حائطه سدا يجتمع فيه السيل . فصارت لهـا مكرمة لم تكن لأحد قبلها وطابت نفسها بالنفقة فيها بما لم تطب به نفس أحد غيرها انتهى باختصار . وقد ذكرنا ذلك كله فى أصل هذا الـكتاب . وذكر أبو الحسن المسعودى فى تاريخه[1] مقدار ماصرفت زبيدة على هذه العين لأنه ذكر أن القاهر العباسى سأل محمد بن على المصرى الخراسانى الإخبارى أن يبسط له فى أخبار زبيدة فذكر أن لها فى الجد والهزل ما برزت به على غيرها، فأما الجد فالآثار الجميلة التى لم يكن فى الإسلام مثلها مثل حفرها العين المعروفة بعين المُشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لمائها فى كل خفض ورفع وسهل ووعر حتى أخرجتها من مسافة اثنى عشر ميلا إلى مكة ، وكان جملة ما أنفقت عليها فيما ذكروا قُدِّر بألف الف وسبعمائة ألف دينار انتهى باختصار . وهذه العين فى غالب ظنى عين مكة المعروفة بعين بازان[1] ، بباء موحدة وألف ثم زاى معجمة ثم ألف ونون لأنها من هذه الجهة وقد عمر هذه العين جماعة من الخلفاء والملوك، منهم المستنصر العباسى غير مرة، منها مرة فى سنة خمس وعشرين وستمائة . ومنها مرة فى سنة أربع وثلاثين وستمائة . ومنهم الأمير جوبان نائب السلطة بالعراقين عن السلطان أبى سعيد بن خربندا ملك التتار ، وذلك فى سنة ست وعشرين وسبعمائة ووصلت إلى مكة فى العشر الأخير من جمادى الأولى من هذه السنة وعم نفعها، وعظم. وكان جريانها هذا نعمة من الله تعالى ورحمة منه لأهل مكة فإن الناس كانوا بمكة فى جهد عظيم لقلة المـاء بمكة . ولجد والدى لأمه الشيخ دانيال بن على بن يحيى المرستانى[3] أحـد كبار مشيخة العجم بمكة فى جريانها سعى مشكور أجزل الله له ولمن أعانه على ذلك الثواب فيه . وجملة ما صرف على هذه العين فى هذه العمارة مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم على ما قيل، وكانت تحتمل 129
من المصروف زيادة على هذا القدر، مثله وكثر ، والسبب فى الاقتصار على القدر المعين الاستغناء به عن غيره بسبب ما وجد فيها حين عمارتها من القنى المعمولة المهيأة من قديم الزمان، وهى أكثر من الثلث وأقل من النصف . وعمرت بعد ذلك غير مرة فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة وهذه العمارة من جهة السيد الشريف حسن عجلان نائب السلطنة بمكة والأقطار الحجازية أعلى الله قدره ، وكان دخولها مكة فى آخر العشر الأوسط من جمادى الأولى منها ، وجرت جريا حسنا بحيث امتلأت منها بركة المـاجن بأسفل مكة وتعدى المـاء إلى غيرها وكثر الدعاء له بسبب

(١) مروج الذهب المشهور وهو من أصول كتب التاريخ . (٢) هذه العين تعرف الآن (بعين زبيدة) وهى العين التى أضيفت إليها مؤخراً عدة عيون حتى أصبحت مورداً عذباً لـكل سكان مكة وزائريها ـ أثاب الله السيدة زبيدة على هذا العمل الجليل خير الجزاء . (٣) فى منتخب شفاء الغرام ص ١٢٨ : اللرستانى .

ذلك لما حصل بها من عظيم النفع و بيعت منها الراوية بربع مسعودى بعد أن كانت بدرهمين مسعوديين وأزيد، فلله الحمد والشكر، ثم حصل من جريانها قصور فى آخر السنة ثم انصلح حالها فى أول سنة اثنتى عشرة وثمانمائة من غير عمل، ثم تغير حالها قليلا ثم عمرت وانصلح حالها كثيراً فى آخر هذه السنة . ثم جرت جريا حسنا فى العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وهى مستمرة على جريانها إلى الآن غير أن الماء يكثر حينا ويقل حينا، ونسأل الله تعالى تيسير الخير، والشهاب بركوت المكين سامه الله يحسن فى أمرها لأنه يقوم بمصالحها من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة إلى تاريخه، وهو سنة سبع عشرة وثمانمائة . ثم بعد ذلك قل ماؤها ولقى الناس بمكة شدة بسبب ذلك وعرف بهذا الأمر مولانا السلطان الأعظم الملك المؤيد أبو النصر شيخ صاحب الديار المصرية والشامية والحرمين أدام الله تعالى توفيقه وتأييده ونصره فتطوع بألفى دينار ذهبا لعمارة هذه العين لأنه مازال بمصالح أهل الحرمين كثير الاهتمام وقد تكرر منه عليهم الجزيل من الإنعام . وندب القائد علاء الدين لعمارة ذلك فشرع فى العمارة 130
والتنظيف والإصلاح حتى وصل الماء لمكة المشرفة وحصل به النفع وتضاعفت الأدعية من سكان الحرم لمولانا السلطان بسبب ذلك . وكان حصول هذا الخير بمكة فى شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وابتدأ العمل فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم قل جريان الماء فى العين المذكورة بعد قليل من جريانها الأول ويسر الله دخول سيل فيها فجرت جريا أحسن من جريها الأول وصرفت إلى بركتى المعلاة اللتين على يمين الداخل إلى مكة فامتلأتا وحصل بهما للحجاج نفع كثير ولم يبق فيهما بعد سفر الحاج ما فيه كثير نفع وغلا الماء كثيراً وشق ذلك على الناس فوفق الله تعالى القائد علاء الدين بعمارة العين وبعث إليها عمالا ومهندسا يعمرون فيها [1] مالم يعمروا فى النوبة الأولى وبعض ما عمر فيها لتجرية السيل، ووصل الماء إلى مكة بعد ذلك فى آخر صفر سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وكان جريه قليلا فزادوا فى العمارة حتى كثر جرى الماء وعظم النفع به بحيث بيعت الراوية بنصف مسعودى وبما يزيد، وبدرهم وهذا أكثر مما بيعث به الراوية بعد عمارة العين فى النوبة الثانية وبلغنى أنها بيعت بجايز، وقد وصل الماء، أى ماء العين، إلى البركة التى بأسفل مكة المعروفة ببركة الماجن خارج باب مكة المعروف بباب الماجن بعد تنظيف الطريق إليها وزرعوا بماء العين هناك أودانا بقرب بركة الماجن فلله الحمد، وفاز القائد بدعاء جزيل، وكان جريانه القوى فى العمارة الثالثة[2] فى شهر ربيع الأول من السنة المذكورة فالله تعالى يثيبه ويحسن إليه ويجزيه خيراً بمحمد وآله أجمعين .

ومن العيون التى أجريت بمكة عين أجراها الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، فى سنة ثمان وعشرين

---

(١) فى النسخة (ك) : غيرما .

(٢) فى النسخة (ك) : الثانية .

وسبعمائة فى مجرى عين بازان على ماذكر البرزالى فى تاريخه نقلا عن كتاب العفيف المطرى إليه لأنه ذكر 131
فى أخبار هذه السنة أنه ورد عليه كتاب من العفيف المطرى فيه أمور :

منها : وأجريت عين أخرى كانت تعرف بعين جبل ثقبة مما يلى جبل حراء على مجرى العين الجوبانية ، وأنفق عليها قدر يسير . قدر خمسة آلاف درهم ، ووصلت إلى مكة ، وخرجت من أسفلها ، وكان ذلك على يد ابن هلال الدولة مشد العمائر وتاريخ كتاب العفيف سلخ ربيع الأول سنة ثمان وعشرين انتهى .

ومنها عين أجراها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة فى مصر فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، من منى إلى بركة السلم بطريق منى ، ونختم هذه الترجمة بحكاية عجيبة تتعلق بعين مكة ، وهذه الحكاية ألفيتها مذكورة فى الكتاب المسمى « آكام المرجان فى أحكام الجان » ، ونصها فيه ، ونقلت من الشيخ العلامة شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الحنبلى رحمه الله ، وحدثنى به أيضا . قال : وقعت هذه الواقعة بعينها فى مكة سنة أجرى العين بها ، فأخبرنى إمام الحنابلة بمكة ، وهو الذى كان أجراها على يده ، وتولى مباشرتها بنفسه نجم الدين خليفة ابن محمود الكيلانى قال : لما وصلنا فى الحفر إلى موضع ذكره خرج أحد الحفارين من تحت الحفر مصروعا لا يتكلم ، فمكث كذلك طويلا ، فسمعناه يقول : يا مسلمون ؛ لا يحل لكم أن تظلمونا . قلت له أنا : وبأى شىء ظلمناكم ، قال : نحن سكان هذه الأرض ، ولا والله ما فيهم مسلم غيرى وقد تركتهم ورائى مسلسلين وإلا كنتم لقيتم منهم شرا ؛ وقد أرسلونى إليكم يقولون لا ندعكم تمرون ، فهذا الماء فى أرضنا حتى تبذلوا لنا حقنا ، قلت : وما حقكم ، قال : تأخذون ثورا فتزينونه بأعظم زينة ، وتلبسونه وتزفونه من داخل مكة حتى تنتهوا به إلى هنا فاذبحوه ثم اطرحوا لنا دمه وأطرافه ورأسه فى بئر عبد الصمد وشأنكم بباقيه ، وإلا فلا ندع الماء يجرى فى فى هذه الأرض أبدا ، قلت له : نعم افعل ذلك ، قال : وإذا بالرجل قد أفاق فمسح وجهه وعينيه ويقول : لا إله إلا الله . أين أنا ، قال : وقام الرجل ليس به قلبه ، فذهبت إلى بيتى فلما أصبحت ونزلت أريد المسجد إذا برجل على الباب لا أعرفه ؛ فقال لى الحاج خليفة : ها هنا ، قلت : وما تريد به ؟ قال : حاجة أقولها له ، قلت له : قل لى الحاجة وأنا أبلغها إياه فإنه مشغول ، قال لى : قل له إنى رأيت البارحة فى النوم ثوراً عظيما قد زينوه بأنواع الحلى واللباس ، وجاءوا يزفونه حتى مروا به على دار الخليفة فوقفوه إلى أن أخرج ورآه . وقال : نعم . هو هذا ، ثم أقبل به يسوقه والناس خلفه يزفونه حتى خرج به من مكة ، فذبحوه وألقوا رأسه وأطرافه فى بئر ، قال : فعجبت من منامه وحكيت الواقعة والمنام لأهل مكة وكبرائهم ، فاشتروا ثوراً وزينوه وألبسوه وخرجنا به نزفه حتى انتهينا إلى موضع الحفر ، فذبحناه وألقينا رأسه وأطرافه ودمه فى البئر التى سماها ، قال : ولما كنا قد وصلنا إلى ذلك الموضع كان الماء يفور ولا ندرى أين يذهب أصلا ولا نرى له عينا ولا أثرا ، قال : فما إلا أن طرحنا ذلك فى

البئر ، حتى كان من أخذ بيدى وأوقفنى على مكان وقال : احفروا هاهنا ، فحفرنا ، فإذا بالماء يموج فى ذلك الموضع ، وإذا طريق منقورة فى الجبل يمر تحتها الفارس بفرسه فأصلحناها ونظفناها فجرى الماء فيها نسمع هديره ، فلم يكن إلا نحو أربعة أيام ، وإذا بالماء بمكة وأخبرنا من حول البئر أنهم لم يكونوا يعرفون فى البئر مايردونه فما هو إلا أن امتلأت وصارت موردا انتهى ، والشيخ شمس الدين الحنبلى المذكور فى هذه الحكاية . هو ابن قيم الجوزية ، وقال بعد ذكرها : وهذا الرجل الذى أخبر بهذه الحكاية كنت نزيله وجاره وخبرته فرأيته من أصدق الناس ، وأبينهم وأعظمهم أمانة ، وأهل البلد كلمتهم واحدة على صدقه ودينه ، وشاهدوا هذه الواقعة بعيونهم انتهى ، وبئر عبد الصمد المذكورة فى هذه الحكاية لا تعرف الآن ، والعين المشار إليها عين بازان ، ويغلب على ظنى أن الماء جرى فيها لما عمرها أصحاب حوبان والله أعلم .

ذكر المطاهر التى بمكة

بمكة مطاهر أعظمها نفعا :

مطهرة الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر عند باب بنى شيبة ، وكان اشترى موضعها من الشريفين عُطَيْفَة ورُمَيْثة ابنى أبى نمى أميرى مكة نيابة عنه بخمسة وعشرين ألف درهم ، وكانت عمارتها فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، وفيها وقفت .

ومنها مطهرة الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر عند باب الحزورة ، وأظن أنه عمرها فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة والله أعلم ، وهى الآن معطلة .

ومنها مطهرة الأمير صرغتمش الناصرى أحد كبار الأمراء فى دولة الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، وهى فيما بين البيمارستان المستنصرى ورباط أم الخليفة وتاريخ عمارتها سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، ثم عمرها فى عصرنا بعض تجار الشام وأدارها فى سنة ثمان وثمانمائة أو فى التى بعدها ، ثم عمرت فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة من وصية أوصى بها بعض تجار العجم وأديرت فيها [1] . 132

ومنها مطهرة الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بالمسعى قبالة باب المسجد الحرام المعروف بباب على ، وكان المتولى على عمارتها الأمير أبو بكر بن سنقر الجمالى فى سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وللأشرف عليها وقف بمكة ربع قوقها ودكاكين ووقف بضواحى القاهرة .

ومنها مطهرة خلفها للنسوة عمرتها أم سليمان المتصوفة صاحبة الزاوية بسوق الليل وفرغ من عمارتها فى سنة ست وتسعين وسبعمائة .

---

(١) وقد عمرها الأمير مقبل البديدى سنة ٨٣٣ هـ وأوقف عليها أوقافاً بالقاهرة .

ومنها مطهرة الأمير زين الدين بركة العثمانى رأس نوبة النوب بالقاهرة ، وخشداش الملك الظاهر صاحب مصر ، وهى التى بسوق العطارين الذى يقال له : سوق النداء عند باب بنى شيبة ، وكان إنشاؤها وإنشاء ربعها ودكاكينها فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة

ومنها مطهرة تنسب إلى الأمير الطُّنْبُغَا المعروف بالطويل أحد الأمراء المقدمين بالقاهرة فى أوائل عشر السبعين وسبعمائة ، وأظنها عمرت فى هذا التاريخ ، وهى بقرب الموضع المعروف بخرابة قريش ، وبينهما الطريق إلى باب الشبيكة وإلى السويقة [1] وغير ذلك .

ومنها مطهرة عند باب الحزورة يقال لها مطهرة الواسطى ، وما عرفت الواسطى المنسوبة إليه ولامتى وقفت [2]

(١) هذه المطهرة باقية الى الآن قريبة من باب العمرة . وبمناسبة توسعة المسجد الحرام هدمت بعض هذه المطاهر .

(٢) ومن المطاهر مطهرتان أنشأتهما زوجة الملك الأشرف اينال سنة ٨٦٥ هـ وهما بالصفا ، ومنها المطهرة المنسوبة للواسطى وقفها الملك العادل نور الدين الشهيد سنة ٥٦٤ هـ وجددها القاضى جمال الدين يوسف سنة ٥٨٥ هـ .

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر شىء عن خبر[1] بنى المحض بن جندل[2] ملوك مكة

وذكر شىء من أخبار العماليق ملوك مكة[3] وذكر ولاية طسم للبيت الحرام

ذكر شىء من خبر بنى المحض بن جندل ونسبهم

قال المسعودى[4] فى تاريخه : وقد تنازع أهل الشرائع فى قوم شعيب بن توبد[5] بن رغويل بن مدين بن عيفا بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام وكان لسانه العربية :منهم[6] من رأى أنهم من العرب الدائرة والأمم البائدة، و بعض من ذكرنا من الأجيال الخالية ومنهم من رأى أنهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب بن مدين ابن إبراهيم الخليل وأن شعيباً أخوهم فى النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا فى ممالك متصلة ومنفصلة ، فمنهم المسمى : بأبى جاد ،وهوز، وحطى، وكلمن، وسعفص ، وقرشت. وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل وأحرف الجمّل هى أسماء هذه[7] الملوك وهى الأربعة والعشرون حرفا التى عليها حساب الجمّل .

ثم قال المسعودى : فكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز ، وكان هوز وحطى ملكين ببلاد وج وهى أرض الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد ، وكلمن وسعفص وقرشت ملوكا بمدين ، وقيل ببلاد مهر[8] . وكان كلمن على ملك مدين . ومن الناس من رأى أنه كان ملك جميع من سمينا مشاعاً متصلاً على ما ذكرنا . وأن عذاب يوم الظلة كان فى ملك كلمن .

ثم قال المسعودى: وقد ذكرهم المنتصر بن المنذر المزنى بأبيات يقول فيها :

ملوك بنى حُطِّى وسعفص ذى الندى وهوَّز أرباب السنية والحجر

134 هموا ملوك الحجاز وَوَجِّه كمثل شعاع الشمس أو صورة البدر

(voir II, 24) ولهذه الملوك أخبار عجيبة ، انتهى باختصار .

---

(١) فى النسخة (ك) :من خبر .
(٢) فى نسخة : وملوك
(٣) ونسبهم : فى النسخة (ك)
(٤) هو المؤرخ المشهور المتوفى عام ٣٤٦ هـ .
(٥) فى النسخة (ك) : يو يل
(٦) فى النسخة (ك) : فمنهم .
(٧) هؤلاء : فى النسخة (ك) .
(٨) فى النسخة (ك) : مصر .

ذكر شيء من أخبار العماليق ملوك مكة ونسبهم

أما نسبهم فذكره غير واحد من أهل الأخبار ، منهم ابن إسحاق لأنه قال فى سيرته لتهذيب ابن هشام : وطسم ، وعملاق ، وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح عرب كلهم انتهى . وقال الزبير بن بكار فيما نقله عن ابن عبد البر : طسم ، وأميم، وعمليق ، بنو لاوذ بن سام بن نوح انتهى ؛ وعمليق الذى ذكره الزبير بن بكار هو عملاق الذى ذكره ابن إسحاق لأن ابن هشام قال بعد ذكره لخبر فيه ذكر العماليق : وهم ولد عملاق ، ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح انتهى ، وتحصل مما قالوا أن والد عملاق يقال له لوذ ولاوذ ، وسقط فيما ذكروه من نسب عملاق ارم بين لاوذ وسام بن نوح على ما ذكره فى غير موضع من تاريخه لأنه قال لما ذكر ديانات العرب وآراءها فى الجاهلية وتفرقها فى البلاد : وسار بعد جديس عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح لولده ومن اتبعه وهو يقول بعد أن ذكر شعراً : فنزل هؤلاء[1] فى الحرم والتهائم . ومنهم من صار إلى بلاد مصر والمغرب . وقال المسعودى لما ذكر أخبار نوح عليه السلام ما يوافق ذلك أيضاً . وذكر المسعودى فى موطن آخر مايقتضى سقوط إرم فى نسب عملاق ، ولا منافاة بين من أثبته فى النسب وبين من أسقطه لأن من أثبته ذكر النسب على وجهه ومن أسقطه نسب بنى لاوذ لجدهم سام لأنه يجوز أن ينسب الإنسان إلى أبيه وإلى جده ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم :

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل: إن العماليق من ولد العيص[2] بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل ذكر هذا القول المسعودى فى تاريخه فى غير موضع لأنه قال لما ذكر مكة وأخبارها وبناء البيت الحرام ومن تداوله من جرهم وغيرها : وقد كانت العماليق بغت فى الأرض ، فسلط عليهم ملوك الأرض فأفنتها . وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكر الروم وأنسابهم من ألحق عملاق وغيرهم ممن ذكرنا بولد عيص ابن إسحاق بن إبراهم ، وأن علماء العرب تنسبهم إلى غير ذلك وهو الأشهر فى الناس . وذكر فى باب أخبار الروم مايقتضى أن العماليق عند من قال فى نسبهم هذه المقالة: من ولد البعاو بن عيصو ، وأن عيصو هو العيص بن إسحاق، وروينا فى تاريخ الأزرقى خبراً عن ابن عباس رضى الله عنهما فيه ما يقتضى أن العماليق من حمير . وروينا فى تاريخ الأزرقى مثله عن عبد الله بن خيثم ، وسنذكر هذين الخبرين فيما بعد . وفى كون العماليق من حمير نظر لأن العماليق من ولد إرم بن سام بن نوح على ما ذكر المسعودى ، وحمير من ولد أرفخشذ بن سام بن نوح وهو حمير بن سبأ

---

(١) فى الأصل هنا « لنا » وقد تكون كلمة « لنا » زائدة . (٢) من زيادة النسخة (ك) .

ابن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه يقطن على ما قال الحازمى فى العمالقة بن غابر ، ويقال : ابن غبز بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، هذا مقتضى مانسبه ابن إسحاق فى نسبه حمير .

وذكر أن اسم أبيه سبأ: عبد شمس ، قال : وإنما سمى سبأ لأنه أول من سبا فى العرب انتهى .

وقد اتضح مما ذكرناه نسب العماليق وشىء من خبرهم و نتبع ذلك بشىء من خبرهم . قال الفاكهى : حدثنا عبد الله بن عمران المخزومى العايدى قال : حدثنا سعيد بن سالم القداح قال : قال عثمان بن ساج : أخبرنا محمد بن إسحاق قال : كان البيت فى زمن هود معروفا ، والحرم قائم فيما يذكرون ، والله أعلم . وأهل مكة يومئذ العماليق وإنما سموا العماليق لأن أباهم عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وكان سيد العماليق فيما يزعمون يومئذ رجل يقال له: بكر بن معاوية ، وهو الذى نزل عليه وفد عاد حين بعثوا إلى مكة يستسقون. قال الفاكهى : وحدثنا محمد بن على المرْوزى قال : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة بن الفضل قال : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن حصن عن عروة بن الزبير ، قال : كانت الحجاز أسحر أرض الله وأكثرها ماء إنما كانت الخرق مظلة عليها ، قال يقول عروة: لقد بلغنى أن العماليق تسرح بها فى الغداة الواحدة ألفى ناضح بين أحمر وجون انتهى. وروى الفاكهى بسنده إلى أبى جهم بن حذيفة أخباراً فيها ذكر شىء من حال العماليق فنذكر ما فيها من ذلك: ففى بعضها أن جبريل عليه السلام كان لايمر بقرية إلا قال له إبراهيم بهذه أمرت يا جبريل فيقول له جبريل : لا ، حتى مر به على مكة وهى إذ ذاك عضاه وسلم . والعماليق يومئذ حول الحرم ، وهم يكونون بعرنة ، وهم أول من نزل حول مكة ، وكانت المياه يومئذ قليلة . وفى بعض الأخبار بعد أن ذكر إخراج الله الماء لإسماعيل وأقبل غلامان من العماليق يريدان أن يغيرا من ظمئهما فقد عطشا وأهلهما بعرنة فنظرا إلى طير يهوى قبل الكعبة فاستنكرا ذلك ، ثم قال بعد أن ذكر استدلالاتهما على الماء بالطير فاتبعا الواردة منها حتى وقفا على أبى قيس فنظرا إلى الماء وإلى العريش فنزلا وكلما هاجر وسألاها متى نزلت فأخبرتهما وقالا : لمن هذا الماء فقالت : لى ولابنى فقالا: من حفره فقالت : سقيا الله ، فعرفا أن أحداً لا يقدر أن يحفر هناك ماء وعهدها هاهنا[1] بالسكنى قريب وليس به ماء فرجعا إلى أهلها من ليلتها وأخبراهم فتحولوا حتى نزلت معهما على الماء وأنست بهم ومعهم الذرية ، ونشأ إسماعيل مع ولدانهم ، وكان إبراهيم يزور هاجر فى كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتى مكة ثم يرجع فيقيل فى منزله بالشام ونظر من هنالك من العماليق وإلى كثرتهم وعمارة الماء فسر[2] بذلك وقرن به عينه . وكانت العماليق ولاة الحكم بمكة، فضيعوا حرمة الحرم واستحلوا منه أموراً عظاما ونالوا ما لم يكونوا ينالون فقال فيهم رجل يقال له عملوق فقال :

---

(١) فى النسخة (ك) : وعهدهما بما هنالك قريب .

(٢) فى النسخة (م) : خسر .

يا قوم أبقوا على أنفسكم ولا تفعلوا المنكر ، تواصلوا ، ولا تستخفوا بحرم الله و بيته ، فلم يقبلوا ذلك وتمادوا فى هلكة أنفسهم . وفيه : فكثر العماليق فنازعوهم يعنى جرهما وقطورا فنفوهم وأخرجوهم من الحرم كله فكانوا فى أطراف الحرم لا يدخلون الحرم ، فقال لهم صاحبهم عملوق : ألم أقل لكم لا تستخفوا بحرمة البيت ولا تنتهكوا[1] به ولا تتجبروا فغلبتمونى انتهى .

وذكر الأزرقى شيئاً من خبر العماليق لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم قال : حدثنى جدى عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرنى طلحة بن عمرو الحضرمى عن عطاء عن ابن عباس أنه كان بمكة حى يقال لهم العماليق فكانوا فى عزة وكثرة وثروة ، وكانت لهم أموال كثيرة من خيل و إبل[2] وماشية ، وكانت ترعى بمكة وما حولها من مر ونعمان وما حول ذلك ، وكانت الخرق عليهم مظلة والأربعة مغدقة[3] والأودية تنسال والعضاه ملتفة والأرض مبقلة فكانوا فى عيش رخى فلم يزل بهم البغى والإسراف على أنفسهم والإلحاد بالظلم و إظهار المعاصى والاضطهاد لمن قاربهم ، ولم يقابلوا ما أوتوا لشكر الله حتى سلبهم الله تعالى ذلك فبغضهم بحبس المطر عنهم وتسليط الجدْب عليهم وكانوا يكرون بمكة الظل و يبيعون الماء فأخرجهم الله تعالى من مكة بالذَّرِّ سلطه الله عليهم حتى خرجوا من الحرم فكانوا حوله ثم ساقهم الله بالجدْب يضع الغيث أمامهم و يسوقهم بالجدب حتى ألحقهم بمساقط رؤوس آبائهم وكانوا قوماً عرباً من حمير فلما دخلوا بلاد اليمن تفرقوا وهلكوا فأبدل الله عز وجل الحرم بعدهم بجرهم فكانوا سكانه حتى بغوا فيه واستخفوا بحقه فأهلكهم الله عز وجل جميعاً . قال الأزرقى : وحدثنى جدى إبراهيم ابن محمد الشافعى قالا : حدثنا مسلم بن خالد الزنجى عن ابن خيثم قال: كان بمكة حى يقال لهم العماليق فأحدثوا فيها أحداثا فجعل الله تعالى يقودهم بالعيث و يسوقهم بالسنة يضع الغيث أمامهم فيذهبون ليرجعوا فلا يجدون شيئاً فيتبعون الغيث حتى ألحقهم الله بمساقط رؤوس آبائهم وكانوا من حمير ، ثم بعث الله عز وجل عليهم الطوفان . قال أبو خالد الزنجى فقلت لابن خيثم : وما الطوفان ؟ قال : الموت ، انتهى . وهذان الجدان هما اللذان أشرنا إلى أنهما يقتضيان أن العماليق من حمير وليس فيهما ما يشعر بأن أحداً من الناس أخرجهم من مكة قهراً . وقد ذكر الأزرقى خبراً يقتضى أن جرهما وقطورا أخرجوا العماليق من مكة ، وسيأتى هذا الخبر فى أخبار جرهم وما ذكرناه عن الفاكهى يقتضى[4] ذلك أيضاً ، والله أعلم بالصواب . وسيأتى فى أخبار جرهم ما يقتضى أن العماليق كانوا ولوا مكة حيناً مع جرهم ولا معارضة بين هذا الخبر و بين الخبر الذى يقتضى أن العماليق كانوا ولاة مكة قبل جرهم لأنه يجوز أن يكون

---

(١) فى النسخة (ك) : ولا تنهوا .

(٢) بعد مراجعة الازرقى م ج ١ ص ٤٥ و ١٢٤٦ أسقطنا الزيادات واصلحنا الأخطاء التى كانت بالاصل .

(٣) فى النسخة (ع) : مقدمة .

(٤) فى النسخة (ع) : ما يقتضى .

طائفة من العماليق ولوا مكة قبل جرهم وطائفة من العماليق غير الأولين ولوا مكة مع جرهم ، والله أعلم . ووقع فى خبر ذكره الفاكهى ما يوهم أن العماليق كانوا بعد جرهم قال : وحدثنا حسين بن حسن قال : حدثنا عمرو بن عثمان قال : حدثنا موسى بن أعين عن إسرائيل عن سماك بن حرب عن خالد بن عمر عن على بن أبى طالب قال : أول من بنى البيت إبراهيم ثم هدم فبنته جرهم ثم هدم البيت فبنته العماليق ثم هدم فبنته قريش انتهى . ووقع فى الخبر الذى رويناه عن ابن عباس فى أخبار العماليق أن أموالهم كانت ترعى بمكة وما حولها من مر ونعمان فأما مر البيت وما حواليه فهو من الظهران الذى تسميه أهل مكة الوادى ، ويقال له أيضاً : وادى مر . وقد ذكر السهيلى خلافاً فى سبب تسميته بمر ، فقال : وسمى مر المرارتها ولا أدرى ما صحة هذا ، انتهى كلام سهيلى . ونقل الحازمى عن الكندى : إن مرا اسم للقرية ، والظهران اسم للوادى انتهى . وبين مر ومكة ستة عشر ميلا على ما قال البكرى ، وقيل : ثمانية عشر ميلا ، وقيل : أحد وعشرين ، حكاه ابن وضاح والله أعلم . وأما نعمان المشار إليه فهو موضع مشهور فوق عرفة على طريق الطائف من عرفة ، وفيه مزارع حسنة والشعراء تذكره فى شعرها وهو بفتح النون الأولى ، وفيه أخذ الله الميثاق على ذرية آدم لأن ابن الأثير فى كامله قال : روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة ، ثم قال ابن الأثير : نعمان بفتح النون الأولى انتهى .

ذكر ولاية طسم للبيت الحرام

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم قال : حدثنا مهدى[1] بن أبى المهدى قال : حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى عن معمر عن قتادة قال : إن عمر بن الخطاب قال لقريش إنه كان ولاة هذا البيت قبلكم طسم فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمته فأهلكهم الله ، ثم وليته بعدهم جرهم فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمته فأهلكهم الله ، فلا تهاونوا به وعظموا حرمته انتهى ، وطسم أخو عملاق ، وقد سبق نسبه فأغنى عن إعادته .

(١) فى النسخة (م) : قال : حدثنا سهدى بن أبى الهدى قال : حدثنا .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر شىء من خبر جرهم وولاة مكة ونسبهم . وذكر من ملك مكة من جرهم ومدة ملكهم إياها وما وقع فى نسبهم من خلاف وفوائد تتعلق بذلك . وذكر من أخرج جرهما من مكة ، وكيفية خروجهم منها وغير ذلك من خبر

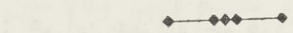

ذكر نسبهم

أما نسبهم فإنهم من ولد جرهم بن يقطن بن عسر[1] بن شالم[2] بن الزمخشر بن سام بن نوح ، هذا مقتضى ما ذكره ابن إسحاق فى سيرته وابن هشام فى نسب جرهم . وذكر ابن هشام أن جرهما هو ابن قحطان قال : وقحطان أبو اليمن كلها وإليه تجتمع، نسبها ابن غابر بن شالخ بن أرمخشذ بن سام بن نوح انتهى ، وقيل : إن جرهما ابن ملك من الملائكة وهذا يروى عن ابن عباس رواه عنه الفاكهى فى تاريخه لأنه قال : وحدثنى حسن ابن حسين أبو سعيد قال : حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبى عن أبى المقوم الأنصارى واسمه يحيى بن ثعلبة عن الكلبى عن أبى صالح قال : كنا عند ابن عباس فذكرنا جرهما فقال ابن عباس : كان الملك من الملائكة إذا أذنب ذنبا عظيما أهبط إلى الهوى ونزعت منه روحانية الملائكة وجعل فى خلق ابن آدم ، فأذنب ملك من الملائكة يقال له عرعرا أو نحوها ذنباً فكان فى الهوى ثم هبط مكة فتزوج امرأة من العماليق فولدت له جرهما ، فذلك قول الحارث بن مضاض الجرهمى[3] :

اللهم إن جرهما عبادك * الناس طرف وهم قلادك

انتهى . وشعر الحرث فى هذا المعنى طويل ذكره الفاكهى وسيأتى ذلك ، وقد أنكر السهيلى هذا الخبر لأنه قال : وجرهم هو الذى تتحدث به العرب فى أكاذيبها وكان من خرافاتها فى الجاهلية أن جرهما ابن ملك أهبط من السماء لذنب أصابه فغضب عليه من أجله كما أهبط هاروت وماروت، ثم ألقيت فيه الشهوة فتزوج امرأة فولدت له جرهما ، وقال فيه قائلهم :

لاهم أن جرهما عبادكا * القوم طرف وهم تلادكا اهـ .

---

(١) فى النسخة (ك) : عنتر . (٢) فى النسخة (ك) : شالخ

(٣) سيد شاعر جاهلى قديم ، وقوله : «وهم قلادك» أى أن أهل مكة كالقلادة والحرم منهم قلادك أى قلاد بيتك .

ثم قال: من كتاب الأصبهانى انتهى. وقال: وقد قيل إنه كان مع نوح فى السفينة وذلك أنه من ولده انتهى، ولم يبين السهيلى قائل هذه المقالة وقد بين ذلك الفاكهى فى كتاب أخبار مكة لأنه روى فيه ذلك عن ابن عباس أنه قال: كان فى السفينة ثمانون إنسانا وفيهم جرهم انتهى.

وذكر السهيلى اختلافاً فى نسب قحطان الذى ينسب إليه جرهم وفوائد تتعلق بقحطان فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة، ونص كلامه: أما قحطان فاسمه مهوم، وكانوا أربعة إخوة فيما روى عن ابن منبه: قحطان وقاحط ومقحط وقالع. وقحطان أول من قيل له: أبيت اللعن، وأول من قيل له: عم صباحا. واختلف فيه فقيل: هو ابن غابر بن شالخ[1]، وقيل: هو ابن عبد الله أخو هود، وقيل: هو هود نفسه، فهو على هذا القول ابن ارم بن سام، ومن جعل العرب كلها من إسماعيل قالوا فيه: هو ابن تيمن بن قيدر بن إسماعيل، ويقال له: هو ابن الهميسع بن يمن.

ثم قال: وقال ابن هشام: يمن هو ابن يعرب بن قحطان. ثم قال الإمام السهيلى: وقد احتجوا لهذا القول، أعنى أن قحطان من ولد إسماعيل، بقول النبى صلى الله عليه وسلم: ارموا يا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا، قال هذا القول لقوم من أسلم بن قصى وأسلم وأخوه خزاعة وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم من سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، ولا صحة عندى فى هذا الحديث لأن اليمن لو كانت من إسماعيل مع أن عدنان كلها من إسماعيل بلاشك لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب إلى إسماعيل معنى لأن غيرهم من العرب أيضاً أبوهم إسماعيل، ولكن فى الحديث دليل - والله أعلم - على أن خزاعة من بنى صمة أخى مدركة بن إلياس ابن مضر، انتهى.

وقد اختلف فى نسب قحطان المنسوب إليه جرهم اختلافاً كثيراً:

فقال محمد بن عبدة بن سليمان النسابة فيما رواه عنه ابن عبد البر: اختلف النسابون جميعاً فى نسبة قحطان على ثلاثة مقالات تعرف أهل مكة مقالة منها على ثلاثة مقالات، ونسبته طائفة من ارم بن سام بن نوح، وقالت فيه ثلاث مقالات، ونسبته طائفة إلى إسماعيل بن إبراهيم، وقالت فيه ثلاث مقالات انتهى.

وقد بان بما ذكرناه فى هذه الترجمة التى ذكرت شىء من نسب جرهم وقحطان وشىء من خبرهما.

---

(١) فى النسخة (ك): عابر بن سالح.

ذكر من ملك مكة من جرهم وعن ملكهم لها وما وقع فى نسبهم من الخلاف وفوائد تتعلق بذلك

روينا عن الأزرقى بالسند المتقدم قال : حدثنى جدى قال : حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : أخبرنى ابن إسحاق فذكر شيئاً من خبر إسماعيل بن إبراهيم و بنى إسماعيل ، ثم قال : ثم توفى ثابت بن إسماعيل فولى بعده مضاض بن عمرو الجرهمى وهو جد ثابت بن إسماعيل أبو أمه وضم بنى ثابت بن إسماعيل و بنى إسماعيل إليه وصاروا مع جدهم أبو أمهم مضاض بن عمرو ملكا عليهم وكانا حين ظعنا من اليمن أقبلا سيارة وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم فلما نزلا مكة رأيا بلدا طيبا وأراما وشجرا فأعجبهما ونزلا به فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم أعلا مكة وقعقعان فجاز ذلك ونزل السميدع أجياد وأسفل مكة فيما جاز ذلك وكان مضاض بن عمرو يعشر من دخل مكة من أعلاها وكان السميدع يعشر من دخل مكة من أسفلها ومن كداء وكل فى قومه على حاله لايدخل واحد منهما على صاحبه فى ملكه ، ثم إن جرهما وقطورا بغى بعضها ببعض وتنافسوا الملك بها فاقتتلوا بها حتى نشب الحرب أو نشبت الحرب بينهم على الملك وولاة الأمر بمكة مع مضاض بن عمرو و بنى ثابت بن إسماعيل و بنى إسماعيل و إليه ولاية البيت دون السميدع . فلم يزل البغى حتى ساد بعضهم على بعض فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان فى كتيبة سائراً إلى السميدع ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف تقعقع معه ، ويقال : ماسميت قعيقعان إلا بذلك . وخرج السميدع بقطوراء من أجياد ومعه الخيل والرماح ، ويقال : ماسمى أجياد إلا بخروج الخيل الجياد مع السميدع حتى التقوا (بناضح) فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل السميدع وفتحت قطوراء ، ويقال : ماسمى قاضح فاضحا إلا بذلك ، ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعباً بأعلى مكة يقال له : شعب عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس واصطلحوا بذلك الشعب فأسلموا الأمر إلى مضاض بن عمرو فلما جمع أمر مكة وصار ملكها له دون السميدع ونحر للناس وأطعمهم وطبخ الناس وأكلوا فيقال : ماسمى الطابخ طابخا إلا بذلك قال : وكان الذى بين مضاض بن عمرو والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون ، فقال مضاض بن عمرو الجرهمى فى تلك الحرب يذكر السميدع وقتله و بغيه والتماسه ماليس له :

ونحن قتلنا سيد الحى عنوة ... فأصبح فيها وهو حيران موجع
وما كان يبغى أن يكون سوى ... ملك حتى أتانا السميدع (١)

---

(١) هكذا بالأصل وهو خطأ عروضا ولكنه فى كتاب الأزرقى هكذا :
وما كان يبغى أن يكون سواءنا * بها ملكا حتى أتانا السميدع

فذاق وبالاً حين حاول ملكنا وعالج منا غصة تتجرع
فنحن عمرنا البيت كنا ولاته ندافع عنه من أتانا وندفع
ومن كان يبغى أن بلى ذاك عزنا ولم يك حى قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكا فى الدهور التى مضت ورثنا ملوكا لا ترام فتوضح

قال ابن إسحاق: وقد زعم بعض أهل العلم أنها سميت الطائح لما كان تبع نحر فيها وأطعم بها وكانت منزلته ثم نشر الله عز وجل بنى إسماعيل بمكة و إخوانهم جرهم إذ ذاك الحكام وولاة مكة والبيت كانوا كذلك ومعهم ثابت ابن إسماعيل فلما ضاقت عليهم مكة وانتشروا بها انبسطوا فى الأرض واتبعوا المعاطن والتفسح فى الأرض قلما يأتون قوماً ولا ينزلون بلدا إلا أظهرهم الله تعالى عليهم بدينهم فوطئوهم وغلبوهم عليها حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها العمالق ومن كان ساكناً بلادهم التى كانوا اصطلحوا عليها من غيرهم وجرهم على ذلك بمكة ولاة البيت لاتنازعهم إياه بنو إسماعيل لحؤولتهم وقرابتهم و إعظام الحرم أن يكون به بغى أو قتال. حدثنى بعض أهل العلم قالوا: كانت العمالقة هم ولاة الحكم بمكة وضيعوا حرمة مكة واستحلوا منه أموراً عظاماً ونالوا ما لم يكونوا ينالون؛ فقام رجل منهم يقال له عملوق، فقال: يا قوم ابقوا على أنفسكم فقد رأيتم وسمعتم خبر من أهلك من صدر الأمم قبلكم[1] قوم هود وصالح وشعيب فلا تفعلوا المنكر وتواصلوا ولا تستخفوا بحرم الله وموضع بيته و إياكم والظلم والإلحاد فيه فإنه ما سكنه أحد قط فظلم فيه وألحد[2] إلا قطع دابرهم واستأصل شأفتهم و بدل أرضها غيرهم حتى لا يبقى لهم بقية فلم يقبلوا ذلك منه، وتمادوا فى هلكة أنفسهم؛ قالوا: ثم إن جرهما وقطورا أخرجوا سيارة من اليمن وأجدبت بلادهم عليهم فساروا بذراريهم وأنفسهم وأموالهم، وقالوا: نطلب مرعى تسمن فيه ماشيتنا فإن أعجبنا أقمنا فيه فإن كل بلاد نزل بها أحد ومعه ذريته وماله فهى وطنه و إلا رجعنا إلى بلادنا، فلما قدموا مكة وجدوا فيها ماءاً معيناً[3] وعضاها ملتفة أسلم وسمرا نباتاً أسمن مواشيهم وسعة من البلاد، ووقاء من البرد فى الشتاء، وقالوا: إن هذا الموضع يجمع لنا ما نريد. وأقاموا مع العمالق وكان لا يخرج من اليمن قوم إلا ولهم ملك يقيم أمرهم وكان ذلك سنّة فيهم ولو كانوا نفراً يسيرا، فلما كان مضاض بن عمرو ملك جرهم والمطاع فيهم، وكان السميدع ملك قطورا فنزل مضاض ابن عمرو أعلا مكة فكان يعشر من دخلها من أعلاها وكان حوزهم وجه الكعبة الركن الأسود والمقام والموضع الزمزم مصعدا يميناً وشمالا وقعيقعان إلى أعلى الوادى ونزل السميدع أسفل مكة وأجياد فكان يعشر من دخل

---

(١) فى النسخة (م): قبلهم.
(٢) فى النسخة (م): والحل.
(٣) فى النسخة (م): اسقينا وعظاها.

مكة من أسفلهما وكان حوزهم المسفلة وظهر الكعبة والركن اليمانى والغربى وأجياد والثنية إلى الرمضة فبنيا فيها البيوت واتسعا فى المنازل وكثروا على العماليق فنازعهم العماليق فمنعتهم جرهم وأخرجوهم من الحرم كله فكانوا فى أطرافه لا يدخلون ، فقال صاحبهم : ألم أقل لكم لا تستخفوا بحرمة الحرم فغلبتمونى ، فجعل مضاض والسميدع يقطعان المنازل لمن ورد عليهما من قومهما وكثروا وأعجبتهم البلاد وكانوا قوما عرباً وكان اللسان عربياً فكان إبراهيم خليل الله يزور إسماعيل فلما سمع لسانهم وأعرابهم سمع لهم كلاماً حسنا ورأى قوماً عرباً وكان إسماعيل قد أخذ بلسانهم وأراد أن ينكح فيهم وخطب إلى مضاض بن عمرو ابنته رعلة فزوجه إياها فولدت له عشرة ذكور وهى أم البيت وزوجته التى غسلت رأس إبراهيم حين وضع رجله فى المقام .

ثم قال : فلم يزل أمر جرهم يعظم مكة ويستفحل حتى ولوا البيت وكانوا ولاته وحجابه وولاة الأحكام بمكة فجاء سيل فدخل البيت فانهدم فأعادته جرهم على بناء إبراهيم عليه السلام وكان طوله فى السماء تسعة أذرع ، وقال بعض أهل العلم : كان الذى بنى البيت لجرهم أبو الجدرة فسمى عمرو بن الجادر وسموا بنوه الجدرة ، وقال : إن جرهما استخفت بأمر البيت والحرم وارتكبوا أموراً عظاماً وأحدثوا فيها المظالم[1] وأحدثوا ما لم يكن . فقام مضاض بن عمرو ابن الحرث فيهم خطيباً فقال : يا قوم احذروا البغى فإنه لا بقاء لأهله قد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم فلم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا فسلطكم الله عليهم فأخرجتموهم وتفرقوا فى البلاد فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة البيت بيت الله ولا تظلموا من دخله أو جاءه معظما لحرمته أو جاء بائعاً لسلعته ومرتعيا فى جواركم فإنكم إن فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذل وصغار حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل الحرم ولا على زيارة البيت الذى هو لكم حرم وأمن والطير تأمن فيه ، فقال قائل منهم يقال له يجدع : من الذى يخرجنا منه ألسنا أعز العرب وأكثرهم رجالا وأموالا وسلاحا ؟ فقال مضاض بن عمرو : إذا جاء الأمر بطل ما تقولون فلم يقصروا عن شىء مما كانوا يصنعون وللبيت خزانة فى بئر فى بطنه يلقى فيها الحلى والمتاع الذى يهدى له وهو يومئذ لا سقف له ؛ وتواعد خمسة نفر من جرهم أن يسرقوا ما فيها ، فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله عز وجل أعلاه أسفله وسقط منكسا فهلك وفرّ الأربعة الأخر . فعند[2] ذلك مسحت الأركان الأربعة ثم قال : وقال أهل العلم : إن جرهما لما طغت فى الحرم دخل رجل منهم وامرأة يقال لهما أساف ونائلة البيت ففجروا فيه[3] فسخطهما الله تعالى حجرين فأخرجا من الكعبة فنصبا على الصفا والمروة ليعتبر بهما من رآهما وليزدجر الناس

---

(١) هكذا عادة الدول عند ما تشيخ وتنحرف عن الجادة وتقبل على الفساد .

(٢) فى النسخة (ك) : فمن .

(٣) فى النسخة (ك) : ففجروا فيه فمسخهما .

عن مثل ما ارتكبا[1] . انتهى . وقد يشتمل هذا الخبر على أمور من حال جرهم . وفيه موضعان يقتضيان أنهم أخرجوا العماليق من مكة ، وهـذا الخبر الذى أشرنا إليه بعد ذكرنا لخبر ابن عباس وابن خيثم فى خروج العماليق من مكة لـكونه يفهم خلاف ما يفهمه الخبران المشار إليهما والله أعلم ، وأظن أن ابن الوليد الأزرقى مؤلف أخبار مكة هو القائل : حدثنى بعض أهل العلم ، قالوا : كانت العماليق هم ولاة الحـكم بمكة إلى آخر ما ذكرناه من خبر العماليق وقطورا وجرهم ، ويحتمل أن يكون قائل ذلك هو ابن إسحاق زيادة على ما ذكره من خبر جرهم وقطورا لما فى ذلك من الفوائد الزائدة على ما ذكره أولاً والله أعلم .

وذكر المسعودى[2] خبر جرهم وقوم السميدع على وجه يخالف ما ذكره الأزرقى عن ابن إسحق ، وأفاد ذلك ما لم يفده غيره وذكر ما فيه مما يلائم خبر المشار إليهم دون ما فيه من خبر غيرهم إلا ما لا بد من ذكره لارتباط الـكلام ، قال المسعودى : وقد أسكن إبراهيم ولده عليهما السـلام مـكة مع أمه هاجر . ثم قال : وكان من ظمأ إسماعيل وخبر هاجر ما كان إلى أن أنبع الله زمزم وأقحط اليمن فتفرقت إلى البيت وجرهم ، ومن هنالك من عاد فيممت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار المخصبة وعليهم السميدع بن هوثر بن لاى بن قطور بن كركر بن حمدان ، فلما اجهدت بنو كركر من المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتد الجهل أقبل السميدع بن هوثر يرتجز بشعر له يحثهم على المسير ويشجعهم فيما نزل بهم فقال :

سيروا بنى كركر فى البلاد إنى أرى ذا الدهر فى فساد

قد ساد من قحطان ذو الرشاد

فأشرف روادهم وهم المتقدمون منهم لطلب المـاء على الوادى تنظر إلى الطير يرتفع وينخفض فاستبطنوا الوادى فنظروا إلى العريش على الربوة الحمراء يعنى موضع البيت لأنه ذكر أنه كان ربوة حمراء وفيها هاجر وإسماعيل وقد أمنوا حول المـاء بالحجارة ومنعوه من الجريان ، ثم قال : فسلم الرواد عليهما واستأذنوهما فى نزولهم وشربهم من المـاء فآذنا لهم فى النزول فتلقوا من ولاهم من أهلهم وأخبروهم خبر الماء فنزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء وبما أضاء لهم الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام .

ثم قال وتسامعت جرهم ببنى كركر ونزولهم فى الوادى وماهم فيـه من الخصب ودر الضرع وهم فى حال قحط فساروا نحو مكة وعليهم الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن رقيب بن ظالم بن حنى بن نبت بن جرهم حتى

---

(١) المسخ جائز عقلا ، لـكن لعل هذه الأخبار تعد من باب الأساطير .

(٢) هو المؤرخ العظيم صاحب « مروج الذهب » المتوفى عام ٣٤٦ هـ .

أتوا الوادى ونزلوا على مكة واستوطنوا الدار مع اسماعيل ومن نبذهم من العماليق من بنى كركر وقد قيل فى كركر إنهم من العماليق وقيل من جرهم والأشهر أنهم من العماليق .

ثم قال بعد ذكر شىء من خبر اسماعيل :

ولما قبض اسماعيل[1] قام بالبيت بعده ثابت بن اسماعيل ثم قام بعد ثابت إياس بن جرهم لغلبة جرهم على دار إسماعيل وكان ملك جرهم يومئذ الحارث بن مضاض وهو من ولى البيت فكان ينزل هنالك فى الموضع المعروف بقعيقعان وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرها عليه وذلك من أعلى مكة وملك العماليق السميدع بن هوثر فنزل أجياد من أسفل مكة فيعشر من دخل مكة من ناحيته فكان بينهم حرب فخرج الحارث بن مضاض ملك جرهم يتقعقع منه الرماح والدرق فسمى الموضع بقعيقعان لما ذكرنا وخروج السميدع ملك العماليق معه الجياد من الخيل فعرف الموضع بجياد إلى هذا الوقت فنزلوا على الجرهميين فافتضحوا فسمى الموضع فاضحاً إلى هذه الغاية ثم اصطلحوا ونحروا الجزور وطبخوا فسمى الموضع الطابخ وصارت ولاية البيت إلى العماليق ثم كانت لجرهم عليه فأقاموا ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة وكان آخر ملوكهم الحارث بن مضاض الأصفر بن عمرو بن الحرث بن مضاض الأكبر وزاد فى بناء البيت ورفعه عما كان من بناء إبراهيم انتهى .

وقد أغرب المسعودى فيما ذكره من أن ملك جرهم حين قدموا إلى مكة الحارث بن مضاض بن عمرو فإن المعروف أن ملكهم إذ ذاك مضاض بن عمرو كما ذكر ابن إسحاق وغيره وذكر المسعودى بعد ذلك مايوافق ماذكره ابن اسحاق .

وقد ذكر أن أول ملوك جرهم بمكة مضاض بن عمرو بن غالب الجرهمى الزبير بن بكار لانه قال : كان أول من ولى البيت من جرهم مضاض بن عمرو بن غالب الجرهمى ثم ولده بعده ثم بنوه كابرا عن كابر حتى بغت جرهم بمكة انتهى .

وأغرب المسعودى أيضاً فيما ذكره من أن جرهما لما اقتتلوا مع السميدع وقومه كانت الدائرة على الجرهميين وأن ولاية البيت صارت للعماليق ثم صارت لجرهم والمعروف فى قتال الفريقين أن الدائرة كانت على السميدع وقومه وأنه قتل فى هذه الواقعة وانفرد مضاض بن عمرو الجرهمى بملك مكة كما هو مقتضى ماذكره ابن اسحاق وغيره ولا أعلم للمسعودى فيما ذكره فى ذلك سلفا ولا خلفا إلا شارح العبدونية فإنه ذكر فى ذلك نحو ما ذكره المسعودى ولعله قلد المسعودى فى ذلك فإنه متأخر عنه والله أعلم ، وأفاد المسعودى رحمه الله فيما ذكره من خبر

---

(١) أرجح الآراء أن اسماعيل دفن بمكة حيث كان يقيم فيها .

الفريقين أموراً لم يفدها غيره فيما علمت منها كون السميدع وقومه من العماليق ومنها كونهم قدموا إلى مكة قبل جرهم ومنها ماذكره فى مدة ملك جرهم وأفاد فى تاريخه أيضاً فى مدة ملكهم غير ذلك لأنه قال ووجدت فى وجه آخر من الروايات أن أول مَنْ ملك من ملوك جرهم بمكة مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن حنى ابن نبت بن جرهم بن قحطان مائة سنة ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مضاض مائة وعشرين سنة ثم ملك الحرث بن عمرو مائة سنة وقيل دون ذلك ثم ملك بعده عمرو بن الحرث مائتى سنة ثم ملك بعده مضاض بن عمرو الأصغر بن الحرث بن عمرو بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنى ابن نبت بن جرهم بن قحطان أربعين سنة انتهى .

وقد ذكر شارح العبدونية مدة ملوك جرهم وترتيبهم على وفق كلام المسعودى هـذا بالمعنى إلا أنه لم يذكر القول الذى ذكره المسعودى فى أن مدة ملك الحرث بن عمرو بن مضاض دون مائة سنة .

وذكر الشارح أيضاً فى مدة ملك جرهم غير ماذكره المسعودى ونص كلامه : وكانت ولاية البيت بعد ثابت لبنى جرهم نحو ثلاثمائة سنة وقد قيل خمسمائة سنة وستين سنة وقيل ستمائة سنة انتهى ، والقول الثانى يوافق ماذكره المسعودى فى مدة ملكهم وما ذكره المسعودى فى نسب السميدع يخالف ماذكره السهيلى فى نسبه لأن المسعودى ذكر أن السميدع بن هوثر بن لابى بن قنطورا بن كركر بن جيدان ، والسهيلى ذكر أن السميدع بن هوثر بثاء مثلثة قيدها البكرى بن لابى قطور بن كركر بن عملاق فوقعت المخالفة فى اسمين أحدهما القنطور بدل قطوراً وجيدان بدل عملاق ولعل الصواب ماذكره السهيلى إلا أن يكون ذلك تصحيف من ناسخ النسخة التى رأيتها من تاريخ المسعودى ورأيت فيها ما يقتضى أن هوبر بالباء الموحدة لأنه نقطه فى هذا الحرف من أسفل فى غير موضع ونقط الطاء من قنطور وقد ذكر شارح العبدونية نسب السميدع كالمسعودى إلا أنه وقع فى نسبه إلى الكركر فى بعض نسخ الشرح ابن هود وليس السميدع هـذا بالسميدع الذى جاز به يوشع بن نون وإن كانا قد اتفقا فى الاسم واسم الأب وفى الأنساب إلى العماليق ولأن المسعودى قال فى أخبار يوشع بن نون وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوثر بن ملك إلى يوشع بن نون فكانت له معه حروب إلى أن قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه ثم قال وقد قيل إن يوشع بن نون كان يريد محاربته لملك العماليق وهو السميدع ببلاد أيلة صوب مدين انتهى ، والدليل على ما ذكرناه من أن السميدع هذا ليس بالسميدع الذى حاربه يوشع ابن نون أن السميدع ملك قطور كان فى زمن الخليل عليه السلام على ما يقتضى كلام المسعودى فى الخبر الذى سبق ذكرنا له باختصار ، ويوشع المحارب للسميدع كان بعد الخليل عليه السلام بزمن طويل لأن بين يوشع والخليل عدة آباء فإنه على ما ذكر المسعودى يوشع بن نون بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وإذا كان بين يوشع والخليل هـذه الآباء كان متأخرا عن الخليل بدهر طويل فيكون كذلك السميدع ، والسميدع ملك قطورا من العماليق ، والزَّبَّاء الملكة من ذريته على ما فهم السهيلى من كلام صاحب الأغانى والله أعلم .

وذكر السهيلى ما يقتضى أن قطورا الذى منهم السميدع هذا من جرهم لأنه قال لما ذكر الآباء التى بين عدنان و إبراهيم عليه السلام :وذكر الطبرى فيهم أيضاً دوس العتق وكان أحسن الناس وجها وكان يقال فى المثل أعتق من دوس وهو الذى هزم جيش قطورا من جرهم انتهى .

وما ذكره المسعودى فى نسب ملوك جرهم مخالف لما ذكره السهيلى فى ذلك ، وكلام المسعودى أيضا مختلف لأنه أعنى المسعودى ذكر أن جرهما لما ساروا نحو مكة كان عليهم الحرث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن مىّ بن نبت بن جرهم وقال أيضا ووجدت فى وجه آخر من الروايات أن أول ملك من ملوك جرهم بمكة مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنى بن نبت بن جرهم ،وقال السهيلى : وكان الحرث بن مضاض بن عمرو ابن سعد بن الرقيب بن هنى بن نبت بن جرهم قد نزل قنونا [1] من أرض الحجاز ، وذكر قضية يأتى ذكرها ووقعت المخالفة فى كلام المسعودى فى هنى بالهاء والنون وفى مىْ بالميم ، وفى زيادة ظالم، بين الرقيب و بين مى فى وقعت المخالفة بين المسعودى والسهيلى فى زيادة ظالم وفى هنى هل هو هنى بالنون كما ذكر المسعودى أو هى بلا نون كما ذكر السهيلى أو هى بالميم كما ذكر المسعودى إلا أن يكون ذلك غلطا من ناسخ أحد الكتابين فتنتفى المعارضة والله أعلم .

وذكر الشيخ فتح [2] بن موسى بن حماد الأندلسى فى كتاب له نظم فيه السيرة لابن اسحاق خبرا طويلا ، فيه ما يخالف ما ذكره المسعودى والسهيلى [3] فى نسب ملوك جرهم ، وفيه ما يخالف ماذكره ابن اسحاق فى سبب تسمية ققيعقان وأجياد وفاضح والطابخ وغير ذلك ما اقتضى ذلك ذكره لإفادة ذلك وغيره من الفوائد، وهو أن إلياس بن مضر قال سألت عمى إياد بن نزار عن أصل ماله وكان متمولا فذكر أنه مرت عليه سنون لم تبعث له سوى عشرة أبعرة يعود بكراها على أهله وذكر أنه كان أكبر إخوته ثم قال فخرج إياد إلى الشام بجماله فلم يجد من يكترى منه فسمع صوتا كالرعد ينادى من يحمانى إلى الحرم وله وقر جمل دراً و ياقوتا وعقيانا ولا يجيبه أحد فيتبع الصوت إلى أن وجد رجلا أعمى كالنخلة السحوق ولحيته تناطح ركبتيه فراعه ذلك وقال: عندى يا شيخ حاجتك قال: ادن منى فدنا منه فقال : أنت إياد بن نزار فقال : نعم فمن عرفك باسمى قال علمه عندى عن جدى أن إياد بن نزار يرد الحارث بن مضاض إلى مكة من طول غربته فقال كم جملا عندك ؟ قلت عشرة . قال : تكفينى، قلت : هل معك غيرك قال : لا ، ولكنى إنما أركب الجمل يوما وأتميل، فقلت : لفظت له بجمله، فلا أعود و بيننا و بين مكة

---

(١) قنونا، هى القنفدة . (٢) فقيه عالم بالأدب والحكمة والمنطق ولد بالجزيرة الخضراء سنة ٥٨٨ هـ . ودرس بالفائزية وتوفى بها سنة ٦٦٣ هـ . وتولى القضاء بأسيوط بمصر ومن كتبه (نظم المفصل للزمخشرى) و (نظم الإشارات لابن سينا) « الاعلام ص ٧٦٦ » . (٣) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن احمد الخثعمى .حافظ لغوى ولد بمالقة سنة ٥٠٨ هـ . وتوفى سنة ٥٨١هـ . ومن كتبه (الروض الأنف) فى شرح السيرة النبوية و (التعريف والأعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام) . « الأعلام ص ٢٩٨ » .

عشرة مناهل ، فحملته وكلما خس جمل قطرته إلى آخر إلى أن عارضنا مكة . فقال : يا بنى إنى أحسب الحمل يجمر بى وأظنه واقعا حول جبـل الطابخ قلت نعم . قال : اسمع آخر كلامى ، قلت : نعم . قال : أنا الحارث بن مضاض ، ابن عبد المسيح ، بن مقبلة ، بن عبد المراد ، بن خشرم ، بن عبديااليل ، بن جرهم ، بن قحطان ، بن هود عليه السلام . كنت ملك مكة وما والاها إلى هجر ومدين وثمود ، وكان أخى عمرو بن المضاض ملـكا قبلى ، وكنا نعلق التيجان على رؤوسنا يوما . ويوما نعلقها بباب الحرم فحضر يهودى بدر وياقوت فاشترى منـه أخى ما شاء الله ، وأنصفه فى الثمن ووفاه فباع أخره على السوقة فمنع أخى فانتزع جميع ما كان معه فأغفل اليهودى حارس التاج بباب الحرم فقتله وحمل التاج فلم يعرف الخبر إلا من رآه بالبيت المقدس فأرسل أخى إلى ملـكهم قال : إن سبط بنيامين بن يعقوب يرد التاج ويأخـذ حق اليهودى فلم يفعل فخرج إليهم أخى فى مائة ألف وخمسين ألفا من أجناده ومن العمالقة وقضاعة واستنصر فأران بن شنيف بن هرقل فخرج إلينا فى مائتى الف وجمـاعة من أهل الشام فساروا إلينا ونزلوا شرقى هذا الجبل ونزلنا غربيه وأوقدنا كلنا النيران وطبخوا وطبخنا ، فسمى جبل الطابخ ثم نزلنا قعيقعان فتقعقعنا نحن وهم بالجحف والسلاح فسمى الجبل قعيقعان ثم لما اصطففنا خرج أخى وقال : أنا الملك عمرو بن مضاض فابرز لى يا سنيف[٢] فمن أظفره الله كان الملك له ، ففعل فقتله أخى على ربوة فاضح فنزل إليه فجره برجله وفضحه بذلك فسميت تلك الربوة ربوة فاضح وامتنع فأران من الوفاء بما التزمه شنيف فقاتلناهم وقتل أخى فأران فانهزموا وتبعناهم إلى بيت المقدس فأذعنوا للطاعة فتزوج أخى منهم برة بنت شمعون ولم يكن فى زمانها أجمل منها فشفعت له أن يرحل عن قومها فرحل فلما بلغ مكة وكان عنده مائة رجل من أعيان بنى إسرائيل رهائن على الطاعة ، فلما كانوا بأجياد سمت زوجته مسكة من حديد وألقتها فى فراشه فلما نام عليها مات وهربت الزوجة فى الرهائن المائة على تحيز عدوها فلحقناهم وأحضرناهم فأمرت بقتلهم ، فقال أولهم للسياف : لا تخفض ولا ترفع وانزل بسيفك على الأجيـاد فسمى موضع قتلهم بالأجياد وملـكت وتزوجت بهـا وقصدتنى بنو إسرائيل بجنود عظيمة ومعهم تابوت داود عليهم السلام الذى فيه السكينة والزبور فهزمتهم وأخذت جرهم التابوت فدفنته فى مزبلة فنهيتهم فعصونى فأخرجته ليلا ووضعت مكانه تابوتا يشبهه ونهاهم عنه هميسع بن بنت قيدار بن إسماعيل فأبوا فأعطيته التابوت فسلط الله على جرهم والعمالقة عللا كثيرة فماتوا إلا من كره فعلهم فملـكت ابنى عمرو وخرجت أجول فى الأرض فضربت الأمثال بقريتى وسار به إلى شعب الاثل عند غيضة زيتون فقال : يابنى قد خلونا وثالثنا الله الشاهد العالم الواحـد وإذا أسديت نعمة للمرء وجب عليه شكرها وقد أسديت إليه نعمة وجب شكرها فعلى لك أن أنبئك بمـا ينجيك والذى به أهديك أحب إلى ممـا أغنيك يابنى هل ولد فى آل مضر مولود اسمه محمـد قلت : لا قال : إنه سيولد ويأتى حينه ويعلو دينه ويقبل أوانه ، ويشرف زمانه فان أدركته

---

(١) فى النسخة (ك) : شنيف .

فصدق وحقق وقبل الشامة التى بين كتفيه صلى الله عليه وسلم ، وقل له : ياخير مولود ، دعوت إلى خير معبود ، فأجب ولا تخب ثم قال :

شكرت مسارعا نعم الأيادى لخير الناس كلهم أبادى
إلى ابن نزار حيث الفقر حتى نزلت برحله من غير زاد

وذكر باقى الأبيات ثم أتى صخرة عظيمة مطبقة على صخرة فقلعها ودخل معه سربا وذكر العقبة إلى أن دخل لبيت فيه أربعة أسرة سرير خال وثلاثة عليهن رجال وفى البيت كرسى در و ياقوت وعقيان ولجين فقال لى : خذ وقر جملك لا غير، وقال له : هذاك الذى على يسار سرير الخالى مضاض أبى والذى على يساره سرير ابنه عبد المسيح والذى على يساره سرير ابنه بقيلة وعلى رأس بقيلة لوح رخام فيه مكتوب أنا بقيلة بنت عبد المدان عشت خمسمائة سنة فى طلب الملك فلم يكن ذلك ينجينى من الموت وعلى رأس عبد المسيح : أنا عبد المسيح عشت مائة سنة وركبت مائة فرس وافتضضت مائة بكر وقتلت مائة مبارز وأخذنى الموت غضبا فأورثنى أرضا، وعلى رأس مضاض: أنا مضاض عشت ثلاثمائة سنة أخذت مصر والقدس وهزمت الروم بالدروب ولم يكن لى بد من الموت ثم استوى على سريره الخالى و إذا على رأسه مكتوب أنا الحارث بن مضاض عشت أربعمائة سنة ملكت وجلت فى الأرض ثلاثمائة سنة متفرقا بعد هلاك قومى جرهم ثم قال : يابنى ناولنى القارورة التى فى تلك الكسوة فناولته إياها فشرب نصفها وادهن بنصفها وقال : اذا أتيت اخوتك وقومك فقالوا لك من أين هذا المال . فقل لهم : إن الشيخ الذى حملته هو الحارث بن مضاض الجرهمى يكذبونك فقل لهم : إن آيتى الحجر المدفون بجوار زمزم فيه مقام ابراهيم وفى الحجر الذى يليه شعر الحارث ابن مضاض وهو قوله : كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر[1] الأبيات التى ذكرها ثم قال : ناولنى القارورة الأخرى فناولتها فشربها فصاح صيحة فمات فخرجت بما معى من المال انتهى .

هذا الخبر على ما هو مذكور فى الكتاب المذكور إلا أنى تركت منه شيئاً لا تعلق له بخروجهم وإنما له تعلق بحال إياد بن نزار ، وفيه غليطات فى الخبر وقعت مصحفة فى النسخة التى نقلت منها هذا الخبر فكتبتها على الصواب إلا مالم يتجه لى فيه وجه الصواب فكتبته على ما وجدته فى النسخة التى نقلت منها هذا الخبر تسمية أخى الحارث بن مضاض بعمر بغير واو ولا أدرى هل ذلك صواب ؟ والصواب عمرو بالواو وقال الأندلسى بعد ذكره لهذا الخبر :فانظر إلى ما اشتملت عليه هذه الحكاية من مخالفات ما نقله صاحب السيرة من أن هذا الشعر لعمرو بن

---

(١) هذا البيت من قصيدة طويلة تروى لمضاض بن عمرو الحرث الجرهمى وراجعها فى صفحة ٤٧ من كتاب تاريخ القطبى ، وستأتى الأبيات بعد قليل ، وتنسب لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى .

الحارث بن مضاض وهو ههنا لوالده،قال : ويمكن الجمع بينهما بأن يكون ولده تمثل بها لما فارقوا مكة ثم نبه رحمه الله على أن مافى هذا الخبر من نسب الحارث بن مضاض مخالف لماذكره السهيلى من نسبه وقد سبق ما ذكره السهيلى من نسب جرهم فأغنى عن إعادته ،ومن موجبات ذكر فتح الأندلسى هذا الخبر الاستدلال به على خلاف ما ذكره السهيلى فيما اعترض به على ابن اسحاق فيما ذكره فى سبب تسمية أجياد ويذكر كلاماً ثم يتبعه بتعقب فتح له ، لما فى ذلك من الفائدة .

قال السهيلى : وأما أجياد فلم يسم بأجياد جمع جيد، وذكر أصحاب الخبر أن مضاضا ضرب فى ذلك الموضع من أجياد مائة رجل من العمالقة فسمى الموضع بأجياد ، وهكذا ذكر ابن هشام فى غير هذا الكتاب انتهى .

وأما تعقب فتح بذلك فلأنه قال:قلت وما ذكره السهيلى لا يلزم ابن اسحاق لأن تسمية الشىء لأجل الشىء لا يلزم أن يصدق على لفظه بحاله بل يصدق عليه كما ذكروه فى الطابخ وفاضح وقد لا يصدق كما ذكره فى قعيقعان فيكون كحكم الجياد مع أجياد وكحكم القعقعة مع قعيقعان ،ويحتمل أن يكون مراده لأجل أجياد الجياد لأن أعناق الخيل أول ما ظهرت هناك فيكون على حذف المضاف لقربه من الصفة على أنه لا يسلم له أنه لا يجمع جيد على جياد فإن المنقول عن سيبويه أن جيدا فعل بضم الفاء وسكون العين كريح وقد جمعوا الريح على رياح فكذلك الجيد على هذا التقدير يجمع على جياد ويؤيد هذا أن سيبويه ذكر أن باب فعل يجمع فى التكسير على فعول وفعال وإن كان جمع فعول فيه أكثر من فعال،وأما ما ذكره من أصحاب الأخبار من ضرب مضاض فى ذلك الموضع أجياد مائة من العماليق فان الذى نقلته من كتب جماعة أن الذى ضرب الرقاب هناك لم يكن مضاضا ولا كانت المائة المقتولة من العمالقة أصلا،فإن أصحاب الأخبار قد ذكروا فى حديث طويل نذكر معناه مختصرا لأن فيه ما يدل على البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وهو أن إلياس بن مضر قال : سألت عمى إياد بن نزار عن أصل ماله وكان متمولا وذكر الخبر المتقدم ، انتهى . قلت لا مانع من أن يكون مضاض بن عمرو الجرهمى ضرب أيضا بأجياد أجياد مائة رجل من العمالقة لما ظهر على قطور قوم السميدع وهم من العمالقة كما تقدم ويصح بذلك ما نقله السهيلى عن ابن هشام وغيره من أهل الأخبار وتكون ذلك قضية، وما ذكره من فتح الأندلسى قضية أخرى وقد ذكر صاحب الاكتفاء ما يؤيد ذلك لأنه قال: وغير ابن اسحاق يقول انما سمى بأجيا دبضرب أجياد مائة رجل فيه من العمالقة وقيل بل أمر بعض الملوك بضرب الرقاب فيه فكان يقول لسيافه توسط أجياد وهذا أونحوه أصح فى تسمية الموضع بأجياد مما قال ابن اسحاق انتهى.

ولا منافاة بين ماذكره صاحب الاكتفاء من أن الملك قال لسيافه توسط الأجياد وبين ماتقدم فى أن الخبر من ابن قائل ذلك أو من المقتولين لإمكان أن يكون قال الملك ذلك أيضا لسيافه كما قال المقتول لسيافه لأن المقتول

سأل ما لا يؤثر فى مقصود الملك، فأجابه الملك إلى سؤاله والله أعلم . وقد قيل فى سبب تسميته أجياد وقعيقعان غير ماذكره ابن اسحق فى سيرته لأن الأزرقى ذكر خبرا فى خبر تبع ، قال فيه : ثم سار تبع حتى قدم مكة فكان سلاحه بقعيقعان، فيقال فبذلك سمى قعيقعان ، وكانت خيله بأجياد و يقال : إنما سميت أجيادا بأجياد خيل تبع وهذا الخبر رواه الأزرقى عن جده عن سعيد بن سالم ، عن عثمان بن ساج عن ابن اسحق وقد قيل فى سبب تسمية أجياد وقعيقعان والطابخ شيئا يستغرب ، ذكره الفاكهى لأنه قال : وحدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال حدثنى الوليد بن عطاء بن أبى مسلم الأعز عن أبى صفوان المروانى قال حدثنا ابن جريج قال: قال مجاهد قال ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن أباكم اسماعيل أول من ذللت له الخيل العراب فاعتقها وأورثكم حبها وذلك أن الخيل العراب كانت كلها وحوشا كسائر الوحوش فلما أذن الله عز وجل لإبراهيم واسماعيل برفع القواعد من البيت أعطى لكل واحد منهم كنزاً من كنوزه فأوحى الله إلى إسماعيل إنى معطيك كنزا من كنوزى ذخرته لك لم أعطه أحدا قبلك فخرج اسماعيل وما يدرى ذلك الكنز وما يدرى الدعاء حتى أتى أجياد فألهمه الله تعالى الدعاء فدعا به وأحيط الداعى بالخيل فلم يبق فى بلاد العرب كلها فرس إلا أتاه وذلله الله له وأمكنه من نواصيها ، قال ابن عباس فبذلك سميت أجياد أجيادا لأنها اجتمعت فى أجياد قال النبى صلى الله عليه وسلم : فالخيل العراب تراث أبيكم اسماعيل فاعتقوها واركبوها . قال ابن عباس ووضع فى الخيل وجاه السلاح فكانت كلما أخرجت تقعقع بعضها على بعض فبذلك سميت قعيقعان ، وكان الطعام فى الشعب الذى يدعى شعب عبد الله بن عامر فبذلك سميت الطابخ انتهى .

وشعب عبد الله بن عامر المشار إليه هو شعب بأعلى مكة يعرف عند الناس بشعب عامر ، وفاضح المذكور فيما سبق من الأخبار هو على ما يقول الناس جبل بسوق الليل مما يلى المعلاة وقد قال الكلام فيما يتعلق بسبب تسمية أجياد وقعيقعان والطابخ وفى نسب ملوك جرهم وقطور ولكن تحصل بذلك فوائد لاتوجد مجتمعة ولله الحمد .

ذكر من أخرج جرهما من مكة وكيفية خروجهم منها

اختلفت الأخبار فيمن أخرج جرهما من مكة اختلافا كثيراً يعسر فيه التوفيق بين الأخبار المروية فى ذلك فقيل: إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة أخرجوا جرهما من مكة ببغيهم فيها، وقيل : إن بنى عمرو ابن عامر ماء السماء أخرجوا جرهما من مكة حتى لم يترك جرهم بنى عمرو بن عامر يقيمون عندهم بمكة حتى يصل إليهم روادهم ، وقيل: إن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر أخرج جرهما من مكة حين طلب حجابة البيت لسيادته ولشرفه وقيل : إن بنى اسماعيل أخرجوا جرهما من مكة بأن سلط الله تعالى على جرهم آفات، وقيل: إن الله سلط عليهم دواب فأهلكت كثيرا منهم وجلا لذلك بعضهم عن مكة والقول الأول ذكره ابن اسحاق لأنه قال :

ثم أن جرهما بغوا بمكة واستحلوا حلالا من الحرمة وظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى إليها، فرق أمرهم فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك أجمعوا بجرهم وإخراجهم من مكة، فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة، وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظالما ولا بغيا، لا يبغى فيها أحد إلا أخرجته فكانت تسمى الناسية ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك فيقال: ما سميت ببكة إلا أنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها، قال ابن اسحق فخرج عمرو بن الحرث بن مضاض الجرهمى يغزو بغزالى الكعبة و يحجز الركن فدفنها فى زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن فحزنوا على مافارقوا من أمر مكة و ملكها حزنا شديدا، فقال عمرو بن الحرث بن مضاض فى ذلك وليس بمضاض الأكبر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد ثابت ... بعز فما تخطى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا ... فليس لحى غيرنا ثم فاخر
ألم ينكحوا من غير شخص علمته [1] ... فأبناؤها منا ونحن الأصاهر
فإن تثن الدنيا علينا بحالها ... فان لها غبنا وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك بين الناس تجرى المقادر
أقول إذا نام الخلى ولم أنم ... إذ العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها أوجها لا أحبها ... وحمير قد بدلتها واليحابر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة ... كذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكى لبلدة ... بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكى لبيت ليس يؤذى حمامه ... يضل به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لاترام أنيسة ... إذا أخرجت منه فليس تغادر [2]

قال ابن هشام: قوله فأبناؤه عن غير ابن اسحق، قال ابن اسحاق وقال عمرو بن الحرث يذكر بكرا وغبشان وساكنى مكة الذين خلفوا فيها بعدهم:

---

(١) يروى الشطر الأول هكذا: وكنا لإسماعيل صهرا وجيرة.

(٢) راجع بعض أبيات القصيدة فى صفحة ٤٧ من تاريخ القطبى، وستأتى بعد ذلك برواية أخرى.

يا أيها الناس سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا
حثوا المطى وأرخوا من أزمتها قبل الممات وقضوا ماتقضونا
إنا كما كنتمو كنا فغيرنا دهر فسوف كما صرنا تصيرونا

قال ابن هشام ، هذا ماصح له منها : وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات هى أول شعر قيل فى العرب وأنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن ولم يسم قائلها انتهى .

والقول الثانى فى خروج جرهم من مكة ذكره الأزرقى لأنه قال فيما رويناه عنه بالسند المتقدم إليه : قال حدثنى جدى قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن الكلبى عن أبى صالح فذكر خبرا طويلا فيه شىء من خبر جرهم وخزاعة بمكة وفيه أن ثعلبة بن عمرو بن عامر لما قدم مكة فى قومه بعد تفرقهم من بلاد سبأ لما أخبرت به طريفة الكاهنة من خرابها بسيل العرم أرسل إلى جرهم وسألهم أن يفتحوا له فى بلادهم قدر مايرسل رواده يرتادون له موضعا فأبت ذلك جرهم وأخشنوا له القول وأرسل إليهم ثعلبة يقول لهم لا بد لى من المقام بهذا البلد حولا كاملا حتى ترجع إلى رسلى فإن تركتمونى طوعا حمدتكم وواسيتكم فى الماء والرعى وأن أبيتم أقمت على كرهكم فإن قاتلتمونى قاتلتكم ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرم فأبت جرهم أن يتركوه طوعا وتعبت لقتاله فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم انهزمت جرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد وكان مضاض بن عمرو ابن الحرث بن مضاض بن عمرو قد اعتزل جرهما ولم يعن جرهما فى ذلك وقال كنت أحذركم هذا ثم رحل هو وأهل بيته حتى نزل قنونى وحلى[1] وما حول ذلك، ثم قال: وفنيت جرهم وقد أفناهم السيف فى تلك الحرب وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولا ثم قال بعد أن ذكر تفرقهم فى البلاد بإشارة طريفة الكاهنة لما أصابهم من الحمى وانخزعت خزاعة بمكة وأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عمرو وهو لحى ، فولى أمر مكة وصاروا أهلها ، جاءهم بنو اسماعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فلم يرحلوا إلى ذلك وسألوهم السكنى معهم فأذنوا لهم فى ذلك فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحرث ، وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه ، أرسل إلى خزاعة يستأذنها فى الدخول عليهم والنزول معهم بمكة فى جوارهم فأبت خزاعة ثم قال : فنزعت إبل لمضاض بن عمرو الجرهمى من قنونى تريد مكة فخرج فى طلبها حتى وجد أثرها وقد دخلت مكة فمضى على الجبال من نحو أجياد حتى ظهر على أبى قبيس يتبصر الإبل فى بطن وادى مكة فأبصر الإبل تنحر وتؤكل لا سبيل له إليها فخاف إن هبط الوادى أن يقتل فولى منصرفا إلى أهله وأنشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

---

(١) قنونى ، هى القنفذة ، الميناء الحجازى المشهور وهو واقع فى جنوب مكة. أما حلى ، فهى مدينة يمنية على ساحل البحر .

ولم يتربع واسطا[1] فجنوبه إلى المنحنى من ذى الأراكة حاضر
بل نحن كنا أهلها فأذا لنا صروف الليالى والجدود العواثر
وبدلنى ربى بها دار غربة بها الذئب يعوى والعدو المحاصر
فإن تملإ الدنيا علينا بكلبها ويصبح حال بعدنا وتشاجر
فكنا ولاة البيت من بعد ثابت نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
فأنكح جدى غير شخص علمته فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
فأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك بالناس تجرى المقادر[2]
أقول إذا نام الخلى ولم أنم إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منهم أوجها لا أحبها وحمير قد بدلتها والعمائر[3]
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة كذلك عقتنا السنون الغوابر
وسحت دموع العين تبكى لبلوة كذا بها حرم أمن وفيها المشاعر
بواد أنيس ليس يؤذى حمامه ولا منفر يوما وفيها العصافر
وفيها وحوش لا ترام أنيسة إذا أخرجت منها فما إن تغادر
فيا ليت شعرى هل تغمر بعدنا جياد فممضى سيله فالظواهر
فبطن منى وحش كأن لم يسر به مضاض وفى حى عدى عمائر[4]

وقال أيضاً :

يا أيها الحى سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
إنا كما كنتو كنا فغيرنا دهر فسوف كما صرنا تصيرونا
أزجوا المطى وأرخوا من أزمتها قبل الممات وقضوا ما يقضونا

---

(١) واسط ، هو الجبل الذى يصل بين الجادة الموصلة إلى منى ، والدرب الذى يمر منه المشاة من الحجاج والذى يعرفه أهل مكة بدرب المسكين وهو جنوب شرقى مكة .

(٢) كذا فى جميع الأصول .

(٣) واليحابر فى كتاب الأزرقى ص ٢٥٢ (ج ١) .

(٤) يلاحظ أن القصيدة تختلف فى ترتيبها عما كانت عليه عندما سردها المؤلف قبل ذلك فى هذا الكتاب ؛ وهى تختلف أيضا فى الترتيب وزيادة بعض الأبيات ونقص بعض الأبيات فى كثير من كتب الأدب .

إن التفكر لا يجدى بصاحبه عند البديهة : فى علم تعيدونا
قضوا أموركم بالحزم إن لها أمور رشد وشدوا ثم مسنونا
واستنجزوا فى صنيع الناس قبلكم لما استبان طريف عنده الهونا
كنا زماناً ملوك الناس قبلكم بمسكن فى جوار الله تأتونا

قال : وانطلق مضاض بن عمرو نحو اليمن إلى أهله وهم يتذاكرون ما حال بينهم و بين مكة وما فارقوا من أهلها وملكها فحزنوا على ذلك حزنا شديدا وجعلوا يقولون الأشعار فى مكة انتهى ، باختصار ، لمواضع من هذا الخبر لها تعلق بخبر خزاعة نذكرها فيما بعد وغير ذلك وفيما ذكرناه من كلمات ذكرناها بالمعنى .

والقول الثالث فى سبب خروج جرهم من مكة ذكره الفاكهى لأنه قال: ويقال فى رواية أبى عمرو الشيبانى: إن حجابة البيت صارت إلى خزاعة لأن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن تزوج فهيرة بنت الحارث بن مضاض الجرهمى فولدت له عمرو بن ربيعة فلما شب وسادو شرف طلب حجابة البيت؛ فعند ذلك نشب القتال بينهم و بين جرهم ؛ ثم قال بعد أن ذكر شيئاً من خبر عمرو وأولاده ؛ وكانت بينهم حرب طويلة وقتال شديد ثم إن خزاعة غلبوا جرهما على البيت وخرجت جرهم حتى نزلت وادى إضم[1] فهلكوا فيه ، وفى هذا الخبر شىء من جرهم لأن فيه وذكروا — والله أعلم — أن أسافا كان رجلا من بنى قطورا أخذ امرأة من جرهم يقال لها نايلة ففجر بها فى الكعبة فمسخهما الله حجرين فغضب عمرو من ذلك فأخرج بنى مضاض وكانوا أخواله وكانوا أخرجوهم خروجاً من مكة فلحقوا باليمن فتفرقوا فى القبائل فقال بكر بن غالب بن الحرث بن مضاض :

وأخرجنا عمرو سواها لبلدة بها الذئب تعوى والعدو المحاصر

وقال أيضاً :

وكنا ولاة البيت والقاطن الذى إليه يوفى نذره كل محرم
سكنا بها قبل الظباء وراثة ورثنا بنى حى بن نبت بن جرهم[2]
فأزعجنا منه وكنا عقيلة قبايل من كعب وعوف وأسلم

والقول الرابع فى خروج جرهم من مكة ذكره المسعودى لأنه قال فى أثناء الخبر السابق فى خبر جرهم وقطورا : وبغت جرهم فى الحرم وطغت حتى فسق رجل منهم بامرأة فى البيت وكان الرجل يدعى بإساف والمرأة

---

(١) إضم بكسر أوله : واد يشق الحجاز يبتدىء من قرب المدينة ويصب فى البحر الأحمر .

(٢) هكذا بالأصل دون « ورثنا » ولا يستقيم الوزن بدونها

بنايلة فمسخهما الله حجرين صُيِّرا ، وعبدا تقرباً بهما إلى الله ، فبعث الله عز وجل الرعاف والنحل وغير ذلك من الآيات على جرهم فهلك كثير منهم وكثر ولد اسماعيل وصاروا ذوى قوة ومنعة فغلبوا على أخوالهم من جرهم فأخرجوهم عن مكة فلحقوا ببلاد جهينة فأتاهم فى بعض الليالى السيل فذهب بهم مكان الموضع الذى يدعى بإضم ، قد ذكر ذلك أمية بن أبى الصلت الثقفى فى شعر له فقال :

جرهم دمثوا تهامة فى الدهر فسالت بجمعهم إضم

وفى ذلك يقول الحارث بن مضاض الأصغر الجرهمى :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزا لنا صروف الليالى والجدود العوائر
وكنا لاسماعيل صهرا وجيرة ولما تدر فيها علينا الدوائر
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

ومن ذلك يقول عمرو بن الحرث ابنه :

وكنا ولاة البيت والقاطن الذى إليه يوفى نذره كل محرم
سكنا بها قبل الظباء وراثة ورثنا بنى حى بن نبت بن جرهم انتهى

وذكر الزبير بن بكار ما يقتضى أن المخرج لجرهم من مكة بعد فناء أكثرهم بالرعاف والنمل بنو حارثة بن عامر لأنه قال : قال أبو عبيدة فلما لم تتناه جرهم عن بغيهم وتفرق أولاد عمرو بن عامر فى اليمن فانخزع بنو حارثة بن عمرو بن عامر فأوطنوا تهامة وسميت خزاعة ، ثم قال : بعث الله عز وجل على جرهم الرعاف والنمل فأفناهم فاجتمعت خزاعة ليجلوا من بقى ورأس خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وأمه فقيرة بنت عمرو بن الحارث ابن مضاض الجرهمى وليس بابن مضاض الأكبر فاقتتلوا فلما أحس عمرو بن الحرث بن مضاض بالهزيمة خرج بغزالى [1] الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة وهو يقول :

لاهم إن جرهما عبادك الناس طرف وهم تلادك

وهم قديما عمروا بلادك

فلم تقبل توبته وألقى غز الى الكعبة وحجر الركن فى زمزم ثم دفنها وخرج من بقى من جرهم إلى أضم

---

(١) هما غزالان من ذهب كانا فى جوف الكعبة وقد وجدهما بعد ذلك عبد المطلب حينما حفر زمزم .

من أرض جهينة فجاءهم سيل ، أى سيل فذهب بهم ، فقال أمية بن أبى الصلت [١] :

جرهم دمثوا تهامة فى الده ر فسالت بجمعهم إضم انتهى

وهـذا الخبر ذكره المسعودى فى كون المخرج لهم عمرو ، وفناء أكثرهم بالرعاف والنمل .

والقول الخامس فى سبب خروج جرهم من مكة ذكره الفاكهى أيضا لأنه قال : فى خبر ولاية إياد بن نزار الـكعبة : وحدثنى حسن بن حسين قال : حدثنا محمد بن حبيب قال : ذكر ابن الـكلبى أن الله تعالى سلط على الذين يلون البيت من جرهم دواب شبيهة بالنغف فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشباب ، حتى جلوا عن مكة إلى إضم انتهى .

وقد بان بما ذكرناه من هذه الأخبار الاختلاف فيمن أخرج جرهما من مكة وكيفية خروجهم وفى قائل الأبيات الرائية التى أولها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

هل هو عمرو بن الحارثة من مضاض الأصغر كما هو مقتضى ماذكره ابن إسحاق أو هو مضاض بن عمرو بن الحرث بن مضاض بن عمرو كما هو مقتضى الخبر الذى رواه الأزرقى عن الـكلبى عن أبى صالح أو هو الحارث بن مضاض بن عمر كما هو مقتضى ما ذكره المسعودى ؟ وقيل : إن قائل هـذه الأبيات : ليس ناظم هـذه القصيدة ، وقيل هو الحرث بن عمرو بن سعد بن الرقيب كما هو مقتضى كلام السهيلى فى الروض الأنف .

فتحصل من ذلك فى تأويل [٢] هذه الأبيات خمسة أقوال وليس المراد نسبة كلها إلى كل من المشار إليهم وإنما المراد البيت الأول وما ذكر معه على حسب مما وقع فى كل خبر وقال السهيلى فى الروض أيضـاً فى قوله فى هذه الأبيات ولا يبعد السهيلى: وعامر جبل من جبال مكة يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه :

* فهل يبدون لى عامر وطفيل *

على رواية من رواه هكذا انتهى .

واختلف فى قائل [٣] الأبيات النونية فقيل هو عمرو بن الحارث بن مضاض على ماذكر ابن إسحاق كما سبق

---

(١) شاعر جاهلى مشهور أدرك البعثة ومات سنة ٩ هـ ، وكان يدعى أنه سيكون النبى المنتظر .

(٢) فى النسخة « ك » : قائل :

(٣) فى النسخة « ك » : تأويل .

ورأيت فى أخبار مكة للفاكهى مايقتضى أن قائل الأبيات النونية هو الحرث بن مضاض وذكر بعضها على غير ماسبق ذكره لأنه قال وقال الحرث بن مضاض يعنى بكرا وغبشان وساكن مكة الذين خلفوا فيها بعدهم :

يأيها الناس سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطىّ وأرخوا من أزمتهـا قبل الممات وقضوا ماتقضونا
قضوا أموركم بالحزم إن له أمرا رشيداً وراء الحزم مأمونا
إنا عمرنا بدهر كان يعجبنـا حتى أتانا زمان أظهر الهونا انتهى

واختلف فيمن دفن الحجر الأسود وغزالى الكعبة فى زمزم هل هو مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمى كما هو مقتضى الخبر الذى رواه الأزرقى عن الكلبى عن أبى صالح ؟ أو هو عمرو بن الحارث بن مضاض الأصغر ؟ كما هو مقتضى ماذكره ابن إسحاق والزبير بن بكار عن أبى عبيدة وذكر الأزرقى مايوافق ذلك فى الباب الذى ترجم عليه بقوله : (باب ماجاء فى إخراج جبريل عليه السلام زمزم لأم إسماعيل عليهما السلام) وعزا ذلك لبعض العلماء ولم يسمه فى خبر ذكر فيه شيئاً من حال جرهم بمكة وزمزم وفيما ذكره المسعودى فى سبب خروج جرهم من مكة إشعار بأن الرعاف والنمل الذى فنى به أكثرهم أصابهم بمكة . وكذلك الذى نقله الزبير عن أبى عبيدة فى فناء جرهم ورأيت فى بعض الأخبار مايوهم أن النمل أصابهم فى بلد جهينة وهذا الخبر ذكره الفاكهى لأنه قال : حدثنا حسن بن حسين الأزدى قال : حدثنا محمد بن حبيب عن أبى الكلبى قال : بينما الناس سمار حول الكعبة إذا هم بخلق يطوف بها يدارى رأسه بها فأجفل الناس هاربين فناداهم لا تراعوا فاقبلوا إليه وهو يقول :

* لا هم رب البيت ذى المناكب *

ثم يقول بعد أن ذكر شعرا زيادة على ماذكرناه قال : فنظروا فإذا هو امرأة فقالوا : ماأنت إنسية أم جنية ؟ قالت بل إنسية من جرهم .

ثم قالت : من ينحرلى كل يوم جزورا ، ويعد لى زادا وبعيرا ، ويبلغنى بلاد الغور أعطيه مالاً كثيراً . قال : فانتدب لها رجلان من جهينة فسارا بها أياما وليالى حتى انتهيا إلى جبل جهينة ، فأتت على قرية نمل وذر ، وقالت : ياهذان ههنا هلك قومى فاحتفروا هذا المكان ، فاحتفروا عن مال كثير من ذهب وفضة فأوقرا بعيرهما وقالت لهما : إياكما أن تلتفتا فيختلس مامعكما ، وأقبل الذر حتى غشيها فمضينا غير بعيد ثم التفتنا فاختلس ماكان احتملا ، فناداها هل من ماء قالت نعم فى موضع هذه الهضبات وقالت وقد غشيها الذر :

ياويل ياويلى من اجلى أرى صغار الذر يبغى هبلى
سلطن نفرين على محملى لمـــا رأيت أنه لا بد لى
من منعة أحرز فيها معقلى

ودخل الذر منخريها ومسمعيها فخرت تشهق فهلكت ووجد الجهينيان الماء حيث قالت ، الماء يقال له مسخى وهو بناحية فرس حلل إلى جانب مشعر فهو اليوم لجهينة انتهى .

وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أنه لم يصب جرهما من معرة جيش بخت نصر ما أصاب غيرهم من العرب ، وسيأتى هذا الخبر فى أخبار بنى إسماعيل وفى ذلك دليل على رحمة الله لجرهم ، وذكر الفاكهى أيضاً خبرا يقتضى أن جرهما حين هلكوا بقى منها بقية ، ونص هذا الخبر : وحدثنى الزبير بن بكار قال حدثنى عمر بن أبى بكر الموصلى عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب قال : هلكت جرهم فلم يبق منها غير حى فى بنى ملكان ، وهم قليل وآخرون فى بنى الجون انتهى ، وذكر الفاكهى لعمرو بن الحارث المتقدم ذكره شعرا يعظ به بكرا وغبشان حين تهيئوا لقتال جرهم ويعظم عليهم القتال فى الحرم ويحذرهم الهلاك إن هم فعلوا ذلك ، أوله :

نعوذ برب الناس من كل ظالم بغى من بنى كعب الملوك وجرهم[1]

وذكر له أيضا شعرا فى شأن بكر وغبشان حين أخرجوا من مكة أوله :

لقد نهضت بكر وغبشان كلها تريد تسامى جرهما فى فعالها

وذكر الفاكهى أيضا خبرا يستغرب لما يقتضيه من طول حياة عمرو هذا لأنه قال وحدثنى عبدالله بن أبى سلمة قال حدثنا احمد بن محمد بن عبد العزيز الزهرى عن أبيه قال حدثنى سعيد بن إبرهيم عن أبى سلمة بن عبدالرحمن أن أبا سلمة بن عبد الأسد خرج فى ناس من قريش نحو اليمن قال : وأخطأوا الطريق ، فأصابهم عطش شديد ، قال : فقال أبو سلمة بن عبدالأسد لمن معه من قريش : أى قوم أطيعونى فإن ناقتى عارفة بالطريق قالوا : فإنا نطيعك قال : فخلى عن رأس ناقته فساروا يومهم وليلتهم حتى كان عند قرب الصبح فإذا الناقة قد بركت قال أبو سلمة : ما بركت إلا على ماء ، قال : فنزلوا فإذا هم ببعر الغنم فما كان بأسرع من أن انفجر الفجز فنظروا فإذا بئر وعلى رأس البئر رجل طويل لم ير مثله فتقدموا إليه فقال الرجل : ممن القوم ؟ فقلنا : من قريش فقال : من أى قريش ؟ قلنا : من بنى مخزوم . قال : فسعى فأتى شجرة طويلة فإذا قفة معلقة فى الشجرة فمد يده فأنزل القفة وفتح رأسها فإذا شيخ فيها فرفع حاجبيه ثم قال : أبت ثلاث مرات قال : ففتح عينيه فقال : ما تشاء قال : هؤلاء قوم من قريش ، قال ادعهم إلى فجاءوا فقال : تقدموا إلى الشيخ ، فتقدمنا إليه ففعل به مثل ما فعله الأول ثلاث

(١) فى الأصل : فى ملوك بنى كعب وجرهم . والوزن عليه مختل .

مرات ففتح عينيه فقال : ما أنت . قال : هؤلاء قوم من قريش ، فقال : من أى قريش أنتم ؟ قال أبو سلمة فقلت: من بنى مخزوم ، فقال : ها أنا ومخزوم ، فقال : هل تعرفون لم سميت أجياد أجيادا ؟ قلنا : لا قال : لأنها جادت فيها الخيل ثم قال لم سميت قعيقعان قيقعان . قلنا : لا قال : لأنها تقعقعت فيها السيوف ثم أنشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بل نحن كنا أهلها فأبادنا كروب الليالى والجدود العواثر
فهل فرح يأتى بشىء تريده وهل جزع ينجيك مما تحاذر

يا بن أخى أتدرى لم سميت قعيقعان باسمها ؟ قلت : لا قال : خرج القوم علينا منها عليهم السلاح تقعقع فسميت بقعيقعان . أتدرى يابن أخى لم سميت أجياد أجيادا؟قلت : لا ، قال : جادت بالدماء فسميت أجيادا انتهى.

وذكر هذا الخبر الأزرقى إلا أنه لم يسنده كما أسنده الفاكهى وفى غيره أن أبا سلمة ومن معه أصبحوا على ماء فاستقوا واستقى فإنهم لعلى ذلك إذ أقبل إليهم رجل فقال : من القوم ؟ فقالوا : من قريش . وفيه أن الشيخ قال لأبى سلمة بعد أن ذكر له نسبه كأن لم يكن الخ .

ولم يذكر الأزرقى فى خبره البيت الثالث الذى ذكره الفاكهى من هذا الخبر وهو بعيد من الصحة لما يلزم عليه من أن يكون عمرو بن الحارث عاش ألف سنة لأن هذه القصة إن صحت فإنها قبيل الإسلام لأن أبا سلمة أدركها وإدراكه لها يقتضى أن يكون فى هذا التاريخ لأن سنه تقرب من سن النبى صلى الله عليه وسلم فإن ثويبة مولاة أبى لهب أرضعتهما كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم فاذا كان كذلك فحياة عمرو إلى هذا التاريخ يقتضى أن يكون عمره ما ذكرنا لكونه عاش مدة ولاية خزاعة على مكة وهى خمسمائة سنة وقيل ثلاثمائة سنة ومدة ولاية قريش وهو نحو ثلاثمائة سنة مع ما عاشه عمرو فى ولاية قوم جرهم وما يؤيد ذلك أن السهيلى رحمه الله ذكر العمرين ولم يذكره فيهم وهو لو كان بهذه الصفة أولى بالذكر لعلو سنه ومقداره لأنه قال : ومن أطول العمرين عمر بن وحيد واسمه رويد بن فهد بن قضاعة ، ثم قال عاش رويد أربعمائة عام فيما ذكروا ، انتهى والله أعلم .

تم الجزء الأول من هذا الكتاب بختام هذا الباب

ويليه الجزء الثانى وأوله الباب السادس والعشرون فى ذكر شىء من خبر إسماعيل عليه السلام .

مصادر اعتمدنا عليها فى تحقيق هذا الكتاب

١ ـ كتاب المنتقى فى أخبار أم القرى ، وهى منتخبات من الفاكهى ، ومن شفاء الغرام ، ومن الجامع اللطيف لابن ظهيرة ، طبع أوربا .

٢ ـ الجامع اللطيف للقاضى ابن ظهيرة المخزومى المكى المتوفى عام ٩٥٠ هـ .

٣ ـ الأعلام لقطب الدين الحنفى المكى المتوفى عام ٩٨٨ هـ ، طبع المكتبة العلمية بمكة المكرمة .

٤ ـ ذيل الأعلام لعبد الكريم بن محب الدين المتوفى سنة ٩٩٠ هـ (نسخة مخطوطة) .

٥ ـ العقد الثمين بتاريخ البلد الأمين لتقى الدين الفاسى صاحب كتاب شفاء الغرام، المتوفى عام ٨٣٢ هـ ، وهو خط يد بدار الكتب المصرية .

٦ ـ أخبار مكة للأزرقى المتوفى عام ٢٥٠ هـ ، طبع مكة .

٧ ـ تاريخ الطبرى المتوفى عام ٣١٠ هـ .

٨ ـ مروج الذهب للمسعودى المتوفى عام ٣٤٦ هـ .

٩ ـ الروض الأنف للسهيلى المتوفى سنة ٥٨١ هـ .

١٠ ـ رحلة ابن جبير الأندلسى .

١١ ـ رحلة ابن بطوطة المغربى .

١٢ ـ معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى عام ٦٢٦ هـ .

١٣ ـ القاموس المحيط للفيروزابادى المتوفى عام ٨١٧ هـ .

١٥ ـ تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووى .

١٥ ـ النهاية لابن الأثير .

١٦ ـ نهاية الأرب فى أنساب العرب للقلقشندى المتوفى عام ٨٢١ هـ .

١٧ ـ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

١٨ ـ مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى المتوفى عام ٧٤٩ هـ .

١٩ ـ تاريخ ابن الأثير الجزرى المتوفى عام ٦٣٠ هـ .

٢٠ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى المتوفى عام ٣٢٨ هـ .

٢١ ـ الجامع الصغير للسيوطى المتوفى عام ٩١١ هـ .

٢٢ ـ مناسك الحج لابن تيمية المتوفى عام ٧٢٨ هـ .

٢٣ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر المتوفى عام ٨٥٢ هـ .

٢٤ ـ الاستيعاب لابن عبد البر الأندلسى المتوفى عام ٤٦٣ هـ .

٢٥ ـ سيرة ابن إسحاق المتوفى عام ١٥١ هـ .

٢٦ ـ سيرة ابن هشام المتوفى عام ٢١٨ هـ .

٢٧ ـ شرح صحيح مسلم للنووى المتوفى عام ٦٧٦ هـ .

٢٨ ـ إرشاد السارى شرح صحيح البخارى للقسطلانى المتوفى عام ٩٢٣ هـ ،

٢٩ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر المتوفى عام ٨٥٢ هـ .

٣٠ ـ كتاب الأم للشافعى المتوفى عام ٢٠٤ هـ .

٣١ ـ تفسير الطبرى المتوفى عام ٣١٠ هـ .

٣٢ ـ تفسير الرازى المتوفى عام ٦٠٦ هـ .

٣٣ ـ مسند ابن حنبل المتوفى عام ٢٤١ هـ .

٣٤ ـ تفسير البيضاوى المتوفى عام ٦٨٥ هـ .

٣٥ ـ زاد المعاد لابن القيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ هـ .

٣٦ ـ مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا .

٣٧ ـ الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتونى .

٣٨ ـ تاريخ عمارة المسجد الحرام لحسين عبد الله باسلامه

٣٩ ـ تاريخ الكعبة المعظمة لحسين عبد الله باسلامه .

٤٠ ـ تاريخ مكة لأحمد السباعى .

٤١ ـ إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، تأليف الشيخ أحمد بن محمد الأسدى المكى المتوفى عام ١٠٦٦ هـ . نسخة خطية بالمكتبة التيمورية بالقاهرة مخطوطة عام ١٢٥٥ هـ ، وفى المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة مخطوطة عام ١١٥٤ هـ ، ومنه نسخة بالمكتبة الفيضية بمكة .

٤٢ ـ إتحاف فضلاء الزمن لمحمد بن على بن فضل الطبرى المكى المتوفى عام ١١٦٣ هـ ـ ٣ مجلدات ـ مرتب على السنين ـ مخطوط بالمكتبة التيمورية بالقاهرة .

٤٣ ـ طبقات محمد أمين الزلكى المتوفى سنة ٢٤١ هـ فى تراجم الفقهاء والعلماء والشعراء وغيرهم ـ جزءان ـ مخطوطان عام ١٣٤٢ هـ ـ المكتبة التيمورية .

٤٤ ـ نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر من أوائل الموجودات إلى أواخر القرن الثالث عشر للشيخ أحمد ابن محمد الحضراوى المكى الهاشمى ـ ثلاثة أجزاء ـ مخطوط بالمكتبة التيمورية .

٤٥ ـ درر الفرائد المنظمة ـ نسخة خطية بالمكتبة التيمورية .

٤٦ ـ الأرج المسكى لمحيى الدين عبد القادر الطبرى المكى المتوفى عام ١٠٧٠ هـ ـ مخطوط بالمكتبة التيمورية ١١٦٣ هـ ـ مرتب على الأبواب ، وتوجد نسخة منه بالمكتبة الفيضية ، فى مجلد واحد .

٤٧ ـ تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب ، جمع الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصارى المولود عام ١١٢٤ هـ مرتب على النسبة كالأنصارى والقرشى على حروف المعجم والموجود منه إلى البلخى فى ٨٢ صفحة ـ مخطوط بالمكتبة التيمورية بالقاهرة .

٤٨ ـ تذكرة المتذكر فيما جرى من السيل المتبحر ، تأليف السيد عبد الله بن جعفر بن علوى عن السيل العظيم الذى وقع بمكة فى ٢٦ رمضان عام ١١٥٣ هـ ، وقد استطرد إلى ذكر أخبار السيول العظيمة بخط المؤلف عام ١١٥٣ هـ ـ نسخة خطية بالمكتبة التيمورية .

٤٩ ـ تحفة الدهر ونفحة الزهر فى أعيان المدينة من أهل العصر ، تأليف عمر بن عبد السلام الداغستانى ألفه سنه ١٢٠١ هـ ـ مخطوط بالمكتبة التيمورية عام ١٢٩٥ هـ .

٥٠ ـ رسالة فى مساجد المدينة للشيخ إبراهيم بن عباس ـ مولود عام ١٢٩٦ هـ ـ نسخة خطية بالمكتبة التيمورية عام ١٣٢٤ هـ .

٥١ ـ إتحاف الورى ـ للحافظ نجم الدين بن فهد القرشى المكى المتوفى عام ٨٨٥ هـ ـ نسخة خطية .

٥٢ ـ بلوغ القرى لعبد العزيز بن نجم الدين بن فهد القرشى المتوفى عام ٩٢٢ هـ ـ نسخة خطية .

٥٣ ـ القرى للمحب المكى المتوفى عام ٦٩٤ ـ نسخة خطية .

٥٤ ـ منائح الكرم للسنجارى المكى المتوفى عام ١١٢٥ هـ ـ نسخة خطية .

٥٥ ـ تحصيل المرام للصباغ المكى المتوفى عام ١٣٢١ هـ ـ نسخة خطية .

٥٦ ـ إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام للشيخ عبدالله بن محمد بن غازى المكى ـ نسخة خطية ـ عدة أجزاء .

٥٧ ـ الأعلام للزركلى .

٥٨ ـ جزيرة العرب فى القرن العشرين للشيخ حافظ وهبه .

٥٩ ـ رجالات الحجاز للشاعر الحجازى إبراهيم هاشم الفلالى .

٦٠ ـ أين نحن اليوم ـ للشاعر نفسه .

٦١ ـ صقر الجزيرة ـ لأحمد عبد الغفور عطار .

٦٢ ـ النهضة الأدبية المعاصرة فى المملكة العربية السعودية ـ تأليف عبد الله عبد الجبار ـ مخطوط لم يطبع .

٦٣ ـ قصة الأدب فى الحجاز تأليف عبدالله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجى .

٦٤ ـ المملكة العربية السعودية ـ ترجمة شكيب الأموى .

إلى عشرات الكتب الأخرى مابين مخطوطة ومطبوعة .

فهرس

موضوعات الجزء الأول من كتاب

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام

للإمام تقى الدين الفاسى المكى رحمه الله

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
	حياة الإمام الفاسى
	تقديم
١	مقدمة المؤلف
١٠	(الباب الأول) : فى ذكر مكة المشرفة وحكم بيع دورها وإجارتها
٢٦	ذكر حكم بيع دور مكة وإجارتها
٤٧	(الباب الثانى) : فى أسماء مكة المشرفة
٥٤	(« الثالث) : فى ذكر حرم مكة وسبب تحريمه وتحديده وعلاماته وحدوده
٥٤	ذكر علامات الحرم
٥٥	« حدود الحرم وضبط ألفاظ فيها
٥٩	« تحديد حد الحرم من جهة الطائف
٦٣	« « « « « العراق
٦٣	« « « « « التنعيم
٦٤	« « « « « اليمن
٦٧	(الباب الرابع) : فى ذكر شىء من الأحاديث والآثار الدالة على حرمة مكة وحرمها
٧٢	ذكر شىء مما ورد فى تعظيم الناس لمكة وحرمها وفى تعظيم الذنب فى ذلك
٧٤	(الباب الخامس) . فى ذكر الأحاديث الدالة على أن مكة المشرفة أفضل من غيرها من البلاد
٧٩	ذكر الأحاديث الدالة على أن الصلاة بمسجد مكة أفضل من الصلاة فى غيره

الصفحة	الموضوع
٨٤	(الباب السادس) : فى المجاورة بمكة والموت بها وشىء من فضل أهلها
٨٤	ذكر المجاورة بمكة
٨٥	« شىء مما جاء فى الموت بمكة
٨٦	« « « « « فضل أهل مكة
٨٧	« « من فضل جدة ساحل مكة وشىء من خبرها
٨٨	ذكر شىء من فضل الطائف وخبره
٩١	(الباب السابع) : فى أخبار عمارة الكعبة المعظمة
٩٢	ذكر البيت المعمور الذى أنزله الله على آدم وشىء من خبره
١٠٠	ذكر شىء من حال الكعبة بعد بناء ابن الزبير والحجاج
١٠٦	(الباب الثامن) : فى الكعبة المعظمة وذرعها وشاذروانها وحليتها ومعاليقها وكسوتها وأسمائها
١٠٦	ذكر صفة الكعبة وما أحدث فيها من البدعة
١٠٦	« ذرع « من داخلها وخارجها
١١٠	« « « « «
١١١	« « « « خارجها
١١١	« « سطح الكعبة

الصفحة	الموضوع
١١٢	ذكر شاذروان الكعبة
١١٣	« حلية الكعبة المعظمة
١١٦	« معاليق «
١١٩	« كسوة «
١٢٦	« طيب الكعبة وأخدامها
١٢٦	« أسماء « المعظمة
١٢٧	ذكر هدم الحبش الكعبة فى آخر الزمان
١٢٨	« وقت فتح الكعبة فى الجاهلية والإسلام
١٣٠	« بيان جهة المصلين الى الكعبة من سائر الآفاق
١٣٨	(الباب التاسع) : فى بيان مصلى النبى (ﷺ) فى الكعبة
١٣٨	ذكر بيان مصلى النبى (ﷺ) فى الكعبة
١٣٩	ذكر قدر صلاة النبى فى الكعبة
١٤١	« من روى « « « « يوم فتح مكة
١٤٦	« ترجيح رواية من أثبت صلاة النبى فى الكعبة
١٥٥	ذكر عدد دخول النبى الكعبة بعد هجرته
١٥٨	(الباب العاشر) : فى ثواب دخول الكعبة
١٦٢	ذكر حكم الصلاة فى الكعبة
١٦٦	(الباب الحادى عشر) : فى ذكر شىء من فضائل الكعبة
١٦٦	ذكر شىء من فضائل الكعبة
١٦٨	« « « « الحجر الأسود
١٦٩	« ما قيل من الحكمة فى اسوداد الحجر الاسود
١٦٩	ذكر ماروى من البياض فى الحجر الاسود
١٧٠	ماجاء فى شهادة الحجر الاسود يوم القيامة لمن استلمه
١٧٠	ماجاء فى الإكثار من استلامه
١٧١	« « أنه يمين الله
١٧٢	ذكر فضائل الركن اليمانى
١٧٢	ماجاء فى استلام النبى له

الصفحة	الموضوع
١٧٢	ذكر ما جاء فى المزاحمة على استلامه هو والحجر الأسود
١٧٣	ذكر ما جاء فى عدم استحباب ذلك للنساء بحضرة الرجال
١٧٣	ماجاء فى إكثار النبى من استلامه
١٧٣	« « فى تأمين الملائكة على الدعاء عنده
١٧٤	« فى ان الركن اليمانى باب من أبواب الجنة
١٧٥	(الباب الثانى عشر) : فى فضل الأعمال المتعلقة بالكعبة
١٧٥	ذكر ماورد فى ثواب الطواف عموما
١٧٦	ماجاء فى فضل الطواف فى الحر
١٧٧	« « « الطواف فى المطر
١٧٧	« « « « بعد الصبح أو العصر
١٧٩	« « « تفضيل الطواف على العمرة
١٨٠	« « « فضل الطائفين
١٨١	ذكر بدء الطواف بهذا البيت المعظم
١٨٢	« طواف بعض الجن والدواب والطير
١٨٢	ما جاء من أن شرعية الطواف لإقامة ذكر الله
١٨٣	ذكر ثواب النظر إلى الكعبة
١٨٣	« « الحج والعمرة
١٨٥	(الباب الثالث عشر) : فى الآيات المتعلقة ، بالكعبة
١٨٧	ذكر خبر تبع والهذليين
١٨٩	« « أصحاب الفيل
١٩١	(الباب الرابع عشر) : فى ذكر شىء عن أخبار الحجر الاسود
١٩٢	ذكر ما أصاب الحجر الأسود فى زمن ابن الزبير
١٩٣	ذكر « « « « « فتنة القرمطى
١٩٣	« ما صنعه الحجبة فى الحجر الأسود بإثر رد القرامطة له
١٩٤	ذكر ماأصاب الحجر الاسود بعد فتنة القرامطة

الصفحة	الموضوع
١٩٤	ذكر صفته وقدره
١٩٥	« شيء من الآيات المتعلقة به
١٩٦	(الباب الخامس عشر) : أفى الملتزم والمستجار والحطيم
١٩٦	ذكر الملتزم والمستجار
١٩٧	« الحطيم
١٩٨	« بقية المواضع بمكة وحرمها التى قيل إن الدعاء فيها مستجاب
٢٠٢	(الباب السادس عشر) : فى ذكر شيء من أخبار المقـــام
٢٠٢	ذكر حلية المقام
٢٠٤	« صفة الموضع الذى فيه المقام والمصلى
٢٠٥	« ذرع مابين المقام والحجر الأسود وغيره
٢٠٥	« موضع المقام فى الجاهلية والإسلام
٢٠٩	« شيء من فضل المقام
٢١٠	ماجاء فى هلاك من تعرض له بسوء
٢١١	(الباب السابع عشر) : فى ذكر شيء عن حجر إسماعيل
٢١٥	ذكر موضعه وشيء من خبر عمارته وذرعه
٢١٧	« ماجاء فى الحجر والصلاة فيه
٢١٨	« ماجاء فى الدعاء فى الحجر تحت الميزاب
٢١٩	« المواضع التى صلى فيها النبى صلى عليه وسلم حول الـكعبة
٢٢٤	(الباب الثامن عشر) : فى ذكر شيء من أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته وذرعه
٢٢٦	ذكر شيء من خبر توسعة المسجد الحرام بعد الأزرقى ومن خبر عمارته بعده
٢٢٧	ذكر صفة هذه الزيادة
٢٣٢	ذكر ذرع زيادة دار الندوة
٢٣٢	ذكر ذرع زيادة باب إبراهيم
٢٣٣	(الباب التاسع عشر) : فى عدد أساطين المسجد الحرام وصفتها
٢٣٣	ذكر عدد أساطين المسجد الحرام
٢٣٤	« عدد الأساطين التى بصحن المسجد الحرام وصفتهـا
٢٣٤	ذكر عدد أساطين زيادة دار الندوة
٢٣٥	« عدد أساطين زيادة باب إبراهيم
٢٣٥	« عدد طاقات المسجد الحرام
٢٣٥	« عدد طاقات زيادة دار الندوة
٢٣٥	« عدد طاقات زيادة باب إبراهيم
٢٣٦	« عدد الشرافات التى بزيادة دار الندوة
٢٣٦	« عدد الشرافات التى بزيادة باب ابراهيم
٢٣٧	« عدد أبواب المسجد الحرام
٢٤٠	« منائر المسجد الحرام
٢٤٢	« ماصنع فى المسجد الحرام لمصلحة
٢٤٣	« صفة المقامات
٢٤٤	« ذرع مابينها وبين الـكعبة .
٢٤٤	« كيفية صلاة الأئمة بها وحكم صلاتهم بها
٢٤٧	(الباب العشرون) : فى ذكر شيء من خبر زمزم وسقاية العباس
٢٤٧	ذكر حفر زمزم وعلاجها
٢٤٨	« علاج زمزم فى الإسلام
٢٤٨	« ذرع زمزم
٢٥١	« أسماء زمزم
٢٥٢	« فضائل زمزم
٢٥٨	ذكر آداب شربه
٢٥٨	حكمة التطهير بماء زمزم
٢٥٨	نقل ماء زمزم إلى البلدان
٢٥٩	ذكر شيء من خبر سقاية العباس

الصفحة	الموضوع
٢٦٠	(الباب الحادى والعشرون) فى ذكر الأماكن المباركة التى ينبغى زيارتها بمكة وحرمها وقربه
٢٦٤	ما جاء فى استحباب زيارة مسجد الخيف كل سبت
٢٦٤	ذكر تعيين مصلى النبى من مسجد الخيف
٢٦٤	« صفة مسجد الخيف وذرعه
٢٦٤	« صفته
٢٦٥	« ذرعه
٢٦٥	« عدد أروقته
٢٦٦	« عدد أساطينه وصفتها
٢٦٦	« عدد عقوده
٢٦٦	« ذرع موضع مصلى النبى أمام المنارة
٢٦٦	« عدد شرفات المسجد من داخله وخارجه
٢٦٦	« ذرع المنارة وصفتها
٢٦٧	« ذرع السقاية المذكورة
٢٦٩	« المواضع المباركة بمكة
٢٦٩	« شىء مما ورد فى بركة الموضع الذى ولد فيه النبى
٢٧٠	ذكر صفة هذا المكان
٢٧١	« صفة هذا المكان وذرعه
٢٧٢	« الدور المباركة بمكة
٢٧٥	« الجبال بمكة وحرمها
٢٨٤	« مقابر مكة المكرمة
٢٨٨	(الباب الثانى والعشرون): فى ذكر أماكن بمكة المشرفة وحرمها التى لها تعلق بالمناسك وهى ستة وعشرون موضعا
٣٠٢	ذكر مقدار مابين باب بنى شيبة وعلمى عرفات
٣٠٣	« تعيين موقف النبى من عرفة
٣٠٤	« مسجد عرفة وحكم الوقوف فيه
٣٠٥	« هذا المسجد وشىء من صفته

الصفحة	الموضوع
٣٠٦	ذكر تسمية عرفة بعرفة
٣٢٠	« حكم البناء بمنى
٣٢٢	ماجاء فى فضل منى وما ذكر فيها من الآيات
٣٢٤	ذكر مقدار مابين منى ومكة
٣٢٨	(الباب الثالث والعشرون): فيما بمكة من المدارس والربط والسقايات والبرك والآبار
٣٢٨	ذكر المدارس بمكة المكرمة
٣٣٠	« الربط بمكة المشرفة
٣٣٧	« السقايات والبرك
٣٣٩	« عدد البرك بمكة وحرمها
٣٤٣	« الآبار التى بين باب المعلاة ومنى
٣٤٤	« الآبار التى بمنى
٣٤٥	« الآبار التى بمزدلفة وبعرفة
٣٤٥	« الآبار التى بظاهر مكة
٣٤٦	« الآبار التى بأسفل مكة
٣٤٦	« عيون مكة المشرفة
٣٥٠	« المطاهر التى بمكة المشرفة
٣٥٢	(الباب الرابع والعشرون): فى ذكر شىء من خبر بنى المحض ملوك مكة وشىء من أخبار العمالق ملوك مكة وولاية طسم للبيت
٣٥٢	ذكر شىء من خبر بنى المحض ونسبهم
٣٥٣	ذكر شىء من أخبار العمالق ملوك مكة ونسبهم
٣٥٧	(الباب الخامس والعشرون): فى ذكر شىء من خبر جرهم ولاة مكة ونسبهم وذكر من ملك مكة من جرهم ومدة ملكهم لها
٣٥٩	ذكر من ملك مكة من جرهم وعن ملكهم لها وما وقع فى نسبهم من الخلاف
٣٦٩	ذكر من أخرج جرهما من مكة وكيفية خروجهم منها
٣٧٩	مصادر الكتاب
٣٨٣	فهرس الموضوعات

استدراك

ص	س	الكلمة	صحتها
١١	١	الصلاك	الصلاة
٢٢	٢٣	لينه	لنية
٢٢	٢٧	متايمنه	متيامنة
٢٤	٢٣	وادى	واد
٣٣	٢١	المجزعة	المخزعة
٣٨	٢٠	لذى	الذى
٤١	١٩	يشير	نشير
٤٣	١٣	وفى وقوع	وقوع ذلك
٤٣	١٩	منهم	معهم
٥٤	١٢	جرمها	حزمها
٥٤	٢٠	الوافدين	الوافدون
٦٠	١٥	وخمس	وخمسا
٧١	٤	وعند	عند
٧١	٢١	نص	فقد نص
٧٦	٥	الصفاء	الصفا
٧٩	٢٢	الخروج	المخرج
١٠١	٣	الجدر	الجدار
١٠١	١٩	الجدر	الجدار
١٠١	٢٣	متسعا مضرا	متسع مضر
١٠٢	٢٤	منى كان ذلك	ندرى متى كان
١٠٧	١٣	الذين	الدين
١١٣	١٥	وأفنى	وأفتى
١١٣	٢	بما	ما
١١٥	٨	حلآها	حلاها

ص	س	الكلمة	صحتها
١١٧	١٦	فى أمير	أمير
١٢٠	١٠	الجسروانى	الخسروانى
١٢١	٣	تغبير	تغيير
١٢٣	٥	ستاير	ستائر
١٢٣	٧	ثمانى عشر	ثمانى عشرة
١٢٤	١٣	عشرى	عشر
١٢٧	١٨	يحزب	يخرب
١٦٦	٥	للتبرك	التبرك
١٧١	٩	أبى	أبا
١٧٢	٢	قدصمنت	إليه قد ضمت
١٧٨	٢	ذكز	ذكر
١٧٨	٥	غير	خير
١٧٩	٧	منه	منة (قوة)
١٨١	٤	أنه	إن
١٨١	٥	فصار	صار
١٨١	٥	أمر	آثر
١٨١	٦	الرأى	الرائى
١٨٢	١٥	إلى السما عارى	عاريا
٢٠٢	٤	الندى	الذى
٢٠٢	١٦	من	ما
٢٢٠	١٥	ثلث	ثلثا
٢٢٤	٥	محاطة	محيطة
٢٢٥	٢٠	الزبير	ابن الزبير
٢٣٠	٢	أحد	إحدى
٢٣٢	١٣	سبعة	فسبعة

ص	س	الكلمة	صحتها
٢٣٤	٢	اثنين	اثنتين
٢٣٤	٤	أساطين	الأساطين
٢٣٩	١١	ما	مما
٢٣٩	٢١	تسامح	تشاح
٢٤٦	٥	فيطع	قطع
٢٤٧	١٩	تزل	يزل
٢٥٢	٨	سابق	سابقاً
٢٥٢	٢١	لكونه	بكونه
٢٥٨	٦	حكمة	حكم
٢٧٠	١٢	كثيرا	كثير
٢٧٢	٩	تعترف	تعرف
٢٧٢	٩	فيه	فيها

ص	س	خطأ	صواب
٢٧٦	٣	الثلث	الثالث
٢٧٧	٤	الصفاء	الصفا
٣٠٥	١٤	ثلث	ثلثا
٣٠٥	١٥	ثمن	ثمنا
٣١٢	١٦	أى مشهور	مشهور
٣١٦	٢	ثلثا	ثلث
٣١٨	٧	يرشوا	يرشون
٣١٨	١٣	وثلثى	وثلثا
٣٤٦	٨	ثلاثة آبار	ثلاث آبار
٣٤٩	٢٥	فما إلا	فما هو إلا
٣٥٤	١٧	هموا ...	همو

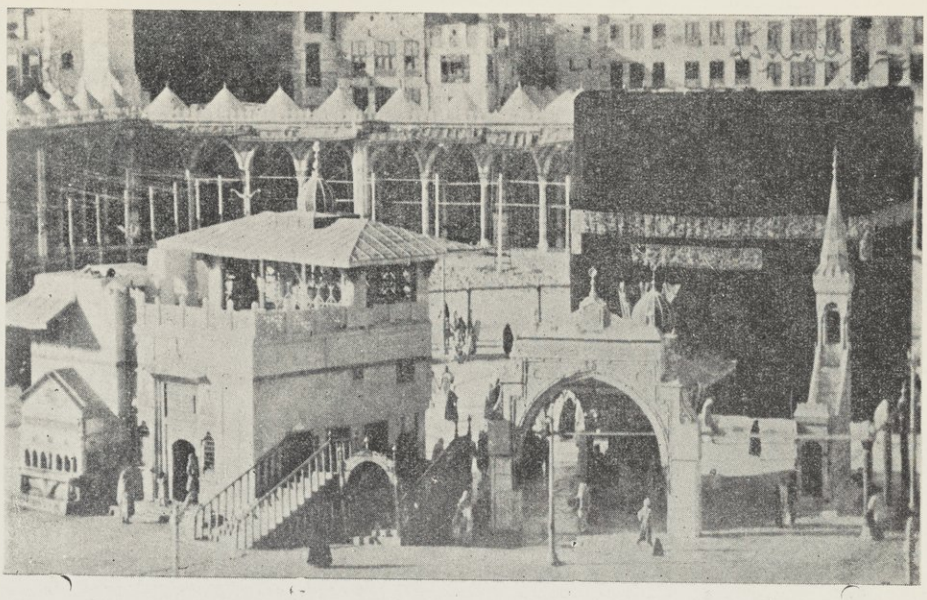

صورة الكعبة وباب بنى شيبة (وبئر زمزم والمقام الشافعى) بعمارته القديمة

صورة للمسجد الحرام وتظهر به العمارة الجديدة لبئر زمزم والمطاف والمشايات من (المرمر والمزايكو)
وبعض المظلات التى انشئت مؤخرا فى عهد الحكومة السعودية

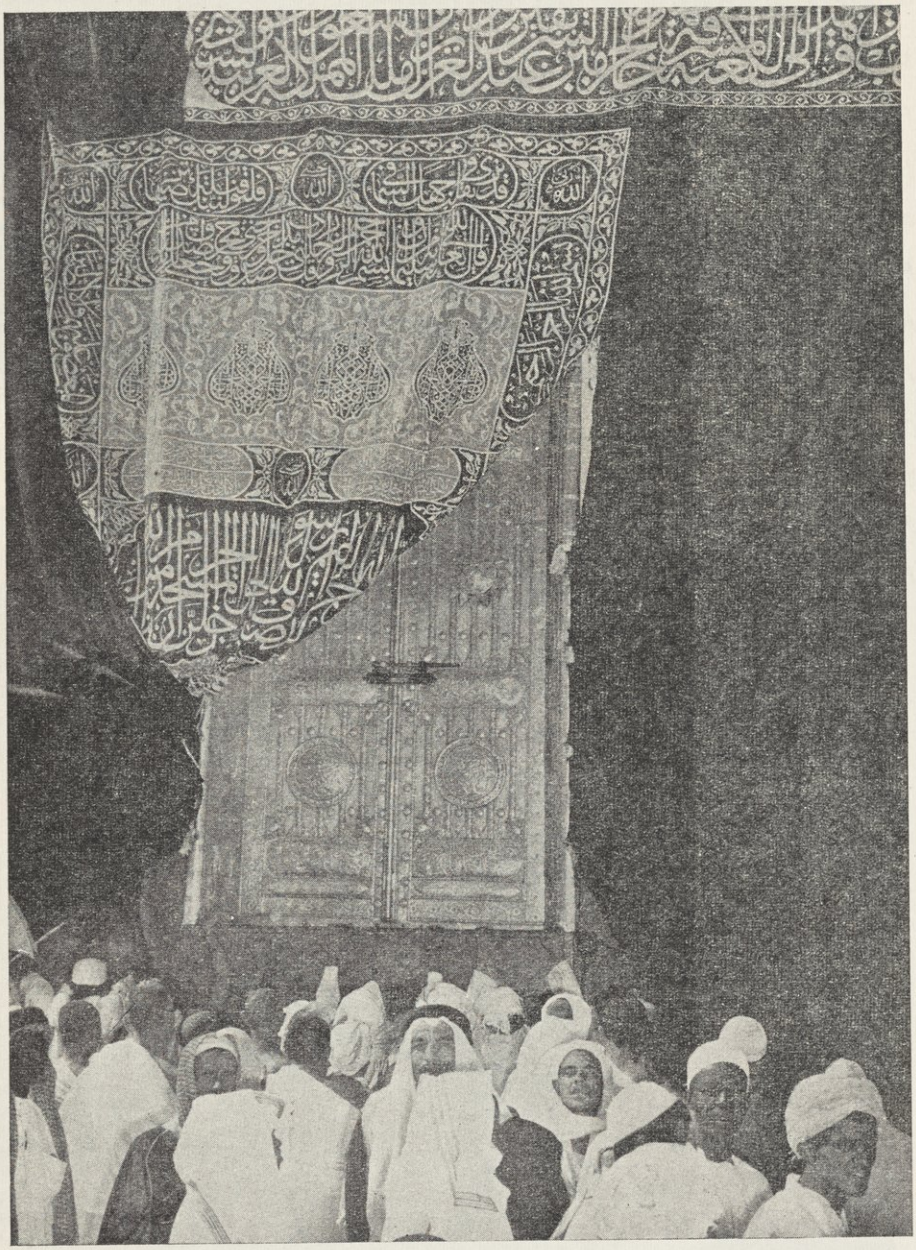

الحجاج وهم يمسكون بباب الكعبة والملتزم
بالمسجد الحرام

صورة لبئر زمزم من الداخل وعليه الدلاء والشبكة المعدنية التى أنشئت فى عهد المغفور له
الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله

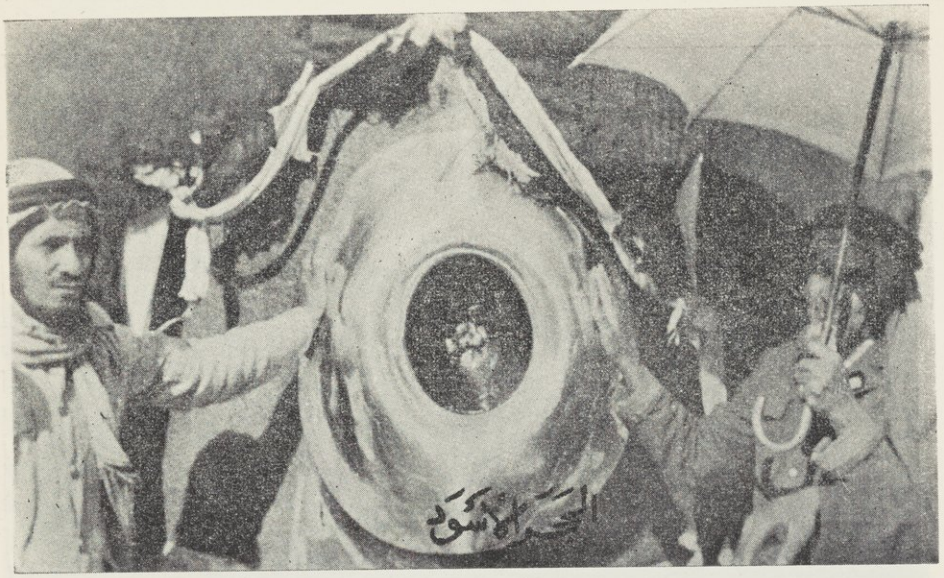

الحجر الأسود بالمسجد الحرام وعلى جانبيه حارساه

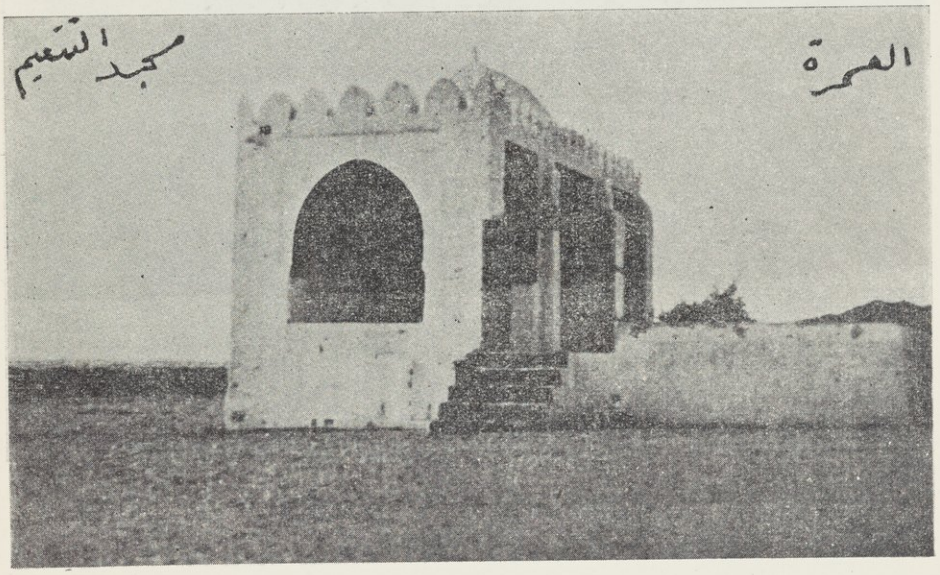

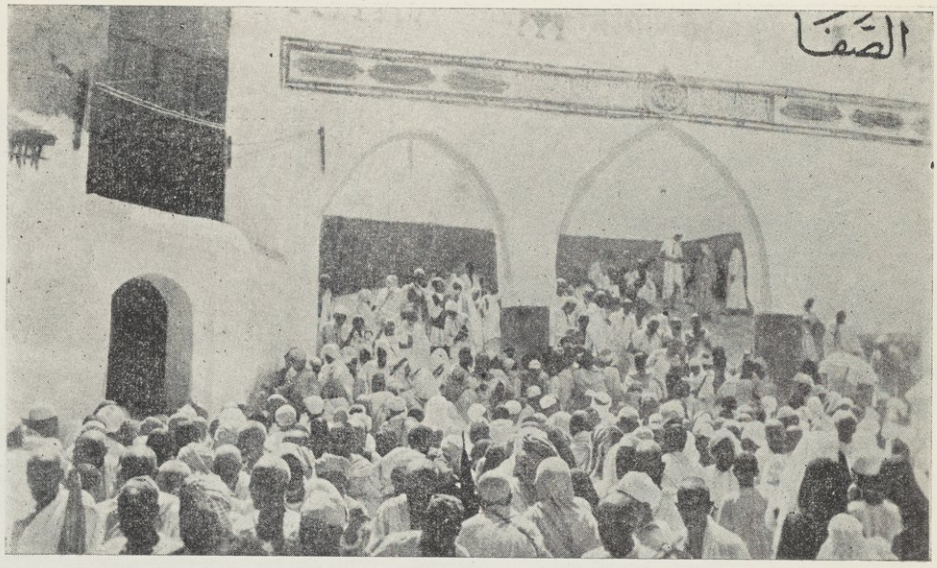

الحجاج وهم يبدؤن بالسعي من الصفا

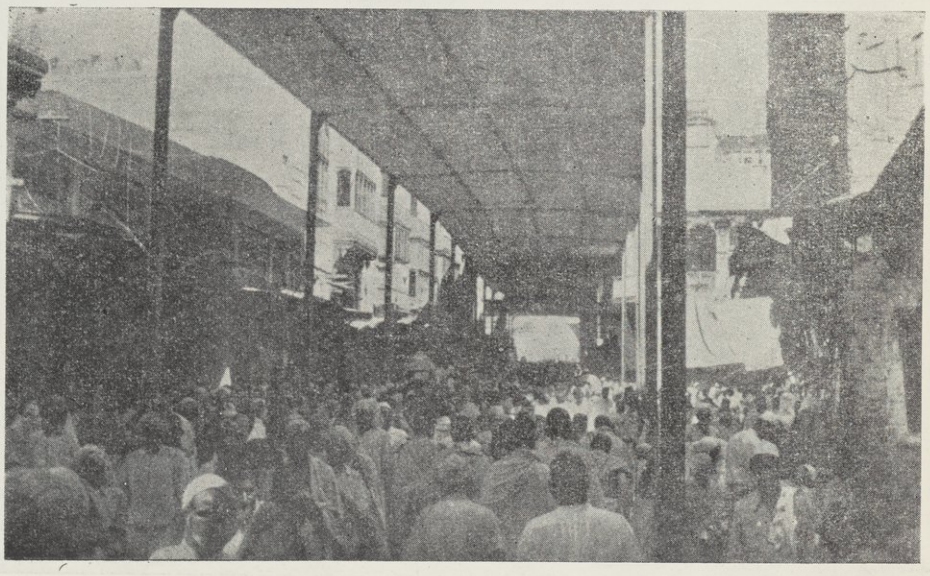

الحجاج يؤدون مناسكهم وهم على درجات المروة

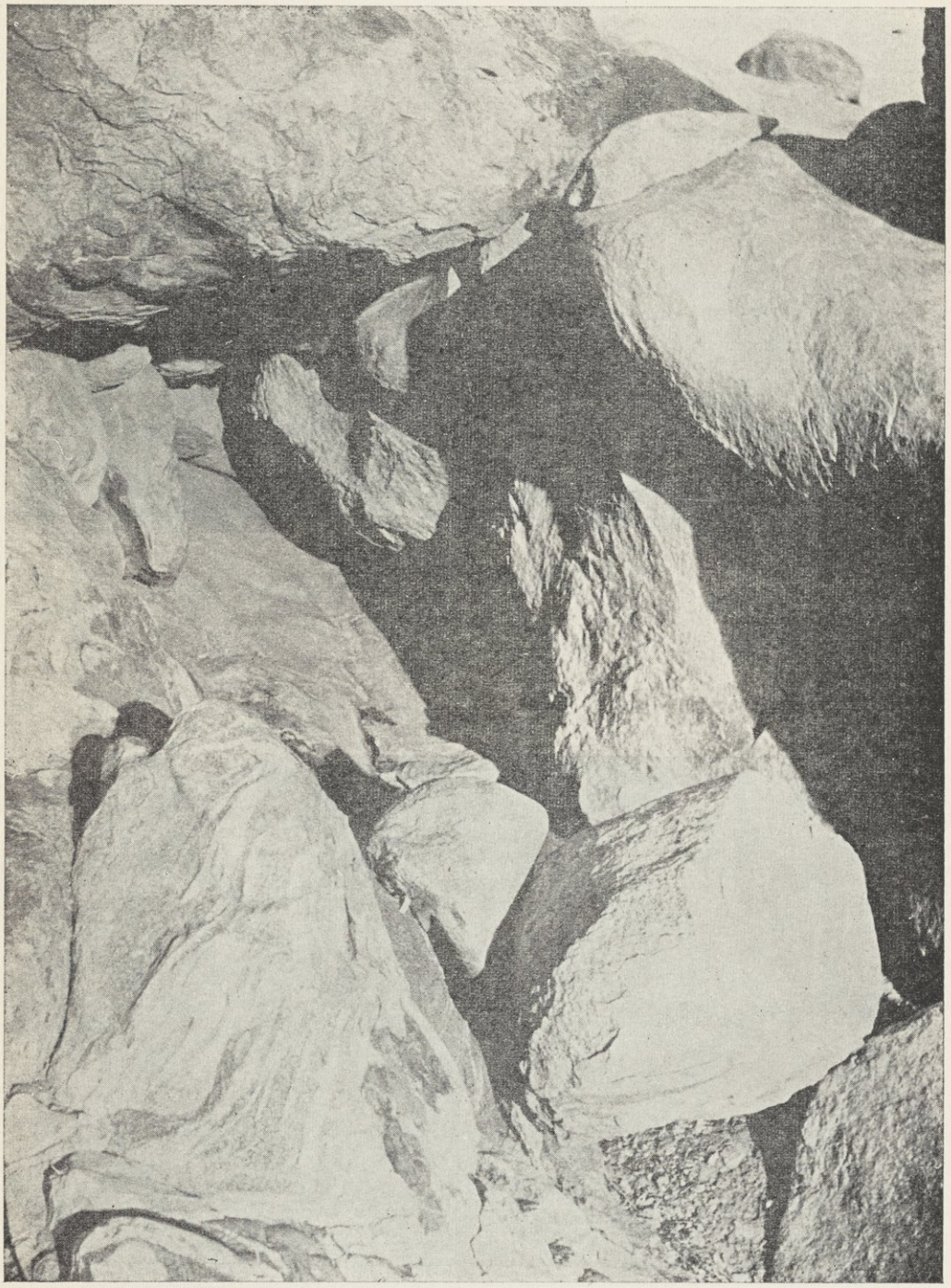

منظر لغار حراء ، أول مهبط للوحى

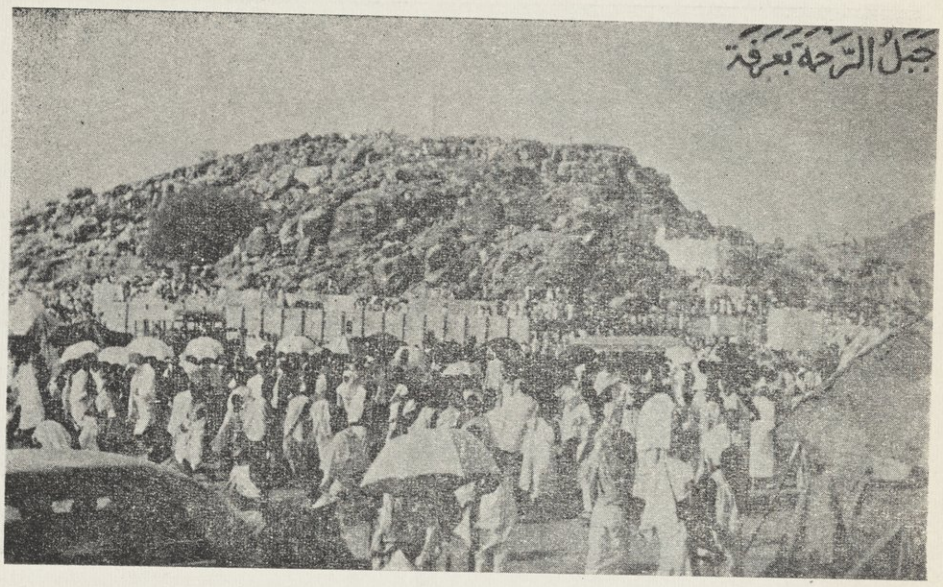

الحجاج على جبل عرفات

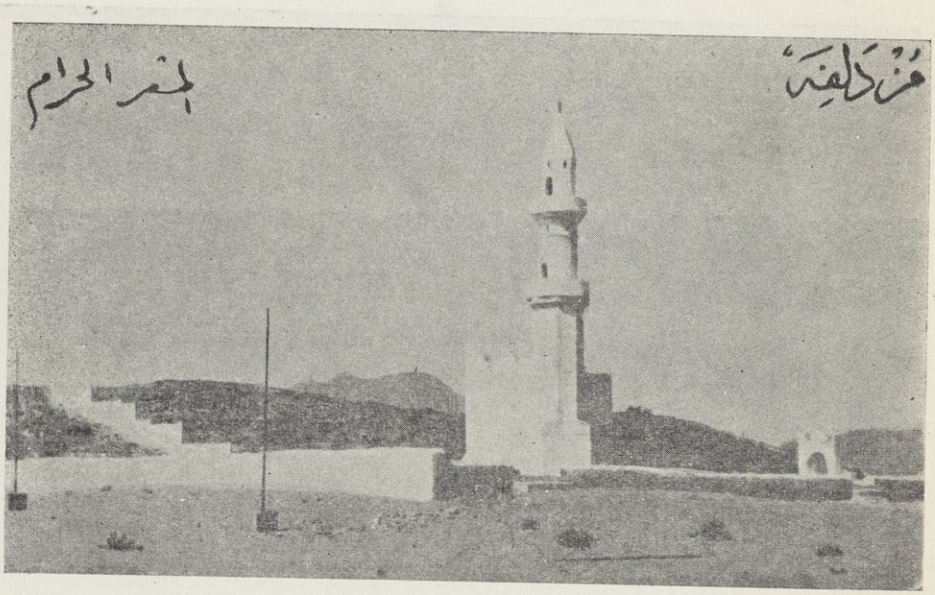

مسجد مزدلفة وتظهر عليه آثار الإصلاح الجديدة فى عهد الحكومة السعودية

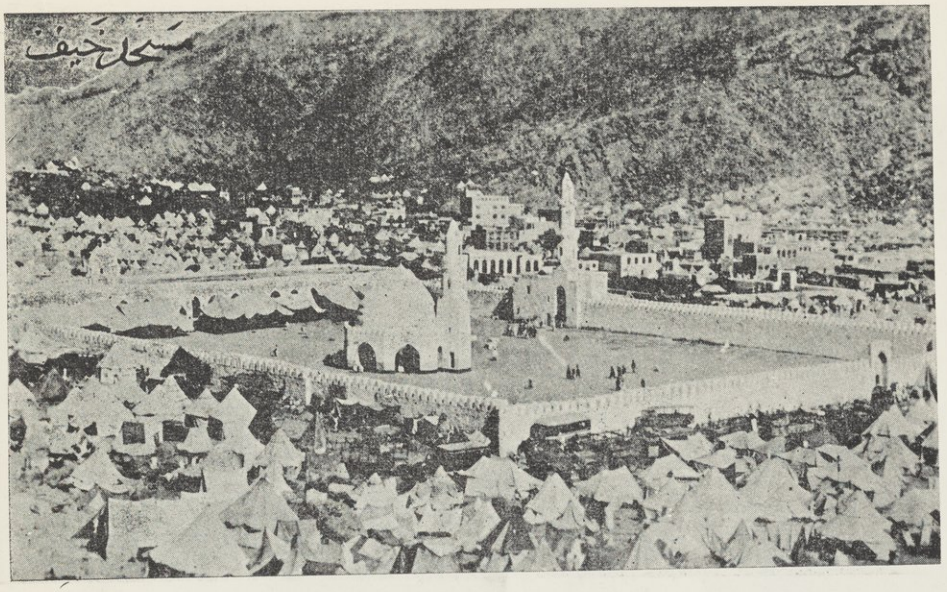

مسجد الخنيف بمنى وتظهر به آثار الاصلاحات الجديدة فى عهد الحكومة السعودية

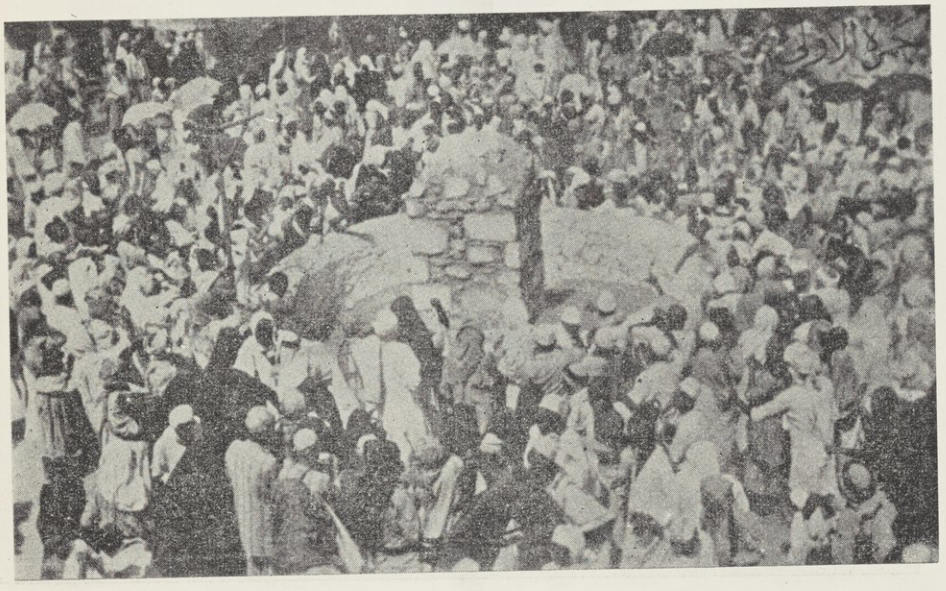

الحجاج وهم يؤدون مناسكهم برمى الجمرة الأولى بمنى

الحجاج وهم يؤدون مناسكهم برمى جمار الجمرة الوسطى بمنى

جمرة العقبة والحجاج يقومون بأداء مناسكهم

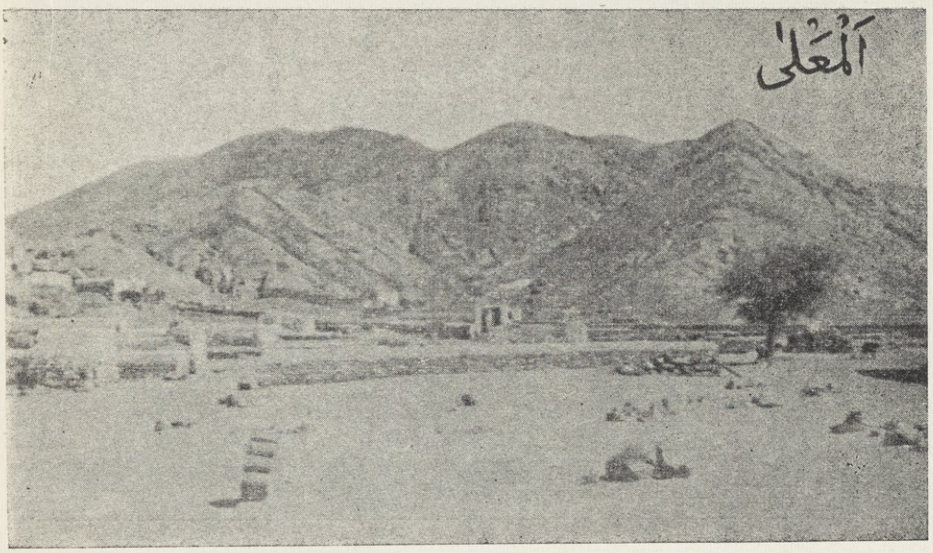

المدافن بمكة

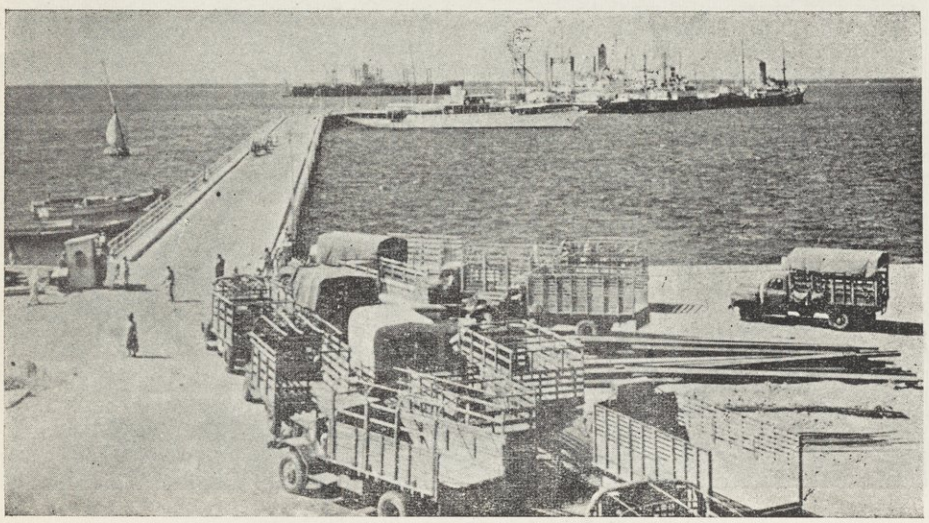

ميناء جده البحرى الحديث أنشأ فى عهد الحكومة السعودية

مطار جده الحديث أنشأ فى عهد الحكومة السعودية

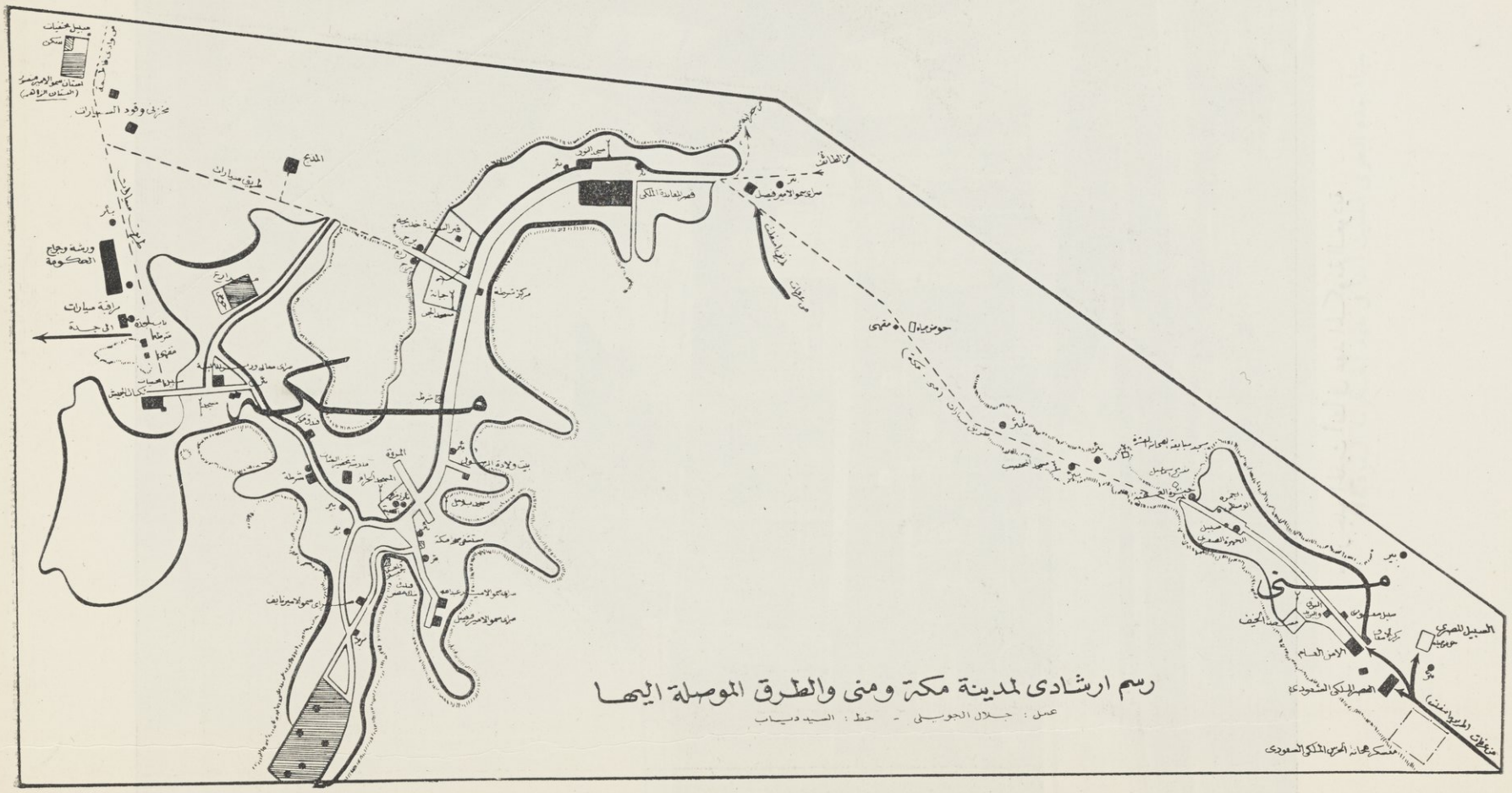
مكة
منى
قصر الضيافة الملكي
مركز شرطة
مستشفى مكة
مستشفى الملك فيصل
مستشفى الأمير فيصل
مستشفى الأمير نايف
مستشفى الملك فيصل
مستشفى الملك فيصل
مستشفى الملك فيصل

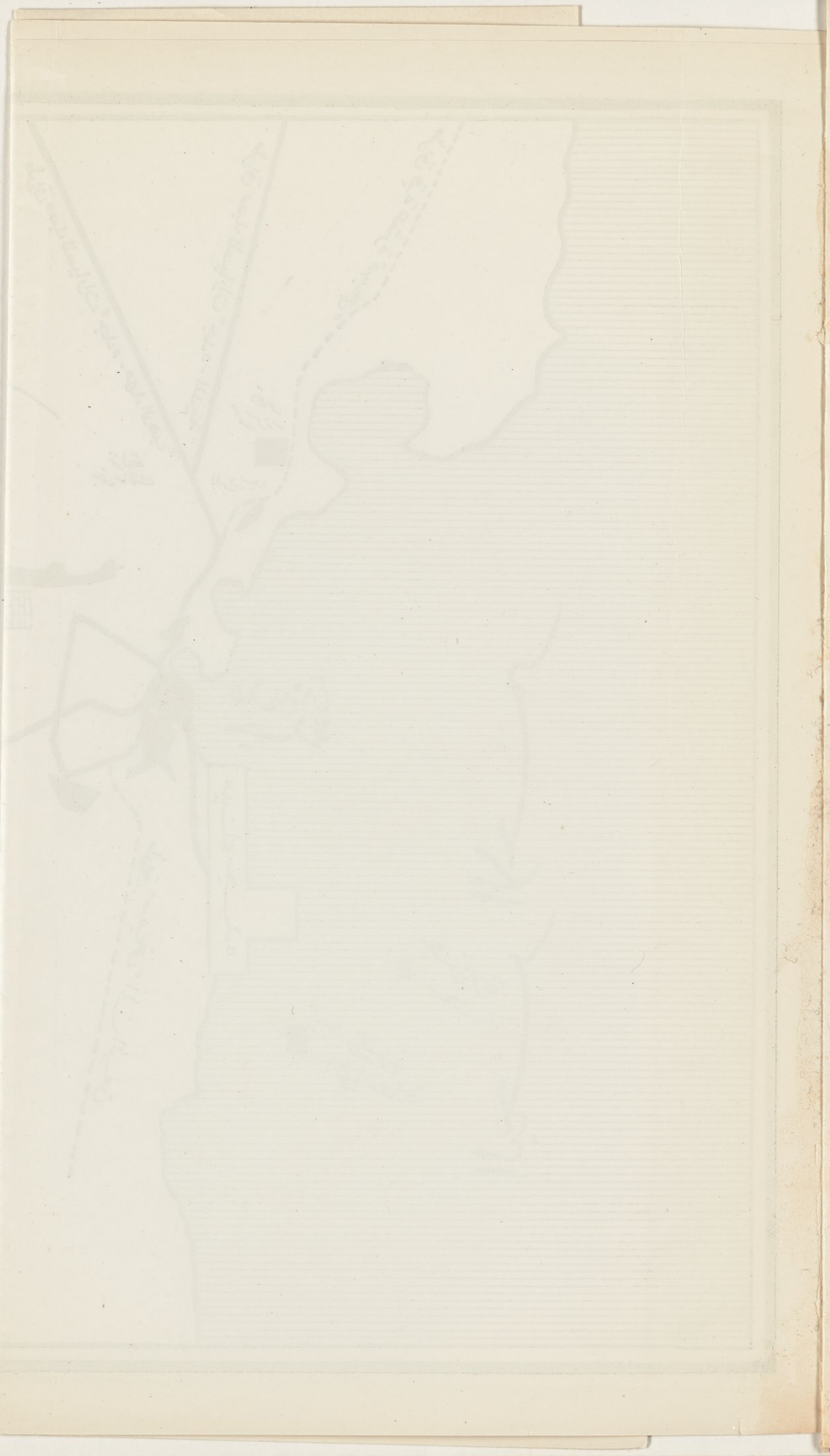

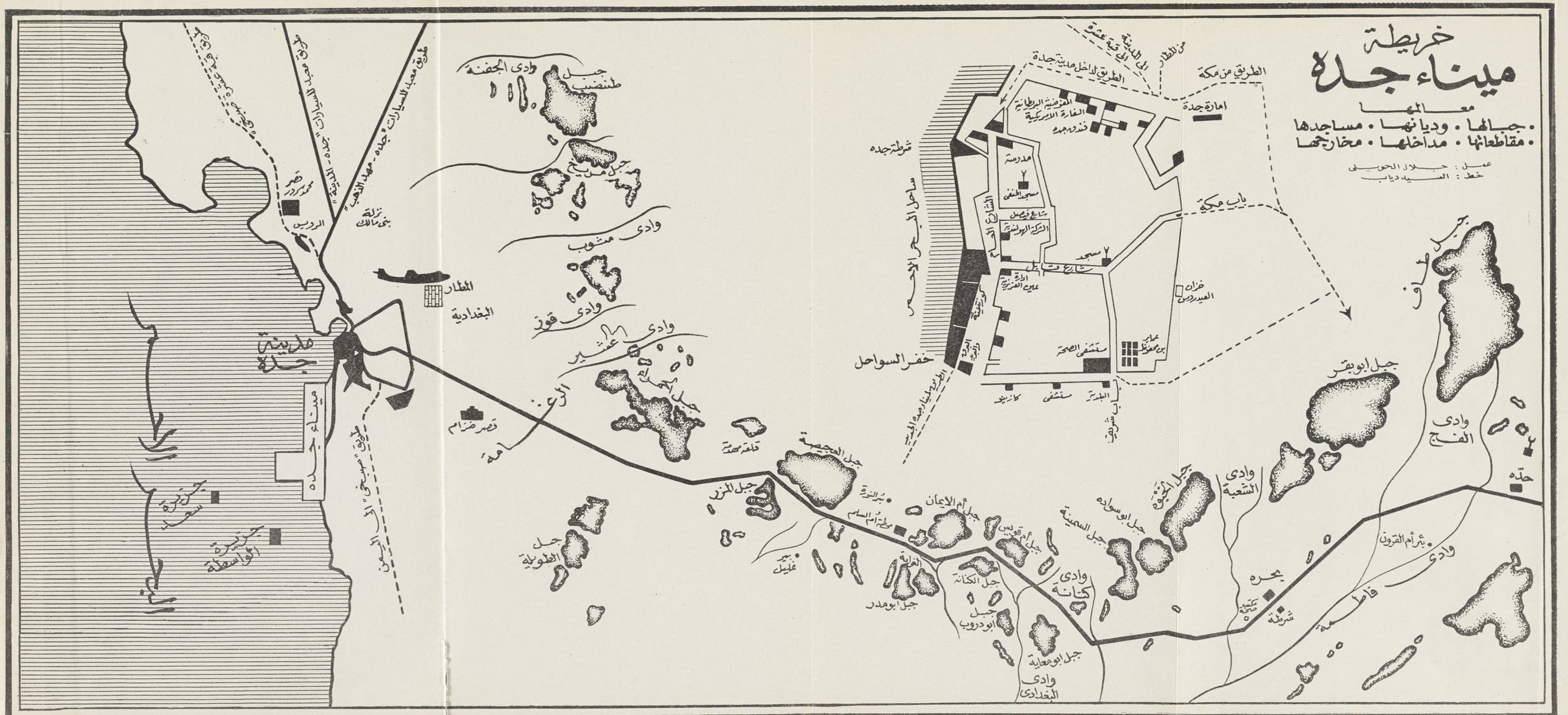
خريطة
ميناء جدة
معالمها
• جبالها • وديانها • مساجدها
• مقاطعاتها • مداخلها • مخارجها
عمل : جلال الحويلى
خط : السيد دياب
طريق معبد للسيارات "جدة - المدينة"
طريق معبد للسيارات "جدة - مهد الذهب"
محمد سرور
الرويس
بنى مالك
وادى الجفنة
جبل طنطنيب
جبل مسيح
وادى مشوب
وادى قوز
وادى عشير
المطار
البغدادية
مدينة جدة
ميناء جدة
قصر ضرام
جبل المحمل
جبل المجيصة
قلعة مهدة
جبل المزن
جبل الطويلة
بئر النوة
مولد أم السلم
جبل أم الأيمان
جبل قوس
بئر غليل
الغابة
جبل أبو مدر
جبل الكانة
جبل أبو دروب
جبل أبو معاية
وادى البغدادى
وادى كانة
جبل أبو سوداه
جبل السمينة
جبل الجنوب
وادى الشعبة
جبل أبو بقر
جبل صاف
وادى الفتح
حدة
بئر أم القرون
وادى فاطمة
بحره
شرطة
مكتبة
خفر السواحل
شرطة جده
ساحل البحر الأحمر
الطريق من مكة
الطريق لداخل مدينة جدة
من المطار
الى المدينة المنورة
امارة جدة
القنصلية البريطانية
القنصلية الامريكية
فندق جده
مدرسة
مسجد الشفى
شارع فرعى
الشارع العام
الشركة الهولندية
مسجد
شارع فرعى
باب مكة
ادارة الغمرية
خزان العيدروس
كوبرى تحويلى
البلدية
مستشفى
كازينو
مستشفى الصحة
عمارة بن معوضة
الطريق الى ميناء جده والمدينة المنورة

خريطة
مكة المكرمة
معالمها . شبكة مواصلاتها
الطرق الموصلة اليها
الطائف - عرفات - المزدلفة - منى - وادى فاطمة
(طريق الجمال للمدينة المنورة) - جدة
عمل : جلال الجويلى
خط : السيد دياب
الشرائع
جبل لبن
جبل الشفا
جبل مسعود
جبل الثنية
جبل قرن
جبل الشار
جبل النور
غار حرا
جبل ثور
جبل الرحمة
جبل عمر
جبل القصار
جبل سعد
عرفات
وادى النعمان
التنعيم
جبل الحجون
جبل ابو قبيس
جبل خندمة
جبل هندى
جبل ابو عطاء
جبل عسكر
جبل ابو سفيان
جبل ابو عزالان
جبل ابو صباع
جبل ابو مروة
جبل ابو حمامة
جبل ابو سدره
جبل ابو دلة
جبل ابو دلة
جبل النواصر
جبل حانم
جبل ابو سفا
جبل حلس
جبل ابو حمانا
جبل الشبيكة
جبل الشهيد
جبل المعلى
جبل الكعبة
جبل الجرات
جبل الحجرة النبوية
جبل الكحل
جبل الكحل
جبل الكحل

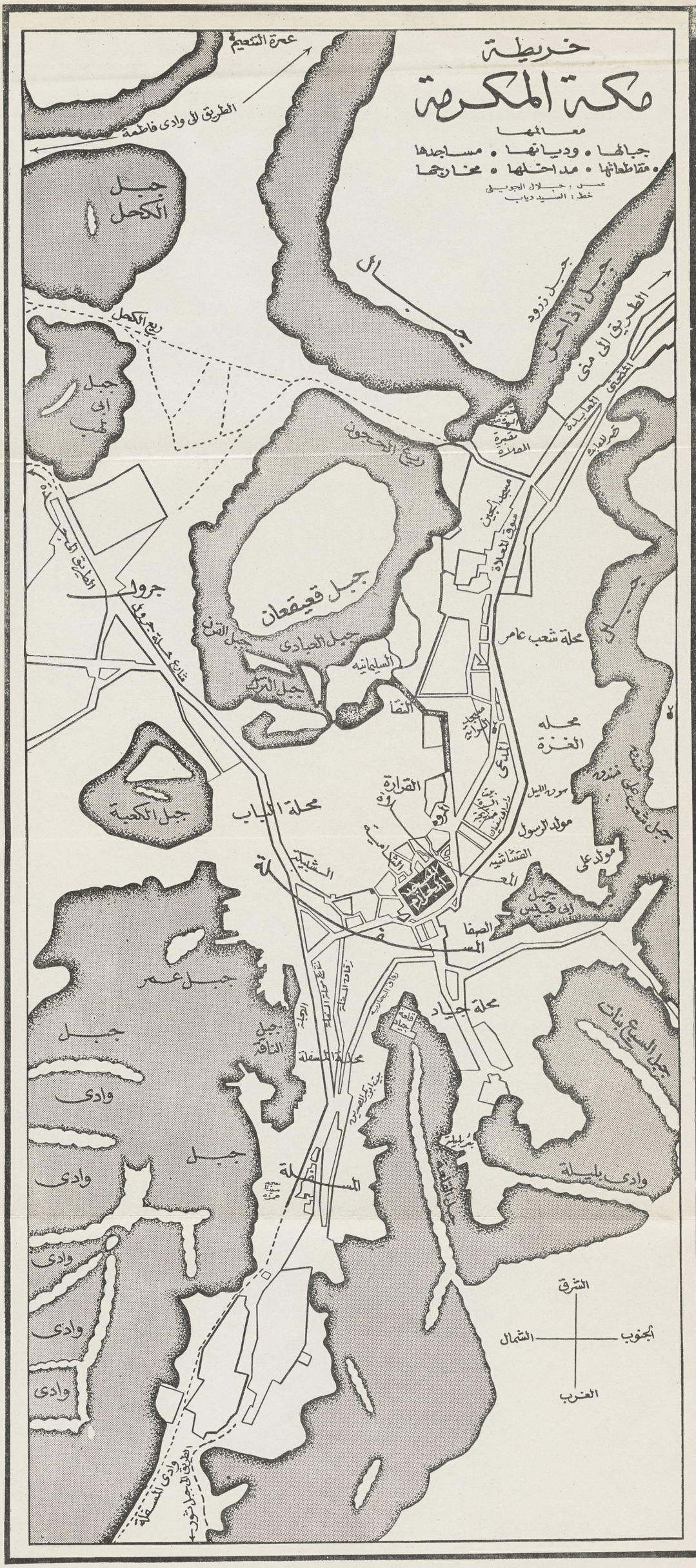
خريطة
مكة المكرمة
معالمها
جبالها • وديانها • مساجدها
• مقاطعاتها • مداخلها • مخارجها
عمل : جلال الجويلي
خط : السيد دياب
عمرة التنعيم
الطريق الى وادى فاطمة
جبل الكحل
ربع الكحل
جبل ابى طب
جبل ذرود
جبل اذاخر
الطريق الى منى
ربع الحجون
جبل قعيقعان
جبل العبادى
جبل القرن
جبل الترك
السليمانيه
الطريق الى جدة
جرول
شارع حلة جرول
محلة شعب عامر
النقا
محله الغزة
القرارة
جبل كعيكعية
محلة الليباب
الشبيكة
مولد الرسول
مولد على
جبل ابى قبيس
الصفا
المسفلة
جبل عمر
جبل
جبل الناقة
محلة المسفلة
محلة جياد
جبل السيع بنات
وادى
وادى بليلة
الشرق
الجنوب
الشمال
الغرب

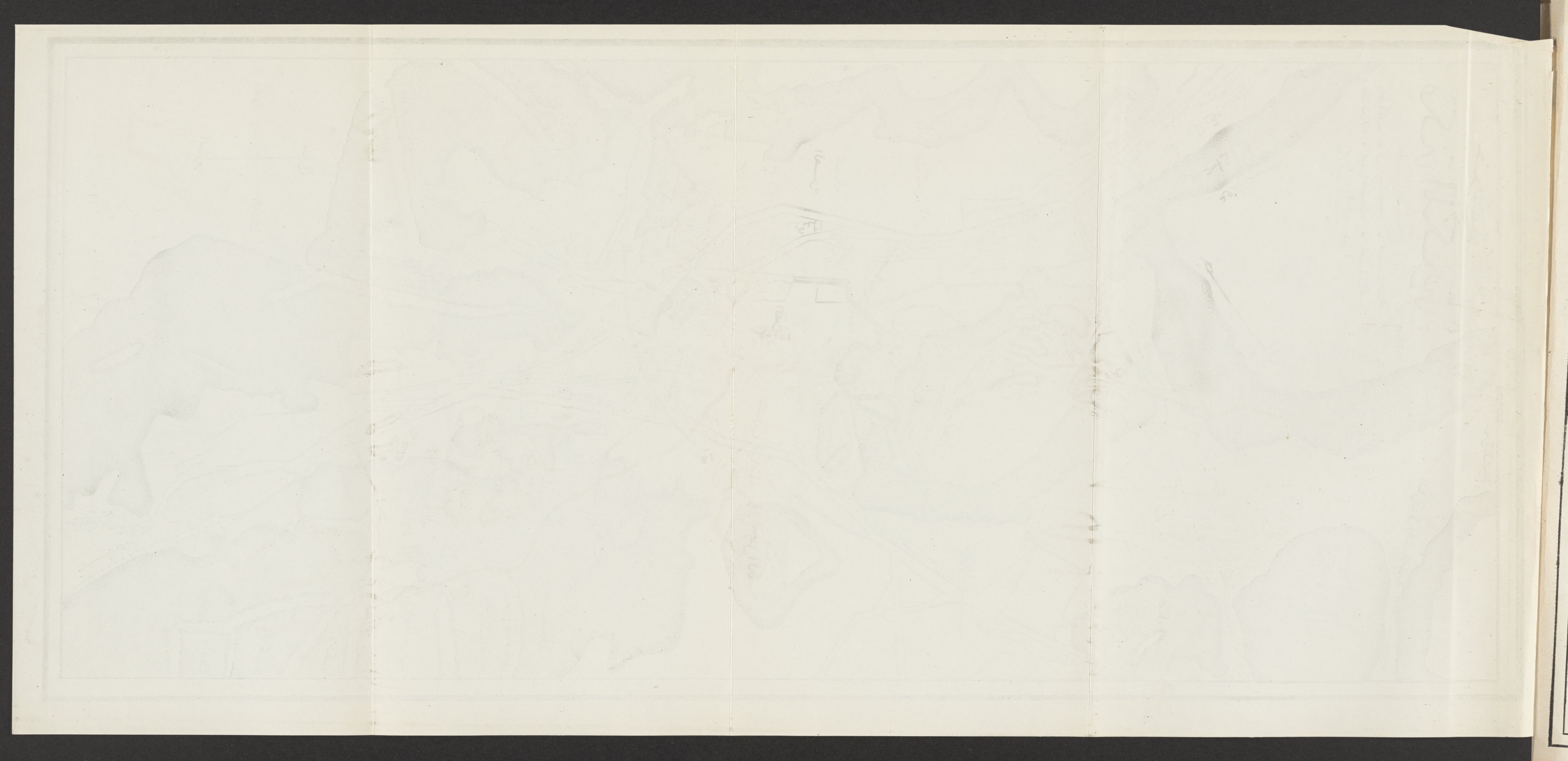

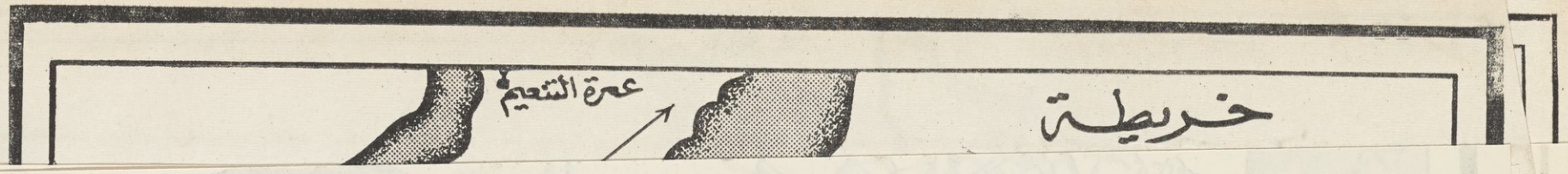
خريطة
عمرة التنعيم

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University